www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج الميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي ثم النجفي

الجزء الخامس

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران - شارع ناصر خسرو

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپي:

المكتبة الاسلامية

ناشر ديجيتالي:

مركز تحقيقات رايانه‌اي قائميه اصفهان

فهرست

فهرست ----- ۵
منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۵ ----- ۱۳
مشخصات کتاب ----- ۱۳
تتمهٔ باب المختار من خطب أمیر المؤمنین علیه السلام و أوامره ----- ۱۳
و من خطبهٔ له علیه السلام و هی الرابعهٔ و الستون من المختار فی باب الخطب ----- ۱۴
اشارهٔ ----- ۱۴
اللغهٔ ----- ۱۶
الاعراب ----- ۱۶
المعنی ----- ۱۷
الترجمهٔ ----- ۳۴
و من کلام له علیه التلام و هو الخامس و الستون ----- ۳۵
اشارهٔ ----- ۳۵
اللغهٔ ----- ۳۶
الاعراب ----- ۳۷
المعنی ----- ۳۸
اشارهٔ ----- ۳۸
تکملهٔ ----- ۴۱
تذییل ----- ۴۳
الترجمهٔ ----- ۹۴
و من کلام له علیه السلام فی معنی الانصار و هو السادس ----- ۹۵
اشارهٔ ----- ۹۵
اللغهٔ ----- ۹۵
الاعراب ----- ۹۶
المعنی ----- ۹۶

اشارة ---- ۹۶
تنبیهان ---- ۹۸
الاول ---- ۹۸
الثانی ---- ۱۰۷
الترجمة ---- ۱۱۵
و من کلام له علیه السلام و هو السابع و الستون ---- ۱۱۵
اشارة ---- ۱۱۵
اللغة ---- ۱۱۶
الاعراب ---- ۱۱۶
المعنی ---- ۱۱۶
اشارة ---- ۱۱۶
تنبیهان ---- ۱۱۶
الاول ---- ۱۱۶
الثانی ---- ۱۱۸
الترجمة ---- ۱۳۳
و من کلام له علیه السلام و هو الثامن ---- ۱۳۳
اشارة ---- ۱۳۳
اللغة ---- ۱۳۴
الاعراب ---- ۱۳۵
المعنی ---- ۱۳۵
الترجمة ---- ۱۳۷
و قال علیه السلام فی سحرة الیوم الذی ضرب ---- ۱۳۸
اشارة ---- ۱۳۸
اللغة ---- ۱۳۸
الاعراب ---- ۱۳۸
المعنی ---- ۱۳۸

اشارة ----- ۱۳۸
تذییلات ----- ۱۴۰
الاول ----- ۱۴۰
تسلی هم و تسکین فؤاد فی أحوال قاتله و کیفیة قتله ----- ۱۷۹
التذییل الثانی فی موضع قبره الشریف و الاشارة الی من بناه ----- ۱۸۲
التذییل الثالث فی ذکر نبذ من المعجزات الظاهرة منه و من قبره الشریف ----- ۱۸۵
الترجمة ----- ۱۹۵
و من کلام له علیه السلام فی ذم اهل العراق ----- ۱۹۵
اشارة ----- ۱۹۵
اللغة ----- ۱۹۶
الاعراب ----- ۱۹۶
المعنی ----- ۱۹۸
الترجمة ----- ۲۰۰
و من خطبة له علیه السلام علم فیها الناس الصلاة ----- ۲۰۲
اشارة ----- ۲۰۲
اللغة ----- ۲۰۳
الاعراب ----- ۲۰۵
المعنی ----- ۲۰۵
اشارة ----- ۲۰۵
اما الاول ----- ۲۰۶
و اما الثانی ----- ۲۰۷
الفصل الثالث ----- ۲۱۵
تنبیهات ----- ۲۱۷
الاول ----- ۲۱۷
فواید ----- ۲۱۸
الاولی ----- ۲۱۸

الثانية ----- ٢١٩
الثالثة ----- ٢١٩
الرابعة ----- ٢٢٠
الخامسة ----- ٢٢٠
السادسة ----- ٢٢٢
السابعة ----- ٢٢٢
الثانى ----- ٢٢٢
الثالث ----- ٢٢٣
الرابع ----- ٢٢٦
الترجمة ----- ٢٣٠
و من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم ----- ٢٣١
اشارة ----- ٢٣١
اللغة ----- ٢٣٢
الاعراب ----- ٢٣٢
المعنى ----- ٢٣٢
اشارة ----- ٢٣٢
تكملة ----- ٢٣٣
الترجمة ----- ٢٣٤
و من كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان ----- ٢٣٥
اشارة ----- ٢٣٥
اللغة ----- ٢٣٥
الاعراب ----- ٢٣٥
المعنى ----- ٢٣٦
الترجمة ----- ٢٣٨
و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بنى امية ----- ٢٣٩
اشارة ----- ٢٣٩

اللغة ---- ۲۳۹
الاعراب ---- ۲۳۹
المعنی ---- ۲۴۰
الترجمة ---- ۲۴۳
و من خطبة له علیه السلام و هی الخامسة و السبعون ---- ۲۴۳
اشارة ---- ۲۴۳
اللغة ---- ۲۴۴
الاعراب ---- ۲۴۴
المعنی ---- ۲۴۵
الترجمة ---- ۲۵۴
و من کلام له علیه السلام و هو السادس ---- ۲۵۵
اشارة ---- ۲۵۵
اللغة ---- ۲۵۵
الاعراب ---- ۲۵۵
المعنی ---- ۲۵۵
اشارة ---- ۲۵۵
تذنیبان ---- ۲۵۷
الاول ---- ۲۵۷
الثانی ---- ۲۵۷
الترجمة ---- ۲۶۲
و من کلمات له علیه السلام کان یدعو بها و هی السابعة ---- ۲۶۲
اشارة ---- ۲۶۲
اللغة ---- ۲۶۲
الاعراب ---- ۲۶۳
المعنی ---- ۲۶۳
الترجمة ---- ۲۶۷

و من كلام له عليه السلام و هو الثامن و السبعون ---- ۲۶۸
اشارة ---- ۲۶۸
اللغة ---- ۲۶۹
الاعراب ---- ۲۶۹
المعنى ---- ۲۷۱
اشارة ---- ۲۷۱
تذييل المقام بامور مهمة ---- ۲۷۷
الأوّل ---- ۲۷۷
الثانى ---- ۲۸۰
الثالث ---- ۲۸۳
الرابع ---- ۲۸۷
المقام الاول ---- ۲۸۸
الثانى ---- ۲۹۰
الامر الخامس ---- ۳۱۰
الترجمة ---- ۳۱۴
و من كلام له عليه السلام و هو التاسع ---- ۳۱۵
اشارة ---- ۳۱۵
اللغة ---- ۳۱۵
الاعراب ---- ۳۱۵
المعنى ---- ۳۱۶
اشارة ---- ۳۱۶
تنبيه ظريف ---- ۳۲۱
تنبيه و تحقيق ---- ۳۲۸
الترجمة ---- ۳۳۷
و من خطبة له عليه السلام و هى الثمانون من المختار ---- ۳۳۷
اشارة ---- ۳۳۷

اللغة ---- ۳۳۷
الاعراب ---- ۳۳۸
المعنی ---- ۳۳۹
اشارة ---- ۳۳۹
تبصرة ---- ۳۴۰
الترجمة ---- ۳۴۵
و من کلام له علیه السلام فی صفة الدنیا ---- ۳۴۶
اشارة ---- ۳۴۶
اللغة ---- ۳۴۶
الاعراب ---- ۳۴۷
المعنی ---- ۳۴۷
اشارة ---- ۳۴۷
تکملة ---- ۳۵۴
الترجمة ---- ۳۵۴
و من خطبة له علیه السلام عجیبة و هی الثانیة ---- ۳۵۵
اشارة ---- ۳۵۵
الفصل الاول ---- ۳۵۵
اشارة ---- ۳۵۵
اللغة ---- ۳۵۵
الاعراب ---- ۳۵۵
المعنی ---- ۳۵۶
الترجمة ---- ۳۶۰
الفصل الثانی ---- ۳۶۰
اشارة ---- ۳۶۰
اللغة ---- ۳۶۱
الاعراب ---- ۳۶۳

المعنی ---- ۳۶۵
الترجمة ---- ۳۷۱
الفصل الثالث ---- ۳۷۲
اشارة ---- ۳۷۲
اللغة ---- ۳۷۳
الاعراب ---- ۳۷۴
المعنی ---- ۳۷۴
اشارة ---- ۳۷۴
تنبیه و تحقیق ---- ۳۷۸
هدایة و ارشاد ---- ۳۸۵
الترجمة ---- ۳۹۲
الفصل الرابع ---- ۳۹۳
اشارة ---- ۳۹۳
اللغة ---- ۳۹۴
الاعراب ---- ۳۹۵
المعنی ---- ۳۹۷
الترجمة ---- ۴۰۲
الفصل الخامس ---- ۴۰۳
اشارة ---- ۴۰۳
اللغة ---- ۴۰۵
الاعراب ---- ۴۰۶
المعنی ---- ۴۰۸
اشارة ---- ۴۰۸
تبصرة ---- ۴۲۶
الترجمة ---- ۴۳۰
درباره مرکز ---- ۴۳۲

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد 5

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، 1268 - 1324ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم،

مشخصات ظاهری:20 ج.

شابک:150 ریال (ج. 8)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، 1386 ق.= 1344.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، 1292 - 1370.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP38/02 /خ9 1300ی

رده بندی دیویی:297/9515

شماره کتابشناسی ملی:199206

ص:1

تتمة باب المختار من خطب أمیر المؤمنین علیه السلام و أوامره

و من خطبة له علیه السلام و هی الرابعة و الستون من المختار فی باب الخطب

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمـد للّه الّذى لـم تسـبق له حال حالا فيكون أوّلا قبل أن يكون آخرا، و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا، كلّ مسـمّى بالوحدة غيره قليل و كلّ عزيز غيره ذليل، و كلّ قوىّ غيره ضـعيف، و كلّ مالک غيره مملوک، و كلّ عالـم غيره متعلّم، و كلّ قادر غيره يقدر و يعجز، و كلّ سميع غيره يصّم عن لطيف الأصوات، و يصـمّه كبيرها، و يـذهب عنه ما بعد منها، و كلّ بصـير غيره يعمى عن خفىّ الألوان و لطيف الأجسام، و كلّ ظاهر غيره غير باطن، و كلّ باطن غيره غير ظاهر، لـم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، و لا تخوّف من عواقب

زمان، و لا استعانة على ندّ مثاور، و لا شريک مکاثر، و لا ضدّ منافر، و لکن خلایق مربوبون، و عباد داخرون، لم یحلل فی الأشیاء فیقال هو فیها کائن، و لم ینأ عنها فیقال هو منها بائن، لم یؤده خلق ما ابتدء، و لا تدبیر ما ذرء، و لا وقف به عجز عمّا خلق، و لا ولجت علیه شبهة فیما قضا و قدّر، بل قضاء متقن، و علم محکم، و أمر مبرم، المأمول مع النّقم، المرهوب مع النّعم.

اللغة

(صمت) الاذن صمما من باب تعب بطل سمعها و یسند الفعل إلی الشّخص أیضا فیقال صمّ یصمّ صمما و یتعدّی بالهمزة فیقال أصمّه اللّه و لا یستعمل الثّلاثی متعدّیا و (النّد) المثل و (المثاور) من الثّوران و هو الوثب و الهیجان یقال ثاوره مثاورة و ثوارا و اثبه و (المکاثر) فی أکثر النّسخ بالثاء المثلثة و فی نسخة الشّارح المعتزلی بالموحّدة و معناهما قریب، یقال کاثروهم فکثروهم غالبوهم فی الکثرة فغلبوهم و یقال کابرته مکابرة غالبته مغالبة و عاندته و (الدّاخر) الذّلیل و (اده) الامر یؤده اثقله و (ذرء) خلق و (المبرم) کالمحکم لفظا و معنا

الاعراب

لفظة غیر فی الموارد الثّمانیة إمّا بالرّفع کما فی أکثر النّسخ علی أنّها صفة لکلّ، و إمّا بالنّصب کما فی بعض النّسخ علی الاستثناء أو علی أنّها حال ممّا اضیف إلیه کلّ، و العامل معنی الاضافة کما هو مذهب البعض فی غیر المغضوب حیث قال بکونه حالا من الذین و أنّه عمل فیه معنی الاضافة، و لکن خلایق اه بتخفیف لکن و الغائه عن العمل و رفع ما بعدها علی کونه خبرا لمبتدأ محذوف، قالوا: و حقّ لکن أن تقع بین کلامین متغایرین معنی بالنّفی و الاثبات، و لا یلزم التغایر اللّفظی

إذ يقال جاء زيد و لكن عمروا لم يجىء، و قد يقال زيد حاضر و لكن عمروا غايب، و لا يلزم أيضا أن يكون بينهما تضادّ حقيقى بل التّنافى بوجه ما قال تعالى:

«إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ » فانّ عدم الشّكر لا يناسب الافضال، بل اللاّيق به ان يشكر، و كلام أمير المؤمنين عليه السّلام من هذا القبيل، قوله فيقال: فى الموضعين بنصب المضارع و انتصابه بعد فاء السّببيّة مع تقدّم النّفى قاعدة كليّة، و قضاء متقن خبر لمبتدأ و هكذا ما بعده، و قوله المأمول مع النّقم أيضا خبر أى هو المأمول و المرهوب.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة مشتملة على نكات لطيفة من العلوم الالهيّة متضمّنة لجملة من الصّفات الكمالية.

الاولى ما اشار إليه بقوله (الحمد للّه الذى لم يسبق له حال حالا- فيكون أوّلا قبل أن يكون آخرا، و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا) و المستفاد منه شيئان الاول أنّه سبحانه متّصف بالأوّلية و الآخرية و الظاهريّة و الباطنية الثانى أنّ اتّصافه تعالى بها ليس على نحو السبق و اللحوق و القبليّة و البعديّة أمّا الأوّل فقد أشير إليه فى سورة الحديد قال سبحانه «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَىْ ءٍ عَلِيمٌ » و اختلف فى معنى هذه الصّفات فقال الصّدوق فى التّوحيد: هو الأوّل بغير ابتداء، و الآخر بغير انتهاء، و الظاهر بآياته التى أظهرها من شواهد قدرته و آثار حكمته و بيّنات حجّته التى عجز الخلق جميعا عن إبداع أصغرها و إنشاء أيسرها و أحقرها عندهم كما قال عزّ و جلّ:

«إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ » فليس شىء من خلقه إلاّ و هو شاهد له على وحدانيّته من جميع جهاته و أعرض تبارک و تعالى عن وصف ذاته و هو ظاهر بآياته محتجب بذاته

و معنى ثـان أنّه ظـاهر غـالب قـادر على ما يشاء و منه قوله عزّ و جلّ: «فَأَصّ بَحُوا ظاهِرِينَ »، أى غالبين لهم و الباطن معناه أنّه قـد بطن عن الأوهام و هو باطن لا يحيط به محيط لأنّه قـدم أى تقـدم الفكر فجنّب عنه، و سـبق العلوم فلم يحط به، وفات الأوهام فلم يكتنهه، و حارت عنه الأبصـار فلم تـدركه، فهو بـاطن كلّ باطن، و محتجب كلّ محتجب، بطن بالـذّات و ظهر بالآيات، فهو الباطن بلا حجاب و الظاهر بلا اقتراب.

و معنى ثان أنّه باطن كلّ شـىء أى خبير بصـير بما يسـرّون و ما يعلنون و لكلّ ما ذرء، و بطانـة الرّجل و ليتجه من القوم الـذين يـداخلهم و يـداخلونه فى دخلـة أمره، و المعنى أنّـه عـالم بسـرايرهم لا ـ أنّـه عزّ و جـلّ يبطن فى شـىء يـواريه و فى مجمـع البيـان: هـو الأـوّل أى أوّل الموجودات، و تحقيقه أنّه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الأوقات، لأنّه قديم و ما عداه محدث و القديم يسـبق المحدث بما لا يتناهى من الاوقات، و الآخر بعد فناء كلّ شىء لأنّه يفنى الأجسام كلّها و ما فيها من الأعراض و يبقى وحده.

و قيل الأوّل قبل كلّ شىء بلا ابتداء، و الآخر بعد كلّ شىء بلا انتهاء، و الظاهر هو العالى الغالب على كلّ شىء، فكلّ شىء دونه، و الباطن العالم بما بطن فلا أحـد أعلم منه عن ابن عباس و قيل: الظاهر بالأدلّة و الشّواهد، و الباطن الخبير بكلّ شـىء و قيل: معنى الظاهر و الباطن إنّه العالم بما ظهر، و العالم بما بطن و قيل: الظاهر بأدلته و الباطن من احساس خلقه و قيل الأوّل بلا ابتداء، و الآخر بلا انتهاء، و الظاهر بلا اقتراب، و الباطن بلا احتجاب و قيل الأوّل ببرّه إذ هـداک، و الآخر بعفوه إذ قبل توبتک، و الظاهر باحسانه و توفيقه إذا أطعته، و الباطن بستره إذا عصـيته عن السـدى و قيل الأوّل بالخلق، و الآخر بالرّزق، و الظاهر بالاحياء، و الباطن بالاماتة عن ابن عمر و قيل: هو الذى أوّل الأوّل و أخّر الآخر و أظهر الظاهر و أبطن الباطن عن الضّحاک و قيل الأوّل بالأزليّة، و الآخر بالأبديّة، و الظاهر بالأحديّة،

و البـاطن بالصّـمديّة عن أبی بکر الوراق و قیـل إنّ الواوات مفتّحـة و المعنی هو الأـوّل و الآـخر و الظاهر و الباطن، لأنّ من کان منّا أولا لا یکون آخرا، و من کـان ظاهرا لا یکون باطنا، عن عبـد العزیز بن یحیی و قیل هو الأوّل القـدیم، و الآخر الرّحیم و الظاهر الحکیم، و الباطن العلیم عن یمان و أمّا الثانی فتحقیقه ما ذکره الشّارح البحرانی و هو أنّه لمّا ثبت أنّ السّـبق و المقارنـة و القبلیـة و البعدیّـة امور تلحق الزمان لـذاته و تلحق الزمانیـات به و ثبت أنّه تعـالی منزه عن الزّمـان إذ کان من لواحق الحرکـة المتأخّرة عن وجود الجسم المتأخّر عن وجود اللّه سبحانه کما علم ذلک فی موضـعه، لا جرم لم تلحق ذاته المقدّسة و مالها من صفات الکمال و نعوت الجلال شیء من لواحق الزّمان، فلم یجز إذن أن یقال مثلا کونه عالما قبل کونه قادرا أو کونه قادرا قبل کونه مریدا أو کونه حیّا قبل کونه عالما و لا کونه أوّلا للعالم قبل کونه آخرا له قبلیـة و سـبقا زمانیا بقی أن یقال إنّ القبلیـة و البعدیّة قد یطلق بمعان آخر کالقبلیّة بالشّـرف و الذّات و الفضـیلة و العلیة، و قد بیّنا أنّ کلّ ما یلحق ذاته المقدّسة من الصّـفات فاعتبارات ذهنیّة تحدّثها العقول عند مقایسـته إلی مخلوقاته و شـیء من تلک الاعتبارات لا تفاوت أیضـا بالقبلیّـة و البعدیّة بأحد المعانی المذکورة بالنّظر إلی ذاته المقدسة فلا یقال مثلا: هو المسـتحقّ لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار أو بعده و إلاّ لکان کمال ذاته قابلا للزیادة و النّقصان، بل استحقاقه بالنّظر إلی ذاته لما یصحّ أن یعتبر لها استحقاق وجه بالنّظر إلی جمیعها دائما فلا حال یفرض إلاّ و هو یسـتحق فیه أن یعتبر له الأوّلیّـة و الآخریّـة معا اسـتحقاقا أوّلیّا ذاتیا، لا علی وجه التّرتیب و إن تفاوت الاعتبارات بالنّظر إلی اعتبارنـا، و هـذا بخلاف غیره من الامور الزّمانیـة، فانّ الجوهر مثلا یصـدق علیه کونه أوّلا من العرض و لا یصـدق علیه مع ذلک أنّه آخر له حتّی لو فرضنا عدم جمیع الاعراض و بقاء الجوهر بعدها لم یکن استحقاقه للاعتبارین معا بل استحقاقه لاعتبار الأولیّة متقدّم.

و قال الصّدر الشّيرازى فى شرح الكافى: هو الأوّل و الآخر لأنّه مبدء كلّ شىء و غايته، و الظاهر و الباطن لأنّ غاية ظهوره منشأ بطونه بل حيثية ظهوره بعينها حيثيّة بطونه، فهو الظاهر من حيث هو الباطن، و الباطن من حيث هو الظاهر و الثانية أن (كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل) و المراد بذلک أنّه سبحانه مع اتّصافه بالوحدة لا يتّصف بالقلّة كما يتّصف بها غيره من المتّصفين بالوحدة بيان ذلک أنّ الوحدة قد يطلق و يراد بها الوحدة التى هى مبدء الكثرة و هى العادّ و المكيال لها سواء كانت فى المتّصل كالذّراع الواحد و الفرسخ الواحد يعدّان بوحدتيهما الأذرع و الفراسخ الكثيرة، أو فى المنفصل كالعشرة الواحدة و المأة الواحدة يعدّان العشرات الكثيرة و المآت الكثيرة، و هى أشهر أقسام الوحدة، و قد يطلق و يراد بها الوحدة النّوعيّة و الوحدة الجنسيّة، و هى الوحدة المبهمة التى يوصف بها الأنواع و الأجناس و الابهام فى الجنس أشدّ و هى غير الوحدة بالنّوع و الوحدة بالجنس لأنّ معروض هاتين الكثير من الأشخاص و الأنواع و معروض الوحدة الجنسية و النوعيّة المعنى الواحد المبهم.

إذا عرفت ذلک فنقول: إنّ الوحدة بالمعانى المذكورة لا يجوز اتّصافه تعالى بها اما الاول فلأنّ الوحدة بالمعنى المذكور قليل بالنّسبة إلى الكثرة التى هى عادّ لها و القلة و الكثرة من أوصاف الممكن و اما الاخران فلأنّ الواجب سبحانه لا يكون نوعا و لا جنسا و لا يندرج تحت نوع و لا جنس، لأنّ ذلک كله من خصايص الامكان، و لمّا كان أكثر النّاس لا يتصوّر من الوحدة إلاّ المعنى الأوّل بل لا يفهمون من كونه تعالى واحدا إلاّ هذا المعنى لا جرم جعل نفيها عنه مخصوصا بالذّكر دفعا لما يتوهّمون و إبطالا لما يزعمون.

روى الصّدوق فى التّوحيد باسناده عن شريح بن هانى، عن أبيه قال: إنّ اعرابيّا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين أتقول إنّ اللّه واحد؟ فحمل النّاس عليه و قالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: دعوه فانّ الذى يريده الاعرابى هو الذى نريده من

القوم، ثمّ قال: يا أعرابى إنّ القول فى أنّ اللّه واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على اللّه عزّ و جلّ و وجهان يثبتان فيه.

فأمّا اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الاعداد، أما ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثة، و قول القائل هو واحد من النّاس يريد به النّوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه و جلّ ربّنا عن ذلک و تعالى.

و أمّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له فى الأشياء شبه كذلک ربّنا، و قول القائل إنّه أحدىّ المعنى يعنى به أنّه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم و كذلک ربّنا عزّ و جلّ.

(و) الثالثة أنّ (كل عزيز غيره ذليل) قد يفسّر العزيز الذى هو من أسمائه سبحانه بأنّه الذى لا يعاد له شىء أو الغالب غير المغلوب و قال فى التّوحيد العزيز معناه أنّه لا يعجزه شىء و لا يمتنع عليه شىء، فهو قاهر الأشياء غالب غير مغلوب، و قد يقال فى المثل من عزّبزّ أى من غلب سلب، و قوله عزّ و جلّ حكاية عن الخصمين و عزّنى فى الخطاب، أى غلبنى، و معنى ثان أنّه الملک و يقال للملک عزيز كما قال اخوة يوسف ليوسف: يا أيّها العزيز، و المراد يا أيّها الملک.

أقول: و الظاهر أنّ المعنى الثّانى أيضا مأخوذ من الأوّل، و عليه فالعزيز فى اللغة هو مطلق الغالب، فاذا استعمل فى اللّه سبحانه، و وصفناه به يراد به الغالب المطلق أعنى الغالب غير المغلوب، و إذا وصف به أحد من الخلق فالمراد به الغالب بالنّسبة إلى من دونه و إن كان مغلوبا بالنّسبة إلى من فوقه و ذليلا بالقياس إليه و يوضح ذلک أنّ السّحرة قالوا:

«بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ » فوصفوا فرعون بالعزّة و قد صار مغلوبا لموسى و ذليلا عند إله موسى مقهورا تحت قدرته.

(و) الرابعة أنّ (كلّ قوىّ غيره ضعيف) القوة هى مبدء الأفعال الشّاقة و إذا وصف اللّه بها فتعود إلى تمام القدرة و إذا نسبت إلى غيره فالمراد بها القوة الجسمانية كقوّة البطش المعروف من المخلوقات و لا يصحّ نسبتها بهذا المعنى إليه سبحانه إذ البرهان قائم على أنّ كل قوّة جسمانية متناهية محتملة للزيادة و النّقصان فيحتاج إلى محدّد يحدّدها فيقوى عليها و يقهرها على الحدّ الذى لها، و تلك القوة الاخرى أيضا إن كانت متناهية كان حكمها كذلك إلى أن ينتهى إلى قوّة غير جسمانيّة و لا متناهية دفعا للتّسلسل أو الدّور، و أيضا ما يحتمل الزّيادة كالأعداد و الأجسام و المقادير و الحركات و الأزمنة و ما يتعلّق بها كالقوى و الكيفيات فهى ناقصة أبدا غير تامّة، و كلّ ناقص محتاج إلى إكمال و مكمل فلا يكون قديما واجبا لذاته.

و إلى ذلك أشار أبو جعفر الثّانى عليه السّلام فى رواية الكافى بقوله: و كذا سمّينا ربّنا قويّا لا بقوّة البطش المعروف من المخلوق، و لو كانت قوّته قوّة البطش المعروف من المخلوق لوقع التّشبيه و لاحتمل الزّيادة، و ما احتمل الزّيادة احتمل النّقصان، و ما كان ناقصا كان غير قديم، و ما كان غير قديم كان عاجزا.

(و) الخامسة أنّ (كلّ مالك غير مملوك) إذ كلّ ما سواه مستند إلى وجوده و فى تصريف قدرته و مشيّته نافذ فيه أمره، جار فيه حكمه، فهو المالك للكلّ بالاستحقاق و على الاطلاق و الكلّ مملوك له و إن صدق عليه فى العرف أنّه مالك بالقياس إلى من دونه و ما فى يده.

(و) السادسة أنّ (كلّ عالم غيره متعلّم) إذ علمه عين ذاته و علم غيره محتاج إلى التّعلّم من الغير و الاستفادة منه، ثمّ الغير من الغير إلى أن ينتهى إلى علمه سبحانه.

(و) السابعة أنّ (كلّ قادر غيره يقدر و يعجز) لأنّ قدرته عين ذاته فيستحيل عليه العجز و أمّا قدرة غيره و هى القوّة الجسمانية المنبثّة فى الأعضاء المحركة لها نحو الأفاعيل الاختيارية المقابلة للعجز تقابل العدم و الملكة فهى خارجة عن ذات

القـادر قابلـة للوجود و العـدم، فاذا القادر المطلق هو مسـتند كلّ مخترع اختراعا ينفرد به و يسـتغنى فيه عن معاونـة الغير و ليس هو إلاّ اللّه سبحانه، و أمّا غيره من المتصـفين بالقـدرة فهو و إن كان فى الجملة صاحب قدرة إلاّ أنّ قدرتها ناقصة لتنا و لها بعض الممكنات و قصورها عن البعض الآخر، لأنّه بالذّات مستحقّ بالعجز و عدم القدرة و إنّما استحقاقه لها من وجوده تعالى فهو الفاعل المطلق الذى لا يعجزه شىء عن شـىء و لا يستعصـى على قدرته شىء فان قلت: فهل يقدر أن يدخل الدّنيا كلها فى بيضة لا تصغر الدّنيا و لا يكبر البيضة؟ قلت: لا، و لا ـ يلزم منه نقص على عموم القـدرة، بيـان ذلـک على ما حقّقه بعض علمائنا المحقّقين أنّ معنى كونه قادرا على كلّ شـىء أنّ كلّما له مهيّة إمكانية أو شـيئيّة تصورية فيصحّ تعلّق القدرة به، و أمّا الممتنعات فلا مهيّة لها و لا شـيئيّة حتّى يصحّ كونها مقدورة له تعالى، و ليس فى نفى مقـدوريّته نقص على عموم القـدرة بل القـدرة عامّة و الفيض شامل و الممتنع لا ذات له و إنّما يخترع العقل فى وهمه مفهوما يجعله عنوانا لأمر باطل الذّات كشريک البارى و اللاّ شىء و اجتماع النّقيضين أو يركب بين معانى ممكنة آحادها تركيبا ممتنعا، فانّ كلاّ من المتناقضين كالحركة و السّ كون أمر ممكن خارجا و عقلا، و كذا معنى التّركيب و الاجتماع أمر ممكن عينا و ذهنا و أمّا اجتماع المتناقضين فلا ذات له لا ـ فى الخـارج و لا ـ فى العقـل، لكن العقل يتصوّر مفهوم اجتماع النّقيضـين على وجه التّلفيق و يجعله عنوانا ليحكم على افراده المقـدّرة بامتناع الوجود و كون الكبير مع كبره فى الصّغير من هذا القبيل.

إذا عرفت ذلک ظهر لک أنّ إدخال الدّنيا على كبرها فى البيضة مع بقاء البيضة على صـغرها أمر محال، و المحال غير مقدور إذ لا ذات له و لا شيئيّة.

و إلى ذلک وقعت الاشارة فيما رواه الصّدوق فى كتاب التّوحيد باسـناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام: هل يقدر ربک أن يدخل الدّنيا فى

بيضة من غير أن يصغر الدّنيا أو تكبر البيضة؟ فقال عليه السّلام: إنّ اللّه تبارک و تعالى لا ينسب إلى العجز و الذى ذكرت لا يكون.

فانّ مقصوده عليه السّلام إنّ ما سأله الرّجل أمر ممتنع بالذّات محال و المحال غير مقدور عليه و أنّ اللّه على كلّ شىء قدير.

و مثله ما رواه أيضا مسندا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: أ يقدر اللّه أن يدخل الأرض فى بيضة و لا يصغر الأرض و لا يكبر البيضة؟ فقال: و يلک إنّ اللّه لا يوصف بالعجز و من أقدر ممّن يلطف الأرض و يعظم البيضة.

فانّ هذه الرّواية دالّة على أنّ إدخال الكبير فى الصغير غير ممكن إلاّ بأن يصغر الكبير بنحو التكاثف و التخلل و نحوهما، أو يعظم الصّغير، و أنّ تصغير الأرض إلى حدّ تدخل فى بيضة أو تعظيم البيضة إلى حدّ يدخل فيه الأرض غاية القدرة.

(و) الثامنة أنّ (كلّ سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات و يصمّه كبيرها و يذهب عنه ما بعد منها) بيان ذلک أنّ السّمع عبارة عن قوّة مودعة فى العصبتين المفروشتين على سطح باطن الصّماخين كجلد الطبل النّافذتين من الدّماغ إليهما بهما يدرک الأصوات، و الصّوت عبارة عن هيئة فى الهواء حاصلة من تموّجه النّاشى من حركة شديدة مسبّبة عن قرع أحد الجسمين فى الآخر الذى هو امساس عنيف، و عن قلع أحدهما عن الآخر الذى هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع و المقلوع للقالع.

ففى الأوّل ينفلت الهواء من بين الجسمين بشدّة، و فى الثّانى يلج بينهما بشدّة و يحصل من انفلاته و ولوجه تموّج و حركة على هيئة مستديرة نحو ما يتصوّر عند وقوع الحجر فى الماء فاذا انتهى ذلک التموّج إلى الهواء الذى فى الأذن يحرّک ذلک الهواء الراكد حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة، فتنفعل العصبة المفروشة على الصماخ عن هذه الحركة و تدركها القوّة السّامعة و يسمّى هذا الادراک سمعا

إذا عرفت ذلک فنقول: إن إدراک هـذه القوّة للأصوات مشـروط بأن يكون الصّوت قريبا لا بعيـدا جدّا، و أن يكون مع قربه على حدّ الاعتدال أى لا يكون قويا كثيرا و لا ضعيفا كذلک، لأنّه إذا كان ضعيفا لا يحصل بسببه تموّج الهواء كما أنّه لو كان بعيدا لا يصل الهواء المتموّج إلى الصّماخ، و عند قربه و قوّته ربّما يحدث الصّمم لشدّة قرعه للصّماخ و تفرّق اتّصال الرّوح الحامل لقوّة السّمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتادية القوّة إلى الصّماخ.

و إلى الأوّل أشار عليه السّلام بقوله: يصم عن لطيف الأصوات، تشبيها لعجز السامعـة عن إدراک الصّوت بخفائها و ضـعفه بالصّمم و الى الثانى بقوله: و يذهب عنه ما بعد منها و إلى الثالث بقوله و يصمّه كبيرها.

و لمـا كان اللّه سـبحانه و جلّت عظمته منزّها عن الجسـميّة و آلات الجسم و كان سـمعه عبارة عن علمه بالمسـموعات على ما حقّقناه فى شرح الفصـل السّادس من فصول الخطبـة الاولى لا جرم اختصّ الأوصاف المـذكورة أعنى العجز عن إدراک الضّعيف و الصّمم بسـماع القوى و عدم التّمكن من إدراک البعيد بمن كان له هذه الآلات و استحالت فى حقّه سبحانه إذ العلم لا يتفاوت بالنّسبة إلى القريب و البعيد و الضّعيف و الشّديد:

«لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى ».

(و) التاسعة أنّ (كلّ بصير غيره يعمى عن خفىّ الألوان و لطيف الأجسام).

و الظاهر أنّ المراد بالألوان الخفيّة الألوان الغير المدركـة بالابصار لانتفاء شـرط الادراک و هو الضوء، و يقابلها الألوان الظاهرة و هى التى يدركها الباصرة، و على هذا فيكون كلامه عليه السّلام دليلا على بطلان القول بعدم وجود اللّون فى الظلم.

توضيح ذلک أنّ الشّيخ الرّئيس و أتباعه ذهبوا إلى أنّ الألوان غير موجودة

بالفعل فی حال کونها مظلمة معلّلا بأنّا لانراها فی الظلمة فهو إمّا لعدمها أو لوجود عایق عن الابصار و الثّانی باطل لأنّ الظلمة عدمیّة و الهواء نفسه غیر مانع من الرؤیة کما إذا کنت فی غارة مظلم و فیه هواء کله علی تلک الصّفة فاذا صار المرئی مستنیرا رأیته و لا یمنعک الهواء الواقف بینه و بینک.

و ردّه المتأخّرون بأنّه لا شک أن اللّون له مهیّة فی نفسه و أنّه یصحّ کونه مرئیا فلعل الموقوف علی وجود الضوء هو هذا الحکم، و بالجملة للجسم مراتب ثلاث استعداد أن یکون له لون معیّن، و وجود ذلک اللون بالفعل، و کونه بحیث یصحّ أن یری فلم لا یجوز أن یکون الموقوف علی وجود الضوء هذا الحکم الثالث لا أصل اللّون.

إذا عرفت ذلک فنقول:إنّ معنی قوله:هو أنّ کلّ بصیر غیره تعالی لا یمکن له إدراک الألوان الخفیّة أی الألوان فی حال کونها مظلمة لانتفاء شرط الادراک الذی هو الضّوء کما أنّ الأعمی لا یمکن له إدراکها لانتفاء قوة الابصار له، فکنّی عن عدم إدراک البصیر لها بالعمی لشبهه بالأعمی فی مشارکتها فی عدم التّمکن من الادراک، و إن کان عدم التّمکن فی حقّ الاوّل من جهة انتفاء الشّرط و فی الثّانی من جهة انتفاء الآلة أعنی البصر هذا.

و لعلّ المراد من لطیف الأجسام الأجسام الرّقیقة القوام کالبعوضة و الذّرة و نحوهما، و لما کان بصیرّیته سبحانه عبارة عن علمه بالمبصرات حسبما حقّقنا أیضا فی شرح الفضل السّادس من فصول الخطبة الاولی، اختصّ العجز عن إدراک الألوان الخفیّة و الأجسام اللطیفة بغیره سبحانه و أما هو سبحانه فلا تفاوت فی علمه بین الخفیّ و الجلیّ و اللّطیف و الکثیف.

«وَ یَعْلَمُ ما فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ ». هذا و یشهد بما ذکرته فی تفسیر معنی السّمیع و البصیر و الجسم اللطیف ما رواه

فی الکافی عن محمّد بن أبی عبد اللّه، رفعه إلی أبی هاشم الجعفری، قال: کنت عند أبی جعفر الثانی علیه السّلام فسأله رجل فقال: أخبرنی عن الرّب تبارک و تعالی له أسماء و صفات فی کتابه إلی أن قال: فقال الرّجل: فکیف سمّینا ربّنا سمیعا؟ فقال:

لأنّه لا یخفی علیه ما یدرک بالاسماع و لم نصفه بالسّمع المعقول فی الرّأس، و کذلک سمّیناه بصیرا لانّه لا یخفی علیه ما یدرک بالابصار من لون أو شخص أو غیر ذلک و لم نصفه بصر لحظة العین، و کذلک سمّیناه لطیفا لعلمه بالشّیء اللطیف مثل البعوضة و أخفی من ذلک و موضع النّشو منها و العقل و الشّهوة للسفاد و الجذب علی نسلها و اقام بعضها علی بعض و نقلها الطعام و الشّراب إلی أولادها فی الجبال و المفاوز و الأودیة و القفار.

قال بعض شارحی الحدیث یعنی أنّه یعلم أعضاء البعوضة کالجناح و الرّجل و العین، و قواها کالسّمع و البصر، و أحوالها کالادراک و الارادة و الشّهوة و المحبّة و الشّفقة و الالفة و الغضب و النّفرة و العداوة، و أفعالها کالحرکة و السّکون و السفاد و نقل الطعام و الشّراب إلی الاولاد و غیر ذلک من أمورها کموتها و حیاتها و نفعها و ضرّها و آجالها و مقادیر أعمارها، و أرزاقها و غیرها من لطایف صنعه و دقایق خلقه، فهو تعالی لطیف لعلمه بلطایف الامور.

(و) العاشرة أنّ (کلّ ظاهر غیره غیر باطن و کلّ باطن غیره غیر ظاهر) یعنی أنّ من الممکنات ما هو ظاهر جلیّ لا یتّصف بالبطون و الخفاء کالشّمس و القمر و نحوهما و منها ما هو باطن خفیّ لا یتّصف بالظهور و الجلاء کالهیولی و العدم و ما تحت الثری، و أمّا اللّه الحیّ القیّوم العظیم الشّأن فهو متّصف بالظهور و البطون معا، فهو فی کمال ظهوره باطن و فی غایة بطونه ظاهر، بل هو أجلی الأشیاء و أظهرها، و منتهی ظهوره صار سببا لخفائه.

و تحقیق ذلک علی ما حقّقه صدر المتألهین و أوضحه بالمثال تقریبا للأفهام و تشحیذا للأذهان هو: إنّا إذا رأینا إنسانا یکتب أو یخیط کان کونه حیّا عالما قادرا مریدا عندنا من أظهر الأشیاء، و هذه الصّفات أجلی عندنا من سایر صفاته

الظاهرة و الباطنة إذ لا نعرف بعضـها كشهوته و غضبه و خلقه و صحته و مرضه، و نشک فی بعضها کمقدار طوله و عرضه و لون بشرته و غیر ذلک، و أمّا حیاته و علمه و قدرته و إرادته فانّه جلیّ عندنا من غیر أن یتعلّق الحسّ الظاهر بها لأنها غیر محسوسة بشیء من الحواس الظاهرة و لیس علیها مع هذا الوضوح و الجلاء إلاّ دلیل واحد و هو الکتابة أو الخیاطة.

و أمّا وجود اللّه تبارک و تعالی و قـدرته و علمه و إرادته و حیاته فیشـهد له جمیع ما فی الکون، و کلّما نشاهده أو ندرکه بالحواسّ الظاهرة و الباطنة من حجر و مدر و نبات و شجر و حیوان و أرض و سماء و کوکب و بحر و برّ و نار و هواء بل أوّل شاهد علیه أنفسنا و أوصافنا و تقلب أحوالنا من الصّـغر و الکبر و القوّة و الضّعف و الصّحة و السّقم و الرّضا و الغضب و الفرح و الحزن و الحبّ و البغض و الشّهوة و الکراهة و الاناة و الارادة و الرّغبة و الرّهبة و الرّجاء و الیأس إلی غیر هذه.

و أظهر الأشیاء فی علمنا أنفسنا، ثمّ أحوالنا و محسوساتنا باحدی الحواسّ ثمّ مدرکاتنا بالعقل و البصیرة، و کلّ واحد من هذه المدرکات له دلیل واحـد و شاهـد واحـد، و جمیع ما فی العالم شواهـد ناطقـة و أدلّـة شاهدة بوجود خالقها و مدّبرها و دالّة علی علمه و قدرته و لطفه و حکمته، فانّه کانت حیاة الکاتب ظاهرة عندنا و لیس لها شاهد إلاّ حرکة یده فکیف لا یظهر عندنا ما لا یتصوّر شیء داخل نفوسنا و خارجها إلاّ و هو شاهد علیه، و ما من ذرّة إلاّ تنادی بلسان حالها أنّه لیس وجودها و لا حرکتها بذاتها و أنّها تحتاج إلی موجد و محرّک.

فاذا علمت هذا فنقول: لما لم یبق فی الوجود مدرک و لا محسوس و لا معقول و لا حاضـر و لا غایب إلاّ و هو شاهد علی وجوده معروف لعظم ظهوره فانبهرت العقول و دهشت عن إدراکه فانّ ما یعجز عنه فهم عقولنا له علتان احداهما خفائه فی نفسه کالهیولی و العدم و الزّمان و الحرکة و العدد و النّسبة و غیرها و الثانیة غایة جلائه و وضوحه و قصور القوّة الادراکیّة کمثال نور الشّمس و بصر الخفّاش، فانّ بصره

ضعيف يبهره نور الشّمس فى النّهار إذا أشرقت و لهذا إذا امتزج الضّوء بالظلام و ضعف ظهوره أبصر بالليل.

فكـذلک عقول البشـر ضـعيفة و جمال الحضـرة الالهيّـة فى غايـة الاشـراق و نهاية الشّـمول و الاسـتغراق حتّى لـم يشذّ عن ظهوره ذرّة من السّماوات و الأرض، فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بشدّة ظهوره و اختفى عن البصاير باشراق نوره.

و أيضا الأشـياء قد يسـتبان بأضدادها و ما عمّ وجوده و شـموله حتّى لا ضدّ له كأصل الوجود عسـر إدراكه، فلو لا غروب لنور الشّمس و لا احتجـاب له عن بعض مواضع الارض لكنّا ظننّا أن لا هيئـة فى الاجسام إلاّ سـطوحها و ألوانها، و لكن لما غابت الشّـمس و اظلمت بعض المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين، و عرفنا وجود النّور بعدمه عند الغروب، و لو لا عدمه ما كنا نطلع عليه إلاّ بعسر شديد هذا.

مع أنّ النّور أظهر المحسوسات و اللّه سـبحانه أظهر الاشـياء و به ظهرت الانوار كلّها، و لو كان له عـدم أو غيبـة أو تغيّر لانهدمت الأرض و السّـماء و لا نعدمت الأشـياء كلّها و بطل الملک و الملكوت، و لادركت به الفرق بين الحالتين، و لو كان بعض الأشياء موجودا به و بعضها موجودا بغيره لادركت التّفرقـة فى الدّلالـة، و لكن وجوده دائم فى الأحوال و دلالته عامـة على نسق واحد فى الأشـياء، فلا جرم أورث شدّة الظهور خفائه.

(و) الحادية عشـر أنّه تعالى (لم يخلق ما خلقه لتشديد سـلطان و لا تخوف من عواقب زمان و لا اسـتعانة) منه (على ندّ) و نظير (مثاور) أى مواثب (و لا شـريک) و مثل (مكاثر) أى متعرّض للغلبة (و لا ضدّ منافر) أى مسارع إليه بالمعادات، و المراد بذلک كلّه بيان أنّ اللّه سبحانه ليس لفعله داع و غرض غير ذاته، و أشار إليه بنفى أقسام الدّواعى و الأغراض و ما يلحقها من العوارض و الحالات.

و البرهان على ذلک أنّه تعالى لو فعل لغرض لا يخلو إما أن يكون وجود ذلک الغرض و عـدمه بالنّسـبة إليه على سواء أولا يكون كـذلک، و الأوّل باطل و إلاّ لكان

حصول الغرض له دون عـدمه ترجيحا من غير مرجّـح، و الثّانى أيضا باطل لأنهما إذا لم يسـتويا فى حقه تعالى كان حصول الغرض أولى به من لا حصوله فحينئـذ يكون ذاته يسـتفيد من فعله غرضا معتبرا فى كماله و يكون بدونه فاقد كمال و عادم مقصد فيكون ناقصا فى ذاته تعالى عن النقصان علوّا كبيرا.

كيف و كلّ كمال للمعلول فانّما حصل له من جهة علّة الموجبة فلا يمكن أن يرجع المعطى للكمال إلى أن يسـتفيد من مسـتفيده شـيئا من الكمال الذى أفاده له، فقد علم علما كليّا أنّ العلة الفاعلة ليس لها غرض و لا مقصود صحيح فى مفعوله، بل إن كان غرض و مقصد للعالى فلاـ بـدّ أن يكون ذلک له فيما هو أعلى و أجلّ منه، فلا التفات للعالى إلى السّافل بل إلى ما هو أعلى منه و إذ ليس للأوّل تعالى ما هو أعلى منه لأنّه أعلى العوالى و مبـدء المبادى فليس لفعله غايـة غير ذاته، و لاله محبّـة و ابتهاج بالقصـد الأوّل إلاّ لـذاته الـذى هو منبع كلّ خير و كمال، و بتوسط ابتهاجه يحبّ و يريد ما يصدر عن ذاته بالقصد الثانى لأنّ كلّ ما يصدر عن المحبوب محبوب بالتبع.

فان قيل: ليست أولوية الغرض بالنسـبة إلى ذاته تعالى، بل بالنّسـبة إلى مخلوقاته و عباده، فيكون غرضه تعالى فى فعله الاحسان إلى الغير و إيصال المنفعة إليه.

قيل: حصول الاحسان إلى الغير أو المنفعة أو أىّ شىء كان و لا حصوله إن كانا بالنّسبة إلى ذاته على سواء عاد حديث الرّجحان بلا مرجّح، و إن كان أحدهما أولى به عاد حديث الاسـتكمال بغيره و النّقصان فى ذاته و لكن فيه تأمّل تعرف وجهه فى شـرح الخطبة المأة و الخامسة و الثّمانين فى التنبية الذى فى ذيله، و تمام التّحقيق فى كون أفعاله تعالى معلّلة بالاغراض يأتى إن شاء اللّه هناک هذا.

و إذا عرفت أنّه سـبحانه لا يفعل لغرض ظهر لک أنّ خلقه الخلق لم يكن لتشديـد سـلطان، و لا خوف من عواقب زمان، و لا غير ذلک ممّا ذكره عليه السّـلام و ما لم يـذكره، إذ كلّ ذلک اغراض زايـدة على ذاته مضافا إلى قيام الـدّليل القاطع على نفى هـذه الأغراض المخصوصـة المذكورة و راء الدّليل العام الذى ذكرنا و هو:

أنّ تشديد السّلطان إنما يحتاج إليه ذو النقصان فى ملكه و الضّعف فى

سلطنته، و لمّا كان تعالى شأنه هو الغنىّ المطلق فى كلّ شىء عن كلّ شىء و كان كلّ ما عداه مقهورا تحت قدرته نافذا فيه حكمه بالايجاد و الابقاء و الافناء، لم يحتج فى سلطانه إلى أحد من خلقه.

و أمّا التّخوف من عواقب الزّمان فلأنّ الضّرر و الانتفاع و ما يلحقهما من الخوف و الرّجاء و غيرهما إنّما هى من لواحق الممكنات القابلة للنقصان و الكمال و ما هو فى معرض التّغير و الزّوال فى الذّات و الصّفة و الفعل، و واجب الوجود بحسب جميع الجهات وجوب بلا إمكان و وجود بلا عدم و تمام بلا نقص، فلا يمكن أن يكون غرضه من الايجاد دفع ذلک الخوف عن نفسه.

و أمّا الاستعانة على الضّد و النّد و الشّريک فلأنّ الاستعانة هو طلب العون من الغير و هو من لوازم الضّعف و العجز و هما من تناهى القوّة و القدرة، و إذ لا ضعف و لا عجز لكماله سبحانه قوة و قدرة فلا يتصور فى حقّه الاستعانة: و أيضا لا ضدّ له و لا ندّ و لا شريک حتّى يحتاج فى دفعهم إلى الاستعانة، لأنّ كلّ شىء هو مخلوق له، و المخلوق لا يكون ضدا لخالقه و لا ندّا و لا شريكا، بل المخلوقات يكون بعضها بالنّسبة إلى بعض على هذه الصّفات و اللّه سبحانه منزّه عن صفات المخلوقين و خواصّ المحدثين.

و إليه أشار بقوله (و لكن خلايق مربوبون و عباد داخرون) يعنى و لكنّهم خلايق مربوبون لهم ربّ قاهر و عباد داخرون لهم معبود غالب فهم مقهورون مملوكون محتاجون إلى ربّهم لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرّا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا.

و الثانية عشر أنّه تعالى (لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كاين، و لم ينأ عنها فيقال هو منها باين) يعنى أنّه سبحانه أقرب إلى الأشياء من كلّ قريب و لكن لا بحلول فيها، و أبعد منها من كلّ بعيد و لكن لا بمباينة عنها، و ذلک لأنّه تعالى جعل لكلّ شىء حدا محدودا و ليس له حدّ و نهاية فلا يكون حالاّ فى موضع أو محلّ و إلاّ لكان وجوده فيه و اختصاصه به كاختصاص الحال بالمحل و المتمكّن بالمكان، و ذلک

محال فی حقّه إذ هو خالق المحل و المکان فیلزم افتقاره إلی ما یفتقر إلیه و هو محال.

و أمّا انّه لیس بناء عن الأشیاء أی بعید فلأنّه لو کان بعیدا لزم أن یکون مباینا منها زایلا عنها، و ذلک أیضا ممتنع. لأنّ قوام الأشیاء بوجوده سبحانه و ما یتقوّم به وجود الشیء لا یکون بعیدا عنه، و قد مضی تحقیق الکلام علی ذلک ممّا لا مزید علیه فی شرح الفصل الخامس و السّادس من فصول الخطبة الاولی عند بیان معنی قوله: و من قال فیم فقد ضمنه، و قوله: مع کلّ شیء لا بمقارنة و غیر کلّ شیء لا بمزایلة، فتذکّر.

و الثالثة عشر أنّه (لم یؤده) ای لم له و لم یعیه (خلق ما ابتدء) و اخترع (و لا) یکله (تدبیر ما ذرء) و برء (و لا وقف به عجز عمّا خلق) حتّی اکتفی بما خلق و لم یخلق أزید من ذلک (و لا ولجت) أی دخلت (علیه شبهة فیما قضا و قدّر بل) ایجاده ما أوجد باقتضاء تامّ و حکمة بالغة و قضاؤه (قضاء متقن) خال عن التزلزل و الاضطراب (و علم محکم) بریء من فساد الشکّ و عروض الشبهة و الغلط (و امر مبرم) موثق لا یحتمل الزّیادة و النّقصان و المقصود بذلک کلّه تنزیهه تعالی عن صفات المخلوقین و توضیح ذلک محتاج إلی تحقیق الکلام فی معنی الجملات الثلاث أمّا الأولی فالمقصود بها أنّه تعالی لا یلحقه فی خلقه ثقل و إعیاء و تعب و کلل کما قال تعالی:

«أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ یَعْیَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلی أَنْ یُحْیِیَ الْمَوْتی بَلی إِنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ ».

و قال: «وَ لا یَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ ».

و إنّما لم یلحقه الامور المذکورة لأنّ خلقه سبحانه و ایجاده و تدبیره لیس بتوسّط آلة جسمانیّة و لا استعمال رویّة نفسانیّة حتّی یطرئه التّعب و الانفعال و الثّقل و الکلال، بل فعله الافاضة و صنعه الابداع النّاشی عن محض علمه و إرادته، و نحن لو کنّا بحیث لو وجد من نفس علمنا و إراد تناشیء لم یلحقنا من وجوده تعب و انفعال

لكنّا نحتاج فى أفعالنا إلى حركة و استعمال آلة، على أنّ علمنا و إرادتنا زايدة على ذواتنا، فاللّه تعالى أولى بأن لا يلحقه تغيّر من صنعه و إنّما قال: خلق ما ابتدء ليكون سلب الاعياء عنه أبلغ إذ ما ابتدء من الأفعال يكون المشقة فيها أتمّ إذ الأفعال ربّما يكون بسبب اعتياد الفاعل أقلّ اتعابا و إعياء، و تدبيره تعالى لما ذرء يعود إلى تصريفه لجميع الذّوات و الأفعال و الصّفات تصريفا كلّيا و جزئيّا على وفق حكمته و عنايته من غير مباشرة.

و أما الثانية فالمراد بها أنّ وقوفه عمّا خلق و اكتفائه بما أوجد ليس بعجزه عن الزّايد و فتوره بسبب ما خلق من خلق ما سواه، لأنّ العجز و الفتور من جهة تناهى القوّة الجسمانيّة و انفعالها و تأثرها ممّا يمانعها فى التأثير و هو منزّه عن جميع ذلک و أمّا الثّالثة فاشارة إلى كمال علمه و امتناع طريان الشّبهة عليه فى مقضياته و مقدراته، و ذلک لأنّ الشّبهة إنّما تعرض العقل فى الامور المعقولة الصّرفة الغير الضّروريّة بصحبة الوهم، لأنّ الوهم لا يصدق حكم العقل إلاّ فى المحسوسات لا فى المعقولات فيعارضه و يدخل الشّبهة عليه فى المعقولات المحضة و لا يصدقه، فالعقل حال استفصاله وجه الحقّ فيها يكون معارضا بالأحكام الوهميّة، فاذا كان المطلوب غامضا فربّما كان فى الاحكام الوهميّة ما يشبه بعض أسباب المطلوب فيتصوّر النّفس بصورته و يعتقد لما ليس بمبدء مبدء، فينتج الباطل فى صورة المطلوب و ليس به.

و لمّا كان البارى جلّ شأنه منزّها عن صحبة القوى المتعلّقة بالأبدان التى رئيسها الوهم و كان عامه لذاته لم يجز أن يعرض لقضائه و لا لقدره و صمة شبهة أو يدخل عليه شكّ و ريب، لكونها من عوارض العقل المقترنة بها، و لهذا قال:

قضاء متقن، و علم محكم، و أمر مبرم، اى ليس فى قضائه تزلزل و تلعثم، و لا فى علمه إمكان شبهة و تردّد، و ليس لأمره رادّ و مانع.

الرابعة عشر انه تعالى هو (المأمول مع النقم المرهوب مع النّعم) يعنى أنّ العبد لمّا كان حال نزول البليّة و حلول النّقمة يستغفره سبحانه و يدعوه و يأمله و يفزع

إليه لـدفع البليّة و رفع الرّزيّة، كان هو المأمول له مع النّقم كما أنّه حال إفاضة النّعمة و العطيّة يسـتعدّ بالغفلة للاعراض عن شـكرها، فيكون عنـد ذلک أهلا لان ينزل عليه بوادر النّقمـة من اللّه سـبحانه كان هو المرهوب منه مع النّعم فهو المأمول و المرهوب معا، و ما عـداه فحلول نقمته غير مجامع لامل رحمته، و قيام نعمته معاند لشـمول رهبته، فلا مأمول و لا مرهوب فی كلا الحالين سواه، و لا ملجأ و لا منجأ إلاّ هو، و إلى هذا المعنى ينظر شعر الشّارح المعتزلی:

و حقّ فضلک ما استيأست من نعم تسری إلیّ و إن حلّت بی النّقم

و لا أمنت نكالا منک أرهبه و إن ترادفت الآلاء و النعم

الترجمة

از جملهٔ خطب آن حضـرت است در بيان صفات كمال، و نعوت جلال الهی می فرمايد كه: حمد و ثنا خداوند معبود بحقی را سزاست كه پيشـی نگرفته است مر او را حالی بر حالی تا اين كه باشـد اول پيش از آنكه باشد آخر و باشد ظاهر پيش از آنكه باشد باطن، هر ناميده شده بوحدت كه غير اوست متّصف است بصفت قلّت، و هر عزيزی كه غير اوست موصوفست بصفت ذلت، و هر صاحب قوتی كه غير اوست ضعيف است و حقير، و هر مالكی كه غير اوست مملوكست و عبـد، و هر عالمی كه غير اوست متعلمست و آموزنده، و هر قادری كه غير اوست گـاهی قـادر می شود و گـاهی عـاجز، و هر صاحب سـمعی كه غير اوست عاجز است از ادراک آوازهای آهسـته و كر ميكنـد او را آوازهای بزرگ، و می رود از او آوازهای دور، و هر صاحب بصری كه غير اوست كور است از رنگهای خفی و پنهان و از جسمهای لطيف و رقيق القوام، و هر ظاهری كه غير اوست غير باطن است، و هر باطنی كه غير اوست غير ظاهر است، بلكه اوست ظاهر و باطن و آشكار و نهان

از همه گان بی نياز و بر همه مشفقاز همه عالم نهان و بر همه پيدا

نيافريد آنچه كه آفريد آنرا بجهة تقويت سلطنت و نه از برای خوف از عاقبت زمانه و نه بواسطهٔ ياری خواستن بر دفع همتای بر جهنده و نه بر دفع شريک غلبه كننده و نه

بر دفع ضـد مفاخرت نماینده، و لکن آنچه که خلق شده اند خلقانی هسـتند پرورش یافتگان، و بندگانی هسـتند خوار شدگان، حلول نکرده است خـدا در چیزهـا تـا گفته شود که حاصـل است در آنها، و دور نشـده است از أشـیا تا گفته شود که از آنهاست جـدا، عاجز و سـنگین نگردانید او را آفریدن آنچه که ابتدا کرده او را در ایجاد و نه تدبیر و اصلاح حال آنچه که آفریده او را، و باز نداشت او را عجز و ناتوانی از آنچه که خلق فرمود، و داخل نشد بر او شـبهه در آنچه که حکم کرده و تقدیر نمود بلکه حکم او حکمی است محکم و اسـتوار، و علم او علمی است بغایت پایـدار و امر او امریست مسـتحکم و باقرار، امید گرفته شده است او در حال نقمت و بلیّه، و ترسـیده شده است از او در حال نعمة و رفاهیّت

و من کلام له علیه السّلام و هو الخامس و الستون

اشارة

من المختار فی باب الخطب

کان یقول لأصـحابه فی بعض أیّام صـفین و هو الیوم الّذی کانت عشـیّته لیلة الهریر علی ما نسـبه الشّارح المعتزلی إلی کثیر من الرّوایات أو الیوم السّابع من الحرب، و کان یوم الخمیس سابع شهر صفر علی ما ستطلع علیه فی روایة نصر بن مزاحم بسنده الآتی عن أبی عمر قال: إنّه خطب هذا الیوم فقال:

معاشر النّاس استشعروا الخشیة، و تجلببوا السّکینة، و عضّوا علی النّواجذ، فإنّه أنبی للسّیوف عن الهام، و أکملوا اللّامة، و قلقلوا السّیوف فی أغمادها قبل سـلّها، و الحظوا الخزر، و اطعنوا الشّزر، و نافحوا بالظّبا، و صـلوا السّیوف بالخطا، و اعلموا أنّکم بعین اللّه و مع ابن عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فعاودوا الکرّ، و استحیوا من الفرّ، فإنّه عار فی الأعقاب،

و نار يوم الحساب، و طيبوا عن أنفسكم نفسا، و امشوا إلى الموت مشيا سحجا، و عليكم بهذا السّواد الأعظم، و الرّواق المطنّب، فاضربوا ثبجه فإنّ الشيطان كامن فى كسره، قد قدّم للوثبة يدا، و أخّر للنّكوص رجلا، فصمدا صمدا حتّى يتجلّى لكم عمود الحقّ «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ ».

اللغة

(المعشر) الجماعة و (الشّعار) من اللباس ما يلى شعر الجسد و (تجلببوا) مثل تدحرجوا مأخوذ من الجلباب بالكسر و هو القميص أو ثوب واسع للمرأة دون المخلقة أو المخلقة(1) أو الخمار أو ثوب كالمقنعة تغطى به المرأة رأسها و ظهرها و صدرها، و فى المصباح انّه ثوب أوسع من الخمار و دون الرّداء، و قال ابن فارس ما يغطى به من ثوب و غيره و الجمع الجلابيب و (السكينة) الوقار فى الحركة و التأنّى فى السّير و (عضعضت) اللقمة و بها و عليها أمسكتها بالانسان و (النّواجذ) جمع ناجذ و هى أواخر الأضراس تنبت بعد البلوغ و الحلم و كمال العقل، و قيل الاضراس كلّها نواجذ، و قيل هى الضواحك التى تبد و عند الضحك، و عن البارع النّواجذ للانسان و الحافر و هى من ذوات الخفّ الانياب و (نبا) السّيف عن الضّريبة بتقديم النّون على الباء نبوا من باب قتل رجع من غير قطع فهو ناب و نبا السّهم عن الهدف لم يصبه و (الهام) جمع هامة و هى رأس كلّشىء.

و (اللأمة) باللاّم و الهمزة السّاكنة على وزن تمرة الدّرع و قيل جمع آلات الحرب و (القلقلة) التحريک و (الغمد) بالكسر جفن السّيف و (سلّ) السّيف اخراجه من الغمد و (لحظته) بالعين و لحظت إليه لحظا من باب نفع راقبته، و يقال

1- (1) الملحفة صحيح فى الموضعين منه.

نظرت إليه بمؤخّر العين عن يمين و يسار و هو أشدّ التفاتا من الشّزر و (الخزر) بقتح الخاء و الزاء المعجمتين مصد خزرت العين خزرا من باب تعب صغرت و ضاقت، و الموجود فى النّسخ الخزر بسكون الزّاء و لعلّه لملاحظة السجعة الثّانية و (اطعنوا) بضم العين من باب قتل و بالفتح من باب نفع.

و (الشّزر) بالفتح فالسكون الطعن عن اليمين و اليسار و لا يستعمل الطعن تجاه الانسان شزرا قيل أكثر ما يستعمل فى الطعن عن اليمين خاصّة و (المنافحة) المضاربة و المدافعة و (الظبا) جمع ظبة بالتخفيف و بضمّ الظاء فيهما حدّ السيف و (صلوا) أمر من وصل الشىء بالشىء جعله متّصلا به و (الخطا) جمع خطوة بالضمّ فيهما و (الكرّ) الرّجوع و (الاعقاب) إمّا جمع عقب بالضمّ و بضمتين أى العاقبة أو جمع عقب ككتف أو عقب بالفتح أى الولد، و ولد الولد و (السّحج) بضمّتين السّهل و (سواد) النّاس عامتهم.

و (الرّواق) ككتاب الفسطاط و الفئة و قيل هو ما بين يدى البيت و (المطنب) المشدود بالأطناب و (ثبج) الشىء بالتحريک وسطه و (كمن) من باب نصر و سمع استخفى و (كسر) الخباء بالكسر الشّقة السّفلى ترفع احيانا و ترخى اخرى و (الوثبة) الطفرة و (النكوص) الرجوع و (الصّمد) القصد و (انجلى) الشىء و تجلّى أى انكشف و ظهر و (و ترت) زيدا حقه واتره من باب وعد نقصته

الاعراب

معاشر النّاس منصوب على النداء، و الخزر و الشّزر صفتان لمصدرين محذوفين اى الحظو الحظا خزر او اطعنوا طعنا شزرا، و اللام للعهد و طيبوا عن أنفسكم نفسا يقال طاب نفسى بالشىء و طبت به نفسا إذا لم يكرهک عليه أحد و تعديته بعن لتضمين معنى التّجافى و التّجاوز، و نفسا منصوب على التّميز و لذلک وحّده لأنّ حقّ التّميز أن يكون مفردا مع الأمن من اللبس، قال البحرانى: و المراد بالنّفس الاولى الزّايلة بالقتل و بالثّانية النفس المدبرة لهذا البدن، و صمدا صمدا منصوبان على المصدريّة و العامل محذوف و التّكرار للتّاكيد و التّحريص، و الواو فى قوله:

و أنتم الأعلون للحال

المعنى

اشارة

اعلم أنّ المراد بهذه الخطبة تعليم رسوم الحرب و آدابها و الارشاد إلى كيفيّة المحاربة و القتال، إذ فى مراعاتها و الملازمة عليها رجاء الفتح و الظفر من اللّه المتعال فقوله (معاشر النّاس استشعروا الخشية) أى اجعلوا الخوف و الخشية من اللّه سبحانه شعارا لكم لازما على أنفسكم لزوم الشّعار على الجسد (و تجلببوا السّكينة) أى اتّخذوا الوقار و الطمأنينة فى السّير و الحركة غطاء لكم محيطا بكم إحاطة الجلباب بالبدن.

(و عضّوا على النّواجذ) و هذا الأمر إمّا محمول على الحقيقة لأنّ العضّ يورث تصلّب الأعضاء و العضلات فتكون على مقاومة السّيف أقدر و يكون تأثيره فيه أقلّ، و يشهد به ظاهر التّعليل بقوله(فانّه)أى العضّ(أنبا للسّيوف عن الهام) و إمّا كناية عن شدّة الاهتمام بأمر الحرب أو الصّبر و تسكين القلب و ترك الاضطراب فانّه أشدّ ابعادا لسيف العدوّ عن الرأس و أقرب إلى النّصر (و أكملوا اللأمة) و المراد باكمالها على التفسير الأوّل أعنى كونها بمعنى الدّرع هو أن يراد عليها البيضة و السّواعد و نحوهما، و على التفسير الثانى اتخاذها كاملة شاملة للجسد (و قلقلوا السّيوف فى اغمادها قبل سلّها) ليسهل السّل وقت الحاجة، فانّ طول مكثها فى الاغماد ربّما يوجب الصّداء فيصعب السّل وقت الاحتياج (و الحظوا الخزر) لأنّ النّظر بمؤخّر العين أمارة الغضب كما أنّ النّظر بتمام العين إلى العدوّ علامة الفشل (و اطعنوا الشّزر) لأنّ الطعن عن اليمين و الشّمال يوسع المجال على الطاعن و أكثر المناوشة للخصم فى الحرب يكون عن يمينه و شماله، و يمكن أن تكون الفايدة أنّ احتراز العدوّ عن الطعن حذاء الوجه أسهل و الغفلة عنه أقلّ (و نافحوا بالظبا) قيل: المعنى قاتلوا بالسّيوف و أصله أن يقرب أحد المتقابلين إلى الآخر بحيث يصل نفح كلّ منهما أى ريحه و نفسه إلى صاحبه، و قيل: أى ضاربوا بأطراف السّيوف و فايدته أنّ مخالطة العدوّ و القرب الكثير منه يشغل عن

التّمكّن من حربه، و أيضا لا يؤثّر الضّرب مع القرب المفرط كما ينبغى (و صلوا السّيوف بالخطا) يعنى إذا قصرت السّيوف عن الضّريبة فتقدّموا تلحقوا و لا تصبروا حتّى يلحقكم العدوّ، و هذا التّقدم يورث الرّعب فى قلب العدوّ، و إلى ذلک ينظر قول حميد بن ثور الهلالى:

و وصل الخطا بالسّيف و السّيف بالخطا إذا ظنّ أنّ المرء ذا السيف قاصر

و قال آخر:

نصل السّيوف إذا قصرن بخطونا يوما و نلحقها إذا لم تلحق

و قال آخر:

و إذا السّيوف قصرن طوّلها لنا حتّى تناول ما نريد خطانا

و قال رابع:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فتضارب

و روى عنه عليه السّلام أنّه قيل له فى بعض الغزوات: ما أقصر سيفک؟ قال عليه السّلام:

اطوله بخطوة (و اعلموا أنّكم بعين اللّه) يراكم و يسمع كلامكم و يعلم أعمالكم و يشهد أفعالكم، و هذا تمهيد للنّهى عن الفرار و تنبيه على أنّ اللّه سبحانه ينصرهم و يحفظهم (و) أنّه يجب عليهم التّثبت و الثّبات (مع ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) الذى طاعته كطاعته و حربه كحربه (فعاودوا الكرّ) أى الحملة و الرّجوع عند التّحرف للقتال أو التّحيز إلى فئة أو عند الفرار جبنا لو اتّفق و المراد لا تقصروا على حملة واحدة لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا و احملوا كرّة بعد اخرى (و استحيوا من الفرّ فانّه) أى الفرار قبيح من جهتين:

إحداهما أنّه (عارفى الأعقاب) يعنى أنّه عار فى عاقبة الأمر و يتحدّث النّاس به فى مستقبل الزّمان، هذا على كون الاعقاب جمع عقب بالضّم، و أمّا على كونها جمع عقب بفتح العين فالمعنى أنّه عار فى أولادكم يعيرون به بعدكم و من هنا روى أنّ أعرابيّا رأى رجلا من أولاد أبى موسى الأشعرى يمشى و يتبختر فى مشيه، قال:

ما له كان أباه غلب عمرو بن العاص فى التّحكيم(1)

1- (1) فاعل طول، منه.

(و) الجهة الثانية أنّه (نار يوم الحساب) أى يوجب استحقاق النّار لكونه من المعاصى الكبيرة كما يشير إليه قوله سبحانه: «وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ » (و طيبوا عن أنفسكم نفسا) أى طيّبوا أنفسكم متجاوزين عن نفوسكم الزّايلة و وطنوا قلوبكم على بذلها فى سبيل اللّه و ارضوا به للحياة الباقية و اللذات الدّائمة (و امشوا إلى الموت مشيا سجحا) سهلا بدون تكلّف.

(و عليكم بهذا السّواد الأعظم) أى معظم القوم المجتمعين على معاوية (و الرّواق المطنب) اراد به مضرب معاوية و كان فى قبة عالية بأطناب عظيمة، و حوله من أهل الشّام و صناديدهم مأئة ألف كانوا تعاهدوا أن لا ينفرجوا عنه أو يقتلوا (فاضربوا ثبجه) أى وسطه(فانّ الشّيطان كامن فى كسره)المراد بالشّيطان إمّا معاوية أو عمرو بن العاص، و إطلاق الشيطان عليهما لشباهتهما بالشيطان فى الاضلال عن سبيل اللّه سبحانه، و الاظهر أنّ المراد به معناه الحقيقى لأنّ المعاوية كان بارزا فى الصدر لا كامنا فى الكسر إلاّ أن يكون ذلک لبيان جبنه و لا ينافى إرادة الحقيقةقوله (قد قدّم للوثبة يدا و أخّر للنكوص رجلا) لأنّ إبليس كان من رفقاء معاوية و أصحابه كان يثب لوثوبهم و يرجع برجوعهم، و يمكن أن يراد بوثبته طمعه فى غلبة أصحاب معاوية و تحريصه لهم على القتال، و بالنكوص ما يقابله(فصمدا صمدا حتى ينجلى لكم عمود الحقّ)أى اقصدوهم قصدا و اصبروا على الجهاد إلى أن يظهر لكم نور الحق.

قال المجلسى: عمود الحق لعلّه للتشبيه بالفجر الأوّل، و فيه اشعار بعدم الظهور لأكثر القوم كما ينبغى (و أنتم الأعلون) أى الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنكم على الحقّ (و اللّه معكم) لأنكم أنصاره (و لن يتركم أعمالكم) أى لا ينقصكم اللّه جزاء أعمالكم و هذه اللفظة اقتباس من الآية الشريفة فى سورة محمّد و هو قوله سبحانه:

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ ماتُوا وَ هُمْ كُفّارٌ »

«فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ ».

تكملة

هذه الخطبة مروية فى البحار من كتاب بشارة المصطفى عن إبراهيم بن الحسين البصرى، عن محمّد بن الحسين بن عتبة، عن محمّد بن أحمد بن مخلد، عن أبى المفضل الشيبانى، عن محمّد بن محمّد بن معقل، عن محمّد بن أبى الصحبانى، عن البزنطى، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة مولى عبد اللّه بن العباس رضى اللّه عنه قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ما كشفت النساء ذيولهنّ عن مثله، لا و اللّه ما رأيت فارسا محدثا يوزن به لرأيته يوما و نحن معه بصفين و على رأسه عمامة سوداء و كأنّ عينيه سراجا سليط يتوقدان من تحتها يقف على شرذمة يخصمهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم و طلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب، فاقشعرّ النّاس لها لما رأوها و انحاز بعضهم إلى بعض فقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

فيم النخع و الخنع يا أهل العراق هل هى إلاّ أشخاص ماثلة فيها قلوب طائرة لو مسّ ها قلوب أهل الحقّ لرأيتموها كجراد بقيعة سفته الرّيح فى يوم عاصف، ألا فاستشعروا الخشية فتجلببوا السّكينة و ادرعوا الصبر و خضوا الأصوات و قلقلوا الأسياف فى الاغماد قبل السلّة و انظروا الشزر و اطعنوا الوجر و كافحوا بالظبا و صلوا السيوف بالخطا، و النبال بالرّماح، و عاودوا الكرّ و استحيوا من الفرّ فانه عار فى الأعقاب، و نار يوم الحساب، و طيبوا عن أنفسكم نفسا، و امشوا إلى الموت مشية سحجا، فانكم بعين اللّه عزّ و جلّ و مع أخى رسول اللّه.

و عليكم بهذا السرادق الأولم، و الرواق المظلم، فاضربوا ثبجه فانّ الشيطان راقد فى كسره نافش حضنيه مفترش ذراعيه، قد قدّم للوثبة يدا و أخّر للنكوص رجلا، فصمدا صمدا حتى ينجلى لكم عمود الحقّ و أنتم الأعلون و اللّه معكم و لن

يتركم أعمالكم، ها أنا شاد فشدّوا بسم اللّه حم لا ينصرون.

ثمّ حمل عليهم أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه و على ذرّيته حملة و تبعه خويلة لم تبلغ المأة فارس فأجالهم فيها جولان الرّحى المسرحة بثفالها، فارتفعت عجاجة منعتنى النظر، ثمّ انجلت فأثبت النظر فلم نر إلاّ رأسا نادرا و يدا طايحة، فما كان بأسرع أن ولوا مدبرين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة، فاذا أمير المؤمنين عليه السّلام قد أقبل و سيفه ينطف و وجهه كشقّة القمر و هو يقول:

«فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ».

و رواها فى البحار أيضا من تفسير فرات بن إبراهيم بسنده عن ابن عباس نحوه، و لا بأس بتفسير بعض ألفاظها الغريبة فأقول «السليط» الزّيت «و النخع و الخنع» الذّلّ و الخضوع «و المائلة» القائمة أو المتمثلة بالمشبهة بالانسان و فى بعض النسخ مائلة من الميل أى عادلة عن الحقّ فيها «قلوب طائرة» أى من الخوف و «سفت» الرّيح التراب بالتخفيف ذرته و «القيعة» الأرض المستوى و «الوجر» بالجيم و الرّاء المهملة قال فى القاموس أو جره الرّمح طعنه به فى فيه و «المكافحة» المضاربة و المدافعة تلقاء الوجه و «النبال بالرّماح» أى ارموهم بالنبال فاذا قربتم فاستعملوا الرّماح و العكس أظهر أى إذا لم تصلوا الرّماح فاستعملوا النبال كأنكم و صلتموها بها فيكون النسب بالفقرة السّابقة و «الاولم» الأسود صورة أو معنا كالمظلم «نافش» حضنيه فى بعض النسخ نافج و هو الأظهر لأنّ الأوّل غير مناسب للمقام يقال نفجت الشىء رفعته و كنى به عن التعظم و التكبر و «شدّ» فى الحرب يشدّ بالكسر حمل على العدوّ «و حم لا ينصرون» عن ابن الأثير فى النهاية فى حديث الجهاد إذ أبيتم فقولوا حم لا ينصرون، قيل معناه اللهمّ لا ينصرون و يريد به الخبر لا الدّعاء و إلاّ لقال لا ينصروا مجزوما، فكأنه قال و اللّه لا ينصرون، و قيل إنّ السور التى أوّلها حم سور لها شأن فنبه أنّ ذكرها لشرف شأنها مما يستظهر به على استنزال

النصـر من اللّه، و قوله لا ينصـرون كلام مسـتأنف كأنه حين قال قولوا حم قيل ما ذا يكون إذا قلناها قال لا ينصـرون و «الخويلة» إما تصغير الخيل على غير قياس أو تصـغير الخول بمعنى الخدم و الحشم و «الثّفال» جلده تبسط تحت رحى اليد ليقع عليها الدّقيق و يسـمى الحجر الأسـفل ثقالا ـ بهـا و «العجاجـة» الغبـار و «نـدر» الرّأس سـقط و «طـاح» يطوح و يطيـح هلك و أشـرف على الهلاک و ذهب و سـقط و «القسورة» الاسد و «سيفه ينطف» أى يقطر دما و «الشقّة» بالكسر القطعة المشقوقة و نصف الشّىء إذا شقّ.

تذييل

قد مضـى طرف من وقايع صـفين فى شـرح بعض الخطب السّابقة، فذكرنا فى شـرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السّادسة و العشـرين كيفية ارسال أمير المؤمنين جرير ابن عبد اللّه البجلى إلى معاوية بالرّسالة و كيفية بيعة عمرو بن العاص لمعاوية، و فى شـرح كلامه الثّالث و الأربعين تفصيل قصّة جرير و مكالماته مع معاوية و يأسه من بيعته حتّى رجع إلى العراق و انجرّ الأمر إلى حرب صفين، و فى شرح الخطبة الثامنة و الأربعين كيفيّة خروج أمير المؤمنين عليه السّ ـلام من كوفة متوّجها إلى صـفّين، و فى شرح الخطبة الاحدى و الخمسين نزوله عليه السّ ـلام بصـفّين و غلبة أصحاب معاوية على الشريعة و فتح الفرات، و فى شرح الخطبة الخامسة و الثلاثين قصّة ليلة الهرير و كيفية التّحكيم إلى آخر الحرب.

فأحببت أن أورد هنا بقيّة تلک الواقعة و هى من فتح الشـريعة إلى ليلة الهرير لاقتضاء المقام ذلک و ليكون شـرحنا ذلک مشـتملا على تمام تلک الوقعة و لو اجمالا و يستغنى الناظر به عن الرجوع الى غيره و لا يشذّ عنه جمل تلک الوقعة.

فأقول: روى المحـدّث العلامة المجلسـى فى البحار و الشّارح المعتزلى جميعا من كتاب صـفين لنصـر بن مزاحم أنّه وصل أمير المؤمنين عليه السّلام إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنة سبع و ثلاثين.

قال نصر: و لمّا ملک أمير المؤمنين الماء بصفين ثمّ سمح لأهل الشّام بالمشاركة

فيه و المساهمة رجاء أن يعطفوا إليه و استمالة لقلوبهم و إظهارا للمعدلة و حسن السيرة فيهم، مكث أيّا ما لا يرسل إلى معاوية و لا يأتيه من عند معاوية أحد و استبطأ أهل العراق إذنه لهم فى القتال و قالوا: يا أمير المؤمنين خلّفنا ذرارينا و نسائنا بالكوفة و جئنا إلى أطراف الشّام لنتّخذها وطنا، ائذن لنا فى القتال فانّ النّاس قد قالوا قال عليه السّلام ما قالوا؟ فقال قائل منهم إنّ النّاس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهيّة للموت و أنّ من النّاس من يظنّ أنّك فى شكّ من قتال أهل الشّام.

أقول: فأجابهم بجواب مرّ ذكره فيما سبق و هو الكلام الرّابع و الخمسون.

قال نصر: فقال عليه السّلام و متى كنت كارها للحرب قط إنّ من العجب حبّى لها غلاما و يفعا و كراهتى لها شيخا بعد نفاد العمر و قرب الوقت و أمّا شكّى فى القوم فلو شككت فيهم لشككت فى أهل البصرة فو اللّه لقد ضربت هذا الامر ظهرا و بطنا فما وجدت أن يسعنى إلاّ القتال أو أن أعصى اللّه و رسوله و لكنى استأنى(1) بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدى فيهم طايفة فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لى يوم خيبر:

لأن يهدى اللّه بک رجلا واحدا خير لک ممّا طلعت عليه الشّمس.

قال نصر: فبعث علىّ إلى معاوية بشر بن عمرو و سعيد بن قيس و شيث بن ربعى فقال ائتوا هذا الرّجل فادعوه إلى الطاعة و الجماعة و إلى اتباع أمر اللّه سبحانه، فقال شيث يا أمير المؤمنين ألانطمعه فى سلطان توليه اياه و منزلة يكون له بها اثرة عندک إن هو بايعک؟ قال: ائتوه الآن و القوه و احتجّوا عليه و انظروا ما رأيه فى هذا، فدخلوا عليه فابتدأ بشر بن عمرو بن محصن فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

أمّا بعد يا معاوية فانّ الدّنيا عنک زايلة و انک راجع إلى الآخرة و أنّ اللّه مجازيک لعملک و محاسبک بما قدمت يداک، و إنّى انشدک اللّه أن تفرّق جماعة هذه الامة و أن تسفک دمائها بينها.

فقطع معاوية عليه الكلام فقال: فهلاّ أوصيت صاحبک؟ فقال: سبحان اللّه إنّ صاحبى ليس مثلک صاحبى أحقّ الناس بهذا الأمر فى الفضل و الدّين و السّابقة فى

1- (1) اى اطلب التانى.

الاسلام و القرابة من الرّسول، قال معاوية فتقول ما ذا! قال: أدعوک إلى تقوى ربک و إجابة ابن عمک إلى ما يدعوک إليه من الحقّ فانّه أسلم لک فى دينک و خير لک فى عاقبة أمرک قال و بطل دم عثمان لا و الرّحمن لا أفعل ذلک ابدا.

فذهب سعيد بن قيس ليتكلّم فبدره شبث بن ربعى فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

يا معاوية قد فهمت ما رددت على ابن محصن انّه لا يخفى علينا ما تطلب إنک لا تجد شيئا تستغوى به النّاس و لا شيئا تستميل به أهوائهم إلاّ أن قلت لهم قتل امامكم مظلوما فهلمّوا نطلب بدمه فاستجاب لک سفلة طغام رذال، و قد علمنا أنّک بطأت عنه بالنّصر و أحببت له القتل لهذه المنزلة التى تطلب، و ربّ مبتغ أمرا و طالب له يحول اللّه دونه و ربّما أوتى المتمنّى امنيته و ربّما لم يؤتها، و و اللّه مالک فى واحدة منهما خير، و اللّه إن أخطاک ما ترجو انّک لشرّ العرب حالا و لئن أصبت ما تتمّناه لا تصيبه حتّى تستحقّ صلى النّار، فاتّق اللّه يا معاوية ودع ما أنت عليه و لا تنازع الأمر أهله.

فحمد معاوية اللّه و أثنى عليه و قال: أمّا بعد، فانّ أوّل ما عرفت به سفهک و خفّة علمک قطعک على هذا الحسيب الشّريف سيّد قومه منطقه ثمّ عتبت بعد فيما لا علم لک به، و لقد كذبت و لؤمت أيّها الأعرابى الجلف الجافى فى كلّ ما وصفت، انصرفوا من عندى فانّه ليس بينى و بينكم إلاّ السّيف و عضب.

فخرج القوم و شبث يقول: أعلينا تهوّل بالسّيف أما و اللّه لنعجلنه إليک، قال نصر: خرج قرّاء أهل العراق و قرّاء أهل الشام فعسكروا فى ناحية صفين فى ثلاثين ألفا.

قال: و عسكر علىّ عليه السّلام على الماء و عسكر معاوية فوقه على الماء و مشت القراء بين علىّ و معاوية، منهم عبيدة السّلمانى، و علقمة بن قيس النخعى، و عبد اللّه بن عتبة، و عمار بن عبد القيس فدخلوا على معاوية فقالوا: يا معاوية ما

الـذى تطلب؟ قال: اطلب بـدم عثمان، قالوا: ممّن تطلب بـدم عثمان؟ قال: أطلبه من على، قالوا أو علىّ قتله؟ قال: نعم هو قتله و آوى قتلته، فانصرفوا من عنده فدخلوا على علىّ و قالوا: إنّ معاوية زعم أنّک قتلت عثمان، قال: اللهمّ لکذب علىّ لم أقتله.

فرجعوا إلى معاويـة فأخبروه فقال: إن لم يکن قتله فقـد أمر و مالا، فرجعوا إليه و قالوا: يزعم أنّک إن لم تکن قتلت بيدک فقد أمرت و ما لئت على قتل عثمان فقال: اللهمّ لکـذب فيما قال، فرجعوا إلى معاويـة فقالوا: إن عليّا يزعم أنّه لم يفعل، فقال معاويـة: إن کان صادقا فليقدنا من قتلة عثمان فانّهم فى عسـکره و جنده و أصحابه و عضده فرجعوا إلى علىّ فقالوا: إنّ معاوية يقول لک إن کنت صادقا فادفع إلينا قتلة عثمان أو مکنّا منهم، فقال لهم: إنّ القوم تأوّلوا عليه القرآن و وقعت الفرقة و قتلوه فى سلطانه و ليس على ضربهم قود فخصم على معاوية.

فقال لهم معاوية: إن کان الأمر کما تزعمون فلم ابتزّ الأمر دوننا على غير مشورة منّا و ممّن ههنا معنا، فقال: علىّ عليه السّلام إنّ النّاس تبع المهـاجرين و الأنصـار و هم شـهود للمسـلمين فى البلاـد على ولا تهم و امراء دينهم، فرضوا بى و بايعونى و لست اسـتحلّ أن أدع ضـرب معاويـة يحکم على هـذه الامـة و يزکيهم و يشقّ عصـاهم، فرجعوا إلى معاويـة فأخبروه بـذلک فقال: ليس کما يقول فما بال من هو منّا من المهاجرين و الأنصار لم يدخلوا فى هذا الأمر، فانصـرفوا إليه عليه السّـ لام فأخبروه بقوله، فقال: و يحکم هذا للبدريّين دون الصّحابة و ليس فى الأرض بـدرىّ إلاّ و قد بايعنى و هو معى او قد أقام و رضـى فلا يعرّکم من أنفسـکم و دينکم قال نصـر: فراسـلوا بذلک ثلاثة أشـهر ربيع الآخر و جماديين و هم مع ذلک يفرغون الفرغة فيما بينهما و يرجف بعضهم إلى بعض و يحجز القراء بينهم.

قال: فرغوا فى ثلاثة أشهر خمسا و ثمانين فرغة کلّ فرغة يرجف بعضهم الى بعض و يحجز القراء بينهم لا يکون بينهم قتال.

قال نصر: خرج أبو امامة الباهلى و أبو الدّرداء فدخلا على معاوية فقالا: يا

معاویـة علی م تقاتل هـذا الرّجل فو اللّه لهو أقـدم منک سـلما و أحقّ منک بهـذا الأمر و أقرب من رسول اللّه فعلی م تقاتله؟ اقاتله علی دم عثمان و أنّه آوی قتلته فقولوا له فلیقدنا من قتلته و أنا أوّل من بایعه من أهل الشّام.

فانطلقوا إلی علی فأخبروه بقول معاویة فقال علیه السّلام: إنّما یطلب الذین ترون فخرج عشـرون ألفا و أکثر متسربلین الحدید لا یری منهم إلاّ الحدق فقالوا: کلّنا قتله فان شاءوا فلیروموا ذلک منّا، فرجع أبو امامة و أبو الدرداء فلم یشـهدا شـیئا فی القتال حتّی إذا کان رجب و خشی معاویة أن یتابع القراء علیا أخذ فی المکر و أخذ یحتال للقرّاء.

قال: فکتب فی سـهم من عبـد اللّه النّاصح أنّی اخبرکم أنّ معاویة یرید أن یفجر علیکم الفرات فیغرقکم فخذوا حذرکم، ثمّ رمی بالسّهم فی عسـکر علیّ فوقع السّهم فی یـد رجل فقرأه ثمّ أقرئه صاحبه فلما قرأه و قرأه النّاس و قرأه من أقبل و أدبر قالوا: هـذا أخ لنا ناصـح کتب إلیکم یخبرکم بما أراد معاویة فلم یزل السهم یقرأ و یرتفع حتّی رفع إلی علیّ علیه السّلام.

و قد بعث معاویة مأتی رجل من العملة إلی عاقول من النهر بأیدیهم المزور و الزمل یحفرون فیها بحیال عسکر علیّ، فقال علیّ: و یحکم إنّ الذی یعالج معاویة لا یستقیم له و لا علیه إنّما یرید أن یزیلکم عن مکانکم فانتهوا عن ذلک و دعوه، فقالوا له و اللّه یحفرون و اللّه لنرتحلن و إن شئت فأقم، فارتحلوا و صعدوا بعسکرهم ملیّا و ارتحل علیّ فی اخریات النّاس و هو یقول:

فلو أنی أطعت عصمت(1) قومی إلی رکن الیمامة(2) أو شام

و لکنّی متی ابرمت امرا منیت بخلف آراء الطغام(3)

قال فارتحل معاویة و نزل بمعسکر علی الذی کان فیه، فدعا علیّ علیه السّلام الأشتر

1- (1) و روی عصبت بدله منه.

2- (2) الیمامة ناحیة من الحجاز و الیمن و الشام علی فعال الشامی کالیمان، بحار.

3- (3) الطغام بالغین المعجمة - اوغاد الناس.

فقـال: ألم تغلبنى على رأيى أنت و الأشـعث برأيكما، فقال الأشـعث أنا أكفيک يا أمير المؤمنين سأداوى ما افسـدت اليوم من ذلک، فجمع كندة فقال لهم: يا معشـر كنده لا تفضحونى اليوم و لا تخزونى فانّما أنا قارع بكم أهل الشّام، فخرجوا معه رجالة يمشون و بيده رمح له يلقيه على الأـرض و يقول، امشوا قيس رمحى هـذا، فيمشون فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه و يمشون معه حتّى أتى معاويـة وسط بنى سـليم واقفا على الماء، و قد جاءه أدانى عسكره.

فاقتتلوا قتالا شديـدا على الماء ساعة و انتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، و أقبل الأشتر فى جنده من أهل العراق فحمل إلى معاوية و الأشـعث يحارب فى ناحية اخرى فانحاز معاوية فى بنى سليم فردّو اوجوه إبله قدر ثلاث فراسخ، ثمّ نزل و وضع أهل الشّام أثقالهم و الأشعث يهدر و يقول ارضيتک يا أمير المؤمنين و قال الأشتر يا أمير المؤمنين قد غلب اللّه لک على الماء.

قال نصر: و كان كلّ واحد من علىّ و معاوية يخرج الرّجل الشريف فى جماعة و يقاتل مثله و كانوا يكرهون أن يزاحفوا بجميع الفيلق مخافة الاستيصال و الهلاک، فاقتتل الناس ذا الحجة كلّه فلما انقضـى تداعوا إلى أن يكف بعضـهم عن بعض إلى أن ينقضـى المحرم لعل اللّه أن يجرى صلحا او اجتماعا، فكفّ الناس فى المحرم بعضهم عن بعض.

قال نصـر: حدّثنا عمر بن سـعد عن أبى المجاهد عن المحل بن خليفة، قال: لما توادعوا فى المحرّم اختلفت الرّسل فيما بين الرّجلين رجاء الصّـلح، فأرسل علىّ إلى معاوية عدى بن حاتم، و شيث بن ربعى، و يزيد بن قيس، و زياد بن حفصة فلمّا دخلوا عليه حمد اللّه تعالى عدىّ بن حاتم و أثنى عليه و قال أمّا بعد:

فقد اتيناک لندعوک إلى أمر يجمع اللّه به كلمتنا و امّتنا و يحقن دماء المسلمين ندعوک إلى أفضل النّاس سابقة و أحسنهم فى الاسلام آثارا، و قـد اجتمع له النّاس و قـد أرشـدهم اللّه بالـذى رأوا و اوتوا فلم يبق أحـد غيرک و غير من معک، فانته يا معاوية من قبل أن يصـيبک اللّه و أصحابک بمثل يوم الجمل.

فقال له معاويـة: كأنّک إنّما جئت متهـدّدا و لـم تأت مصـلحا هيهات يا عـدىّ انّى لابن حرب ما يقعقع(1) لى بالشّ ننآن، أما و اللّه إنّک من المجلبين على عثمان و إنّک لمن قتلته و إنّى لأرجو أن تكون ممّن يقتله اللّه فقال له شـيث بن ربعى و زياد بن حفصة و تنازعا كلاما واحدا: أتيناک فيما يصلحنا و إيّاک فأقبلت تضرب لنا الأمثال، دع مالا ينفع من القول و الفعل و أجبنا فيما يعمّنا و إيّاک نفعه.

و تكلّم يزيـد بن قيس فقال: إنّا لـم نأتک إلاّ لنبلّغک الذى بعثنا به إليک و لنؤدّى عنک ما سـمعناه منک و لـم ندع أن ننصح لک و أن نذكر ما ظننّا أنّ لنا فيه عليک حجّة أو أنّه راجع بک إلى الالفة و الجماعة، إنّ صاحبنا من قد عرفت و عرف المسـلمون فضـله و لا أظنّه يخفى عليک أنّ أهـل الـدّين و الفضل لا يعـدلونک بعلىّ و لا يساوون بينک و بينه، فاتّق اللّه يا معاويـة و لا تخالف عليّا فانّا و اللّه ما رأينا رجلا قط أعلم بالتّقوى و لا أزهـد فى الـدّنيا و لا أجمع لخصال الخير كلّها منه فحمـد اللّه معاويـة و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فانّكم دعوتم إلى الجماعة و الطاعة فأمّا التى دعوتم إليها فنعمّاهى و أمّا الطاعة لصاحبكم فانّا لا ترضى به إنّ صاحبكم قتل خليفتنا و فرّق جماعتنا و آوى ثارنا و قتلتنا، و صاحبكم يزعم أنّه لـم يقتله فنحن لا نردّ ذلک عليه أرأيتم قتلـة صاحبنا ألسـتم تعلمون أنّهم أصـحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به و نحن نجيبكم إلى الطاعة و الجماعة فقال له شيث: ايسرک باللّه يا معاوية إن أمكنت من عمّار بن ياسر فقتلته؟ قال:

و مـا يمنعنى من ذلـک، و اللّه لو أمكننى صـاحبكم من ابن سـمية ما أقتله بعثمان، و لكن كنت أقتله بنائلـة مولى عثمان، فقال شـيث: و إله السّماء ما عدلت معدلا و لا و الذى لا إله إلاّ هو لا يصل إليک قتل ابن ياسر حتّى يندر الهام عن كواهل الرّجال، و تضيق الأرض الفضاء

1- (1) القعقعة تحريک الشـىء اليابس الصـلب مع صوت مثل السلاح و غيره و الشنان جمع الشن و هى القربة اليابسة و هم يحركونها اذا ارادوا حث الابل على السير لتفزع فتسرع، بحار

علیک بما رحبت.

فقـال معاویـة: إذا کان ذلک کانت علیک أضـیق ثمّ رجع القوم عن معاویـة فبعث معاویـة إلی زیاد بن حفصـة من بینهم فأدخله علیه فحمد معاویـة اللّه و أثنی علیه ثمّ قـال: أمّا بعـد یا أخا ربیعـة فانّ علیّا قطع أرحامنا و قتل إمامنا و آوی قتلته و إنّی أسألک النّصـرة علیه باسـرتک و عشیرتک، و لک علی عهد اللّه و میثاقه إذا ظهرت أن أولیّک أیّ المصرین أحببت.

قال زیاد: فلمّا قضـی معاویـة کلامه حمـدت اللّه و أثنیت علیه ثمّ قلت: أمّا بعد فانّی لعلی بیّنة من ربّی و بما أنعم اللّه علیّ فلن أکون ظهیرا للمجرمین، ثمّ قمت فقـال معاویـة لعمرو بن العاص و کان إلی جانبه: مالهم غضـبهم اللّه ما فی قلوبهم ما قلبهم إلاّ قلب رجل واحـد قال نصـر: و بعث معاویة حبیب بن مسلمة الفهری إلی علیّ و شرجیل بن السّمط و معن بن یزید فدخلوا علیه، فتکلّم حبیب و حمد اللّه و أثنی علیه و قال أمّا بعـد فانّ عثمان بن عفّان کان خلیفـة مهدیّا یعمل بکتاب اللّه و ینیب إلی أمر اللّه فاسـتثقلتم حیاته و اسـتبطأتم وفاته، فعدوتم علیه فقتلتموه، فادفع إلینا قتلـة عثمان لنقتلهم به، فان قلت إنّک لم تقتله فاعتزل أمر النّاس فیکون أمرهم هـذا شوری بینهم یولّ النّاس أمرهم من أجمع رأیهم علیه.

فقال له علیّ علیه السّـلام: و من أنت لا امّ لک و الولایـة و العزل و الـدّخول فی هذا الأمر اسـکت فانّک لست هناک و لا بأهل لذاک، فقام حبیب بن مسلمة و قال و اللّه لترانی حیث تکره، فقال علیّ و ما أنت و لو أجلبت بخیلک و رجلک اذهب فصوّب و صعّد ما بدا لک فلا أبقی اللّه لک إن أبقیت، فقال شـرجیل بن السّـمط إن کلّمتک فلعمری ما کلامی لک إلاّ نحو کلام صاحبی فهل عنـدک جواب غیر الذی أجبته؟ قال: نعم، قال فقله، فحمد علیّ اللّه و أثنی علیه ثمّ قال أمّا بعد فانّ اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله فانقذ به من الضّلالة و نعش به من الهلکة و جمع به بعد الفرقة، ثمّ قبضه اللّه إلیه و قد أدّی ما علیه فاستخلف النّاس ابا بکر ثمّ

استخلف أبو بكر عمر، فأحسنا السّيرة و عدلا فى الامّة و قد وجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا و نحن آل الرّسول و أحقّ بالأمر فغفرنا ذلک لهما، ثمّ ولى أمر النّاس عثمان فعمل بأشياء عابها النّاس عليه فساء إليه ناس فقتلوه ثمّ أتانى النّاس و أنا معتزل أمرهم فقالوا لى: بايع فأبيت عليهم، فقالوا لى:

بايع فانّ الامّة لا ترضى إلاّ بک و إنّا نخاف إن لم تفعل تفرّق النّاس، فبايعتهم فلم يرعنى إلاّ شقاق رجلين قد بايعا و خلاف معاوية إيّاى الذى لم يجعل اللّه له سابقة فى الدّين و لا سلف صدق فى الاسلام، طليق بن طليق، و حزب من الأحزاب، لم يزل للّه و لرسوله عدوّا هو و أبوه حتّى دخلا فى الاسلام كارهين مكرهين فيا عجبا لكم و لانقيادكم تدعون إلى «اهل» بيت نبيّكم الذين لا ينبغى شقاقهم و لا خلافهم و لا أن تعدلوا به أحدا من النّاس إنّى أدعوكم إلى كتاب اللّه عزّ و جلّ و سنّة نبيكم و إماتة الباطل و إحياء معالم الدّين، أقول قولى هذا و أستغفر اللّه لنا و لكلّ مؤمن و مؤمنة و مسلم و مسلمة.

فقال له شرجيل و معن بن يزيد: أشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فقال: لا أقول ذلک، قالا: فمن لا يشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء، ثمّ قاما فانصرفا فقال علىّ:

«إِنَّکَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَ ما أَنْتَ بِهادِى الْعُمْىِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ».

ثمّ أقبل على أصحابه فقال: لا يكن هؤلاء فى ضلالتهم بأولى بالجدّ منكم فى حقكم و طاعة إمامكم ثمّ مكث النّاس إلى انسلاخ المحرّم فلمّا انسلخ و استقبل النّاس صفرا من سنة سبع و ثلاثين بعث علىّ نفرا من أصحابه حتّى إذا كانوا فى عسكر معاوية بحيث يسمعونهم الصّوت قام مرثدين الحرث (يزيد بن الحارث خ) الخثيمى(1)

1- (1) اراد طلحة و الزبير، منه

فنادى عند غروب الشّمس: يا أهل الشّام إنّ أمير المؤمنين عليا و أصحاب رسول اللّه يقولون لكم: إنّا و اللّه لم نكفّ عنكم شكافى أمركم و لا إبقاء عليكم و إنّما كففنا عنكم لخروج المحرّم، و قد انسلخ، و إنا قد نبذنا إليكم على سواء فانّ اللّه لا يحبّ كيد الخائنين، قال فسار النّاس إلى رؤسائهم و امرائهم.

قال نصر: و أمّا رواية عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى الزّبير أنّ نداء ابن مرثد الخثعمى كانت صورته: يا أهل الشّام ألا إنّ أمير المؤمنين يقول لكم. إنّى قد استأنيت لكم لتراجعوا إلى الحقّ و تنيبوا إليه احتججت عليكم بكتاب اللّه و دعوتكم إليه، فلم تتناهوا عن طغيان، و لم تجيبوا إلى حقّ، فانّى قد نبذت إليكم على سواء إنّ اللّه لا يحبّ الخائنين قال: فسار النّاس إلى رؤسائهم و خرج معاوية و عمرو بن العاص يكتبان الكتائب و يعبآن العسكر، و أوقدوا النّيران و جاءوا بالشّموع و بات علىّ ليلته تلك كلّها يعبى النّاس و يكتب الكتائب و يدور فى النّاس و يحرّضهم قال نصر: فخرجوا أوّل يوم من صفر سنة سبع و ثلاثين و هو يوم الأربعاء فاقتتلوا، و على من خرج يومئذ من أهل الكوفة الاشتر، و على أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالا شديدا جلّ النهار، ثمّ تراجعوا و قد انتصف بعضهم من بعض ثمّ خرج فى اليوم الثانى هاشم بن عتبة فى خيل و رجال حسن عددها و عدتها، فخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمى، فاقتتلوا يومهم ذلک، تحمل الخيل على الخيل و الرجال على الرجال ثمّ انصرفوا و قد صبر القوم بعضهم لبعض و خرج فى اليوم الثّالث عمّار بن ياسر و خرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل النّاس كأشدّ قتال كان، و جعل عمّار يقول: يا أهل الاسلام أ تريدون أن تنظروا إلى من عاد اللّه و رسوله و جاهدهما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فلمّا أراد اللّه أن يظهر دينه و ينصر رسوله أتى إلى النّبى فأسلم و هو و اللّه فيما يرى ذاهب غير راغب، ثم قبض اللّه رسوله، و إنا و اللّه لنعرفه بعداوة المسلم و مودّة المجرم، ألا و إنّه معاوية فقاتلوه و العنوه، فانّه ممن يطفى نور اللّه و يظاهر أعداء اللّه

قال: و كان مع عمّار زياد بن النّضـر على الخيل فأمره أن يحمل فى الخيل فحمل فصبروا له، و شـدّ عمار فى الرّجالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه و رجع النّاس يومهم ذلک.

قال نصـر: و حدّثنى أبو عبد الرّحمن المسعودى، عن يونس الأرقم، عمّن حدّثه من شيوخ بكر بن وائل، قال: كنّا مع علىّ بصفين فرفع عمرو بن العاص شـقة خميصـة سوداء فى رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول اللّه، فلم يزالوا يتحدّثون حتّى وصل ذلک إلى علىّ فقال: أ تـدرون ما هـذا اللّواء إنّ عمرا أخرج له رسول اللّه هذه الشّـقة فقال: من يأخذها بما فيها، فقال عمرو ما فيها يا رسول اللّه؟ فقال: لا تقاتل بها مسـلما و لا تقرّبها من كافر، فأخذها فقد و اللّه قربها من المشـركين و قاتل بها اليوم المسـلمين، و الذى فلق الحبّة و برء النّسمة ما أسلموا و لكنّهم استسـلموا و أسـرّوا الكفر، فلما وجدوا أعوانا أظهروه قال نصـر: فامّا اليوم الرّابع فانّ محمّد بن الحنفية خرج فى جمع من أهل العراق فاخرج إليه معاويـة عبيـد اللّه بن عمر بن الخطاب فى جمع من أهل الشام، فاقتتلوا، ثمّ إنّ عبيد اللّه بن عمر أرسل إلى محمّد بن الحنفية أن اخرج إلىّ ابارزک، فقال: نعم ثمّ خرج إليه فبصـر بهما علىّ عليه السّـلام فقال: من هـذان المتبارزان؟ قيل: محمّد بن الحنفية و عبيد اللّه بن عمر فحرّک دابته ثمّ دعا محمدا إليه فجاءه فقال أمسک و ابى فأمسـكها فمشى راجلا بيده سيفه نحو عبيد اللّه و قال له: ابارزک فهلمّ إلىّ قال: لا ابارزک، ثمّ رجع إلى صـفه فرجع علىّ عليه السّلام فقال ابن الحنفية: يا أبت لم تمنعنى من مبارزته فو اللّه لو تركتنى لرجوت أن أقتله، قال: يـا بنىّ لو بـارزته أنـا لقتلته و لو بارزته أنت لرجوت لک أن تقتله و ما كنت آمن أن يقتلک، فقال: يا أبت أتبرز بنفسک إلى هـذا الفاسق اللئيم عـدوّ اللّه، و اللّه لو أبوه يسألک المبارزة لرغبت بک عنه قال نصـر: و أما اليوم الخامس فانه خرج فيه عبيد اللّه بن العباس فخرج إليه الوليد بن عقبـة فأكثر من سب بنى عبد المطلب و قال: يا بن عباس قطعتم أرحامكم و قتلتم إمامكم فكيف رأيتم صـنع اللّه بكم لم تعطوا ما طلبتم و لم تدركوا ما أملتم، فأرسل

إليه ابن عباس ابرز إليّ فأبى أن يفعل، و قاتل ابن عباس ذلک اليوم قتالا شديدا ثمّ انصـرفوا و كلّ غير غالب و خرج ذلک اليوم سمرة بن أبرهة بن الصباح الحميرى فلحق بعليّ عليه السّلام فى ناس من قراء أهل الشام ففتّ (1) ذلک فى عضد معاوية و عمرو بن العاص و قال عمرو: يا معاوية إنک تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاله من محمد صلّى اللّه عليه و آله قرابة قريبة و رحم ماسة و قدم فى الاسلام ليس لأحد مثله و قد سار إليک بأصـحاب محمّد المعد و دين و فرسانهم و قرائهم و أشـرافهم و قدمائهم فى الاسـلام، و لهم فى النفوس مهابة و مهما نسيت فلا تنس فانک على الباطل و إنّ عليا على الحقّ فبادر الأمر قبل اضـطرا به عليک، فقام معاوية فى أهل الشام خطيبا و حثهم على القتال فخطب عليّ عليه السّلام أصحابه.

قال نصر: قال أبو (ابن خ) سنان الأسلمى كأنى أنظر إليه متكئا على قوسه و قد جمع أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هم يلونه كانه أحبّ أن يعلم الناس أنّ الصحابة متوافرون معه فقال بعد حمد اللّه و الثناء عليه أما بعد:

فانّ الخيلاء من التجبّر و إنّ النخوة من التكبر و إنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل، الا إنّ المسلم أخ المسلم فلا تنابذوا و لا تجادلوا ألا إنّ شـرايع الدين واحدة و سبله قاصدة، من أخذ بها لحق و من فارقها محق و من تركها مرق، ليس المسلم بالخائن إذا او من، و لا بالمخلف إذا وعـد، و لا الكاذب إذا نطق، نحن أهل بيت الرّحمة، و قولنا الصدق، و فعلنا القصد، و منا خاتم النبيين، و فينا قادة الاسـلام، و فينا حملة الكتاب، أدعوكم إلى اللّه و إلى رسوله و إلى جهاد عدوّه و الشدّة فى أمره و ابتغاء مرضاته و إقام الصـلاة، و ايتاء الزّكاة، و حجّ البيت و صـيام شهر رمضان، و توفير الفىء على أهله

1- (1) يقال فت ذلک فى عضده اضعفه، ق

ألا و إنّ من أعجب العجايب ان معاوية بن أبى سفيان الاموى و عمرو بن العاص السّ ههمى أصبحا يحرّضان على طلب الدّين بزعمهما، و لقد علمتم أنّى لم أخالف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قط، و لم أعصه فى أمر قط، أقيه بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال، و ترعد منها الفرائض بنجدة أكرمنى اللّه سبحانه بها و له الحمد.

و لقد قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و إنّ رأسه لفى حجرى، و لقد و ليت غسله بيدى و حدى يقبله الملائكة المقرّبون معى، و أيم اللّه ما اختلف أمّة بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء اللّه.

قال أبو سنان. فاشهد لقد سمعت عمّار بن ياسر يقول: أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم إنّ الامة لم تستقم عليه أوّلا، و لن تستقيم عليه آخرا.

قال نصر: قال زيد بن وهب: إنّ عليّا عليه السّ لام قال فى هذه اللّيلة: حتّى متى لا نناهض القوم بأجمعنا، فقام فى النّاس عشيّة الثلثاء بعد العصر فقال:

الحمد للّه الذى لا يبرم ما نقض، و لا ينقض ما أبرم، و لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الامة، و لا من خلقه، و لا تنازع البشر فى شىء من أمره، و لا ـ جحد المفضول ذا الفضل فضله، و لقد ساقتنا و هولاء القوم الأقدار حتّى لفّت بيننا فى هذا الموضع و نحن من ربّنا بمرئى و مسمع، و لو شاء لعجل النقمة و لكان منه التّغير حتّى يكذب اللّه الظالم و يعلم الحقّ أين مصيره، و لكنّه جعل الدّنيا دار الأعمال، و جعل الآخرة دار الجزاء و القرار، ليجزى الذين أساؤا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

ألاّ إنّكم لاقوا العدّو غدا إنشاء اللّه فأطيلوا اللّيلة القيام، و أكثروا تلاوة القرآن، و اسألوا اللّه الصّبر و النّصر، و القوهم بالجدّ و الحزم، و كونوا صادقين.

قال: فوثب النّاس إلى رماحهم و سيوفهم و نبالهم يصلحونها، و خرج عليه السّلام فعبى النّاس ليلته تلك كلها حتّى أصبح، و عقد الألوية و أمر الامراء و بعث إلى أهل الشّام مناديا ينادى اغدوا على مصافكم، فضجّ أهل الشّام فى معسكرهم و اجتمعوا إلى معاوية فعبى خيله و عقد ألويته و أمر امرائه و كتب كتائبه، و كان أهل الشّام

أكثر من أهل العراق بالضّعف، و نصب لمعاوية منبر فقعد عليه فی قبّة ضـربها ألقی علیها الثیاب و الارائک و أحاط به أهل الیمن، و قال لا تقربنّ هذا المنبر أحد لا تعرفونه إلاّ قتلتموه کائنا من کان.

ثمّ تنـاهض القوم سـادس صـفروا قتلوا إلی آخر نهارهم و انصـرفوا عنـد المساء و کلّ غیر غالب، فأما الیوم السّابع فکان القتال فیه شدیـدا و الخطب عظیمـا، و کـان عبـد اللّه بن بـدیل الخزاعی علی میمنـة العراق، فزحف نحو حبیب بن مسـلمة و هو علی مسـیرة أهـل الشّام حتّی اضطرهم إلی قبّة معاویة وقت الظهر.

قال نصـر: و حدّثنا عمر بن سـعد عن عبد الرّحمن بن أبی عمرو عن أبیه أنّ علیّا خطب هذا الیوم فقال: معاشـر النّاس استشـعروا الخشـیة و تجلببوا السّکینة إلی آخر ما مر فی المتن.

و روی نصر باسناده المذکور أیضا أنّه خطب ذا الیوم و قال: أیّها الناس إنّ اللّه تعالی ذکره قد دلکم علی تجارة تنجیکم من العذاب، و تشفی بکم علی الخیر، ایمـان بـاللّه و رسوله و جهـاد فی سبیله، و جعـل ثوابه مغفرة الـذّنوب و مسـاکن طیّبـة فی جنـات و رضوان من اللّه أکبر و أخبرکم بالـذی یحبّ فقال: إنّ اللّه یحبّ الـذین یقاتلون فی سبیله صـفّا کأنهم بنیان مرصوص فسووا صـفوفکم کالبنیان المرصوص و قدموا الدراع و أخروا الحاسر(1) و عضّوا علی الأضـراس فانّه أنبا للسّیوف عن الهام، و أربط للجاش و أسکن للقلوب و أمیتوا الأصوات فانّه أطرد للفشـل و اولی بالوقـار و التووا فی أطراف الرّمـاح فـانّه امور للاسـنّة و رایتکم فلا تمیلوها و لا تزیلوها و لا تجعلوها إلاّ بأیـدی شـجعانکم المانعی الذّمار(2) و الصّبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذین یحفون برایتکم و یکتنفونها، یضربون خلفها و أمامها و لا تضیّعوها.

و هلاّ أجزء کلّ أمره مسلم منکم قرنه و واسا أخاه بنفسه، و لم یکل قرنه إلی

1- (1) الحاسر من لا مغفر له و لا درع له و لا جنة له، ق

2- (2) الذمار بالکسر ما یلزمک حفظه و حمایته، ق

أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فكسب بـذلک اللائمة و يأتى به دنائة أنّى هذا و كيف يكون هكذا، هذا يقابل اثنين، و هذا ممسک يده قد خلّى قرنه إلى أخيه هاربـا منه أو قائمـا ينظر إليه، من يفعـل هـذا مقته اللّه فلاـ تعرضوا لمقت اللّه فانّمـا مردّكم إلى اللّه قـال اللّه تعالى لقوم عابهم:

«لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً ».

و أيم اللّه إن فررتم من سيف «اللّه خ ل» العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة فاستعينوا بالصّدق و الصّبر فانّه بعد الصّبر ينزل النصر.

قال نصـر: ثمّ قام قيس بن سـعد و خطب خطبة بليغة حث النّاس فيها على الجهاد، ثمّ قام الاشتر رضـى اللّه عنه بمثل ذلک، و كذا يزيد بن قيس الأرحبى و غيرهم.

و روى عن عمرو بن شـمر، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام، و زيد بن الحسن قالا طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل الشّام، فقال: يا معشر أهل الشّام سوّوا صفوفكم قص الشّارب، و أعيرونا جماجمكم ساعة، فانه قد بلغ الحقّ مقطعه فلم يبق إلاّ ظالم أو مظلوم.

قال نصـر: و أقبل أبو الهثيم بن التّيهان و كان من أصـحاب محمّد صـلّى اللّه عليه و آله بدريّا عقبيّا يسوّى صـفوف أهل العراق و هو يقول: يا معشـر أهل العراق إنّه ليس بينكم و بين الفتـح العاجل إلا ساعـة من النّهار، فارسوا أقـدامكم و سوّوا صـفوفكم و أعيروا ربّكم جماجمكم و استعينوا باللّه ربّكم، و اصبروا إنّ الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين.

قال نصـر: و حدّثنا عمرو بن شـمر، عن جابر، عن الشـعبى أنّ أوّل فارسـين التقيا فى هذا اليوم و هو اليوم السّابع و كان من الأيام العظيمة ذا أهوال شديدة حجر بن عدىّ من أصحاب علىّ عليه السّلام و ابن عمّ حجر المسمّى بحجر أيضا من أصحاب معاوية كليهما

من كندة، فأطعنا برمحهما، و خرج خزيمة الأسدى من عسكر معاوية فضرب حجر ابن عدى ضربة برمحه فحمل أصحاب علىّ عليه السّلام فقتلوا خزيمة و نجى ابن عمّ حجر هاربا فالتحق بصف معاوية، ثمّ برز ثانية فبرز إليه الحكم بن أزهر من أهل العراق فقتله.

ثمّ إنّ عليّا دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان فى يده إلى أهل الشّام، فقال عليه السّلام: من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما فى هذا المصحف؟ فسكت النّاس و أقبل فتى اسمه سعيد فقال: أنا صاحبه، و قال ثانيا: فلم يجبه إلاّ الفتى، فسلّمه إليه، ثمّ أتاهم و ناشدهم و دعاهم إلى ما فيه فقتلوه.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام لعبد اللّه بن بديل: احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة و عليه يومئذ سيفان و درعان، فجعل يضرب قدما و يرتجز فلم يزل يحمل حتّى انتهى إلى معاوية و الذين بايعوه على الموت فأمرهم أن يصمد و العبد اللّه بن بديل، و بعث إلى حبيب بن مسلمة الفهرى و هو فى الميسرة أن يحمل عليه بجميع أصحابه و اختلط النّاس و اصطدم(1) الصّفان ميمنة أهل العراق و ميسرة أهل الشّام.

و أقبل ابن بديل يضرب النّاس بسيفه حتّى أزال معاوية عن موقفه، و جعل ينادى يا ثارات عثمان و إنّما يعنى اخا له قتل و ظنّ معاوية و أصحابه أنّه يعنى عثمان بن عفّان و تراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيرا و أشفق على نفسه و أرسل إلى حبيب بن مسلمة ثانية و ثالثة يستنجده و يستصرخه و يحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة عراق، فكشفها حتّى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مأئة انسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم.

و لجج ابن بديل فى النّاس و صمّم على قتل معاوية و جعل يطلب موقفه حتّى انتهى إليه فنادى معاوية فى الناس و يلكم الصّخرة و الحجارة إذا عجزتم عن السّلاح، فرضخه النّاس بالحجارة حتّى أثخنوه، فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه

1- (1) الصدم ضرب الصلب بمثله و اصطدم الصفان و تصادمو تزاحموا، ق

فجاء معاويـة و عبد اللّه بن عامر حتّى وقفا عليه فالقى عبد اللّه عمامته على وجهه و ترحّم عليه و كان له أخا و صديقا من قبل، فقال معاوية: اكشف عن وجهه فقال: لا و اللّه لا يمثل به و فىّ روح، فقال معاوية: قد وهبناه لک فكشف عن وجهه فقال معاوية:

هذا كبش القويم و ربّ الكعبة اللهمّ أظفرنى بالاشتر النخعى و الأشعث الكندى.

قال نصر فاستعلا أهل الشّام عند قتل ابن بديل على أهل العراق يومئذ و انكشف أهل العراق من قبل الميمنة و اجفلوا اجفالا(1) شديدا فأمر علىّ عليه السّلام سهل بن حنيف فاستقدم ممن كان معه ليرفد الميمنة و يعضدها، فاستقبلهم جموع أهل الشام فى خيل عظيمة فحملت عليهم فالحقتهم بالميمنة، و كانت ميمنة أهل العراق متّصلة بموقف علىّ فى القلب فى أهل اليمن، فلما انكشفوا انتهت الهزيمة إلى علىّ فانصرف يمشى نحو الميسرة.

روى نصر عن زيد بن وهب قال: لقد مرّ علىّ عليه السّلام يومئذ و معه بنوه و إنّى لأرى النبل يمرّ بين عاتقه و منكبه و ما من بنيه إلاّ من يقيه بنفسه فيكره علىّ ذلک فيتقدّم عليه و يحول بينه و بين أهل الشّام و يأخذ بيده إذا فعل ذلک فيلقيه من ورائه، و بصربه أحمر مولى بنى أمية و كان شجاعا، فقال على «لعلى ظ» و ربّ الكعبة قتلنى اللّه إن لم اقتلک، فاقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى علىّ فاختلفا ضربتين فقتله أحمر و خالط عليّا ليضربه بالسّيف فمدّيده عليه السّلام إلى جيب درعه فجذبه عن فرسه، و حمله على عاتقه و اللّه لكأنى أنظر إلى رجلى أحمر يختلفان على عنق علىّ عليه السّلام ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبه و عضديه و شدّ ابنا علىّ عليه السّلام حسين و محمّد، فضرباه بأسيافهما حتّى برد فكأنّى أنظر إلى علىّ قائما و شبلاه يضربان الرّجل حتى إذا أتيا عليه أقبلا على أبيهما و الحسن قائم معه فقال له علىّ: يا بنىّ ما منعک أن تفعل كما فعل أخوک فقال كفيانى يا أمير المؤمنين.

قال ثمّ إنّ أهل الشّام دنوا منه يريدونه و اللّه ما يزيده قربهم منه و دنوّهم سرعة فى مشيه، فقال له الحسن: ما أضرّک لو أسرعت حتّى تنتهى إلى الذين صبروا

1- (1) أى اسرعوا، ق

لعدوک من أصحابک، قال یعنی ربیعة المیسرة فقال علیّ: یا بنیّ إنّ لأبیک یوما لا یبطیء به عنه السّعی و لا یقربه إلیه الوقوف إنّ أباک لا یبالی وقع علی الموت أو وقع الموت علیه.

قال نصر: و روی عمرو بن شمر عن جابر عن أبی إسحاق قال: خرج علیّ یوما من ایّام صفین و فی یده عنزة، فمرّ علی سعید بن قیس الهمدانی فقال له سعید: أما تخشی یا أمیر المؤمنین أن یغتا لک أحد و أنت قریب عدوّک، فقال علیّ علیه السّلام إنه لیس من أحد إلاّ و علیه حفظة من اللّه یحفظونه من أن یتردّی فی قلیب أو یخرب علیه حایط أو تصیبه آفة، فاذا جاء القدر خلّوا بینه و بینه.

قال: و حدّثنا عمرو، عن فضیل بن خدیج، قال لما انهزمت میمنة العراق یومئذ أقبل علیّ نحو المیسرة یرکض لیستلب النّاس و یسوقهم و یأمرهم بالرّجوع نحو الفرغ، فمرّ بالأشتر فقال: یا مالک قال: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال: ائت هؤلاء القوم فقل لهم أین فراکم عن الموت الذی لن تعجزوه إلی الحیاة التی لا تبقی لکم، فمضی الأشتر فاستقبل النّاس منهزمین فقال لهم: الکلمات، فناداهم أیّها الناس أنا مالک بن الحرث، فلم یلتفت أحد منهم إلیه فقال: أیّها النّاس أنا الأشتر، فأقبلت إلیه طائفة و ذهبت عنه طائفة فقال: عضضتم بهن أبیکم، ما أقبح ما قاتلتم الیوم.

أیّها النّاس غضّوا الأبصار و عضّوا علی النّواجذ، فاستقبلوا النّاس بهامکم و شدّوا علیهم شدّة قوم موتورین بآبائهم و أبنائهم و إخوانهم حنفاء علی عدوهم، قد و طنوا علی الموت أنفسهم کیلا یسبقوا بثار إنّ هؤلاء القوم و اللّه لن یقاتلوکم إلاّ عن دینکم لیطفؤوا السّنة و یحیوا البدعة و یدخلوکم فی أمرکم قد أخرجکم اللّه منه بحسن البصیرة، فطیبوا عباد اللّه نفسا بدمائکم دون دینکم، فانّ الفرار فیه سلب العزّ و الغلبة علی الفیء، و ذلّ المحیا و الممات و عار الدّنیا و الآخرة و سخط اللّه و ألیم عقابه ثمّ قال:

أيّها النّاس اخلصوا إلىّ مـذحجا فاجتمعت إليه مذحج فقال عضضـتم بصمّ (1) الجندل و اللّه ما أرضـيتم اليوم ربّكم و لا نصـحتم له فى عدوّه و كيف و أنتم أبناء الحرب و أصـحاب الغارات و فرسان الطراد و حتوف الأقران، و مذحج الطعان الذين لم يكونوا سبقوا بثارهم، و لم تطـل دمـاؤهم و لم يعرفوا فى موطن من المواطن لحين و أنتم سـادة مصـركم و اعرجىّ فى قومكم، و ما تفعلوا فى هـذا اليوم فهو ماثور بعد اليوم فابقوا ماثور الحديث فى غد، و اصدقوا عدوّكم اللقاء فانّ اللّه مع الصّابرين.

و الذى نفسـى بيده ما من هؤلاء و أشار بيده إلى أهل الشّام رجل فى مثل جناح البعوضة من دين اللّه أنتم ما أحسنتم اليوم القراع أجلوا سواد وجهى يرجع فى وجهى ذمى «احبسوا سواد وجهى رجع فيه دمى خ ل» عليكم بهذا السواد الأعظم فانّ اللّه لو قد فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع السّيل مقدمه، فقالوا: خذ بنا حيث احببت فصمد بهم نحو عظمهم و استقبله سنام من همدان و هم نحو ثمانمائة مقاتل قد انهزموا آخر النّـاس و كـانوا قـد صبروا فى ميمنـة علىّ حتّى قتل مأئـة و ثمانون رجلا و اصـيب منهم أحـد عشـر رئيسا كلما قتل منهم رئيس أخـذ الرّاية آخروهم بنو شريح الهمدانيون و غيرهم من رؤساء العشيرة.

فقال لهم الأشتر إنّى احالفكم و اعاقدكم على أن لا نرجع أبدا حتّى نظفر أو نهلك، فوقفوا معه على هذه النية و العزيمة و زحف نحو الميمنة و ناب إليه اناس تراجعوا من أهل الصّبر و الوفاء و الحياء فأخذ لا يصمد لكتيبة إلاّ كشفها، و لا بجمع الا جازه و ردّه.

قال نصـر و حدّثنا عمرو، عن الحرث بن الصّـباح، قال: كان بيد الأشتر يومئذ صـحيفة له يمانية إذا طأطأها خلت فيها ما ينصب، و إذا رفعها يكاد يغشى البصر شعاعها، و هو يضرب بها النّاس قد ما و يقول: الغمرات ثمّ ينجلينا.

قال: فبصر به الحرث بن جمهان الجعفى و الأشتر مقنّع فى الحديد فلم يعرفه

1- (1) حجر اصم و صخرة صماء صلب و الجندل معروفة

فـدنا منه، و قال له: جزاک اللّه منـذ اليوم عن أمير المؤمنين و جماعة المسـلمين خيرا، فعرفه الأشتر فقال: يابن جمهان أمثلک يتخلّف اليوم عن مثل موطنی هـذا؟ فتأمله ابن جمهان فعرفه و كان الأشتر من أطول الرّجال و أعظمهم إلاّ أنّ فی لحمه خفة قليلة، فقال له جعلت فداک، و اللّه ما علمت مكانک حتّی السّاعة لا افارقک حتّی أموت.

قال نصـر: و حـدّثنا عمر عن فضـيل بن خديج، قال: لمّا اجتمع إلی الأشتر معظم من كان انهزم من الميمنة حمل علی صـفوف أهل الشّام حتّی كشفهم فألحقهم بمضارب معاوية، و ذلک بين العصر و المغرب.

و عن زيـد بن وهب أنّ عليّا لما رأی ميمنته قد عادت إلی موقفها و مصافها و كشف من بازائها حتّی ضاربوهم فی مواقفهم و مراكزهم، أقبل حتّی انتهی اليهم فقـال إنّی قـد رأيت جولتكم و انحيـازكم من صـفوفكم يحوزكم الجفـاة الطغـاة «الطعام خ ل» و اعراب أهل الشّام و أنتم لهـاميم العرب و السّـنام الأـعظم و اعمـار الليل بتلاوة القرآن و أهل دعوة الحقّ إذ ضل الخاطئون فلو لا إقبالكم بعـد إدباركم و كرّكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب علی المولی يوم الزّحف دبره و كنتم فيما أری من الهالكين.

و لقـد هون علیّ بعض و جـدی و شـفا بعض وجع نفسـی أنی رأيتكم بـاخره حزتموه كمـا حـازوكم و أزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تحسّونهم(1) بالسّـيف يركب أوّلهم و آخرهم كالابـل المطرودة الهيم فالآـن فـاصبروا نزلت عليكم السّـكينة و ثبتكم اللّه بـاليقين و ليعلم المنهزم أنّه يسخط ربّه و يوبق نفسه و فی الفرار موجدة اللّه عليه و الذّل اللاّزم له و فساد العيش، و أنّ الفار لا يزيد الفرار فی عمره و لا يرضی ربّه، فموت الرّجل محقّا قبل اتيان هذه الخصال خير من الرّضا بالتّلبس بها و الاصرار عليها.

قال نصر: فحمل أبو الكعب الخثعمی رأس خثعم العراق علی خثعم الشّام

1- (1) الحس القتل و الاستيصال.

و اقتتلوا قتالا شديدا، فجعل أبو كعب يقول لأصحابه يا معشر خثعم خدموا أى اضربوا موضع الخدمة و هى الخلخال، يعنى اضربوهم فى سوقهم فناداه عبد اللّه بن حنش رأس خثعم الشّام يا با كعب الكلّ قومک فانصف، قال أى و اللّه و أعظم و اشتدّ قتالهم فحمل شمر «شمس خ ل» بن عبد اللّه الخثعمى على أبى كعب فطعنه فقتله.

ثمّ انصرف يبكى و يقول: يرحمک اللّه أبا كعب لقد قتلتک فى طاعة قوم أنت أمس بى رحما منهم و أحبّ إلى منهم نفسا و لكنى و اللّه ما أدرى ما أقول و لا أرى الشيطان إلاّ قد فتننا، و لا أرى قريشا إلاّ و قد لعبت بنا، فوثب كعب بن ابى كعب إلى راية أبيه فأخذها ففقئت عينه و صرع، ثمّ أخذها شريح بن مالک الخثعمى فقاتل القوم تحتها حتّى صرع منهم حول رايتهم ثمانون رجلا و اصيب من خثعم الشّام مثلهم ثمّ ردّها شريح بن مالک إلى كعب بن أبى كعب.

قال نصر: إنّ راية بحيلة فى صفين مع أهل العراق كانت فى أخمس مع ابى شداد قيس بن المكسوخ، قالت البحيلة لأبى شدّاد: خذ رايتنا، فقال: غيرى خير لكم منّى قالوا: لا نريد غيرک، قال: فو اللّه لئن اعطيتمونيها لانتهى بكم دون صاحب التّرس المذهب.

قالوا: و كان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهّب يستره من الشّمس فقالوا اصنع ما شئت فأخذها ثمّ زحف بها و هم حوله يضربون النّاس بأسياف حتى انتهى إلى صاحب التّرس المذهب و هو فى خيل عظيمة من أصحاب معاوية، و كان عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد، فاقتتل النّاس هناک قتالا شديدا و شدّ أبو شدّاد بسيفه نحو صاحب التّرس فعرض له رومى من دونه لمعاوية فضرب قدم أبى شدّاد فقطعها، و ضرب أبو شدّاد ذلک الرّومى فقتله، و أسرعت إليه الأسنة، فقتل، فاخذ الرّاية عبد اللّه بن قلع الأخمس و قاتل حتّى قتل، فأخذها بعده أخوه عبد الرّحمن بن قلع فقاتل حتّى قتل، ثمّ أخذها عفيف بن أياس الأخمس، فلم تزل بيده حتّى تحاجز النّاس.

قال نصر: و قال رجل من أصحاب علىّ أما و اللّه لأحملن على معاوية حتّى

أقتله. فركب فرسا ثمّ ضربه حتّى قام على سنابكه، ثمّ دفعه فلم ينهنهه شيء عن الوقوف حتّى وقف على رأس معاوية، فهرب معاوية و دخل خبائه فنزل الرّجل عن فرسه و دخل عليه فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر فخرج الرّجل فى اثره فاستصرخ معاوية بالنّاس فأحاطوا به و حالوا بينهما فقال معاوية و يحكم انّ السيوف لم يؤذن لها فى هذا و لو لا ذلک لم تصل إليكم فعليكم بالحجارة فرضخوه بالحجارة حتّى همد(1) ثمّ عاد معاوية إلى مجلسه.

قال: و حمل رجل من أصحاب علىّ عليه السّلام يدعى أبا أيوب، و ليس بأبى أيوب الأنصارى على صفّ أهل الشّام، ثمّ رجع فوافق رجلا من أهل الشّام صادرا قد حمل على أهل العراق، ثمّ رجع فاختلفا ضربتين فنفحه أبو أيوب بالسّيف فأبان عنقه فثبت رأسه على جسده كما هو، و كذّب النّاس أن يكون هو ضربه فارى بهم ذلک حتى إذا أدخلته فرسه فى صف اهل الشّام بدر راسه فوقع ميّتا.

فقال علىّ عليه السّلام و اللّه لأنا من ثبات رأس الرّجل أشدّ تعجبا من الضّربة و ان كان إليها ينتهى وصف الواصفين، و جاء أبو أيوب فوقف بين يدى علىّ عليه السّلام فقال له أنت و اللّه كما قال الشّاعر:

و علّمنا الضرب آباؤنا و نحن نعلّم أيضا بنينا

قال نصر: فلما انقضى هذا اليوم بما فيه أصبحوا فى اليوم الثامن من صفر و الفيلقان متقابلان، فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة فخرج اليه رجل من أهل العراق فاقتتلا بين الصفين قتالا شديدا، ثمّ إن العراقى اعتنقه فوقعا جميعا و غار الفرسان ثمّ إن العراقى قهره فجلس صدره و كشف المغفر عنه يريد ذبحه فاذا هو أخوه لابيه و امّه، فصاح به أصحاب علىّ و يحک اجهز عليه، قال انه أخى، قالوا: فاتركه، قال: لا و اللّه حتّى يأذن أمير المؤمنين، فاخبر علىّ بذلک فأرسل إليه أن دعه فتركه فقام فعاد إلى صفّ معاوية.

قال نصر: و حدّثنا محمّد بن عبيد اللّه عن الجرجانى قال: كان فارس معاوية الذى

1- (1) الهمود الموت ق.

يعدّه لكلّ مبارز و لكلّ عظيم حريث مولاه، و كان يلبس سلاح معاوية متشبّها به فاذا قاتل قال النّاس ذاک معاوية و إنّ معاوية دعاه فقال له: يا حريث اتّق عليّا وضع رمحک حيث شئت، فأتاه عمرو بن العاص فقال: يا حريث و اللّه لو كنت قرشيا لأحبّ لک معاوية أن تقتل عليّا، و لكن كره أن يكون لک حظها فان رأيت فرصة فاقتحم و خرج علىّ فى هذا اليوم أمام الخيل فحمل عليه حريث.

قال نصر: فحدّثنى عمرو بن شمر عن جابر قال: بل برز حريث هذا اليوم و كان شديدا ايدا ذا بأس لا يرام فصاح يا على هل لک فى المبارزة فاقدم أبا حسن ان شئت، فأقبل علىّ عليه السّلام و هو يقول:

أنا علىّ و ابن عبد المطلب نحن لعمر اللّه اولى بالكتب

منّا النّبى المصطفى غير كذب اهل اللواء و المقام و الحجب

نحن نصرناه على كلّ العرب

ثمّ خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة فقطعه نصفين فجزع معاوية عليه جزعا شديدا و عاتب عمرا فى إغرائه إيّاه بعلىّ و قال فى ذلک شعرا:

حريث أ لم تعلم و جهلک ضاير بأنّ عليّا للفوارس قاهر

و انّ عليا لم يبارزه فارس من النّاس الاّ أقصدته الأظافر

أمرتک أمرا حازما فعصيتنى فحدّک اذ لم تقبل النّصح حائر

و ولاّک عمرو و الحوادث جمة غرورا و ما جرّت عليک المقادر

و ظنّ حريث أنّ عمرا نصيحه و قد يهلک الانسان من لا يحاذر

قال نصر فلما قتل حريث برز عمرو بن الحصين السكسكى فنادى يا أبا حسن هلمّ إلى المبارزة فأومأ علىّ إلى سعيد بن قيس الهمدانى فبارزة فضربه بالسّيف فقتله.

قال نصر: و كان لهمدان بلاء عظيم فى نصرة علىّ عليه السّلام فى صفين و من الشّعر الذى لا يشكّ انّه قاله لكثرة الرّواة له:

دعوت فلبّانى من القوم عصبة فوارس من همدان غير لئام

فوارس من همدان ليسوا بمعزل غداة الوغا من يشكر و شبام

بکل رویني(1) و عضب تخاله اذا اختلف الاقوام شعل ضرام

لهمدان اخلاق کرام تزینهم و باس اذا لاقوا و حدّ خضام(2)

و جدّ و صدق فی الحروب و نجدة و قول اذا قالوا بغیر اثام

متی تاتهم فی دارهم تستضیفهم تبت ناعما فی خدمة و طعام

جزی اللّه همدان الجنان فانّها سهام العدی فی کلّ یوم زحام

و لو کنت بوابا علی باب جنّة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام(3)

1- (1) الرویني الرمح المنسوب الی روینة اسم امرئة و العضب الضرب و الطعن.

2- (2) السیف القاطع

3- (3) الاشعار فی الدیوان هکذا و لما رایت الخیل تقرع بالقنافوارسها حمر العیون دوامیو اقبل رهج فی السماء کانهغمامة و جن ملبس بقتامو نادی ابن هند ذا الکلاع و یحصباو کندة فی لخم و حیّ جذامتیممت همدان الذین هم هماذا ناب امر جنّتی و سهامیو ناديت فیهم دعوة فاجابنیفوارس من همدان غیر لئامفوارس من همدان لیسوا بعزلغداة الوغا من یشکر و شبامو من ارحب الشم المطاعین بالقناو رهم و احیاء السبیع و یامو من کل حیّ قد اتتنی فوارسذو و نجدات فی اللقاء کرامبکل رویني و عضب تخالهاذا اختلف الاقوام شعل ضرامیقودهم حامی الحقیقة منهمسعید بن قیس و الکریم محامیفخاضوا لظاها و اصطلوا بشرارهاو کانوا لدی الهیجا کشرب مدامجزی اللّه همدان الجنان فانهمسهام العدی فی کلّ یوم خصاملهمدان اخلاق و دین یزینهمو لین اذا لاقوا و حسن کلاممتی تاتهم فی دارهم لضیافةتبت عندهم فی غبطة و طعاماناس یحبون النبیّ و رهطهسراع الی الهیجاء غیر کهاماذا کنت بوابا علی باب جنةلقلت لهمدان ادخلوا بسلام «4 - الدوامی الملطخ بالدم.5 - الغبار الاسود.6 - یحصب و لخم و جذام قبایل.7 - ای قصدت.8 - العزل جمع الاعزل الذی لا سلاح معه 9 - یشکر بضم الکاف و شبام بالکسر»

قال نصر: فحدّثنی عمرو بن شمر قال: ثمّ قام علیّ بین الصّفین و نادی یا معاویة یکرّرها، فقال معاویة اسألوه ما شأنه، قال: أحبّ أن یظهر لی فأکلّمه کلمة واحدة، فبرز معاویة و معه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم یلتفت إلی عمرو و قال لمعاویة: و یحک علی م تقتل النّاس بینی و بینک و یضرب بعضهم بعضا ابرز إلیّ فأیّنا قتل صاحبه فالأمر له فالتفت معاویة إلی عمرو فقال: ما تری یا أبا عبد اللّه؟ قال: قد أنصفک الرّجل و اعلم أنّک إن نکلت عنه لم تزل مسبته علیک و علی عقبک ما بقی علی ظهر الأرض عربیّ فقال معاویة: یا بن العاص لیس مثلی یخدع عن نفسه و اللّه ما بارز ابن أبی طالب شجاع قط إلاّ و سقی الارض من دمه، ثمّ انصرف معاویة راجعا حتی انتهی إلی آخر الصّفوف و عمرو معه، فلمّا رأی علیّ ذلک ضحک و أعاد إلی موقفه قال نصر: و فی حدیث الجرجانی انّ معاویة قال لعمرو: و یحک ما أحمقک تدعونی إلی مبارزته و دونی عکّ و خدّام و الأشعرون، قال: و حقدها معاویة علی عمرو باطنا و قال له ظاهرا ما أظنّک یا أبا عبد اللّه قلت ما قلته إلاّ مازحا، فلمّا جلس معاویة علیه اللعنة و العذاب مجلسه أقبل عمرو یمشی حتّی جلس إلی جانبه، فقال معاویة:

و لقد ظننتک قلت مزحة مازح و الهزل یحمله مقال الهازی

ما ذا الذی منتک نفسک خالیا قتلی جزیت بما نویت الجازی

فقال: عمرو: ایّها أیّها الرّجل أتجبن عن خصمک و تتّهم نصیحک و قال مجیبا له:

معاوی ما اجترمت علیک ذنبا و لا أنا فی الذی حدّثت خازی

و ما ذنبی بأن نادی علیّ و کبش القوم یدعی للبراز

و لو بارزته بارزت ليثا حديد النّاب يخطب كلّ باز

و تزعم أنّنى أضمرت غشّا جزانى بالذى أضمرت جازى

و فى البحار من تفسير العياشى عن أبى الأعزّ التّميمى قال: بينا أنا واقف بصفّين إذ مرّ بى العبّاس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب شاك فى السّلاح على رأسه مغفر و بيده صحيفة يمانيّة يقلّبها و هو على فرس له أدهم و كان عينيه عينا أفعى، فبينا هو يروض فرسه و يلين عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشّام يقال له عرار بن أدهم: يا عبّاس هلمّ إلى البراز، قال: فالنّزول اذن فانّه اياس من الغفول، قال فنزل الشّامى و وجد و هو يقول:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فانّا معشر نزل

قال و ثنى عباس رجله و هو يقول:

و يصدّ عنک مخيلة(1) الرّجل العرّيض موضحة عن العظم

بحسام سيفک أو لسانک و الكلم الاصيل كارعب الكلم

ثمّ عصب(2) فضلات درعه فى حجزته و دفع فرسه إلى غلام له اسلم كانّى انظر إلى قلاقل(3) شعره و دلف(4) كلّ واحد منهما إلى صاحبه قال فذكرت قول أبى ذويب:

فتنازلا و توافقت خيلاهما و كلاهما بطل اللقاء مجدع

قال ثمّ تكافحا(5) بسيفهما مليّا(6) من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لامته

1- (1) المخيله الظن و الكبر و العريض كسكيت من يتعرض للناس بالشّر راى يمنع عنک ظنّ المتعرّض للشرّ و كبره و خيلاءه ضربة او شجة موضحة عن العظم او كلام بلسانک فان الكلام الاصيل فى التأثير كارغب الكلم اى الجرح، بحار

2- (2) العصب الطى الشديد

3- (3) القلاقل بالضم السريع التحرک

4- (4) الدلف المشى بتثاقل

5- (5) التكافح هو الاستقبال فى الحرب بالوجه ليس دونه ترس

6- (6) اى ساعة طويلة

إلى أن لحظ العبّاس و هنا فى درع الشّامى فأهوى إليه بالسّيف فانتظم فى درع الشّامى فاهوى إليه بيده فهتكه إلى ثندوته(1) ثمّ عاد لمجادلته و قد اصحر له(2) مفتق الدّرع فضربه العبّاس ضربة انتظم به جوانح صدره و خرّ الشّامى صريعا بخدّه و سمى العبّاس فى النّاس و كبّر النّاس تكبيرة ارتجّت لها الأرض فسمعت قائلا يقول من ورائى.

«قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبُ اللّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ » فالتفت فاذا هو أمير المؤمنين علىّ فقال: يا أبا الأعزّ من المبارز لعدوّنا؟ قلت:

هذا ابن (شيخكم خ ل) العبّاس بن ربيعة فقال و إنّه لهو يا عبّاس، قال: لبّيک قال: ألم انهک و حسنا و حسينا و عبد اللّه بن جعفر أن تخلوا بمركز أو تباشروا حدثا؟ قال: إنّ ذلک لكذلک قال: فما عدا ممّا بدا، قال: أ فأدعى إلى البراز يا أمير المؤمنين فلا أجيب جعلت فداک؟ قال: نعم طاعة إمامک أولى من اجابة عدوّک، ودّ معاوية أنّه ما بقى من بنى هاشم نافخ ضرمة(3) إلاّ طعن فى نيطته(4) إطفاء لنور اللّه «وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ ».

أما و اللّه ليهلكنّهم منّا رجال و رجال يسومونهم الخسف(5) حتّى يكفّفوا(6) بأيديهم

1- (1) الثندوة كسنبلة لحم الندى

2- (2) اى اتسع

3- (3) الضرمة بالتحريک النار و هذا يقال عند المبالغة فى الهلاک لانّ النار ينفخها الصغير و الكبير و الذكر و الانثى اى ما بقى احد منهم

4- (4) النيطة نياط القلب و هو العرق الذى بالقلب متعلق به، بحار

5- (5) الخسف اى الذل منه

6- (6) استكف و تكفف بمعنى و هو ان يمد كفّه يسأل الناس.

و يحفروا الآ بار إن عادوا لک فعـدلی، قال: و نمی الخبر إلی معاویـة فقال: اللّه دم عرار ألا رجل یطلب بـدم العرار؟ قال: فانتدب له رجلان من لخم فقالا ـ نحن له قـال: اذهبـا فایّکما قتل العبّاس برازا فله کـذا و کـذا، فأتیاه فـدعواه إلی البراز فقال: إنّ لی سـیّدا اوامره قال: فاتی أمیر المؤمنین علیه السّلام فأخبره فقال: ناقلنی سلاحک بسلاحی، فناقله قال:

و رکب أمیر المؤمنین علیه السّـلام علی فرس العبّـاس، و دفع فرسه إلی العبّاس و برز إلی الشّامیین فلم یشـکّا أنّه العبّاس، فقالا له: أذن لک سیّدک فتحرّج أن یقول نعم فقال «أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ ».

قال: فبرز إلیه أحدهما فکانّما اختطفه، ثمّ برز إلیه الثّانی فألحقه بالأوّل و انصرف و هو یقول:

«اَلشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدی عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدی عَلَیْکُمْ ».

ثمّ قال: یا عبّاس خذ سلاحک و هات سلاحی قال: و نمی الخبر إلی معاویة فقال:

قبّح اللّه اللجاج إنّه لقعود ما رکبته قط إلاّ خذلت، فقال عمرو بن العاص، المخذول و اللّه اللخمیان لا أنت، قال: اسـکت أیّها الشّـیخ فلیس هذه من ساعاتک قال: فان لم یکن فرحم اللّه اللخمیّین و ما أراه یفعل قال: ذلک(1) و اللّه أضیق لحجرک و أخسر لصفقتک قال: أجل و لو لا مصر لقد کانت المنجاة منها، فقال: هی و اللّه أعمتک لولاها لا ألفیت نصیرا.

و رواه فی شرح المعتزلی من کتاب عیون الأخبار لابن قتیبة بأدنی تغییر قال نصر: ثمّ التقی النّاس فاقتتلوا قتالا شدیدا و حاربت طیّ مع أمیر المؤمنین حربا عظیما و تـداعت و ارتجزت فقتل منها أبطال کثیرون، و قاتلت النّخع معه أیضا ذلک الیوم قتالا شدیـدا و قطعت رجل علقمة بن قیس النّخعی و قتل اخوه ابیّ بن قیس فکان علقمة یقول بعد ما احبّ انّ رجلی أصحّ ما کانت لما أرجو بها من حسن الثّواب

1- (1) ای اقرارک ببطلان أمرنا یضیق الامر علیک و یجعل صفقتک خاسرة بائرة، بحار

و كـان يقول أحبّ أن ا بصـراخى فى نومى فرأيته فقلت له: يـا أخى ما الـذى قـدمتم عليه؟ فقال: التقينا و أهل الشّام بين يـدى اللّه سـبحانه فاحتججنا عنـده فحججناهم، فما سـررت بشـىء منذ عقلت سـرورى بتلک الرّؤيا و روى نصـر عن الحصـين بن المنذر الرّقاشـى قال: لمّا تصاف النّاس فى هذا اليوم و حمل بعضـهم على بعض تضعضعت ميمنة أهل العراق فجاءنا علىّ و معه بنوه حتّى انتهى الينا، فنادى بصوت عال جهير لمن هـذه الرّايات؟ فقلنا: رايات ربيعة، و قال: بل هى رايات اللّه عصم اللّه أهلها و صبّرهم و ثبّت أقدامهم، ثمّ قال لى و أنا حامل رايـة ربيعـة يومئـذ: يافتى ألا تدنى رايتک هذه ذراعا؟ فقلت بلى: و اللّه و عشـرة أذرع فأدنيتها فقال لى: حسـبک مكانک قال نصـر: و حدّثنا عمرو بن شمر قال: لما أقبل الحصين بن المنذر يومئذ و هو غلام يزحف براية ربيعة و كانت حمراء فأعجب عليّا زحفه و ثباته فقال:

لمن راية حمراء يخفق ظلّها إذا قيل قدّمها حصين تقدّما

و يدنو بها فى الصّفّ حتّى يديرها جمام المنايا تقطر الموت و الدّما

تراه إذا ما كان يوم عظيمة أبى فيه إلاّ عزّة و تكرّما

جزى اللّه قوما صابروا فى لقائهم لدى النّاس خيرا ما أعزّ و أكرما

و أحزم صبرا يوم يدعى إلى الوغا إذا كان أصوات الكماة تغمغما

ربيعة أعنى أنّهم أهل نجدة و بأس اذا لا قوا خميسا غرمرما

و قد صبرت عكّ و لخم و حمير لمذحج حتّى لم يفارق دم دما

و نادت جذام يا لمذحج ويحكم جزى اللّه شرّا أيّنا كان أظلما

أما تتّقون اللّه فى حرماتكم و ما قرّب الرّحمن منها و عظّما

أذقنا ابن حرب طعننا و ضرابنا بأسيافنا حتّى تولّى و أحجما

و فرّ ينادى زبرقان بن أظلم و نادى كلاعا و الكريث و الغما

و عمرا و سفيانا وجهما و مالكا و حوشب و الغازى شريحا و اظلما

و كرز بن تيهان و عمرو بن جحدد و صبّاحا القينى يدعو و أسلما

(1) قال نصر: و أقبل ذو الكلاع فى حمير و من لف لفها و معهم عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فى أربعة آلاف من قرّاء أهل الشّام ذو الكلاع فى حمير فى الميمنة، و عبيد اللّه فى القرّاء فى الميسرة، فحملوا على ربيعة و هم فى ميسرة أهل العراق و فيهم عبد اللّه ابن العبّاس حملة شديدة فتضعضعت رايات ربيعة ثمّ إنّ أهل الشّام انصرفوا فلم يمكثوا إلاّ قليلا حتّى كرّوا ثانية و عبيد اللّه بن عمر فى أوائلهم يقول: يا أهل الشّام هذا الحىّ من العراق قتلة عثمان و أنصار علىّ فان هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثاركم فى عثمان فشدّوا على النّاس شدّة عظيمة فثبتت لهم ربيعة و صبرت صبرا حسنا الاّ قليلا من الضّعفاء و اشتدّ القتال بين ربيعة و حمير و عبيد اللّه بن عمرو كثرت القتلى ثمّ خرج خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب علىّ على رءوسهم البيض، و هم

1- (1) الابيات فى الديوان هكذا لنا الراية السوداء يخفق ظلّهااذا قيل قدّمها حصين تقدّمافيوردها فى الصف حتى يزبرهاحياض المنايا تقطر الموت و الدماتريه اذا ما كان يوم كريهةالى فيه الا عزّة و تكرّماو اجمل صبرا حين يدعى الى الوغااذا كان اصوات الرجال تغمغماو قد صبرت عكّ و لخم و حميرلمذحج حتى أورثوها التندّماو نادت جذام بالمذحج ويحكمجزى اللّه شرا اينا كان اظلماما تتقون اللّه فى حرماتناو ما قرّب الرحمن منا و عظّماجزى اللّه قوما قاتلوا فى لقائهملدى الموت قدما ما اعزّ و اكرماربيعة اعنى انهم أهل نجدةو بأس اذا لاقوا خميسا عرمرماذقنا ابن هند طعننا و ضرباباسيافنا حتى تولّى و احجماو ولّى ينادى زبرقان بن ظالمو ذا كلع يدعو كريبا و انعماو عمرا و نعمانا و بسرا و مالكاو حوشب و الداعى معاد و اظلماو كرز بن تيهان و ابنى محرقو حرثا و قينيا عبيدا و ظلما

غـائصون فى الحديـد لاـ يرى منهم إلاّ الحـدق، و خرج اليهم من أهـل الشّام نحوهم فى العـدّة فاقتتلوا بين الصـفين و النّاس وقوف تحت راياتهم، فلم يرجع من هؤلاء مخبر لا عراقىّ و لا شامىّ قتلوا جميعا بين الصـفّين، و كان بصـفّين تلّ يلقى عليه الجماجم من الرّجال يدعى تلّ الجماجم قال نصر: ثمّ ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا من اليوم التّاسع من صفر، و قد خطب معاوية أهل الشّام و حرّضهم فقال: إنّه قد نزل من الأمر ما ترون و حضـركم ما حضـركم فاذا نهـدتم اليهم انشاء اللّه فقدّموا الدّارع و أخّروا الحاسـر و صـفّوا الخيل و أجنبوها و كونوا كقصّ الشّـارب و أعيرونا جماجمكم ساعـة فانّما هو ظالم أو مظلوم و قـد بلغ الحقّ مقطعه قال: و كانت التّعبيـة فى هـذا اليوم كالتّعبيـة فى الـذى قبله، فحمـل عبيـد اللّه بن عمر فى قرّاء أهل الشّام و معه ذو الكلاع فى حمير على ربيعـة و هى ميسـرة علىّ عليه السّـلام فقاتلوا قتالا شديـدا فاتى زياد بن حفصـة الى عبد القيس فقال لهم: لا يكوننّ وائل بعد اليوم انّ ذا الكلاع و عبيد اللّه أباد ربيعة فانهضوا لهم و الاّ هلكوا، فركبت عبد القيس و جاءت كانّها غمامة سوداء فشدّت ازار الميسـرة فعظم القتال فقتل ذو الكلاع الحميرى قتله رجل من بكر بن وائل اسمه خنـدف، و تضعضـعت أركان حمير و ثبتت بعـد قتل ذى الكلاع تحارب مع عبيـد اللّه بن عمر و أرسل عبيد اللّه إلى الحسن بن علىّ عليه السّـلام أنّ لى إليک حاجة فألقنى فلقاه الحسن عليه السّـلام فقال عبيد اللّه: إنّ أباک قد وتر قريشا أوّلا و آخرا و قد شـنئه النّاس فهل لک فى خلعه و ان تتولى أنت هذا الأمر: فقال: كلاّ و اللّه لا يكون ذلک، ثمّ قال. يابن الخطاب و اللّه لكانّى أنظر إليک مقتولا فى يومک أو غدک أما إنّ الشيطان قد زيّن لک و خدعک حتّى أخرجک مخلقا بالخلوق ترى نساء أهل الشّام موقفک و سيصرعک اللّه و يبطحک لوجهک قتيلا.

قال نصر: فو اللّه ما كان إلاّ بياض ذلک اليوم حتّى قتل عبيد اللّه و هو فى كتيبة

رقطاء(1) و كانت تـدعى الخضـرية و كانوا أربعة الف عليهم ثياب خضـر، فمرّ الحسن فاذا رجل متوسد رجل قتيل قد ركز رمحه فى عينه و ربط فرسه برجله فقال الحسن لمن معه: انظروا من هـذا فاذا رجل من همدان و إذا القتيل عبيد اللّه بن عمر قد قتله الهمدانى فى أوّل الليل و بات عليه حتّى أصبح.

قال نصـر: و قـد اختلفت الرّواة فى قاتل عبيـد اللّه فقالت الهمـدان: نحن قتلناه قتله هانى بن الخطاب الهمدانى، و قالت حضـر موت: نحن قتلناه قتله محرز بن الصّحصح، و روى أنّ قاتله حريث بن جابر الحنفى و كان رئيس بنى حنيفة يوم صفين.

قال نصـر: فأتى ذا الكلاع فقد ذكرنا مقتله و أنّ قاتله خندف البكرى، و روى عمرو بن شـمر عن جابر قال حمل ذا الكلاع ذلک اليوم بالفيلق العظيم من حمير على صـفوف العراق، ناداهم أبو شـجاع الحميرى و كان من ذوى البصاير مع علىّ عليه السّلام فقال: يا معشر حمير تبّت أيديكم أ ترون معاوية خيرا من علىّ أضلّ اللّه سعيكم، ثمّ أنت يا ذا الكلاع قد كنّا نرى لانّ لک نيّة فى الدّين فقال ذا الكلاع ايها يابا شجاع و اللّه إنّى لأعلم ما معاويـة بأفضل من علىّ، و لكنّى اقاتل على دم عثمان، قال فاصـيب ذو الكلاع حينئـذ قتله خندف فى المعركة. قال معاوية لما قتل ذو الكلاع: لانا أشدّ فرحا بقتل ذى الكلاع منّى بفتح مصر لو فتحها، لأنّ ذا الكلاع كان يحجز على معاوية فى أشياء كان يأمر بها.

قال نصـر: فلما قتل ذو الكلاع اشـتدّت الحرب و شدّعكّ و لخم و خدام «جذام» و الأشـعريون من أهل الشّام على مذحج من أهل العراق جعلهم معاويـة بازائهم فنادى منادى مذحـج بالمذحج خدموا أى اضـربوا مواضع الخدمة(2) و هى السّوق فاعترضت مذحـج سوق القوم فكان فيه بوار عامتهم.

قال نصـر: حدّثنى عمرو بن الزبير قال: سمعت الحصين المنذر يقول أعطانى علىّ ذلک اليوم راية ربيعة و قال: بسم اللّه سريا حصين و اعلم أنّک لا تخفق على رأسک

1- (1) الرقطة سواد يشوبه بياض او بالعكس.

2- (2) اى الخلخال.

رایـة مثلها أبـدا، هـذه راية رسول اللّه فجاء أبو عرفا. جبلة بن عطية الذّهلى إلى الحصـين و قال: هل لک أن تعطينى الرّاية أحملها لک ذكرها ولى أجرها؟ فقال الحصـين: و ما غنا يا عم مع ذكرها. عن أجرها قال: إنّه لا غنى بک عن ذلک و لكن أعرها ساعة فما أسـرع ما ترجع إليک، قال الحصين: فقلت انّه قد استقبل و انّه يريد أن يموت مجاهدا فقلت له: خذها فأخذها ثمّ قال لأصحابه:

إنّ عمل الجنّة كره كلّه و ثقيل، و إنّ عمل النّار خفّ كلّه و خبيث إنّ الجنّة لا يدخلها إلاّ الصابرون الذين صبروا أنفسـهم على فرائض اللّه و أو امره و ليس شـىء ممّا فرض اللّه على العباد أشـدّ من الجهاد هو أفضل الأعمال ثوابا عند اللّه، فاذا رأيتمونى قد شددت فشدّوا ويحكم أما تشـتاقون إلى الجنّـة أما تحبون أن يغفر اللّه لكم فشدّوا معه و قاتلوا قتالا شديدا فقتل أبو عرفاء و شدّت ربيعة بعده شدّة عظيمة على صـفوف أهل الشّام فنقضها.

قال نصـر: فاضـطرب النّاس يومئذ بالسّيوف حتّى تقطعت و تكسّرت و صارت كالمناجل و تطاعنوا بالرّماح حتّى تقصفت و تناثرت أنابيبها، ثمّ جثوا على الرّكب فتحـاثوا بـالتّراب يحثو بعضـهم التّراب فى وجه بعض ثمّ تعـانقوا و تكـاوموا بالأـفواه ثمّ تراموا بالصّـخر و الحجـارة ثمّ تحاجزوا فكان الرّجل من أهل العراق يمرّ على أهل الشّام فيقول كيف اجز إلى رايات بنى فلان فيقولون ههنا لاهـداک اللّه و يمرّ الرّجل من أهل الشّام على أهل العراق فيقول كيف أمضى إلى رايات بنى فلان فيقولون ههنا لا هداک اللّه و لا عافاک.

قال نصـر: و قال معاويـة لعمرو بن العاص أما ترى يا أبا عبـد اللّه إلى ما قد وقعنا كيف ترى أهل الشّام غدا صانعين إنّا لبمعرض خطر عظيم فقال له إن أصـبحت غـدا ربيعـة و هم متعطّفون حول علىّ تعطف الابل حول فحلها لقيت منهم جلادا صادقا و باسا شديدا و كانت التى لا سوى لها فقال معاوية أ يجوز إنّک تخوفنا يا با عبد اللّه، قال:

إنّک سألتنى فأجبتک فلمّا أصبحوا فى اليوم العاشر أصبحوا و ربيعة محدقة بعلىّ إحداق بياض العين بسوادها.

قال نصر: حدّثنی عمرو بن شمر قال لمّا أصبح علیّ هذا الیوم جاء فوقف بین رایات ربیعة فقال عتاب بن لقیط البکری من بنی قیس بن ثعلبة: یا معشر ربیعة حاموا من علیّ منذ الیوم فان اصیب فیکم افتضحتم ألا ترونه قائما تحت راياتكم و قال لهم شقیق بن ثور: یا معشر ربیعة لیس لکم عذر عند العرب إن وصل إلی علیّ و فیکم رجل حیّ، فامنعوه الیوم و اصدقوا عدوّکم اللقاء فانّه حمد الحیاة تکسبونه فتعاهدت ربیعة و تحالفت بالایمان العظیمة و تبایع منهم سبعة آلاف علی أن لا ینظر رجل خلفه حتّی یردوا سرادق معاویة، فقاتلوا ذلک الیوم قتالا شدیدا لم یکن قبله مثله و أقبلوا نحو سرادق معاویة فلمّا نظر إلیهم قد اقبلوا قال:

اذا قلت قد ولّت ربیعة اقبلت کتائب منها کالجبال تجالد

ثمّ قال لعمرو: یا عمرو ما تری؟ قال: أری أن لا تحنث اخو الی الیوم، فقام معاویة و خلاّ لهم سرادقه و رحله و خرج فارّا عنه لائذا ببعض مضارب العسکر فی اخریات النّاس، و انتهبت ربیعة سرادقه و رحله و بعث إلی خالد بن المعمر أنّک قد ظفرت و لک أمارة خراسان إن لم تتمّ، فقطع خالد القتال، و لم یتمّه، و قال لربیعة:

قد برت أیمانکم فحسبکم، فلما کان عام الجماعة و بایع النّاس معاویة أمّره معاویة علی خراسان و بعثه الیها فمات قبل أن یبلغها.

قال نصر فی حدیث عمر بن سعد: إنّ علیّا صلّی بهم یومئذ صلاة الغداة ثمّ زحف بهم، فلمّا بصروه قد خرج استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالا شدیدا، ثمّ إنّ خیل أهل الشام حملت علی خیل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب علیّ ألف رجل أو أکثر، فأحاطوا بهم و حالوا بینهم و بین أصحابهم فلم یروهم، فنادی علیّ ألا رجل یشری نفسه للّه و یبیع دنیا بآخرته فأتاه رجل من جعف یقال له عبد العزیز بن الحرث علی فرس أدهم کانّه غراب مقنّع فی الحدید لا یری منه إلاّ عیناه فقال: یا أمیر المؤمنین مرنی بأمرک فو اللّه لا تأمرنی بشیء إلاّ صنعته فقال علیّ علیه السّلام:

سمحت بأمر لا یطاق حفیظة و صدقا و اخوان الوفاء قلیل

جزاک إله الناس خیرا فانّه لعمرک فضل ما هناک جزیل

أبـا الحرث شـد اللّه ركنک احمل على أهل الشّام حتّى تأتى أصـحابک فتقول لهم إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السّـلام و يقول لكم هلّلوا و كبّروا من نـاحيتكم، و نهلّـل و نكبّر من ههنا و احملوا من جانبكم و نحمل من جانبنا على أهل الشّام فضـرب الجعفى فرسه حتّى اذا أقامه على أطراف سـنابكه حمـل على أهـل الشّـام المحيطين بأصـحاب علىّ عليه السّـلام فطـاعنهم ساعـة و قاتلهم فافرجوا له حتّى خلص إلى أصحابه.

فلمّا رأوه استبشروا به و فرحوا و قالوا: ما فعل أمير المؤمنين عليه السّلام قال صالح يقرئكم السّلام و يقول لكم: هلّلوا و كبّروا و احملوا حملة رجل واحد من جانبكم و نهلّل نحن من جانبنا ففعلوا ما أمرهم به و هلّلوا و كبّروا و هلّل علىّ و كبّر هو و أصحابه و حمل على أهل الشّام و حملوهم من وسط أهل الشّام فانفرج عنهم و خرجوا و ما اصيب منهم رجل واحد، و لقد قتل من فرسان الشّام يومئذ زهاء سبعمائة إنسان و قال علىّ عليه السّلام من أعظم النّاس اليوم عناء؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال: كلاّ و لكنه الجعفى.

قال نصر: و كان علىّ عليه السّلام لا يعدل بربيعة أحدا من النّاس، فشقّ ذلک على مضر و أظهر والهم «له خ ل» القبيح و أبدوا ذات أنفسهم، فقام أبو الطفيل عامر بن وائلـة الكنانى و عمير بن عطارد التميمى و قبيصة بن جابر الأسدى و عبد اللّه بن الطفيل العامرى فى وجوه قبائلهم، فأتوا عليّا فتكلّم أبو الطفيل فقال: يا أمير المؤمنين انا و اللّه ما نحسدقو ما خصّهم اللّه منک بخير و إنّ هذا الحىّ من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بـک منـک فـاعفهم عن القتـال أيّامـا و اجعل لكلّ امرء منّا يوما نقاتل فيه فانا إذا اجتمعنا اشـتبه عليک بلاؤنا، فقال علىّ عليه السّـلام: نعم اعطيكم ما طلبتم، و أمر ربيعة أن تكفّ عن القتال و كانت بازاء اليمن من صفوف أهل الشّام.

فغـدا أبو الطفيل عامر بن وائلـة فى قومه من كنانة و هم جماعة عظيمة فتقدّم أمام الخيل و اقتتلوا قتالا شديدا ثمّ انصـرف إلى علىّ فأثنى عليه السّلام عليه خيرا.

ثمّ غدا فى اليوم الثّانى عمير بن عطارد بجماعة من بنى تميم و هو يومئذ سيد

مضـر الكوفـة فقال: يا قوم إنّى اتبع آثار أبى الطفيل فاتبعوا آثار كنانـة و قاتل أصـحابه قتالا شديـدا حتّى امسوا و انصـرف عمير إلى علىّ عليه السّلام و عليه سلاحه.

ثمّ غدا فى اليوم الثّالث قبيصة بن جابر الأسدى فى بنى أسد و قال لأصحابه:

يا بنى أسد اما أنا فلا أقصر دون صاحبى و أمّا أنتم فذاك اليكم، ثمّ تقدّم فقاتل القوم إلى أن دخل الليل.

ثمّ غدا فى اليوم الرّابع عبد اللّه بن الطفيل العامرى فى جماعة هوازن فحارب بهم حتى الليل ثمّ انصرفوا.

قال نصـر: كتب عقبة بن مسـعود عامل علىّ عليه السّـلام على الكوفة إلى سليمان بن صرد الخزاعى و هو مع علىّ: أمّا بعد فانّهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم و لن تفلحوا إذا أبدا، فعليک بالجهاد و الصّبر مع أمير المؤمنين و السّلام.

قال و حدّثنا عمر بن سعد و عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

قام علىّ عليه السّلام فخطب النّاس بصفين فقال:

الحمد للّه على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ و الفاجر، و على حججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم و من عصاه، إن يرحم فبفضـله و منّه، و إن عذب فبما كسبت أيديهم و أنّ اللّه ليس بظلاّم للعبيد، أحمده على حسن البلاء و تظاهر النّعماء، و أستعينه على مانا بنا من أمر الدّنيا و الآخرة، و أتوكّل عليه و كفى باللّه وكيلا.

ثمّ إنّى اشـهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريک له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ارسله بالهدى و دين الحقّ و ارتضاه لذلک، و كان أهله و اصـطفاه لتبليغ رسـالته و جعله رحمـة منه على خلقه، فكـان لعلمه منه «كعلمه فيه خ ل»، رءوفـا رحيمـا و أفضـلهم علما و أثقلهم حلما و أوفاهم بعهد و آمنهم على عقد، لم يتعلّق عليه مسـلم و لا كافر بمظلمة قط، بل كان يظلم فيغفر و يقدر فيصفح حتّى مضى مطيعا للّه صابرا على ما اصابه مجاهدا فى اللّه حق جهاده حتّى أتاه اليقين، فكان ذهابه أعظم المصيبة

على أهل الأرض البرّ و الفاجر.

ثمّ ترک فیکم کتاب اللّه یأمرکم بطاعة اللّه و ینهاکم عن معصیته، و قد عهد إلیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عهدا فلست أحید عنه و قد حضرتم عدوّکم و علمتم أن رئیسهم منافق ابن منافق یدعوهم إلی النّار، و ابن عمّ نبیّکم معکم و بین أظهرکم و یدعوکم إلی الجنّة و إلی طاعة ربّکم و العمل بسنّة نبیکم، و لا سوی من صلّی قبل کلّ ذکر لا یسبقنی بصلاة مع رسول اللّه أحد و أنا من أهل بدر و معاویة طلیق ابن طلیق، و اللّه إنّا علی الحقّ و إنّهم علی الباطل فلا تجتمعن علیه و تتفرّقوا عن حقّکم حتّی یغلب باطلهم علی حقّکم، قاتلوهم یعذّبهم اللّه بأیدیکم، فان لم تفعلوا یعذّبهم بأیدی غیرکم.

فقام أصحابه فقالوا: یا أمیر المؤمنین انهض بنا إلی عدوّنا و عدوّک إذا شئت فو اللّه لا نرید بک بدلا بل نموت معک و نحیا معک، فقال لهم:

و الذی نفسی بیده لنظر إلیّ النّبی أضرب بین یدیه بسیفی هذا فقال: لا سیف إلاّ ذو الفقار و لا فتی إلاّ علیّ، فقال لی: یا علیّ أنت منّی بمنزلة هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبیّ بعدی و موتک و حیاتک یا علیّ معی، و اللّه ما کذب و لا کذبت و لا ضللت و لا نسیت ما عهد إلیّ و إنّی علی بیّنة من ربّی و علی الطریق الواضح ألفظه لفظا ثمّ نهض إلی القوم فاقتتلوا من حین طلعت الشّمس حتّی غاب الشّفق الأحمر و ما کانت صلاة القوم فی ذلک الیوم إلاّ تکبیرا.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشّعبی عن صعصعة بن صوحان قال برز فی أیّام صفّین رجل اشتهر بالبأس و النّجدة اسمه کریث بن الوضاح، فنادی من یبارز، فخرج إلیه المرتفع بن وضاح الزّبیدی فقتله، ثمّ - نادی من یبارز فخرج الیه الحارث بن الحلاّج فقتله، ثمّ نادی من یبارز فخرج إلیه عائذ بن مسروق الهمدانی فقتله، ثمّ رمی بأجسادهم بعضها فوق بعض و نادی من یبارز.

فخرج إلیه علیّ علیه السّلام و ناداه ویحک یا کریث إنّی احذّرک اللّه و بأسه و نقمته و أدعوک إلی سنّة اللّه و سنّة رسوله ویحک لا یدخلنک معاویة النّار، فکان جوابه أن

قال: أكثر ما قد سـمعت منک هذه المقالة و لا حاجة لنا فيها، اقدم إذا شئت من يشترى سيفى و هذا أثره فقال علىّ عليه السّلام لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه، ثمّ مشـى إليه فلم يمهله أن ضـربه ضربة خرّ منها قتيلا يشحط فى دمه ثمّ نادى من يبرز فبرز إليه الحرث بن وداعة (الحارث بن وادعـة خ ل) الحميرى فقتله، ثمّ نـادى من يبرز فبرز إليه المطـاع بن المطلب القينى فقتل مطاعا، ثمّ نادى من يبرز فلم يبرز إليه أحـد فنادى «الشّهر الحرام بالشّهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتـدى عليكم فاعتـدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتّقوا اللّه و اعلموا أنّ اللّه مع المتّقين» يا معاويـة هلم إلىّ فبارزنى و لا يقتلن النّاس فيما بيننا، فقال عمرو بن العاص اغتنمه متهزءا قـد قتل ثلاثة أبطال العرب و إنّى أطمع أن يظفرک اللّه به، فقال معاوية و اللّه لن تريد إلاّ أن اقتل فتصيب الخلافة بعدى اذهب إليه فليس مثلى يخدع قال نصر: و خطب عبد اللّه بن العبّاس يومئذ فقال:

الحمد للّه ربّ العالمين الذى دحى تحتنا سـبعا و سـمک فوقنا سـبعا و خلق فيما بينهنّ خلقا و أنزل لنا منهنّ رزقا، جعل كلّ شـىء يبلى و يفنى غير وجهه الحىّ القيوم الذى يحيى و يبقى، إنّ اللّه تعالى بعث أنبياء و رسـلا فجعلهم حججا على عباده عذرا و نذرا لا يطاع إلاّ بعلمه و اذنه بالطاعة على من يشاء من عباده، ثمّ يثيب عليها و يعصـى فيعفو و يغفر بحلمه لا يقدر قدره و لا يبلغ شـىء مكانه، أحصـى كلّ شىء عددا و أحاط بكلّ شىء علما.

و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريک له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله امام الهدى و النبىّ المصطفى، و قد ساقنا قدر اللّه إلى ما ترون حتّى كان ممّا اضـطرب من جعل هذه الامة و انتشر من امرها انّ معاوية بن أبى سفيان وجد من طغام النّاس أعوانا على ابن عمّ رسول اللّه و صهره و أوّل ذكر صـلّى معه بدرى، قد شهد مع رسول اللّه كلّ مشاهده التى فيها الفضل و معاوية مشرک يعبد الاصنام و الذى ملک الملک وحده و بان به لقد قاتل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام مع رسول اللّه

و هو يقول: صـدق اللّه و رسوله و معاويـة يقول كـذب اللّه و رسوله، فعليكم بتقوى اللّه و الجدّ و الحزم و الصّبر و اللّه إنّكم لعلى حقّ، و إنّ القوم لعلى باطل، فلا يكونن أولى بالجدّ على باطلهم منكم فى حقّكم، و إنّا لنعلم أنّ اللّه سيعذّبهم بأيديكم أو بأيدى غيركم، اللهمّ أعنّا و لا تخذلنا و انصرنا على عدوّنا و لا تحل عنّا، و افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو عن عبد الرّحمن بن جندب عن جندب بن عبد اللّه قال: قام عمّار يوم صفّين فقال:

انهضوا معى عبـاد اللّه إلى قوم يزعمون أنّهم يطلبون بـدم الظـالم لنفسه الحـاكم على عبـاد اللّه بغير مـا فى كتـاب اللّه إنّما قتله الصّالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالعدل و الاحسان، فقالوا هؤلاء الذين لا يبالون إذا سـلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدّين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لاحـداثه، فقالوا: إنّه لم يحـدث شـيئا و ذلك لانّه مكنهم من الـدّنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يبالون لو انهـدمت الجبال، و اللّه ما أظنّهم يطلبون بدم إنّهم ليعلمون أنّه لظالم و لكنّ القوم و افوا للدّنيا فاسـتحبّوها و اسـتمروها و علموا أنّ صاحب الحقّ لو ولاهم لحال بينهم و بين ما يأكلون و يرعون منها إنّ القوم لم تكن لهم سابقة فى الاسـلام يستحقّون بها الطاعة و الولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل امامنا مظلوما ليكونوا بـذلك جبابرة و ملوكا، تلك مكيـدة قد بلغوا بها ما ترون، و لولاها ما بايعهم من النّاس رجل اللهمّ ان تنصـرنا فطال ما نصـرت و ان تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحـدثوا لعبادك العـذاب الاليم ثمّ مضـى و مضـى معه أصـحابه، فدنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعت دينك بمصـر فتبّا لک فطال ما بغيت للاسـلام عوجا، ثمّ نادى عبيد اللّه بن عمر و ذلك قبل مقتله و قال: يا بن عمر صـرعک اللّه بعت دينـک بالـدّنيا من عـدوّ اللّه و عـدوّ الاسـلام، قال: كلاّ و لكنّى اطلب بـدم عثمان الشّهيد المظلوم، قال: كلاّ اشـهد على علمى فيک أنّک أصبحت لا تطلب فى شىء من فعلک وجه اللّه و أنّک ان لم تقتل اليوم فستموت فانظر اذا أعطى اللّه على نيّاتهم مانيّتک ثمّ قال:

اللهمّ إنّک تعلم أنّی لو أعلم أنّ رضاک فی ان اقذف بنفسی هذا البحر لفعلت اللهمّ إنّک تعلم أنّی لو أعلم أنّ رضاک أن أضع ظبیة سیفی فی بطنی ثمّ أنحنی علیه حتّی یخرج من ظهری لفعلت، اللهمّ إنّی أعلم ممّا علمتنی أنّی لا أعمل عملا الیوم هذا هو أرضی من جهاد هؤلاء الفاسقین، و لو أعلم الیوم عملا هو أرضی لک منه لفعلت و فی البحار روی نصر عن عمر بن سعد عن مالک بن أعین عن زید الجهنی انّ عمّار بن یاسر نادی یومئذ أین من یبغی رضوان ربّه و لا یؤب إلی مال و لا ولد؟ قال:

فأتته عصابة من النّاس فقال: یا أیّها النّاس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذین یبغون دم عثمان و یزعمون أنّه قتل مظلوما، و اللّه إن کان إلاّ ظالما لنفسه الحاکم بغیر ما أنزل اللّه.

فدفع علیّ علیه السّلام الرّایة الی هاشم بن عتبة و کان علیه درعان فقال له علیّ کهیئة المازح: أبا هاشم أما تخشی علی نفسک أن تکون أعورا جبانا؟ قال: ستعلم یا أمیر المؤمنین و اللّه لا لفرّ بین جماجم القوم لفّ رجل ینوی الآخرة، فأخذ محا فهزه فانکسر، ثمّ أخذ آخر فوجده جاسیا فألقاه، ثمّ دعا برمح لیّن فشدّ به لوائه و لمّا دفع علیّ علیه السّلام الرّایة إلی هاشم قال له رجل من بکر بن وائل من أصحاب هاشم: اقدم مالک یا هاشم قد انتفخ سحرک عورا وجبنا، قال: من هذا؟ قالوا: فلان قال: أهلها و خیر منها إذا رأیتنی صرعت فخذها ثمّ قال لأصحابه شدوا شسوع نعالکم و شدّوا ازرکم فاذا رأیتمونی قد هزرت الرّایة ثلاثا فاعلموا أنّ أحدا منکم لا یسبقنی إلی الحملة.

ثمّ نظر هاشم إلی عسکر معاویة فرأی جمعا عظیما، فقال: من أولئک؟ قالوا أصحاب ذی الکلاع ثمّ نظر فرأی جندا آخر فقال: من أولئک؟ قالوا: جند أهل المدینة قریش، قال: قومی لا حاجة لی فی قتالهم، قال من عند هذه القبّة البیضاء؟ قیل معاویة و جنده، فحمل حینئذ یرقل ارقالا(1)

1- (1) ارقل اسرع و المفازة قطعها و ناقة مرقال و مرقل کمحسن و محسنة مسرعة و المرقال هاشم ابن عتبة لانّ علیا علیه السلام اعطاء الرایة یوم صفین فکان یرقل بها، ق

و عن عبد العزيز بن سيّاح عن حبيب بن أبى ثابت قال: لمّا كان قتال صفّين و الرّاية مع هاشم بن عتبة جعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرّمح و يقول: اقدم يا أعور لا- خير فى أعور لا يأتى الفزع قال: فجعل يستحيى من عمّار و كان عالما بالحرب فيتقدّم فيركز الراية فاذا سامت إليه الصّفوف قال عمّار: اقدم يا اعور لا خير فى أعور لا يأتى الفزع فجعل عمرو بن العاص يقول: إنّى لأرى لصاحب الرّاية السّوداء عملا لئن دام ليفنينّ العرب اليوم، فاقتتلوا قتالا شديدا و جعل عمّار يقول صبرا عباد اللّه، الجنّة فى ظلال البيض قال: و كانت علامة أهل العراق بصفين الصّوف الأبيض قد جعلوه فى رؤوسهم و على اكتافهم، و شعارهم يا اللّه يا أحد يا صمد يا رحيم، و كانت علامة أهل الشّام خرقا بيضا قد جعلوه على رؤوسهم و اكتافهم، و كان شعارهم نحن عباد اللّه حقّا يا لثارات عثمان.

قال: فاجتلدوا بالسّيوف و عمد الحديد، فما تحاجزنا حتّى حجز بيننا سواد الليل و لا يرى رجل منّا و لا منهم موليا، فلمّا أصبحوا و ذلک يوم الثلثاء خرج النّاس إلى مصافهم.

فقال أبو نوح، فكنت فى خيل علىّ عليه السّلام فاذا أنا برجل من أهل الشّام يقول من يدلّنى على الحميرى إلى نوح، قال: قلت فقد وجدته فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع سر الىّ، فقال أبو نوح: معاذ اللّه أن أسير إليک إلاّ فى كتيبة، قال ذو الكلاع سرفلک ذمّة اللّه و ذمّة رسوله و ذمّة ذى الكلاع حتّى ترجع إلى خيلک فانّما اريد أن أسألک عن أمر فيكم تمارينا فيه فسار حتّى التقيا، فقال ذو الكلاع إنّما دعوتک احدّثک حديثا حدّثنا عمرو بن العاص فى أمارة عمر بن الخطاب قال أبو نوح: و ما هو؟ قال: حدّثنا عمرو بن العاص أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: يلتقى أهل الشّام و أهل العراق و فى إحدى الكتيبتين الحقّ و امام الهدى و معه عمّار بن ياسر، قال أبو نوح: لعمر اللّه إنّه لفينا، قال:

أجادّ هو على قتالنا؟ قال أبو نوح: نعم و ربّ الكعبة فهو أشدّ على قتالكم منّى

فقال ذو الكلاع: هل تستطيع أن تأتى معى صف أهل الشّام فأنالک جار منهم حتّى تلقى عمرو بن العاص فتخبره عن عمّار و عن جدّه فى قتالنا لعلّه يكون صلحا بين هذين الجندين، فقال له أبو نوح إنّک رجل غادر و أنت فى قوم غدر و إن لم تكن تريد الغدر أغدروک و إنّى إن أموت أحبّ إلىّ أن أدخل مع معاوية و أدخل فى دينه و أمره.

فقال ذو الكلاع: أنا جار لک من ذلک أن لا تقتل و لا تسلب و لا تكره على بيعة و لا تحبس عن جندک، و إنّما هى كلمة تبلغها عمرا لعلّ اللّه يصلح بين هذين الجندين و يضع عنهم الحرب و السّلاح، فسار معه حتّى أتى عمرو بن العاص و هو عند معاوية و حوله النّاس و عبيد اللّه بن عمر يحرّض النّاس فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يا با عبد اللّه هل لک فى رجل ناصح لبيب شفيق يخبرک عن عمّار بن ياسر و لا يكذّبک؟ قال عمرو: و من هذا معک؟ قال هذا ابن عمّى و هو من أهل الكوفة، فقال له عمرو: إنّى لأرى عليک سيما أبى تراب قال: سيماء محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه، و عليک سيماء أبى جهل و هو سيماء فرعون.

فقام أبو الاعور فسلّ سيفه ثمّ قال: أرى هذا الكذّاب يشاتمنا بين أظهرنا و عليه سيماء أبى تراب فقال ذو الكلاع اقسم باللّه لئن بسطت يدک إليه لأحطمنّ أنفک بالسّيف ابن عمى و جارى عقدت له ذمّتى و جئت به إليكم ليخبركم عمّا تماريتم فيه.

فقال له عمرو: اذكرک باللّه يا با نوح إلاّ ما صدقت أ فيكم عمّار بن ياسر؟ فقال له أبو نوح: ما أنا بمخبرک عنه حتّى تخبرنى لم تسأل عنه فانّ معنا من أصحاب رسول اللّه غيره و كلّهم جادّ على قتالكم.

قال عمرو: سمعت رسول اللّه يقول: إنّ عمّارا تقتله الفئة الباغية، و إنّه ليس ينبغى لعمّار أن يفارق الحقّ و لن تأكل النّار منه شيئا، فقال أبو نوح: لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر إنّه لفينا جادّ على قتالكم.

فقال عمرو: و اللّه إنّه لجادّ على قتالنا؟ قال: نعم و اللّه الذى لا إله إلاّ هو لقد حدّثنى يوم الجمل إنا سنظهر عليهم و لقد حدّثنى أمس أن لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر(1) لعلمنا أنّا على الحقّ و أنهم على باطل، و لكانت قتلانا فى الجنّة و قتلاهم فى النار فقال له عمرو: هل تستطيع أن تجمع بينى و بينه؟ قال: نعم.

فلمّا أراد أن يبلغه أصحابه ركب عمرو بن العاص و ابناه و عتبة بن أبى سفيان و ذو الكلاع و أبو الأعور السلمى و حوشب و الوليد بن أبى معيط فانطلقوا حتّى أتوا خيولهم و سار أبو نوح و معه شرجيل بن ذى الكلاع حتّى انتهى إلى أصحابه فذهب أبو نوح إلى عمّار فوجده قاعدا مع أصحابه مع ابنى بديل و الهاشم و الأشتر و جارية بن المثنّى و خالد بن المعتمر و عبد اللّه بن حجل و عبد اللّه بن العبّاس.

فقال ابو نوح: إنّه دعانى ذو الكلاع و هو ذو رحم فذكر ما جرى بينه و بينهم و قال: أخبرنى عمرو بن العاص أنّه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: عمّار تقتله الفئة الباغية، فقال عمّار صدق و ليضرّ به ما سمع و لا ينفعه، فقال أبو نوح: إنّه يريد أن يلقاك فقال عمّار لأصحابه: اركبوا.

قال و نحن اثنا عشر رجلا بعمار فسرنا حتّى لقيناهم ثمّ بعثنا إليهم فارسا من عبد القيس يسمّى عوف بن بشر، فذهب حتّى كان قريبا من القوم، ثمّ نادى أين عمرو بن العاص؟ قالوا: ههنا فأخبرهم بمكان عمّار و خيله، فقال عمرو فليسر الينا:

فقال له عوف: إنّى أخاف غدر انک، ثمّ جرى بينهما كلمات تركتها إلى أن قال:

أقبل عمّار مع أصحابه و عمرو مع أصحابه فتوافقا فقال عمرو: يا أبا اليقظان اذكرک اللّه إلاّ كففت سلاح أهل هذا العسكر و حقنت دمائهم فعلى م تقاتلنا؟ أو لسنا نعبد إلها واحدا و نصلّى قبلتكم و ندعو دعوتكم و نقرأ كتابكم و نؤمن برسولكم؟ فقال عمار: الحمد للّه الذى أخرجها من فيک، إنّها لى و لأصحابى القبلة و الدّين و عبادة الرّحمن و النّبىّ و الكتاب من دونک و دون أصحابک و جعلک

1- (1) هجر بالتحريک بلد ببحرين كثير النخل، لغة.

ضالا مضّلا و لا تعلم هاد أنت أم ضالّ، و جعلک أعمی و سأخبرک علی ما قاتلتک علیه أنت و أصحابک أمرنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن أقاتل النّاکثین ففعلت، و أمرنی أن أقاتل القاسطین فأنتم هم و أما المارقون فما أری ادرکهم أم لا.

ایّها الابتر(1) تعلم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لعلیّ علیه السّلام من کنت مولاه فعلیّ مولاه اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه و أنا مولا اللّه و رسوله و علیّ بعده و لیس لک مولی.

فقال له عمرو: فما تری فی قتل عثمان؟ قال: فتح لکم باب سوء، قال عمرو فعلیّ قتله؟ قال عمّار: بل اللّه ربّ علیّ قتله و علیّ معه، قال عمرو: أ کنت فیمن قتله؟ قال: أنا مع من قتله و أنا الیوم أقاتل معه، قال: فلم قتلتموه؟ قال: أراد أن یغیّر دیننا فقتلناه، قال عمرو: ألا تسمعون قد اعترف بقتل إمامکم قال عمّار: و قد قالها فرعون قبلک: ألا تسمعون.

فقام أهل الشّام و لهم زجل فرکبوا خیولهم و رجعوا فبلغ معاویة ما کان بینهم فقال له: هلکت العرب إن أخذتهم خفّة العبد الأسود یعنی عمارا، و خرج إلی القتال و صفت الخیول بعضها لبعض و زحف النّاس، و علی عمّار درع و هو یقول أیّها النّاس الرّواح إلی الجنّة، فاقتتل الناس قتالا شدیدا لم یسمع النّاس بمثله، و کثرت القتلی حتّی أن کان الرّجل لیشدّ طنب فسطاطه بید الرّجل أو برجله.

فقال الأشعث: لقد رأیت أخبیة صفّین و أروقتهم و ما منها خباء و لا رواق و لا بناء و لا فسطاط إلاّ مربوطا بید رجل أو رجله و جعل أبو سماک الأسدی یأخذ اداوة من ماء و شفرة حدید فیطوف فی القتلی فاذا رأی رجلا جریحا و به رمق قام و سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام فان قال: علی غسل عنه الدّم و سقاه من الماء و إن سکت و جاه بسکین حتّی یموت، قال: فکان یسمّی المخضخض(2) و عن عمرو بن شمر عن جابر عن الشّعبی عن الأحنف بن قیس قال: و اللّه

1- (1) ماخوذ من قوله تعالی «إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ» منه.

2- (2) ماخوذ من الخضخضة و هو تحریک الماء و السویق و نحوهما منه.

إنی إلی جانب عمّار فتقدّمنا حتّی إذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمار. احمل فداک ابی و امّی و نظر عمّار إلی رقة فی المیمنة فقال له هاشم، رحمک اللّه یا عمار إنّک رجل تأخذک خفة فی الحرب و إنّی إنّما أزحف باللواء زحفا و أرجو أن أنال بذلک حاجتی، و إنّی إن خففت لم آمن الهلکة.

و قد قال معاویة لعمرو ویحک یا عمرو إنّ اللواء مع هاشم کانّه یرقل به إرقالا و إنّه إن زحف به زحفا إنّه لیوم أطول لأهل الشّام، فلم یزل به عمّار حتّی حمل فبصر به معاویة فوجه إلیه جملة أصحابه و من برز بالنّاس منهم فی ناحیة و کان فی ذلک الجمع عبد اللّه بن عمرو و معه سفیان قد تقلد بواحد و هو یضرب بالآخر و أطاقت به خیل علیّ علیه السّلام فقال عمرو: یا اللّه یا رحمن ابنی ابنی، و کان یقول معاویة: اصبر اصبر فانّه لا بأس علیه قال عمرو لو کان یزید اذا لصبرت.

و لم یزل حماة أهل الشّام یذبّون عنه حتّی نجا هاربا علی فرسه و اصیب هاشم فی المعرکة، قال و قال عمار حین نظر الی رایة عمرو بن العاص: إنّ هذه الرّایة قد قاتلتها ثلاث عرکات(1) و ما هی بأرشد هنّ ثمّ حمل و هو یقول:

نحن ضربناکم علی تنزیله فالیوم نضربکم علی تأویله

ضربا یزیل الهام عن مقیله و یذهل الخلیل عن خلیله

أو یرجع الحقّ الی سبیله یا ربّ انّی مؤمن بقیله

(2) ثمّ استسقی و اشتدّ ظماؤه، فأتته امرئة طویلة الیدین ما ادری اعسّ (3) معها أم اداوة فیها ضیاح(4) من لبن و قال الجنّة تحت الاسنة الیوم ألقی الأحبّة محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و حزبه، و اللّه لو ان لبونا حتّی یبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا علی الحقّ و أنهم

1- (1) ای مرات

2- (2) بمعنی القول.

3- (3) العسّ بضم العین القدح العظیم الجمع عساس ککتاب قاموس.

4- (4) هو بالفتح کالضیح اللبن الممزوج بالماء، ق.

على الباطل.

و حمل عليه ابن جوين السّكسكى و ابو العادية الفزارى، فأما أبو العادية فطعنه و أمّا ابن حوين فاجتز رأسه عليهما لعنة اللّه.

فقال ذو الكلاع لعمرو: و يحک ما هذا؟ قال عمرو: إنّه سيرجع إلينا و ذلک قبل أن يصاب عمّار، فاصيب عمّار مع علىّ و اصيب ذو الكلاع مع معاويـة فقال عمرو: و اللّه يا معاوية ما أدرى بقتل أيّهما أنّا أشدّ فرحا، و اللّه لو بقى ذو الكلاع حتّى يقتل عمّار لمال بعامة قومه و لأفسـد علينا جندنا.

قـال: فكـان لا يزال رجل يجىء فيقول: أنا قتلت عمّارا فيقول عمرو فما سـمعتموه يقول فيخلطون حتّى أقبل ابن جوين فقال: أنا قتلت عمارا فقال له عمرو: فما كان آخر منطقه؟ قال: سمعته يقول اليوم ألقى الأحبة محمّدا و حزبه، قال عمرو: صدقت أنت أما و اللّه ما ظفرت بذلک و لكن اسخطت ربک.

و فى الاحتجاج روى عن الصادق عليه السّلام أنّه لمّا قتل عمار ارتعـدت فرايص خلق كثير و قالوا: قـد قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله عمار تقتله الفئـة الباغية، فدخل عمرو بن العاص على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين قد هاج النّاس و اضـطربوا، قال: لما ذا؟ قال: قتل عمار، قال: فما ذا؟ قال: أليس قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية دحضت فى قولک أنحن قتلناه إنّما قتله علىّ بن أبى طالب لما ألقاه بين رماحنا، فاتّصل ذلک بعلىّ بن أبى طالب، فقال: فاذن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم هو الـذى قتل حمزة و ألقاه بين رماح المشركين.

و فى البحار من كتاب الكشّى باسناده عن اسماعيل بن أبى خالد قال:

سمعت قيس بن أبى حازم قال: قال عمّار بن ياسر: ادفنونى فى ثيابى فانّى مخاصم.

و من كشف الغمة قال: و نقلت من مناقب الخوارزمى قال: شهد خزيمة بن ثابت الأنصارى الجمل و هو لا يسلّ سيفا و شهد صفّين و قال: لا اصلّى ابدا خلف إمام حتّى يقتل عمار فأنظر من يقتله فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يقول: يقتله

الفئة الباغية، فلمّا قتل عمار قال خزيمة: قد حانت لى الصّلاة ثمّ اقترب و قاتل حتّى قتل.

و كان الذى قتل عمار أبو عادية المرّى طعنه برمح فسقط و كان يومئذ يقاتل و هو ابن أربع و تسعين سنة، فلمّا وقع أكبّ عليه رجل فاجتزّ رأسه فأقبلا يختصمان كلاهما يقول أنا قتلته.

فقال عمرو بن العاص: و اللّه ان يختصمان إلاّ فى النّار، فسمعها معاوية فقال لعمرو، ما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان فى النّار، فقال عمرو: هو و اللّه ذلک و أنّک لتعلمه و لوددت أنّى متّ قبل هذا بعشرين سنة.

و بالاسناد عن أبى سعيد الخدرى قال: كنّا نعمّر مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كنّا نحمل لبنة لبنة و عمار لبنتين لبنتين، فرآه النبىّ صلّى اللّه عليه و اله فجعل ينفض التراب عن رأس عمار و يقول: يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابک؟ قال: إنى اريد الأجر من اللّه تعالى، قال: فجعل ينفض التّراب عنه و يقول: و يحک تقتلک الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة و يدعونک إلى النّار، قال عمار: أعوذ بالرّحمن أظنه قال من الفتن.

و من كتاب الكفاية عن أبى المفضل الشيبانى فى حديث طويل مسندا عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: يا عمّار ستكون بعدى فتنة فاذا كان ذلک فاتّبع عليّا و حزبه فانّه مع الحقّ و الحقّ معه، يا عمار إنّک ستقاتل بعدى مع علىّ صنفين: النّاكثين و القاسطين، ثمّ يقتلک الفئة الباغية، قلت: يا رسول اللّه أ ليس ذلک على رضا اللّه و رضاک؟ قال: نعم، على رضا اللّه و رضاى و يكون آخر ذلک «زادک» شربة من لبن تشربه.

فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له: يا أخا رسول اللّه أ تأذن لى فى القتال؟ قال: مهلا رحمک اللّه، فلمّا كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله، فأعاده ثالثا فبكى أمير المؤمنين عليه السّلام فنظر إليه عمّار

فقال: يا أمير المؤمنين إنّه اليوم الذى وصف لى رسول اللّه.

فنزل أمير المؤمنين عليه السّلام عن بغلته و عانق عمارا و ودعه ثمّ قال: يا أبا اليقظان جزاك اللّه عن اللّه و عن نبيک خيرا فنعم الأخ كنت و نعم الصّاحب كنت ثمّ قال: و اللّه يا أمير المؤمنين ما تبعتک إلاّ ببصيرة فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: يا عمار ستكون بعدى فتنة فاذا كان ذلک فاتبع عليّا و حزبه فانّه مع الحقّ و الحقّ معه، و ستقاتل بعدى الناكثين و القاسطين، فجزاک اللّه يا أمير المؤمنين عن الاسلام أفضل الجزاء، فلقد أدّيت و بلغت و نصحت ثمّ ركب و ركب أمير المؤمنين عليه السّلام، ثمّ برز إلى القتال ثمّ دعا بشربة من ماء فقيل ما معنا ماء فقام إليه رجل من الأنصار فاسقاه شربة من لبن، ثمّ قال: هكذا عهد إلىّ رسول اللّه أن يكون آخر زادى من الدّنيا شربة من اللبن.

ثمّ حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفسا فخرج إليه رجلان من أهل الشّام فطعنا فقتل رحمه اللّه، فلما كان الليل طاف أمير المؤمنين عليه السّلام فى القتلى فوجد عمارا ملقى، فجعل رأسه على فخذه ثمّ بكى عليه السّلام و أنشأ يقول:

ايا موت كم هذا التفرق عنوة فلست تبقى لى خليل خليل

اراک بصيرا بالذين احبّهم كأنک تمضى نحوهم بدليل

قال المجلسى: فى الديوان هكذا:

ألا ايّها الموت الذى ليس تاركى أرحنى فقد أفنيت كلّ خليل

أراک بصيرا بالذين أحبّهم كأنک تنحو نحوهم بدليل

قال نصر بن مزاحم: لما حدّث عمرو بن العاص فى عمار ما قاله النبىّ صلّى اللّه عليه و اله خرج عبد اللّه عمر العبسى و كان من عباد أهل زمانه ليلا فأصبح فى عسكر علىّ عليه السّلام فحدث النّاس بقول عمرو فى عمار فلما سمع معاوية هذا القول بعث إلى عمرو و قال: أفسدت على أهل الشام، أكلّ ما سمعته من رسول اللّه تقوله؟ فقال عمرو: قلتها و لست و اللّه أعلم الغيب و لا أدرى أنّ صفين يكون عمار خصمنا، و قد رويت أنت فيه مثل الذى

رویت فاسأل أهل الشّام فغضب معاویة و تنمّر(1) لعمرو و منعه و خیره، و قال عمرو لا خیر لی فی جوار معاویة إن تجلّت هذه الحرب عنّا و کان عمرو حمی الانف فقال فی ذلک:

تعاتبنی ان قلت شیئا سمعته و قد قلت لو أنصفتنی مثله قبلی

و ما کان لی علم بصفین انّها تکون و عمار یحثّ علی قتلی

فلو کان لی بالغیب علم کتمتها و کایدت أقواما مراجلهم تغلی

إلی آخر الأبیات ثمّ أجابه معاویة بأبیات تشتمل علی الاعتذار، فأتاه عمرو و أعتبه و صار أمرهما واحدا ثمّ إنّ علیّا دعا هاشم بن عتبه و معه لواؤه، و کان أعور، و قال:

حتّی متی تأکل الخبز و تشرب الماء، فقال هاشم: لا یجهزن ان لا أرجع إلیک أبدا.

قال نصر عن عمر بن سعد عن رجل عن أبی سلمة أنّ هاشم دعا فی الناس عند المساء ألا من کان یرید اللّه و الدّار الآخر فلیقبل فأقبل إلیه ناس فشدّ فی عصابة من أصحابه علی أهل الشّام مرارا، فلیس من وجه یحمل علیه إلاّ صبروا له و قوتل فیه قتالا شدیدا، فقال لأصحابه.

لا یهو لنّکم ما ترون من صبرهم فو اللّه ما ترون منهم إلاّ حمیّة العرب و صبرها عند راایاتها و عند مراکزها، و إنهم لعلی الضّلال و إنّکم لعلی الحقّ، یا قوم اصبروا و صابروا و اجتمعوا و امشوا بنا إلی عدوّنا علی توئدة(2) رویدا و اذکروا اللّه و لا یسلمنّ رجل أخاه و لا تکثروا الالتفات و اصمد و اصمدهم و جالدوهم محتسبین حتّی یحکم اللّه بیننا و هو خیر الحاکمین.

فقال أبو سلمة فمضی فی عصابة من القرّاء فقاتل قتالا شدیدا هو و أصحابه حتی رأی بعض ما یسرّون به إذ خرج علیهم فتی شابّ و شدّ یضرب بسیفه و یلعن و یشتم و یکثر الکلام فقال له هاشم: إنّ هذا الکلام بعده الخصام و إنّ هذا القتال بعده الحساب

1- (1) تنمر تشدّد فی الصوت عند الوعید و تشبه النمر و هو السبع ق.

2- (2) التوئدة التأنّی فی المشی م.

فاتق اللّه فانک راجع إلی ربّک فسائلک عن هذا الموقف و ما أردت به.

قال: فانّی اقاتلکم لأنّ صاحبکم لا یصلّی کما ذکر لی و إنکم لا تصلّون، و اقاتلکم لأنّ صاحبکم قتل خلیفتنا و أنتم و ازرتموه علی قتله.

فقال له هاشم و ما أنت و ابن عفان إنّما قتله أصحاب محمّد حین أحدث أحداثا و خالف حکم الکتاب و أصحاب محمّد هم أصحاب الدین و أولی بالنظر فی امور المسلمین و ما أظن أنّ أمر هذه و لا أمر هذا الدین عناک طرفة عین قط.

فقال الفتی: أجل و اللّه لا الکذب فانّ الکذب یضرّ و لا ینفع و یشین و لا یزین.

فقال له هاشم إنّ هذا الأمر لا علم لک به فخلّه و أهل العلم به قال: أظنک و اللّه قد نصحتنی فقال هاشم: و أما قولک إنّ صاحبنا لا یصلّی فهو أوّل من صلّی للّه مع رسول اللّه، وافقه فی دین و أولی برسول اللّه، و أما من تری معه فکلّهم قاری الکتاب لا ـ ینام اللیل تهجدا فلا یغررک عن دینک الأشقیاء المغرورون.

قال الفتی: یا عبد اللّه إنی لا ظنک امرء صالحا أخبرنی هل تجد لی من توبة؟ قال: نعم تب إلی الله یتب علیک قال فذهب الفتی راجعا، فقال رجل من أهل الشام خدعک العراقی، قال: و لکن نصحنی.

و قاتل هاشم هو و أصحابه قتالا شدیدا حتّی قتل تسعة نفرا و عشرة، و حمل علیه الحرث بن المنذر فطعنه فسقط، و بعث إلیه علیّ أن قدّم لوائک، فقال للرسول انظر إلی بطنی فاذا هو قد انشقّ فأخذ الرّایة رجل من بکر بن وائل، و رفع هاشم رأسه فاذا هو بعبید اللّه بن عمر بن الخطاب قتیلا إلی جانبه فجثا حتّی دنی منه فعضّ علی ثدیه حتی تبینت فیه أنیابه ثمّ مات هاشم و هو علی صدر عبید اللّه.

و ضرب البکری فوقع فابصر عبید اللّه فعضّ علی ثدیه الآخر و مات أیضا، فوجدا جمیعا ماتا علی صدر عبید اللّه، و لمّا قتل هاشم جزع النّاس علیه جزعا شدیدا و اصیب معه عصابة من أسلم من القرّاء، فمرّ علیهم علیّ علیه السّلام و هم قتلی حوله فقال علیه السّلام:

جزی اللّه خیرا عصبة أسلمیة صباح الوجوه صرّعوا حول هاشم

يزيد و عبد اللّه بشر و معبد و سفيان و ابنا هاشم ذى المكارم

و عروة لا يبعد ثناه و ذكره إذا اخترط البيض الخفاف الصوارم

ثمّ أخذ الرّاية عبد اللّه بن هاشم، قال نصر: حدّثنا عمرو بن شمر قال: لمّا انقضى أمر صفين و سلم الأمر الحسن إلى معاوية و فدت إليه الوفود و أشخص عبد اللّه بن هاشم أسيرا فاتى به معاوية، فلما دخل عليه و عنده عمرو بن العاص قال: يا أمير المؤمنين هذا المحتال بن المرقال فدونک الضب اللاحظ فانّ العصيا من العصية(1) و انّما تلد الحيّة حيّة و جزاء السّيئة سيئة مثلها فقال له ابن هاشم: ما أنا بأوّل رجل خذله قومه و أدركه يومه، قال معاوية تلک ضغاين صفين و ما جنا عليک أبوک، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين أمكنّى منه فأشخب أو داجه على أثباجه(2).

فقال له ابن هاشم: أفلا كان هذه الشّجاعة منک يا بن العاص أيّام صفين حين ندعوک إلى النزال و قد ابتلّت أقدام الرّجال من نقع(3) الجربال(4) و قد تضايقت بک المسالک و أشرفت فيها على المهالک، و ايم اللّه لو لا مكانک منه لنشبت لک منى خافية(5) ارميک من خلالها أحد من وقع الاثافى(6) فانّک لا تزال

1- (1) اى العود الكبير ينشأ من الصغير الذى غرس او لا مثل يضرب للشيء الذى يكون فى بدئه حقيرا زمخشرى.

2- (2) الثبج ما بين الكاهل الى الظهر، ق.

3- (3) النقع محبس الماء و كذلک ما اجتمع فى البئر منه و المراد هنا الدم.

4- (4) صبغ احمر و حمرة الذهب.

5- (5) لعلّ المراد بالخافية السهم المشتمل على الريش قال فى القاموس الخوا فى ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت او هى الاربع اللاتى بعد المناكب او هى السبع ريشات بعد السبع المقدمات انتهى منه.

6- (6) لعل المراد بالاثافى هنا السنة التى تكوى بها

تکثر(1) فی دهشک و تخبط فی مرسک(2) تخبط العشواء فی اللیلة الحندس الظلماء فأعجب معاویة ما سـمع من کلام ابن هاشم فأمر به إلی السّجن و کفّ عن قتله هذا، و یأتی طرف آخر من بقیّة الوقعة فی شرح بعض الکلمات الآتیة إن ساعدنا التوفیق و المجال إنشاء اللّه.

الترجمة

از جمله کلام آن حضـرتست که می فرمود بأصـحاب خود در بعض روزهای جنک صفین! ای جماعة مسلمان شعار خود گردانید خوف و خشـیهٔ کردگار را، و پوشـش اخذ نمائید بجهة خود تمکین و وقار را، و بنهید دندانها را بر دندانها که بدرستی این برمی گرداند شمشیرها را از کاسه سـر، و کامل نمائید زره را بسایر آلتهای جنک، و حرکت بدهید شمشـیرها را در غلافها پیش از کشـیدن آنها، و بنگرید بگوشهٔ چشـم تنک خشـمناک، و بزنید نیزه را بچپ و راست، و دفع کنید دشـمن را باطراف شمشـیرها و برسانید شمشیرها را بدشمن با قدمها، و بدانید که شما منظور نظر کردگارید، و در خدمت پسر عم پیغمبر مختار می باشید.

پس مکرّرا رجوع کنیـد بر طرف اشـرار، و حیا نمائید از گریز و فرار، که فرار موجب عار است در اولاد و اعقاب، و باعث آتش است در روز حساب، و پاکیزه بشوید از حیثیت نفس در حالتی که تجاوز کننده باشـید از نفسـهای زایله و فانیه خودتان و بروید بسوی مرگ رفتن سهل و آسان، لازم کنیـد بر خود حمله آوردن بر سواد اعظم أهل عناد، و بر چادر طناب دار معاویـهٔ بـد بنیاد پس بزنید میان آن خیمه را از جهة این که شـیطان پنهـان است در جانب آن خیمه که بتحقیق پیش آورده است آن شـیطان بجهـة برجسـتن دستی را، و پس کشـیده است از برای گریختن پائی را پس قصد نمائید دشمن را قصد کردنی تا این که ظاهر

1- (1) ای تکثر الکلام فی تحیرک و خوفک

2- (2) المرسة الحبل و الجمع المرس.

شود بشما ستون حق، و حال آنکه شما غالب و بلند مرتبه هستید، و خداوند با شماست و ناصر شماست، و ناقص نمی نماید از شما جزای عملهای شما را

و من کلام له علیه السلام فی معنی الانصار و هو السادس

اشارة

و الستون من المختار فی باب الخطب

قالوا: لمّا انتهت إلی أمیر المؤمنین أنباء السّقیفة بعد وفات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال علیه السّلام ما قالت الانصار؟ قالوا قالت: منّا أمیر و منکم أمیر قال علیه السّلام:

فهلاّ احتججتم علیهم بأنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله وصّی بأن یحسن إلی محسنهم، و یتجاوز عن مسیئهم؟ قالوا: و ما فی هذا من الحجّة علیهم؟ قال علیه السّلام: لو کانت الإمارة فیهم لم تکن الوصیّة بهم، ثمّ قال:

فما ذا قالت قریش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرّسول صلّی اللّه علیه و آله فقال علیه السّلام: احتجّوا بالشّجرة و أضاعوا الثّمرة.

اللغة

(النّبأ) کالخبر لفظا و معنا و (السّقیفة) الصّفة و سقیفة بنی ساعدة فعیلة بمعنی مفعولة و هی ظلّة کانت مجمع الأنصار و دار ندوتهم لفصل القضایا و (وصیت) الشّیء بالشیء أصیه من باب وعدو وصیته و وصیت إلی فلان توصیة و أوصیته ایصاء و الاسم الوصایة بالکسر و الفتح لغة، و هو وصیّ فعیل بمعنی مفعول و الجمع الأوصیاء و أوصیت له بمال جعلته له، و أوصیته بولده استعطفته علیه، و أوصیته بالصّلاة أمرته بها قال تعالی:

«ذلِکُمْ وَصّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ ».

الاعراب

هلاّ من حروف التّحصيص، قال نجم الائمة الرّضى: و معناها إذا دخلت على الماضى التّوبيخ و اللوم على ترک الفعل، و فى المضارع الحضّ على الفعل و الطلب له، فهى فى المضارع بمعنى الأمر و لا يكون التّحضيض فى الماضى الذى قد فات إلاّ أنّها تستعمل كثيرا فى لوم المخاطب على انّه ترک فى الماضى شيئا يمكن تداركه فى المستقبل، فكأنّها من حيث المعنى للتّحضيض على فعل مثل ما فات، قوله: فما ذا قالت، يحتمل أن يكون ذا موصولة و أن تكون زايدة كما فى قولهم: ما ذا صنعت و من ذا رأيت.

المعنى

اشارة

اعلم انّه (لما انتهت إلى أمير المؤمنين أنباء أهل السقيفة بعد وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله) و مشاجرات المهاجرين و الأنصار و دعوى كل منهما استحقاق الخلافة لنفسه و احتجاج كلّ من الطرفين على الآخر بذكر المناقب و السّوابق (قال عليه السّلام ما قالت الانصار) المهاجرين (قالوا) انّهم (قالت منّا امير و منكم امير قال عليه السّلام فهلا احتججتم عليهم بانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم وصى بان يحسن إلى محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم) و قد مرّ تلک الوصيّة فى المقدّمة الثالثة من مقدّمات الخطبة الشّقشقية فى رواية الاحتجاج عن الشيبانى و رواها الشّارح المعتزلى من صحيحى البخارى و مسلم فى مسنديهما عن أنس بن مالک قال:

مرّ ابو بكر و العباس بمجلس من الأنصار فى مرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هم يبكون، فقالا: ما يبكيكم؟ قال: ذكرنا محاسن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فدخلا على النبى و أخبراه بذلک فخرج و قد عصب على رأسه حاشية برده، فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلک اليوم فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

اوصيكم بالانصار فانّهم كرشى(1) و عيبتى و قد قضوا الذى عليهم و بقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم هذا.

1- (1) الكرش بمنزلة المعدة للانسان و عيال الرجل و اهل بيته.

و لمّا لم يفهم المخاطبون كيفيّة حجيّة كلامه على الأنصار و دلالته على بطلان دعواهم استفهموا عنه عليه السّلام و (قالوا و ما فى هذا) الكلام (من الحجة عليهم فقال عليه السّلام لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم) لكنّها بهم فليست الامارة لهم، بيان الملازمة أنّ العرف قاض بأنّ الوصية انما تكون إلى الرئيس فى حقّ المرءوس لا بالعكس.

(ثمّ قال: فما ذا قالت قريش) فى مقام الاحتجاج على الأنصار (قالوا احتجت بأنّها شجرة الرّسول) كونهم شجرة الرّسول باعتبار أنّه صلوات اللّه عليه و آله منهم، فهو و إياهم جميعا من أغصان أصل واحد و أولاد نضربن كنانة(فقال احتجّوا بالشّجرة و أضاعوا الثّمرة)الظاهر أنّه أراد بالثّمرة نفسه و أهل بيته و أراد باضاعتها إهمالهم له و لأولاده من هذا الأمر و المقصود بهذا الكلام الاحتجاج على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار.

بيان ذلک أنهم استدلّوا على أولويّتهم بأنّهم شجرة الرّسول فيكونون أقرب إليه من غيرهم و نحن نحتج عليهم بأنا ثمرة الرسول فنكون أقرب اليه منهم إذ للثّمرة اختصاص بالمثمر ليس للغير ذلک الاختصاص، بل المراد بالشجر ليس إلاّ الثّمر فان كانت الشّجرة معتبرة فبالأولى اعتبار الثمرة و إن لم يلتفت إلى الثمرة فلا التفات إلى الشّجرة، و قد وقع مثل ذلک التشبيه فى قوله سبحانه:

«أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِى السَّماءِ تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ».

روى فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم باسناده عن سلام بن مستنير عن أبى جعفر عليه السّلام قال: الشّجرة رسول اللّه و نسبه ثابت فى بنى هاشم و فرع الشّجرة علىّ بن أبى طالب، و غصن الشجرة فاطمة و ثمرتها الأئمة، من ولد علىّ و فاطمة، و شيعتهم ورقها و ان المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة، و أنّ المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة، قلت: أ رأيت قوله:

«تُؤْتِی أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها ».

قال یعنی بذلک ما یفتون الأئمة شیعتهم فی كلّ حجّ و عمرة من الحلال و الحرام.

تنبیهان

الاول

قد قدّمنا أخبار السقیفة فی المقدّمة الثالثة من مقدّمات شرح الخطبة الشقشقیة، و نزید هنا علی ما سبق ما رواه المحدّث المجلسی فی البحار من الشیخ فی تلخیص الشافی عن هشام بن محمّد عن أبی مخنف عن عبد اللّه بن عبد الرّحمن بن أبی عمر الأنصاری.

أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و اله و سلّم لما قبض اجتمعت الأنصار فی سقیفة بنی ساعدة فقالوا: نولّی هذا الأمر من بعد محمّد سعد بن عبادة و أخرجوا سعدا إلیهم و هو مریض، قال: فلما اجتمعوا قال لابنه أو لبعض بنی عمّه إنّی لا أقدر لشكوای اسمع القوم كلهم كلامی و لكن تلق منّی قولی فأسمعهم: فكان یتكلّم و یحفظ الرّجل قوله فیرفع به صوته و یسمع به أصحابه فقال بعد أن حمد اللّه و أثنی علیه:

یا معاشر الانصار أنّ لكم سابقة فی الدّین و فضیلة فی الاسلام لیست لقبیلة من العرب، إنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و اله و سلّم لبث عشر سنة فی قومه یدعوهم إلی عبادة الرّحمن و خلع الأوثان، ما آمن به من قومه إلاّ رجال قلیل، و اللّه ما كانوا یقدرون علی أن یمنعوا رسوله و یعززوا دینه و لا أن یدفعوا عن أنفسهم ضیما(1) عموا حتّی اذا أراد بكم ربّكم الفضیلة و ساق إلیكم الكرامة و خصّكم بالنعمة و رزقكم الایمان به و برسوله و المنع له و لأصحابه و الاعزاز له و لدینه و الجهاد لأعدائه.

و كنتم أشدّ النّاس علی عدوّه منهم و أثقله علی عدوّه من غیركم حتی استقامت العرب لأمر اللّه طوعا و كرها، و أعطی البعید المقادة صاغرا و آخرا، و حتّی اثخن اللّه لرسوله بكم فی الأرض و دانت بأسیافكم له العرب و توفاه اللّه تعالی إلیه و هو عنكم راض و بكم قریر عین، استبدّوا بهذا الأمر دون النّاس فانّه لكم دون الناس.

1- (1) الضیم الذلّ م.

فأجابوه بأجمعهم بأن قد وفقت فی الرّای و أصبت فی القول و لن نعدو ما رأیت نولّیک هذا الأمر دون الناس فانک فینا مقنع و لصالح المؤمنین رضی.

ثمّ انّهم ترادّوا الکلام فقالوا فان أبت مهاجرة قریش فقالوا نحن المهاجرون و صحابة رسول اللّه الأوّلون فعلام تنازعونا الأمر من بعده؟ قالت طائفة منهم: فانا نقول إذن منّا أمیر و منکم أمیر و لن نرضی بدون هذا أبدا، فقال سعد بن عبادة حین سمعها هذا أوّل الوهن، و أتی عمر الخبر فأقبل إلی منزل النبیّ فأرسل إلی أبی بکر و أبو بکر فی الدّار و علیّ بن أبی طالب دائب فی جهاز النبیّ.

فأرسل إلی أبی بکر أن اخرج إلیّ فأرسل إلیه أنّی مشتغل فأرسل إلیه أن قد حدث أمر لا بدّ لک من حضوره، فخرج إلیه فقال: أما علمت أنّ الأنصار قد اجتمعت فی سقیفة بنی ساعدة یریدون أن یولوا هذا الأمر سعد بن عبادة، و أحسنهم مقالة من یقول منّا أمیر و من قریش أمیر، فمضیا مسرعین نحوهم فلقیا أبا عبیدة فتماشوا إلیهم فلقاهم عاصم بن عدیّ و عویمر بن ساعدة فقالوا لهم: ارجعوا فانه لا یکون إلاّ ما تحبّون، فقالوا: لا نفعل، فجاءوا و هم مجتمعون.

فقال عمر بن الخطاب: أتیناهم و قد کنت زوّرت(1) کلاما أردت أن اقوم به فیهم فلما اندفعت إلیهم ذهبت لابتدء المنطق فقال لی أبو بکر: رویدا حتّی أتکلّم، ثمّ انطق بعد بما احببت، فنطق، فقال عمر: فما شیء کنت ارید أن أقول به إلاّ و قد أتی علیه.

قال عبد اللّه بن عبد الرّحمن: فبدء أبو بکر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال: إنّ اللّه بعث محمّدا رسولا إلی خلقه و شهیدا علی امّته لیعبدوا اللّه و یوحّدوه و هم یعبدون من دونه آلهة شتّی یزعمون أنّها لمن عبدها شافعة و لهم نافعة و إنما هی من حجر منحوت خشب و منجور ثمّ قرء:

«وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا یَضُرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هؤُلاءِ »

1- (1) التزویر اصلاح الکلام و تهیئته کالتزویق.

«شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ » وَ قالُوا «ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونا إلَى اللّهِ زُلْفى ».

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبـائهم فخصّ اللّه المهاجرين الأولين من قومه بتصـديقه و الايمان به و المواساة له و الصّبر معه على شـدّة أذى قومهم لهم و تكـذيبهم ايّاه، و كلّ الناس لهم مخالف و عليهم زار، فلم يسـتوحشوا لقلّة عددهم و تشذّب الناس عنهم و اجماع قومهم عليهم، فهم أوّل من عبـد اللّه فى الأرض و آمن باللّه و رسوله، و هم أولياؤه و عشـيرته و أحقّ الناس بهـذا الأمر من بعـده، و لا ينازعهم فى ذلک إلاّ ظالم.

و أنتم يا معشـر الأنصار من لا ينكر فضـلهم فى الدّين و لا سابقتهم العظيمة فى الاسـلام رضـيكم اللّه أنصارا لدينه و رسوله و جعل إليكم هجرته و فيكم جلّة ازواجه و أصـحابه، و ليس بعـد المهـاجرين الأـولين عنـدنا بمنزلتكم، فنحن الأـمراء و أنتم الوزراء لانفتات(1) عليكم بمشورة، و لا نقضى دونكم الامور، فقام المنذر بن الحباب ابن الجموح.

هكذا روى الطبرى و الذى رواه غيره أنّ الحباب بن المنذر قال: يا معشر الأنصارا ملكوا على أيديكم، و ساق الحديث نحوا ممّا رواه ابن أبى الحديد عن الطبرى إلى قوله فقاموا إليه فبايعوه.

أقول ما رواه ابن أبى الحديد عنه هكذا: فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الانصارا ملكوا عليكم أمركم فانّ النّاس فى ظلكم و لن يجترى مجترئ على خلافكم، و لا يصـدر أحـد إلاّ عن رأيكم، أنتم أهل العزّة و المنعـة و اولو العدد و الكثرة و ذووا لبأس و النّجدة، و إنّما ينظر النّاس ما تصنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم اموركم، فان أبى هولاء إلاّ ما سمعتم فمنّا أمير و منهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع سـيفان فى غمد واحد و اللّه لا ترضى العرب ان تؤمركم و بينها من غيركم، و لا تمنع العرب أن تؤتى أمرها من كانت النبوة معهم، من ينازعنا سلطان محمّد و نحن أولياؤه و عشيرته.

1- (1) فتات على برأيه استبد و فى بعض نسخ التلخيص لا تقاتون بمشورة، منه.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا أيديكم و لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فان أبوا عليكم فاجلوا هذه من بلادكم فأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم فانّه بأسيافكم و ان النّاس بهذا الدّين أنا جذيلها المحكّك و عذيقها المرجّب، أنا أبو شبل فى عريسة الأسد، و اللّه إن شئتم لنعيدها جذعة.

فقال عمر: إذن يقتلك اللّه، فقال بل إيّاك يقتل، فقال أبو عبيدة: يا معشر الانصار انكم أوّل من نصر فلا تكونوا أوّل من بدّل و غيّر.

فقام بشير بن سعد والد النّعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار ألا إنّ محمّدا من قريش و قومه أولى به و أيم اللّه لا يرانى اللّه انازعهم هذا الأمر، فقال أبو بكر:

هذا عمرو أبو عبيدة بايعوا أيّهما شئتم، فقالا: و اللّه لا نتولّى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و خليفة رسول اللّه فى الصّلاة و هى أفضل الدين ابسط يدك فلما بسط يده ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه.

فناداه الحباب بن المنذر يا بشير (عفتك خ) عفاة أنفست على ابن عمك الامارة، فقال أسيد بن حصين رئيس الأوس لأصحابه: و اللّه لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة ابدا، فقاموا فبايعوا أبا بكر فانكسر على سعد بن عبادة و الخزرج ما اجتمعوا عليه، و أقبل النّاس يبايعون أبا بكر من كلّ جانب.

قال فى البحار: قال الشّيخ قال هشام: قال أبو مخنف: و حدّثنى أبو بكر بن محمّد الخزاعى إنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتّى تضايقت بهم السكك ليبايعوا ابا بكر، فقال عمر: ما هو إلاّ أن رايت اسلم فأيقنت.

قال هشام: عن أبى مخنف قال: قال أبو عبد اللّه بن عبد الرّحمن و أقبل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر و كادوا يطئون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا لا تطئوه، فقال عمر: اقتلوا سعدا قتله اللّه، ثمّ قام على رأسه فقال:

لقد هممت أن أطأك حتى يندر عضوك، فأخذ قيس بن سعد بلحيته ثمّ قال: و اللّه لئن حصصت «حصفت خ ل» منه شعرة ما رجعت و فى فيك واضحة، فقال أبو بكر مهلا يا

عمر الرفق ههنا أبلغ فأعرض عنه.

و قال سعد: و اللّه لو أری من قومی ما أقوی علی النّهوض لسمعتم منّی بأقطارها و سککها زئیرا یحجزک و أصحابک، أما و اللّه إذن لألحقک بقوم کنت فیهم تابعا غیر متبوع احملونی من هذا المکان، فحملوه فأدخلوه داره و ترک أیّا ما ثمّ بعث الیه أن اقبل فبایع فقد بایع النّاس و بایع قومک، فقال أما و اللّه حتّی أرمیکم ما فی کنانتی من نبل و اخضب منکم سنان رمحی و أضربکم بسیفی ما ملکته یدی، و اقاتلکم بأهل بیتی و من أطاعنی من قومی، و لا أفعل و أیم اللّه لو أنّ الجنّ اجتمعت لکم مع الانس ما بایعتکم حتّی اعرض علی ربّی و أعلم ما حسابی فلمّا اتی أبو بکر بذلک قال له عمر: لا تدعه حتّی یبایع، فقال بشیر بن سعد إنّه قد لجّ و أبی فلیس یبایعکم حتّی یقتل و لیس بمقتول حتّی یقتل معه ولده و أهل بیته و طائفة من عشیرته، فلیس ترکه بضارکم إنّما هو رجل واحد فترکوه، و قبلوا مشورة بشیر بن سعد و استنصحوه لما بدا لهم منه.

و کان سعد لا یصلّی بصلاتهم و لا یجمع معهم و یحجّ و لا یحجّ معهم، و یفیض فلا یفیض معهم بافاضتهم فلم یزل کذلک حتی هلک أبو بکر.

أقول: روی الشّارح المعتزلی خبر السّقیفة من کتاب السّقیفة لأبی بکر أحمد بن عبد العزیز الجوهری نحوا ممّا روینا و زاد فی آخره بعد قوله فلم یزل کذلک حتّی مات أبو بکر، ثمّ لقی عمر فی خلافته و هو علی فرس و عمر علی بعیر فقال له عمر:

هیهات یا سعد فقال سعد: هیهات یا عمر، فقال: أنت صاحب من أنت صاحبه قال: نعم أنا ذاک، ثمّ قال لعمر و اللّه ما جاورنی أحد هو أبغض إلیّ جورا منک و من أصحابک، فلم یلبث سعد بعد ذلک قلیلا حتّی خرج إلی الشّام فخرج فیها، و لم یبایع لا لأبی بکر و لا لعمر و لا لغیرهما.

ثمّ قال: قال الرّاوی: و کثر النّاس علی أبی بکر فبایعه معظم المسلمین فی ذلک الیوم، و اجتمعت بنو هاشم إلی علیّ بن أبی طالب و معهم الزّبیر و کان یعدّ نفسه رجلا من بنی هاشم کان علیّ علیه السّلام یقول، ما زال الزّبیر منّا أهل البیت حتّی نشا بنوه فصرفوه عنّا.

و اجتمعت بنو امیّة إلی عثمان بن عفّان و اجتمعت بنو زهرة إلی سعد و عبد الرحمن

فأقبل عمر و أبو عبيدة فقال: ما لی أراكم متخلّفين، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع النّاس و بايعه الأنصار، فقام عثمان و من معه و قام سعد و عبد الرّحمن و من معهما فبايعوا أبا بكر، و ذهب عمر و معه عصابة إلى بيت فاطمة منهم أسيد بن حصين و سلم ابن أسلم فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه.

و خرج الزّبير بسيفه فقال عمر، عليكم الكلب فوثب عليه سلم بن أسلم فأخذ السّيف من يده فضرب بيده الجدار ثمّ انطلقوا به و بعلیّ و معهما بنو هاشم و علیّ عليه السّلام يقول: أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه حتّى انتهوا به إلى أبى بكر فقيل له: بايع، فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم لا أبايعكم و أنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابة من رسول اللّه فاعطوكم و سلّموا إليكم الامارة، و أنا احتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون اللّه من أنفسكم و اعرفوا للنّاس الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم و إلاّ فبوّؤا بالظلم و أنتم تعلمون فقال عمر إنّک لست متروكا حتّى تبايع فقال له علیّ عليه السّلام: احلب يا عمر حلبا لک شطره اشدد له اليوم أمره ليردّه عليک غدا، لا و اللّه لا أقبل قولک و لا ابايعه فقال له أبو بكر: فان لم تبايعنى لا اكرهک فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنّک حديث السّن و هؤلاء مشيخة قريش قومک ليس لک تجربتهم و معرفتهم بالامور و لا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منک و أشدّ احتمالا له و اضطلاعا به، فسلم له هذا الأمر و ارض به فانّک إن تعيش و يطل عمرک فأنت بهذا الأمر خليق و به حقيق فى فضلک و قرابتک و سابقتک و جهادک.

قال علیّ عليه السّلام: يا معشر المهاجرين اللّه اللّه لا تخرجوا سلطان محمّد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه فى النّاس و حقّه، فو اللّه يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، أما كان منّا القارى لكتاب اللّه الفقيه فى دين اللّه العالم بالسّنة المضطلع بأمر الرّعيّة، و اللّه إنّه لفينا فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعدا

فقـال بشـير بن سـعد: لو كان هـذا الكلام سـمعته منک الأنصار يا علىّ قبل بيعتهم لأبى بكر ما اختلف عليک اثنان، و لكنّهم قـد بايعوا، و انصرف علىّ إلى منزله و لم يبايع و لزم بيته حتّى ماتت فاطمة فبايع.

قال الشّارح: قلت: هذا الحديث يدلّ - على بطلان ما يدّعى من النّصّ على أمير المؤمنين و غيره، لأنّه لو كان هناک نصّ صـريح لاحتجّ به و لم يجر للنّص ذكر و إنّمـا كـان الاحتجاج منه و من أبى بكر و من الأنصار بالسّوابق و الفضايل و القرب، فلو كان هناک نصّ صـريح على أمير المؤمنين و على أبى بكر لاحتجّ به أبو بكر على الأنصار و لاحتجّ به أمير المؤمنين على أبى بكر.

فانّ هذا الخبر و غيره من الأخبار المستفيضة يدلّ على أنّه قد كان كاشفهم و هتک القناع بينه و بينهم ألا تراه كيف نسبهم إلى التّعدّى عليه و ظلمه و تمنّع من طـاعتهم و أسـمعهم من الكلاـم أشـدّه و أغلظه، فلو كـان هنـاک نصّ لـذكره أو ذكره من شـيعته و حزبه لأـنّه لا عطر بعد عروس(1).

و هذا أيضا يدلّ على أنّ الخبر الذى فى أبى بكر فى صـحيحى البخارى و مسـلم غير صـحيح، و هو ما روى من قوله صـلّى اللّه عليه و اله و سلّم لعايشة فى مرضه: ادعى إلىّ أباک و أخاک حتّى اكتب لأبى بكر كتابا، فانّى أخاف أن يقول قائل أو يتمنّى متمنّى، و يأبى اللّه

1- (1) قولهم لا عطر بعـد عروس اسـماء بنت عبد اللّه العذرية اسم زوجها عروس و مات زوجها فتزوجها رجل أعسـر أبخر بخيل ذميم، فلما أراد أن يظعن بها قالت لو أذنت لى رثيت ابن عمى فقال افعلى فقالت ابكيک يا عروس الأعراس يا ثعلبا فى أهله و أسـدا عند الباس مع أشـياء ليس يعلمها الناس قال: و ما تلک الاشـياء قالت كان عن الهمة غير فعاس و يعمل السيف صبيحات الباس ثمّ قالت يا عروس الاغر الازهر الطيب الخيم الكريم المحضـر مع أشـياء له لا تـذكر، قال و ما تلک الاشـياء قالت كان عيوفا للخنا و المنكر طيب النكهـة غير أبخر أيسـر غير أعسـر فعرف الزوج أنهـا تعرّض به فلما دخل بها قال ضـمى اليک عطرک و قـد نظر الى قشوة عطرها مطروحـة فقالت لا عطر بعد عروس، او تزوج رجل امرئة فهديت اليه فوجدها نفلة فقال اين عطرک فقالت خبأته فقال لا مخبأ لعطر بعد عروس يضـرب لمن لا يؤخر عنه نفيس، قاموس.

و المؤمنون إلاّ أبا بكر و هذا هو نصّ مذهب المعتزلة.

أقول من نظر إلى هذا الحديث بعين البصيرة و الاعتبار و لاحظ الانصاف و جانب حدّ الاعتساف، عرف منه ما فيه للناظرين معتبر و استفاد منه أشياء كلّ منها شاهد صدق على بطلان خلافة الثلاثة، و برهان واضح على فساد دعوى تابعيهم استحقاقهم لها و أهليّتهم للقيام بها.

منها خلوّه من احتجاج قريش على الأنصار جعل النبيّ الامامة فيهم، لانّه تتضمّن من احتجاجهم عليهم ما يخالف ذلک و أنّهم إنّما ادّعوا كونهم أحقّ بالأمر من حيث كون النبوّة فيهم و من حيث كونهم أقرب إلى النبيّ نسبا و أولاهم له أتباعا.

و منها أنّ الأمر إنما بنى السّقيفة على المغالبة و المخالسة، و انّ كلاّ منهم إنما كان يجذبه لنفسه بما اتّفق له و عنّ (1) من حقّ و باطل و قويّ و ضعيف.

و منها أنّ سبب ضعف الأنصار و قوّة المهاجرين عليهم انحياز(2) بشير بن سعد حسدا لسعد بن عبادة، و انحياز الأوس بانحيازه عن الأنصار.

و منها أنّ خلاف سعد و أهله كان باقيا لم يرجعوا عنه، و إنما أقعده عن الخلاف بالسّيف قلة الناصر.

و منها أنّه لو أراد أبو بكر الاجماع و اتّفاق الكلّ على بيعته حتّى من سعد و أصحابه انجرّ الأمر إلى قتل النّفوس و اهراق الدماء و فسدله الأمر.

و منها أن قول عمر فى حقّ الزّبير: عليكم الكلب، دليل على بطلان خبر العشرة المبشرة إذ الكلب لا يكون فى الجنّة.

و منها أنّ بيعة عمر لأبى بكر لم يكن لتأسيس أساس الاسلام و رعاية مصلحة الدين و حفظ شرع سيد المرسلين، و إنّما كان نظره فى ذلک ليتولى أبو بكر الأمر و يوليه عليه بعده كما هو نصّ قوله عليه السّلام اشدد له اليوم أمره ليردّ عليک غدا.

1- (1) عن الشيء عنا اذا ظهر امامک و اعترض، ق.

2- (2) انحاز عنه عدل ق.

و منها أنّ حداثـة السّنّ لو كان مانعا عن الخلافة كما قاله أبو عبيدة و أخذه منه أهل السّـنة و الجماعة، لكان مانعا عن النبوة بطريق أولى و قد قال سبحانه:

«وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ».

فقد أتا النبوّة ليحيى و عيسى عليهما السّلام فى حالة الصّباء.

و منها أن تجربـة أبى بكر كما زعمه أبو عبيـدة لو كان أزيد من أمير المؤمنين عليه السّـلام لـم يعز له النبىّ من البعث بسورة برائة و لـم يخلّف عليّا مقامه و لو كان قوته أشدّ لسبق فى يوم أحد و خيبر و لـم يستأثر الفرّ على الكرّ.

و منها أنّ قول بشـير بن سـعد له لو كان هذا الكلام سـمعته منک الأنصار قبل البيعة لما اختلف عليک اثنان، دليل على أنّ بيعتهم لأبى بكر لـم يكن عن بصـيرة و إنّما اقتحموا فيها من غير رويـة، و إنما كان اللاّزم عليهم التّروّى و التثبيت و ملاحظة الأطراف و الجوانب، و التّفكر فى العواقب و الدّقة فى جهات الاستحقاق فكيف يكون بيعة هؤلاء الجهلة الغفلة الفسقة التّابعة لهوى أنفسهم الأمارة حجة شرعيّة لأهل الملّة.

و أمّـا مـا ذكره الشّـارح من أنه لو كان هناک نصّ لاحتـجّ به أمير المؤمنين و لما لـم يحتـج إلاّ بالسّوابق و القرب علم أنّه لـم يكن هناک نصّ عليه، ففساده أظهر من الشـمس فى رابعة النّهار، إذ قد عرفت أنّ أوّل من حضر فى السقيفة هو الأنصار، و اوّل من ابتدء بالكلام فيها سعد بن عبادة، فـذكر مناقب الأنصار و مآثرهم و كونهم انصارا لـدين اللّه و ذابيّن عن رسول اللّه، فاحتجّ عليهم قريش بالقرب و النسب و السـبق فى التصـديق و التّقـدم فى الايمـان فحجّوهم بـذلک، فاقتضـى المقـام بمقتضـى آداب المناظرة أن يحتـجّ أمير المؤمنين عليه السّـلام بمثل ما احتجّت به قريش على الأنصار، إذ فى ذلک من الالزام لهم ما ليس فى غيره كما قال عليه السّلام فيما يذكره السّيد فى أواخر الكتاب.

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا و المشيرون غيّب

و ان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرک أولى بالنبىّ و أقرب

و كيف يدّعى عدم النص بعد حديث المنزلة و خبر الغدير و قوله صلّى اللّه عليه و اله و سلّم علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ يدور معه كيف دار إلى غير ذلک من الأخبار و الآيات التى قدّمناها فى المقدّمة الثانية من مقدّمات الخطبة الشقشقية و غيرها، «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً » يستضىء به «فَما لَهُ مِنْ نُورٍ »، «وَ اللّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

الثانى

اعلم أنّ الشّارح المعتزلى قد روى فى شرح هذا الكلام أخبارا من كتاب الجوهرى قدم رواية أكثرها فى شرح الخطبة السادسة و العشرين، و نحن أيضا روينا بعضها هناک فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبة المذكورة و نروى هنا بعض ما لم يتقدّم ذكره حذرا من التكرار كما وقع فى شرح المعتزلى، و ليس غرضنا من إيرادها مجرّد الاقتصاص و إنّما المقصود بذلک إقامة الحجّة على الطائفة الضالّة من الكلاب الممطورة، و الابانة عن ضلالة الشّارح و غفلته، و انّه مع روايته لتلک الأخبار و اعترافه بوثاقة راويها كيف لم يتنبّه من نومة الجهالة، و تاه فى أودية الضّلالة.

فأقول: فى الشّرح من كتاب السّقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهرى:

قال: حدّثنا أبو سعيد عبد الرّحمن بن محمّد، قال: حدّثنا أحمد بن الحكم، قال حدّثنا عبد اللّه بن وهب، عن الليث بن سعد، قال تخلّف علىّ عليه السّلام عن بيعة أبى بكر فاخرج ملبّبا يمضى به رقصا، و هو يقول: معاشر المسلمين على م يضرب عنق رجل من المسلمين، لم يتخلّف لخلاف و إنما تخلّف لحاجة فما من مجلس من المجالس إلاّ يقال له: اذهب فبايع.

أقول: هذا الحديث نصّ فى أنه لو لم يبايع يضرب عنقه فيدلّ على انّه عليه السّلام لم يكن فى البيعة مختارا، و هذا المعنى قد تضمّنته أخبار كثيرة عاميّة و خاصيّة بالغة حدّ الاستفاضة بل التواتر قد اورد طائفة منها السّيد (ره) فى الشافى، و روى جملة كثيرة منها السّيد المحدّث البحرانى فى كتاب غاية المرام، و قد روينا فى

شرح الخطبة السادسة و العشرين قول الصّادق عليه السّلام: و اللّه ما بايع عليّ حتّى رأى الدّخان قد دخل عليه بيته، و نقلنا قول السّيد هناك من أنّه أيّ اختيار لمن يحرق عليه بابه حتّى يبايع.

قال الجوهرى: و حدّثنا أبو زيد عمرو بن شيبة باسناد رفعه إلى ابن عبّاس قال: إنّى لا ماشى عمر فى سكّة من سكك المدينة يده فى يدى، فقال يا بن عبّاس ما أظنّ صاحبک إلاّ مظلوما فقلت فى نفسى و اللّه ما يسبقنى بها، فقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدى ثمّ مرّ يهمهم ساعة ثمّ وقف فلحقته فقال:

يا ابن عبّاس ما أظنّ القوم منعهم من صاحبک إلاّ أنّهم استصغروه، فقلت فى نفسى هذه شرّ من الأولى، فقلت و اللّه ما استصغره اللّه حين أمره أن يأخذ سورة برائة من أبى بكر.

قال الجوهرىّ: و حدّثنى أبو زيد، قال حدّثنى محمّد بن عبادة، قال حدّثنى أخى سعيد بن عبادة، عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبى بكر أنّه قال: ليتنى لم اكشف بيت فاطمة و لو اغلق علىّ الحرب.

قال الشّارح: الصحيح عندى أنّها ماتت و هى واجدة على أبى بكر و عمرو أنّها أوصت أن لا يصليا عليها، و ذلک عند أصحابنا من الامور المغفورة لهما، و كان الاولى بهما اكرامها و احترام منزلها لكنّهما خافا الآفة و أشفقا من الفتنة ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنّهما، و كانا من الدّين و قوّة اليقين بمكان مكين لا شكّ فى ذلک، الامور الماضية يتعذّر الوقوف على عللها و أسبابها و لا يعلم حقايقها إلاّ من شاهدها و لا ـ بسها بل لعلّ الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الأمر، فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى، و اللّه ولىّ المغفرة و العفو، فان هذا لو ثبت خطاء لم يكن كبيرة بل كان من باب الصّغاير التى لا يقتضى التّبرى و لا يوجب التّولى.

أقول: ما صحّحه من أنّها عليها السلام ماتت و هى واجدة غضبانة على الرّجلين فهو الصّحيح الذى لا ريب فيه و يشهد بذلک ملاحظة أخبار غصب فدک و غيرها ممّا مرّ فى تضاعيف الشّرح و يأتى أيضا

و أمّا ما اعتـذر به من أنّ ذلک من الصّـغاير المعفوّة ففاسد جدّا إذ کيف يکون ذلک من الصـغائر مع ما روته العامة و الخاصة من قول النبیّ صلّی اللّه عليه و اله و سلّم لها: يا فاطمة إنّ اللّه يغضب بغضبک و يرضی لرضاک، و قوله فيها: يؤذينی ما أذاها.

و ما أخرجه أحمد بن حنبل و الحاکم علی الميسور بن مخرمة مرفوعا: فاطمة بضـعة منّی يغضـبنی ما يغضـبها و يبسـطنی ما يبسطها، و أنّ الانسـاب تنقطع يوم القيامـة غير نسبی و سـببی و صـهری، فاذا انضمّ إلی ذلک قوله تعالی «وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی » و قوله: «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » يعلم من ذلـک أنّ مـا فعلاـه فی حقها من أکبر الکبایر الموجب لکونهما فی أسـفل الـدرک من الجحيم خالدين فيها و ذلک جزاء الظالمين.

و أما ما ذکره من انهما کانا من الـدين و قوّة اليقين بمکان مکين ففيه انّک قد عرفت فی شـرح الخطبة الشقشـقية و غيرها و سـتعرف أيضا بعد ذلک انهما لم يکونا من الدّين فی شیء، و کيف يجسر المتديّن أن يدخل من غير إذن بيتا لم يکن يدخل فيها الملائکة إلاّ باذن أو يحرق بابه أو يهتک ستره حتّی يطمع فيه من لم يکن يطمع.

و أما قوله: إنّ الامور الماضية يتعذّر الوقوف علی عللها و لا يعلم حقايقها إلاّ من قد شاهدها، ففيه انّ الوقوف عليها و الاطلاع علی حقايقها يحصـل بالنقـل و السـمع و لا حاجـة فی ذلک إلی الشّـهود و الحضور، و قـد حصل لنا فی حقهما بطريق السـمع و البيان ما هو مغن عن الحضور و العيـان، و عرفنا أنّ الـداعی لأفعالهما فی جميع حرکاتهما و سـکناتهما لم يکن إلاّ اتباع هوی النفس الامارة و إبطال الشـريعة و الملّة و ترويج البدعة و تضييع السنة.

أما قوله: إنّ ذلک لا يقتضی التبرّی و لا يوجب التولی، فيه انهما إذا کانا ممن

غضب اللّه عليه بمقتضى ما ذكرنا يجب التّبرّى عنهما و لا يجوز التّولى لقوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ ».

و أشدّ ممّا ذكرنا كلّه فظاعة و أظهر شناعة ما رواه الشّارح أيضا عن الجوهرى، قال حدّثنا الحسن بن الرّبيع، عن عبد الرّزاق، عن معمّر، عن الزّهرى، عن علىّ بن عبد اللّه بن العبّاس، عن أبيه قال: لما حضرت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم الوفات و فى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: إيتونى بدواة و صحيفة اكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدى، فقال عمر كلمة معناها: أنّ الوجع قد غلب على رسول اللّه، ثمّ قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب اللّه، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من قائل يقول: القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللّفظ «اللغط ظ» و اللغو و الاختلاف غضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: قوموا إنّه لا ينبغى لنبىّ أن يختلف عنده هكذا فقاموا فمات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فى ذلک اليوم فكان ابن عباس يقول: إنّ الرّزية كلّ الرّزية ما حال بيننا و بين رسول اللّه يعنى الاختلاف و اللفظ «اللغط ظ».

قال الشّارح قلت: هذا الحديث قد خرّجه الشّيخان محمّد بن إسماعيل و مسلم بن الحجاج القشيرى فى صحيحيهما و اتّفق المحدّثون كافّة على روايته.

أقول: هذه الرّواية كما ذكره الشّارح ممّا رواها الكلّ و الرّواية فى الجميع عن ابن عباس، و قوله فقال العمر كلمة معناها أنّ الوجع قد غلب اه، الظاهر أنّ تلک الكلمة فى أكثر تلک الرّوايات من قوله: إنّ الرّجل ليهجر، و فى بعضها ما شأنه يهجر استفهموه، و فى بعض الآخر ما شأنه هجر، و فى غيرها ما يقرب من هذا اللفظ، و قد عدل الرّاوى عن رواية هذه اللفظة لكراهته نقلها إذ الهجر كما صرّح به غير واحد من اللغويين هو الهذيان و بذلک فسّر قوله تعالى:

«إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ».

فبدّل الرّاوى هذه الكلمة بغيرها استحياء و استصلاحا لكلام عمر و لن يصلح العطار ما أفسد الدّهر.

فمن تأمّل فى هذه الرّواية حقّ التّأمل عرف جفاوة الرّجل و فظاظته و خبث طينته و سوء سريرته و عناده و نفاقه من جهات عديدة:

الاولى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ما كان ينطق عن الهوى و إن كان كلامه لم يكن إلاّ وحيا يوحى، فنسبه مع ذلک عمر إلى الهذيان.

الثانية أنّ قوله عندنا القرآن حسبنا كتاب اللّه ردّ على اللّه فضلا عن رسول اللّه و قد قال اللّه:

«وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً» و قال: «فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً».

الثالثة أنّ كتاب اللّه لو كان كافيا عمّا أراد صلوات اللّه عليه و آله كتابته لم يطلب ما يكتب أ تراه يطلب عبثا أم يريد لغوا؟ و نقول لم لم يكف الكتاب و اختلّت أمر الامّة و انفصمت حبل الملّة و تهدّمت أركان الهدى و انطمست أعلام التّقى.

قال السّيد بن طاوس فى محكىّ كلامه من كتاب الطرايف: من أعظم طرايف المسلمين أنّهم شهدوا جميعا أن نبيهم أراد عند وفاته أن يكتب لهم كتابا لا يضلّون بعده أبدا، و أنّ عمر بن الخطاب كان سبب منعه من ذلک الكتاب و سبب ضلال من ضلّ من امّته و سبب اختلافهم و سفک الدّماء بينهم و تلف الأموال و اختلاف الشّريعة و هلاک اثنين و سبعين فرقة من أصل فرق الاسلام و سبب خلود من يخلد فى النّار منهم.

و مع هذا كلّه فانّ أكثرهم أطاع عمر بن الخطاب الذى قد شهدوا عليه بهذه الأحوال فى الخلافة و عظموه و كفّروا بعد ذلک من يطعن فيه، و هم من جملة الطاعنين، و ضللوا من يذمّه و هم من جملة الذّامين، و تبرّؤوا ممن يقبح ذكره و هم من جملة المقبحين.

الرّابعة انّ غيظ رسول اللّه و غضبه عليه و أمره له بالخروج من البيت و المتنازعين مع خلقه العظيم و عفوه الكريم و ملاحظته فى الفظاظة و الغلظة انقضاض الخلق كما قال سبحانه:

«وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ ».

لم يكن إلاّ لشدّة اسائته الأدب و الوقاحة و بلوغه فى أذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الغاية بحيث لم يتحمّلها صلوات اللّه عليه و آله و قد قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدُّنْيا وَ الآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً ».

قال الجوهرى: و حدّثنا أحمد بن سيّار عن سعيد بن كثير الأنصارى عن عبد اللّه بن عبد اللّه بن الرّحمن أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مرض موته أمّر اسامة بن زيد ابن حارثة على جيش فيه جلّة المهاجرين و الأنصار منهم أبو بكر و عمرو أبو عبيدة بن الجراح و عبد الرّحمن بن عوف و طلحة و الزبير و أمره أن يغير على موتة(1) حيث قتل أبوه زيد و أن يغزى و ادى فلسطين، فتثاقل اسامة و تثاقل الجيش بتثاقله و جعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم يثقل و يخفّ و يؤكّد القول فى تنفيذ ذلک البعث.

حتّى قال له اسامة: بأبى أنت و أمّى أ تأذن لى أن أمكث أيّاما حتّى يشفيک اللّه؟ فقال: اخرج و سر على بركة اللّه، فقال: يا رسول اللّه إنّى إن خرجت و أنت على هذه الحال خرجت و فى قلبى قرحة منک، فقال صلّى اللّه عليه و اله و سلّم سر على النّصر و العافية، فقال:

1- (1) اسم الموضع الذى قتل فيه جعفر بن أبى طالب، منه.

يا رسول اللّه إنّى أكره أن أسأل عنک الركبان، فقال صلّى اللّه عليه و آله انفذ لما أمرتک به.

ثمّ اغمى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و قام اسامة فجهّز للخروج، فلما أفاق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم سأل عن اسامة و البعث، فاخبر أنّهم يتجهّزون، فجعل يقول انفذوا بعث اسامة لعن اللّه من تخلّف عنه و يكرّر ذلک.

فخرج اسامة و اللواء على رأسه و الصّحابة بين يديه، حتّى إذا كان بالجرف(1) نزل و معه أبو بكر و عمر و أكثر المهاجرين، و من الأنصار أسيد بن حصين و بشير ابن سعد و غيرهم من الوجوه، فجائه رسول ام أيمن يقول له ادخل فانّ رسول اللّه يموت، فقام من فوره و دخل المدينة و اللواء معه فجاء به حتّى ركزه باب رسول اللّه و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد مات فى تلک السّاعة، قال: فلما «فماظ» كان أبو بكر و عمر يخاطبان اسامة إلى أن ماتا إلاّ بالأمير.

أقول و نقل الشّارح بعث جيش اسامة قبل فى شرح الخطبة الشّقشقية أيضا بتغيير يسير لما أورده هنا من الجوهرى، و قال هناک بعد نقله ما هذه عبارته.

و تزعم الشّيعة أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يعلم موته و أنّه سير أبا بكر و عمر فى بعث اسامة لتخلو دار الهجرة منهما فيصفوا لأمر لعلىّ عليه السّلام و يبايعه من تخلّف من المسلمين فى مدينة على سكون و طمأنينة، فاذا جاءهما الخبر بموت رسول اللّه و بيعة النّاس لعلىّ بعده كانا عن المنازعة و الخلاف أبعد لأنّ العرب كانت تلتزم باتمام تلک البيعة و تحتاج فى نقضها إلى حروب شديدة، فلم يتمّ له ما قدّر و تثاقل بالجيش أيّا ما مع شدّة حثّ رسول اللّه على نفوذه و خروجه بالجيش حتّى مات و هما بالمدينة فسبقا عليا إلى البيعة و جرى ما جرى.

ثمّ قال: و هذا عندى غير منقدح لانّه إن كان يعلم موته فهو أيضا يعلم أنّ أبا بكر سيلى الخلافة و ما يعلمه لا يحترس منه، و إنّما يتمّ هذا و يصحّ إذا فرضنا أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يظنّ موته و لا يعلمه حقيقة و يظنّ أنّ أبا بكر و عمر يتمالان على ابن عمه و يخاف وقوع ذلک منهما و لا يعلمه حقيقة فيجوز إن كانت الحال

1- (1) الجرف بالضم موضع قرب المدينة ق.

هكذا أن ينقدح هذا التّوهم و يتطرق هذا الظن.

كالواحد منّا له ولد ان يخاف من أحدهما أن يتغلب بعد موته على جميع ماله و لا يوصل أخاه إلى شيء من حقّه فانّه قد يخطر له عند مرضه الـذى يتخوف أن يموت فيه أن يأمر الولـد المخوف جانبه بالسّـفر إلى بلد بعيد فى تجارة يسـلمها إليه يجعل ذلک طريقا إلى دفع تغلبه على الولد الآخر.

أقول: ما نسـبه إلينا معاشـر الشّـيعة حقّ لا ريب فيه، و ما أورده علينا فظاهر الفساد إذ علم النبىّ بموته و بتولّى أبى بكر الخلافة لا ينافى الأمر ببعثه مع اسامة و إلاّ لتوجّه هذا الاشـكال فى أوامر اللّه سـبحانه، فانّه قد أمر العصاة بالاطاعة و الكفار بالاسلام مع علمه بانّهم لا يطيعون و أنّهم على كفرهم باقون، نعم هذا يناسب على اصول الأشاعرة القائلين بالجبر و الشّارح عدلىّ المذهب لا مساس لما أورده على مذهبه.

و تحقيق الكلاـم أنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله كـان يعلم موته و يعلم أنّ أبا بكر يغصب الخلافـة و مع علمه بـذلک بعثه فى الجيش ليفهم الخلق و يعرّفهم انّه ليس راضـيا بخلافته و ينبههم على خلافه و عظم جرمه و جريرته و مخالفته للحكم الالزامىّ المؤكد الذى كرّره صلوات اللّه عليه و آله مرّة بعد اخرى.

و ليعلمهم أيضا أنّه برجوعه إلى المدينة مسـتحقّ للّعن الدائم و العذاب الأليم مضافا إلى ما فى ذلک البعث من نكتة اخرى، و هو «هى ظ» التّنبيه على مقـام أبى بكر و عمر و الايمـاء إلى أنّ من كان محكوما عليه بحكم مثل اسامـة و مامورا بأمره لا يكون له قابليّـة و اسـتعداد لأن يكون أميرا لجميع الامّة و اماما لهم.

و الحاصـل أنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و اله و سـلّم كان عالما بموته و بأنّ ما قـدّره و أراده فى حقّ أمير المؤمنين عليه السّـلام لا يتمّ له، و مع ذلک سـيّر الرّجلين إعلاما للخلق بأنّه لا يرضـى بهما خلافة و أنّهما غير قابلين لذلک، و إفهاما لهم بأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو القابل له، و أنّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أراد قيامه عليه السّلام مقامه صلّى اللّه عليه و آله، فحالوا بينه و بينه.

الترجمة

از جمله کلام آن جناب علیه الصّلاة و السّلام است در خصوص أنصار، گفته اند راویان زمانی که رسید بأمیر المؤمنین خبرهای سقیفهٔ بنی ساعده و احتجاجات مهاجرین و انصار در باب خلافة بعد از وفات حضرت رسول مختار، فرمود آن حضرت که چه گفتند انصار بمهاجرین؟ عرض کردند که چنین گفتند که باید از ما امیری باشد و از شما امیری فرمود:

پس چرا احتجاج نکردید بر ایشان باین که رسول خدا وصیت فرمود در حقّ ایشان باین که احسان بشود در حق نیکو کار ایشان و در گذرند از بد کردار ایشان، عرض کردند که چگونه باشد در این گفتار حجّة بر انصار پس فرمود آن حضرت که اگر بود خلافت در ایشان نمی بود وصیت پیغمبر بایشان یعنی لازم بود که پیغمبر دیگران را بایشان بسپارد نه این که سفارش ایشان را بدیگران بکنند بعد از آن فرمود آن حضرت:

پس قریش در مقام احتجاج چه گفتند بأنصار؟ عرض کردند که حجت آوردند با این که ایشان شجرهٔ رسول خدایند، پس فرمود که: حجّة آوردند بشجره و ضایع کردند ثمرهٔ او را، یعنی بدرخت حجة می آورند و ثمرهٔ او را که آل محمّد علیه و علی آله الصّلاة و السّلام هستند مهمل می گذارند، اللهمّ وفقنا.

و من کلام له علیه السلام و هو السابع و الستون

اشارة

من المختار فی باب الخطب

لما قلّد محمّد بن أبی بکر مصر فملک علیه و قتل رحمة اللّه علیه و قد أردت تولیة مصر هاشم بن عتبة، و لو ولّیته إیّاها لما خلّی لهم العرصة، و لا أنهزهم الفرصة، بلا ذمّ لمحمّد، فلقد کان إلیّ حبیبا

و لی ربیبا.

اللغة

(العرصـة) کلّ بقعـة من الدّور واسـعة لیس فیها بناء و المراد هنا عرصة مصـر و (نهزت الفرصة) و انتهزتها اغتنمتها، و انهزت الفرصة بهمزة التّعدیة ای انهزتها غیری و (الربیب) ابن امرأة الرّجل من غیره.

الاعراب

قوله بلا ذمّ، کلمـة لا نافیـة معترضـة بین الخافض و المخفوض، و قال الکوفیّون إنّها اسم بمعنی غیر و الجار داخل علیها نفسـها و ما بعدها مجرور باضافتها إلیه، و غیرهم یراها حرفا و یسـمّیها زائدة و ان کانت مفیدة معنی کما یسـمّون کان فی نحو زید کان فاضـلا زایدا فهی زایدة لفظا من حیث فصول عمل ما قبلها الی ما بعدها غیرة زایدة معنی لافادتها النّفی.

المعنی

اشارة

اعلم انّه (لما قلّد محمّد بن أبی بکر مصـر) قبل وقعة صـفّین أی جعله و الیها کانّ ولایتها قلادة فی عنقه لکونه مسؤولا عن خیرها و شـرّها و انصـرف النّاس من صفّین لم یزدد معاویة إلاّ قوّة فبعث جیشا کثیفا إلی مصر فقاتلوا محمّدا (فملک) مصر (علیه) ای اخذه معاویة منه قهرا و اسـتولی علیه (و قتل) محمّد قتله معاویة بن حدیج الکندی حسـبما تعرفه فلمّا جاءه صـلّی اللّه علیه و آله نعی محمّد قال (و قد أردت تولیة مصـر هاشم بن عتبـة) ابن أبی وقاص (و لو ولیّته ایّاها لما خلالهم العرصـة و لا انهزهم الفرصة) کما انهزها محمّد إیّاهم و خلاها لهم و فرّ منها ظانّا أنّه بالفرار ینجو بنفسه فلم ینـج و اخـذ و قتل (بلا ذمّ لمحمّـد) ای لست فی کلامی ذلک ذامّا له لکون ذلک التخلیة منه للعدوّ من العجز لا من التقصیر و التّوانی (ف) انّه (لقد کان إلیّ حبیبا و) کان (لی ربیبا)

تنبیهان

الاول

فی ترجمة محمّد بن أبی بکر و هاشم بن عتبة أمّا محمّد فهو جلیل القدر عظیم المنزلة من خواصّ أصحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام

قال ابن طاوس: ولد فی حجة الوداع قتل بمصر سنة ثمان و ثلاثین من الهجرة.

و عن رجال الکشّی عن الصّادق علیه السّلام محمّد بن أبی بکر أتته النجابة من قبل امّه أسماء بنت عمیس، و عنه أیضا مسندا عن أبی جعفر علیه السّلام أنّ محمّد بن أبی بکر بایع علیّا علی البراءة من أبیه، و فی شرح المعتزلی امّ محمّد أسماء بنت عمیس بن النّعمان ابن کعب بن مالک بن قحافة بن خثعم کانت تحت جعفر بن أبی طالب و هاجرت معه إلی الحبشة فولدت له هناک عبد اللّه بن جعفر الجواد، ثمّ قتل عنها یوم موتة فخلف علیها أبو بکر فأولدها محمّدا، ثمّ مات عنها فخلف علیها علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و کان محمّد ربیبته و خریجه و جاریا عنده مجری اولاده و رضع الولا و التشیّع من زمن الصّبا فنشأ علیه فلم یکن یعرف أبا غیر علیّ علیه السّلام و لا یعتقد لأحد فضیلة غیره حتّی قال علیّ:

محمّد ابنی من صلب أبی بکر، و کان یکنّی أبا القاسم فی قول ابن قتیبة، و قال غیره بل یکنّی أبا عبد الرّحمن.

و کان محمّد من نسّاک قریش و کان ممّن أعان یوم الدّار، و اختلف هل باشر قتل عثمان أولا، و من ولد محمّد القاسم بن محمّد فقیه الحجاز و فاضلها، و من ولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم کان من فضلاء قریش یکنّی ابا محمّد، و من ولد القاسم أیضا ام فروة تزوّجها الباقر أبو جعفر محمّد بن علیّ علیه السّلام انتهی.

أقول: و قد تقدّم فی شرح الخطبة الشّقشقیّة أنّ الصادق علیه السّلام تولد من أمّ فروة.

و فی مجالس المؤمنین انّ أهل السّنّة یسمّون معاویة بسبب اخته امّ حبیبة خال المؤمنین و لا یسمّون محمّدا بذلک مع أنّ عایشة اخته و هی أمّ المؤمنین عندهم و ذلک لنصب معاویة و عداوته لأمیر المؤمنین علیه السّلام و کون محمّد رضی اللّه عنه من خواصّ أصحابه و خلّص تلامذته، و من شعره رضی اللّه عنه:

یا أبانا قد وجدنا ما صلح خاب من أنت أبوه و افتضح

إنّما أخرجنا منک الذی أخرج الدّرّ من الماء الملح

أنسیت العهد فی خمّ و ما قاله المبعوث فیه و شرح

فیک وصّی أحمد فی یومها أم لمن أبواب خیر قد فتح

أم بارث قد تقمّصت بها بعد ما یحتجّ عجلک و کشح

و سألک المصطفی عمّا جری من قضایاکم و من تلک القبح

ثمّ عن فاطمة و ارثها من روی فیه و من فیه فضح

ما تری عذرک فی الحشر غدا یا لک الویل إذ الحقّ اتّضح

فعلیک الخزی من ربّ السماء کلّما ناح حمام و صدح

یا بنی الزّهراء أنتم عدّتی و بکم فی الحشر میزانی رجح

و إذا صحّ ولائی بکم لا ابالی أیّ کلب قد نبح

و أما هاشم فهو ابن عتبة بن أبی وقّاص و سمی المرقال لأنه کان یرقل فی الحرب، و عن الاستیعاب أنه کان من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نزل الکوفة و کان من الفضلاء الخیار، و کان من الأبطال، و فقئت عینه یوم البرموک؟ و کان خیرا فاضلا شهد مع علیّ علیه السّلام الجمل، و شهد صفین و أبلا بلاء حسنا و بیده کانت رایة علیّ علی الرّجالة یوم صفین، و یومئذ قتل و کانت صفین سنة سبع و ثلاثین.

أقول: و قد تقدّم کیفیة قتاله و شجاعته و شهادته رضی اللّه عنه فی شرح الخطبة الخامسة و الستین.

الثانی

فی الاشارة إلی بعض الفتن الحادثة بمصر، و شهادة محمّد بن أبی بکر رضی اللّه عنه فأقول: فی شرح المعتزلی و البحار جمیعا من کتاب الغارات لابراهیم بن محمّد الثقفی قال إبراهیم: باسناده عن الکلبی أنّ محمّد بن حذیفة هو الذی حرّض المصرّیین علی قتل عثمان و ندبهم إلیه، و کان حینئذ بمصر، فلمّا ساروا إلی عثمان و حصروه و ثب هو بمصر علی عامل عثمان علیها، و هو عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح فطرده عنها و صلّی بالناس، فخرج ابن أبی سرح من مصر و نزل علی تخوم أرض مصر مما یلی فلسطین، و انتظر ما یکون من أمر عثمان، فلما بلغ إلیه خبر قتله و بیعة الناس لأمیر المؤمنین علیه السّلام لحق بمعاویة.

قال: فلمّا ولی علیّ علیه السّلام الخلافة و کان قیس بن سعد بن عبادة من شیعته و مناصحیه قال له: سر إلی مصر فقد ولیتکها و اخرج إلی ظاهر المدینة و اجمع ثقاتک و من أحببت أن یصحبک حتّی تاتی مصر و معک جند، فانّ ذلک ارعب لعدوّک و أعزّ لولیّک، فاذا قدمتها إنشاء اللّه فأحسن إلی المحسن و اشدد علی المریب، و ارفق بالعامّة و الخاصّة فالرّفق یمن.

فقال قیس: یا أمیر المؤمنین قد فهمت ما ذکرت، فأمّا الجند فانّی ادعه لک فاذا احتجت إلیهم کانوا قریبا منک، و إن أردت بعثهم إلی وجه من وجوهک کانوا لک عدّة و لکنی أسیر إلی مصر بنفسی و أهل بیتی، و أمّا ما أوصیتنی به من الرّفق و الاحسان فاللّه هو المستعان علی ذلک.

قال: فخرج قیس فی سبعة نفر من أهله حتّی دخل مصر و صعد المنبر و أمر بکتاب معه یقرأ علی النّاس فیه:

من عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی من بلغه کتابی من المسلمین، سلام علیکم فانّی أحمد اللّه إلیکم الذی لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فانّ اللّه بحسن صنعه و قدره و تدبیره اختار الاسلام دینا لنفسه و ملائکته و رسله، و بعث أنبیائه إلی عباده، فکان ممّا أکرم اللّه عزّ و جلّ به هذه الامة و خصّ هم به من الفضل أن بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله إلیهم فعلّمهم الکتاب و الحکمة و السّنّة و الفرائض، و أدّبهم لکیما یهتدوا و أجمعهم لکیلا یتفرّقوا، و زکّاهم لکیما یتطهّروا فلمّا قضی من ذلک ما علیه قبضه اللّه إلیه، فعلیه صلوات اللّه و سلامه و رحمته و رضوانه.

ثمّ إنّ المسلمین من بعده استخلفوا أمیرین منهم صالحین(1) أحییا السّیرة و لم یعدوا لسنّة، ثمّ توفیا فولی بعدهما من أحدث أحداثا فوجدت الامّة علیه مقالا فقالوا ثمّ نقموا علیه فغیّروا ثمّ جاءونی فبایعونی و أنا أستهدی اللّه للهدی و أستعینه علی التقوی، ألا و انّ لکم علینا العمل بکتاب اللّه و سنّة رسوله و القیام بحقّه و النصح لکم بالغیب و اللّه المستعان و حسبنا اللّه و نعم الوکیل.

و قد بعثت لکم قیس بن سعد الأنصاری أمیرا فوازروه و أعینوه علی الحقّ، و قد أمرته بالاحسان إلی محسنکم و الشّدة علی مریبکم و الرّفق بعوامکم و خواصکم

1- (1) أی ظاهرا عند الناس و یحتمل أن یکون من الحاق المخالفین.

و هو ممّن ارضى هديه و أرجو صلاحه و نصحه، نسأل اللّه لنا و لكم عملا زاكيا و ثوابا جزيلا و رحمة اللّه و بركاته، و كتب عبيد اللّه بن أبى رافع فى صفر سنة ست و ثلاثين.

قال: فلمّا فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

الحمد للّه الذى جاء بالحقّ و أمات الباطل و كبت الظالمين أيّها النّاس إنا بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا فقوموا فبايعوا على كتاب اللّه و سنّة نبيّه فان نحن لم نعمل فيكم بكتاب اللّه و سنّة رسول اللّه فلا بيعة لنا عليكم.

فقام النّاس فبايعوه و استقامت مصر و أعمالها لقيس و بعث عليها عماله إلاّ أنّ قرية فيها قد أعظم أهلها قتل عثمان و بها رجل من بنى كنانة يقال له يزيد بن الحرث فبعث إلى قيس إنّا لا نأتيك فابعث عمّا لک فالأرض أرضک و لكن اقرّنا على حالنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمر النّاس و وثب مسلمة بن مخلد الأنصارى و دعا إلى الطلب بدم عثمان، فأرسل إليه قيس و يحک أعلى تثبّ و اللّه ما أحبّ انّ لى ملک الشّام و مصر و انّى قتلتک فاحقن دمک، فأرسل إليه مسلمة إنّى كاف عنک ما دمت والى مصر.

و كان قيس ذا رأى و حزم فبعث إلى الذين اعتزلوا أنّى لا اكرهكم على البيعة و لكنّى أدعكم و اكفّ عنكم، فهادنهم و هادن مسلمة بن مخلد و جىء الخراج و ليس احد ينازعه.

قال إبراهيم: و خرج علىّ إلى الجمل و قيس على مصر و رجع إلى الكوفة من البصرة و هو بمكانه و كان أثقل خلق اللّه على معاوية لقرب مصر و أعمالها من الشّام فكتب معاوية إلى قيس و علىّ عليه السّلام يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين.

من معاوية بن أبى سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليک فانّى أحمد إليک اللّه الذى لا إله إلاّ هو أمّا بعد إن كنتم نقمتم على عثمان فى اثرة «عثرة» رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو فى شتمة أو تمييزه أحدا أو فى استعماله الفتيان من أهله فانّكم قد

علمتم إن كنتم تعلمـون أنّ دمه لاـ يحـلّ لكم بـذلک، فقـد ركبتم عظيمـا من الأـمر و جئتم شـيئا إدا، فتب يـا قيس إلى ربـک ان كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغنى شيئا.

و أمّـا صاحبـک فقـد استيقنّا أنّه أغرى النّاس به و حملهم على قتله حتّى قتلوه و أنّه لـم يسـلم من دمه عظم قومک، فان اسـتطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بـدم عثمـان فافعـل و بايعنا على عليّ فى أمرنا هـذا و لک سـلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت و لمن أحببت من أهل بيتک سلطان الحجاز ما دام لى سلطان، و سلنى عن غير هذا مما تحبّ فانک لا تسألنى شيئا إلاّ اتيته و اكتب الىّ رأيک فيما كتبت اليک.

فلمّا جاء إليه كتاب معاويـة أحبّ أن يـدفعه و لا يبـدى له أمره و لا يعجل له حربه فكتب إليه: أمّا بعـد فقد وصل إلىّ كتابک و فهمت الّذى ذكرت من أمر عثمـان و ذلک أمر لـم اقاربه و ذكرت أنّ صاحبى هو الـذى أغرى النّاس بعثمان و دسّ هم إليه حتّى قتلوه، و هـذا أمر لـم اطلع عليه، و ذكرت لى أنّ عظم عشيرتى لـم تسلم من دم عثمان فلعمرى إنّ أولى النّاس كان فى أمره عشيرتى.

و أما ما سألتنى من مبايعتک على الطلب بدمه و ما عرضـته علىّ فقد فهمته و هذا أمر لى فيه نظر و فكر و ليس رأس هذا ممّا يعجل إلى مثله و أنا كاف عنک و ليس يأتيک من قبلى شىء تكرهه حتّى ترى و نرى إنشاء اللّه و السّلام عليک و رحمة اللّه و بركاته.

قال إبراهيم: فلما قرء معاوية الكتاب لـم يره إلاّ مقاربا مباعدا و لـم يأمن أن يكون مخادعا مكائدا فكتب إليه:

أما بعد فقد قرأت كتابک فلم أرک تدنو فأعدک سـلما، و لـم أرک تتباعد فأعدک حربا أراک كالجمل الجرور(1) «كخيل الحرون خ» و ليس مثلى يصانع بالخـداع و لا يخـدع بالمكايـد و معه عـدد الرّجل و أعنّه الخيل، فان قبلت الذى عرضت عليک فلک ما أعطيتک و ان أنت لـم تفعل ملئت مصر عليک خيلا و رجلا و السّلام.

1- (1) جمل جرور يمنع القياد، و بئر بعيدة، ق.

فلما قرء قيس كتابه و علم انّه لا يقبل منه المدافعة و المطاولة أظهر له ما فى نفسه، فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبى سفيان.

أما بعـد فالعجب من استسـقاطک رأيى و الطمع فيما تسومنى(1) لاـ أبـا لغيرک من الخروج من طاعـة أولى النّاس بالأمر و أقولهم بالحقّ و أهداهم سبيلا و أقربهم من رسول اللّه وسيلة أ تأمرنى بالدخول فى طاعتک طاعة أبعد النّاس من هذا الأمر و أقولهم بالزور و أضلّهم سبيلا و اناهم من رسول اللّه وسـيلة و لديک قوم ضالّون مضـلّون طواغيت إبليس، و أمّا قولک إنّک تملاء علىّ مصـر خيلا، و رجلا فلئن لـم أشغلک من ذلک حتّى يكون منک انک ذو جدّ و السّلام.

فلمـا أتى معاويـة كتاب قيس آيس و ثقل مكانه عليه و كان يحبّ أن يكون مكانه غيره أعجب لما يعلم من قوّته و بأسه و نجـدته، فاشـتدّ أمره على معاويـة فأظهر للنّاس أنّ قيسا قـد بايعكم فادعوا اللّه له و قرء عليهم كتابه الـذى لان فيه و قاربه و اختلق كتابا نسـبه إلى قيس فقرأه على النّاس للأمير معاوية بن أبى سفيان من قيس ابن سعد:

أما بعد إنّ قتل عثمان حدث فى الاسـلام عظيما و قد نظرت لنفسـى و دينى فلم أر يسـعنى و دينى مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما، فنستغفر اللّه سـبحانه لـذنوبنا و نسأله العصـمة لـديننا ألا و إنّى قـد القيت إليک بالسّـلم و أجبتک إلى قتال قتلـة امام الهدى المظلوم فاطلب منّى ما احببت من الامور و الرّجال اعجله إليک إنشاء اللّه، و السّلام على الامير و رحمة و بركاته.

قال فشاع فى الشام كلّها أنّ قيسا صالـح معاويـة و أتت عيون علىّ بن أبى طالب إليه بـذلک، فأعظمه و أكبره و تعجّب له و دعا ابنيه حسـنا و حسـينا و ابنه محمّـدا و عبد اللّه بن جعفر فأعلمهم بذلک و قال: ما رأيكم؟ فقال عبد اللّه بن جعفر: يا أمير المؤمنين دع ما يريبک إلى ما لا يريبک اعزل قيسا عن مصـر، قال علىّ عليه السّلام و اللّه إنّى غير مصدّق بهذا على قيس، فقال عبد اللّه: اعزله يا أمير المؤمنين فان كان ما قد قيل حقّا لا يعتزل

1- (1) سام فلانا الامر كلفه اياه و اكثر ما يستعمل فى العذاب و الشرّ، ق.

لک إن عزلته.

قال: و إنّهم لکذلک إذ جاءهم کتاب من قیس بن سعد فیه.

أما بعد فانّی أخبرک یا أمیر المؤمنین أکرمک اللّه و أعزّک، إنّ قبلی رجالا معتزلین سألونی أن أکفّ عنهم و أدعهم علی حالهم حتّی یستقیم أمر النّاس و نری و یرون، و قدر أیت أن أکفّ عنهم و لا ـ اعجل بحربهم و ان اتالفهم بین ذلک لعل اللّه أن یقبل بقلوبهم و یفرّقهم عن ضلالتهم إنشاء اللّه و السّلام.

فقال عبد اللّه بن جعفر: یا أمیر المؤمنین إنّک إن أطعته فی ترکهم و اعتزالهم استسری الأمر و تفاقمت الفتنة و قعد عن بیعتک کثیر ممّن تریده علی الدّخول فیها و لکن مره بقتالهم، فکتب إلیه:

أمّا بعد فسر إلی القوم الذین ذکرت فان دخل فیما دخل فیه المسلمون و إلاّ فناجزهم و السّلام.

فلما اتی هذا الکتاب قیسا فقرأه لم یتمالک ان کتب إلی علیّ علیه السّلام.

أمّا بعد یا أمیر المؤمنین تأمرنی بقتل قوم کافین عنک لم یمدّ و ایدا للفتنة و لا أرصدوا لها فأطعنی یا أمیر المؤمنین و کفّ عنهم فانّ الرّأی ترکهم و السّلام.

فلما أتاه الکتاب قال عبد اللّه بن جعفر: یا أمیر المؤمنین ابعث محمّد بن أبی بکر إلی مصر یکفیک و اعزل قیسا فو اللّه لیبلغنی أنّ قیسا یقول انّ سلطانا لا یتمّ إلاّ بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء و اللّه ما احبّ أنّ لی سلطان الشّام مع سلطان مصر و انّنی قتلت ابن مخلد.

و کان عبد اللّه بن جعفر أخا محمّد بن أبی بکر لامّه و کان یحبّ أن یکون له امرة و سلطان فاستعمل علیّ محمّد بن أبی بکر مصر لمحبّته له و لهوی عبد اللّه بن جعفر أخیه فیه و کتب معه کتابا إلی أهل مصر فسار حتّی قدمها فقال له قیس: ما بال أمیر المؤمنین ما غیره أدخل أحد بینی و بینه؟ قال: لا و هذا السلطان سلطانک و کان بینهما نسب و کان تحت قیس قریبة بنت أبی قحافة اخت أبی بکر فکان قیس زوج عمّته، فقال قیس: لا و اللّه لا اقیم معک ساعة واحدة فغضب و خرج من مصر

مقبلا إلى المدينة و لم يمض إلى علىّ بالكوفة.

فلما قدم المدينة جاء حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له: نزعک علىّ بن أبى طالب و قد قتلت عثمان فبقى عليک الاثم و لم يحسن عليک الشكر، فزجره قيس و قال: يا أعمى البصر و اللّه لو لا أن القى بينى و بين رهطک حربا لضربت عنقک ثمّ أخرجه من عنده.

ثمّ إنّ قيسا و سهل بن حنيف خرجا حتّى قدما على علىّ عليه السّلام الكوفة فخبره قيس الخبر و ما كان بمصر، فصدقه و شهد مع علىّ بصفين هو و سهل بن حنيف و كان قيس طوالا أطول النّاس و أمدّهم قامة و كان سبطا أصلع شجاعا مجربا مناصحا لعلىّ عليه السّلام و لولده و لم يزل على ذلک إلى أن مات.

و عن هشام بن عروة قال: كان قيس على مقدّمة علىّ بصفين معه خمسه آلاف قد حلقوا رؤوسهم.

و فى البحار وجدت فى بعض الكتب أنّ عزل قيس من مصر ممّا غلب أمير المؤمنين أصحابه و اضطرّوه إلى ذلک و لم يكن هذا رأيه كالتّحكيم و لعلّه أظهر و أصوب.

قال إبراهيم و كان عهد علىّ عليه السّلام إلى محمد بن أبى بكر:

هذا ما عهد عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى اللّه فى السرّ و العلانية و خوف اللّه فى المغيب و المشهد، و أمره باللين على المسلم و الغلظة على الفاجر، و بالعدل على أهل الذمة و بالانصاف للمظلوم و ما يشده على الظالم، و بالعفو على النّاس و بالاحسان ما استطاع و اللّه يجزى المحسنين و يعذّب المجرمين، و امره ان يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة فانّ لهم فى ذلک من العافية و عظم المثوبة ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه.

و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص و لا يبتدع ثمّ يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل، و ان تكن لهم حاجة يواسى بينهم فى مجلسه، و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء، و أمره أن يحكم بين النّاس بالحقّ و أن يقوم بالقسطاس و لا يتبع الهوى و لا يخاف فى اللّه لومة

لائم فانّ اللّه مع من اتّقاه و آثر طاعته على من سواه، و كتب عبيد اللّه بن أبى رافع مولى رسول اللّه بغرّة شهر رمضان سنة ستّ و ثلاثين.

قال إبراهيم: ثمّ قام محمّد بن أبى بكر خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

أمّا بعد فالحمد للّه الذى هدانا و إيّاكم لما اختلف فيه من الحقّ، و بصّرنا و إيّاكم كثيرا ممّا عمى عنه الجاهلون ألا و إنّ أمير المؤمنين، و لاتّى اموركم و عهد إلىّ بما سمعتم و أوصانى بكثير منه مشافهة و لن الوكم جهدا ما استطعت، و ما توفيقى إلاّ باللّه عليه توكّلت، و إليه انيب، فان يكن ما ترون من آثارى و أعمالى طاعة للّه و تقوى فاحمدوا اللّه على ما كان من ذلک فانّه هو الهادى إليه، و إن رأيتم من ذلک عملا بغير الحقّ فارفعوه إلىّ فاتّى بذلک أسعد و أنتم بذلک جديرون، وفقنا اللّه و إيّاكم لصالح العمل.

أقول: و لأمير المؤمنين عليه السّلام كتاب آخر مبسوط إلى محمّد و أهل مصر و رواه إبراهيم نرويه إنشاء اللّه فى باب الكتب إن ساعدنا التّوفيق و المجال.

ثمّ قال إبراهيم: فلم يلبث محمّد بن أبى بكر شهرا كاملا حتّى بعث إلى أولئک المعتزلون الذين كان قيس بن سعد مواد عالهم، فقال: يا هؤلاء إمّا أن تدخلوا فى طاعتنا و إمّا ان تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه إنّا لا نفعل فدعنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمر النّاس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه و أخذوا حذرهم، ثمّ كانت وقعة صفين و هم لمحمّد هايبون فلمّا أتاهم خبر معاوية و أهل الشّام ثمّ صار الأمر إلى الحكومة و أنّ عليّا و أهل العراق قد غفلوا عن معاوية و الشّام إلى عراقهم، اجتروا على محمّد و أظهروا المنابذة له، فلما رأى محمّد ذلک بعث إليهم ابن جمهان البلوى و معه يزيد بن الحرث الكنانى فقاتلاهم فقتلوهما.

ثمّ بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا، و خرج معاوية بن حديج(1) من السّكاسک يدعو إلى الطلب بدم عثمان، فأجابه القوم و ناس كثير آخرون و فسدت مصر على محمّد بن أبى بكر، فبلغ عليا توثّبهم عليه، فقال: مالى أرى لمصر إلاّ و أحد الرّجلين صاحبنا الذى عزلناه بالأمس يعنى قيس بن سعد أو مالک بن الحرث الأشتر و كان علىّ حين رجع عن صفين ردّ الاشتر إلى عمله بالجزيرة و قال لقيس بن سعد: أقم أنت معى على شرطتى حتّى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثمّ اخرج إلى اذربيجان فكان قيس مقيما على شرطته.

فلمّا انقضى أمر الحكومة كتب إلى الأشتر و هو يومئذ بنصيبين و طلبه إليه و بعثه إلى مصر و مات قبل الوصول إليه بتفصيل تطلع عليه فى باب الكتب أيضا إنشاء اللّه قال ابراهيم: فحدث محمّد بن عبد اللّه عن أبى سيف المدايني عن أبى جهضم الأزدى أنّ أهل الشّام لمّا انصرفوا عن صفّين و أتى بمعاوية خبر الحكمين و بايعه أهل الشّام بالخلافة لم يزدوا إلاّ قوّة و لم يكن لهم همّ إلاّ مصر فدعا عمرو بن العاص و حبيب بن مسلمة و بسر بن أرطاة و الضّحاک بن قيس و عبد الرّحمن بن خالد و شرجيل بن السّمط و أبا الأعور السّلمى و حمزة بن مالک فاستشارهم فى ذلک.

قال عمرو بن العاص: نعم الرّأى رأيت فى افتتاحها عزّک و عزّ أصحابک و ذلّ عدوّک، و قال آخرون نرى ما رأى عمرو، فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الانصارى و إلى معاوية بن حديج الكندى و كانا قد خالفا عليّا فدعا هما إلى الطلب بدم عثمان، فأجابا و كتبا إليه: عجّل الينا بخيلک و رجلک فانّا ننصرک و يفتح اللّه عليک.

فبعث معاوية عمر بن العاص فى ستّة آلاف فسار عمرو فى الجيش حتّى دنى من مصر فاجتمعت إليه العثمانيّة فأقام، و كتب إلى محمّد بن أبى بكر.

أمّا بعد فتنحّ عنّى يابن أبى بكر فانّى لا احبّ أن يصيبک منّى ظفر و أنّ

1- (1) قال الدميرى فى حياة الحيوان معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة و دال مهملة مفتوحة و بالجيم فى آخره كذا ضبطه ابن السمعانى فى الانساب و ابن عبد البر و قتيبة و غيرهم، منه

النّاس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافک و رفض أمرک و ندموا على اتباعک و هم مسلموک لو قد التقت حلقتا البطنان، فاخرج منها فانّی لک من النّاصحین و السّلام قال: و بعث عمرو إلی محمّد مع هذا الکتاب کتاب معاویة إلیه و هو أمّا بعد فانّ غب الظلم و البغی عظیم الوبال و انّ سفک الدّم الحرام لا یسلم صاحبه من النّقمة فی الدّنیا و التّبعة الموبقة فی الآخرة، و ما نعلم أحدا کان أعظم علی عثمان بغیا و لا أسوء له عینا و لا أشدّ علیه خلافا منک، سعیت علیه فی السّاعین و ساعدت علیه فی المساعدین و سفکت دمه مع السّافکین، ثمّ تظنّ انّی نائم عنک فتأتی بلدة فتأمن فیها و جلّ أهلها أنصاری یرون رأیی و یرفعون قولک و یرقبون علیک و قد بعثت الیک قوما حناقا علیک یسفکون دمک و یتقرّبون إلی اللّه عزّ و جلّ بجهادک و قد اعطوا اللّه عهدا لیقتلنّک و لو لم یکن منهم إلیک ما قالوا لقتلک اللّه بأیدیهم أو بأیدی غیرهم من أولیائه، و أنا احذّرک و انظرک فانّ اللّه مقید منک و مقتص لولیّه و خلیفته بظلمک به و بغیک علیه و وقیعتک فیه و عداوتک یوم الدّار علیه، تطعن بمشاقصک فیما بین أحشائه و أو داجه، و مع هذا فانّی أکره قتلک و لا احبّ أن أتولّی ذلک منک و لن یسلمک اللّه من النّقمة این کنت أبدا فتنحّ و انج بنفسک و السّلام.

قال: فطوی محمّد بن أبی بکر کتابیهما و بعث بهما إلی علیّ علیه السّلام و کتب إلیه:

أمّا بعد یا أمیر المؤمنین فانّ العاصی ابن العاص قد نزل أدنی مصر و اجتمع إلیه من أهل البلد کلّ من کان یری رأیهم و هو فی جیش جرّار و قد رأیت ممّن قبلی بعض الفشل فان کان لک فی أرض مصر حاجة فامددنی بالأموال و الرّجال، و السّلام علیک و رحمة اللّه و برکاته.

فکتب علیه السّلام الیه: فقد أتانی رسولک بکتاب تذکر أنّ ابن العاص قد نزل أدنی مصر فی جیش جرّار و أنّ من کان علی مثل رأیه قد خرج إلیه و خروج من کان علی رأیه خیر من اقامته عندک، و ذکرت أنّک قد رأیت ممّن قبلک فشلا فلا تفشل و ان فشلوا، حصّن قریتک و اضمم إلیک شیعتک، و أوّل الحرس فی عسکرک و اندب الی القوم کنانة بن بشر المعروف بالنّصیحة و التّجربة و البأس، فانا نادب الیک الناس

على الصعب و الذّلول فاصبر لعدوّک و امض بصيرتک و قاتلهم على نيّتک و جاهدهم محتسبا منه سبحانه، و إن كان فئتک أقلّ الفئتين فان اللّه تعالى يعين القليل و يخذل الكثير.

و قد قرئت كتاب الفاجرين المتحابّين (المتحامين خ ل) على المعصية و المتلائمين على الضلالة و المرتشين فى الحكومة و المنكرين على أهل الدّين الذين استمتعوا بخلافهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، فلا يضرّنک ارعادهما و ابراقهما، واجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله، فانّک تجد مقالا ما شئت و السّلام.

قال: فكتب محمّد بن أبى بكر إلى معاوية جواب كتابه أمّا بعد فقد أتانى كتابک تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليک منه و تأمرنى بالتنحى عنک كأنک لى ناصح و تخوّفنى بالحرب كأنّک علىّ شفيق، و أنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم و أن يخذلكم اللّه فى الواقعة و أن ينزل بكم الذلّ و أن تولّوا الدّبر، فان يكن لكم الأمر فى الدّنيا فكم و كم لعمرى من ظالم قد نصرتم و كم من مؤمن قد قتلتم و مثلتم به و إلى اللّه المصير، و إليه تردّ الامور، و هو أرحم الرّاحمين، و اللّه المستعان على ما تصفون.

و كتب إلى عمرو بن العاص:

أمّا بعد فقد فهمت كتابک و علمت ما ذكرت و زعمت أنّک لا تحبّ أن يصيبنى منک الظفر، فاشهد باللّه أنّک لمن المبطلين، و زعمت أنّک لى ناصح و اقسم أنّک عندى ظنين، و زعمت أنّ أهل البلد قد رفضونى و ندموا على اتباعى فأولئک حزبک و حزب الشّيطان الرّجيم، و حسبنا اللّه ربّ العالمين، و توكلت على اللّه العزيز الرّحيم، ربّ العرش العظيم.

قال إبراهيم: فحدّثنا محمّد بن عبد اللّه عن المدائنى قال: فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمّد بن أبى بكر فى النّاس فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد يا معاشر المسلمين فانّ القوم الذين كان ينتهكون الحرمة و يغشون أرض الضّلالة و يستطيلون بالجبرية قد نصبوا لكم العداوة و ساروا إليكم بالجنود، فمن أراد الجنّة و المغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم فى اللّه، انتدبوا رحمكم اللّه

مع كنانة بن بشر.

ثمّ ندب معه ألفى رجل، و تخلّف محمّد فى ألفين و استقبل عمرو بن العاص كنانة و هو على مقدمة محمّد فلمّا دنى عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب كتيبة بعد كتيبة، فلم تأته كتيبة من كتائب أهل الشّام إلاّ شدّ عليها بمن معه فيضربها حتّى يلحقها بعمرو، ففعل ذلک مرارا، فلمّا رأى عمرو ذلک بعث معاوية بن حديج الكندى فأتاه فى مثل الدّهم، فلمّا رأى كنانة ذلک الجيش نزل عن فرسه و نزل معه أصحابه و ضاربهم بسيفه حتّى استشهد.

قال: فلمّا قتل كنانة أقبل ابن العاص نحو محمّد و قد تفرّق عنه أصحابه، فخرج محمّد فمضى فى طريق حتّى انتهى إلى خربة فآوى اليها، و جاء عمر و بن العاص حتّى دخل الفسطاط و خرج ابن حديج فى طلب محمّد حتّى انتهى إلى علوج(1) على قارعة الطريق فسألهم هل مرّ بكم أحد تنكرونه؟ قالوا: لا قال أحدهم: إنّى دخلت تلک الخربة فاذا أنا برجل جالس، قال ابن حديج: هو هو و ربّ الكعبة.

فانطلقوا يركضون حتّى دخلوا على محمّد فاستخرجوه و قد كاد يموت عطشا، فاقبلوا به نحو الفسطاط فوثب أخوه عبد الرّحمن بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص و كان فى جنده فقال: لا و اللّه لا يقتل أخى صبرا ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه، فأرسل عمرو بن العاص أن ائتنى بمحمّد، فقال معاوية: أ قتلتم كنانة بن بشر ابن عمّى و اخلّى عن محمّد، هيهات هيهات «أَ كُفّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَراءَةٌ فِى الزُّبُرِ ».

فقال محمّد: اسقونى قطرة من ماء، فقال له ابن حديج لا سقانى اللّه إن سقيتک قطرة أبدا، إنّكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتّى قتلتموه صائما محرما فسقاه اللّه من الرّحيق المختوم(2) و اللّه لأقتلنّک يابن أبى بكر و أنت ظمآن و يسقيک اللّه من الحميم و الغسلين.

1- (1) العلج بالكسر الرجل من كفار العجم و الجمع علوج، ق.

2- (2) غير خفىّ على أهل البصيرة أن القضية بالعكس فان الاول شارب من الحميم و الغسلين و الثانى من الرحيق المختوم، منه.

فقال محمّد: يا بن اليهودية النسّاجة ليس ذلک اليوم إليک و لا إلى عثمان و إنّما ذلک إلى اللّه يسقى أولياءه و يظمأ أعداءه و هم أنت و قرناءک و من تولاّک و تولّيته، و اللّه لو كان سيفى بيدى ما بلغتم منى ما بلغتم، فقال له معاوية بن حديج: أ تدرى ما أصنع بک أدخلک جوف هذا الحمار الميت ثمّ احرقه عليک بالنّار.

قال: ان فعلتم ذلک بى فطال ما فعلتم ذاک بأولياء اللّه و أيم اللّه إنّى لأرجو أن يجعل اللّه هذه النّار التى تخوّفنى بها بردا و سلاما كما جعلها اللّه على إبراهيم خليله و أن يجعلها عليک و على أوليائک كما جعلها على نمرود و على أوليائه و إنّى لأرجو أن يحرقک اللّه و إمامک معاوية و هذا، و أشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى عليكم كلما خبت زادها اللّه عليكم سعيرا.

فقال معاوية بن حديج إنّى لأقتلک ظمآنا إنما أقتلک بعثمان بن عفّان، قال محمّد:

و ما أنت و عثمان رجل عمل بالجور و بدّل حكم اللّه و القرآن و قد قال اللّه عزّ و جلّ:

«وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ »، وَ «فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ ».

فنقمنا عليه أشياء عملها فأردناه أن يختلع من عملنا فلم يفعل فقتله من قتله من النّاس، فغضب معاوية بن حديج فضرب عنقه ثمّ القاه فى جوف حمار و أحرقه بالنّار.

فلمّا بلغ ذلک عايشة جزعت عليه جزعا شديدا و قنتت فى دبر كلّ صلاة تدعو على معاوية بن أبى سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج، و قبضت عيال محمّد أخيها و ولده إليها فكان القاسم بن محمّد فى عيالها، و حلفت عايشة أن لا تأكل شوى أبدا بعد قتل محمّد، فلم تأكل شوى حتى لحقت باللّه، و ما عثرت قطّ إلاّ قالت تعس(1) معاوية بن ابى سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج.

قال إبراهيم: و حدّثنى محمّد بن عبد اللّه عن المدائنى عن الحرث بن كعب عن حبيب بن عبد اللّه، قال و اللّه إنّى لعند علىّ اذ جاءه عبد اللّه بن معين من قبل محمّد بن

1- (1) التعس الهلاک و العثار و السقوط و الشرّ و البعد و الانحطاط.

أبى بكر يستصرخه قبل الوقعة، فقام علىّ عليه السّلام فنادى فى النّاس الصّلاة جامعة فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه و ذكر رسول اللّه ثمّ قال عليه السّلام:

أمّا بعد فهذا صريخ محمّد بن أبى بكر و اخوانكم من أهل مصر قد سار اليهم ابن النّابغة عدوّ اللّه و عدوّ من والاه و ولاّ من عاد اللّه، فلا يكونن أهل الضّلال إلى باطلهم و الرّكون إلى سبيل الطاغوت أشدّ اجتماعا على باطلهم منكم على حقّكم، و قد بدءوكم و اخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة و النّصر، عباد اللّه إن مصر أعظم من الشّام خيرا و خير أهلا فلا تغلبوا على مصر فانّ بقاء مصر فى أيديكم عزّ لكم و كبت لعدوّكم اخرجوا إلى الجزعة «و الجزعة بين الحيرة و الكوفة» لنتوا فى هناك كلّنا غدا إنشاء اللّه.

قال فلمّا كان الغد خرج يمشى فأقام حتّى انتصب النّهار فلم يوافه مأئة رجل فرجع فلما كان العشاء بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هو كئيب حزين فقال عليه السّلام:

الحمد للّه على ما قضى من أمر و قدّر من فعل و ابتلانى بكم أيّها الفرقة التى لا تطيع إذا أمرتها، و لا تجيب إذا دعوتها، لا أبا لغيركم ما ذا تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقّكم، الموت خير من الذّلّ فى هذه الدّنيا لغير الحقّ، و اللّه إن جائنى الموت و ليأتينّى فليفرقنّ بينى و بينكم لتجدنّنى لصحبتكم جدّ.

قال: ألا دين يجمعكم ألا حمية تغيظكم ألا تسمعون بعدوّكم ينتقص بلادكم و يشن الغارة عليكم أو ليس عجبا أنّ معاوية يدعو الجفاة الظعام الظلمة فيتّبعونه على غير عطاء و معونة و يجيبونه فى السّنّة المرّة و المرّتين و الثلاث إلى أىّ وجه شاء ثمّ أنا أدعوكم و أنتم أولو النّهى و بقيّة النّاس تختلفون و تفرّقون منّى و تعصوننى و تخالفون علىّ.

فقام إليه مالک بن كعب الارحبى فقال: يا أمير المؤمنين اندب النّاس معى فانّه لا عطر بعد عروس، و إنّ الأجر لا يأتى إلاّ بالكره، ثمّ التفت إلى النّاس، و قال: اتقوا اللّه و أجيبوا دعوة إمامكم و انصروا دعوته و قاتلوا عدوّكم إنا نسير إليهم يا أمير المؤمنين.

فأمر علیّ علیه السّلام سعدا مولاه أن ینادی ألاسیروا مع مالک بن کعب إلی مصر و کان وجها مکروها فلم یجتمعوا إلیه شهرا، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالک بن کعب فعسکر ظاهر الکوفة و خرج معه علیّ علیه السّلام فنظر فاذا جمیع النّاس نحو من ألفین فقال علیّ علیه السّلام سیروا و اللّه أنتم ما اخالکم تدرکون القوم حتی ینقضی أمرکم، فخرج مالک بهم و سار خمس لیال.

و قدم الحجاج بن عریة الأنصاری علی علیّ علیه السّلام و قدم علیه عبد الرّحمن بن المسیّب الفرازی من الشّام، فأمّا الفرازی فکان عینا لعلیّ لا ینام و أما الأنصاری فکان مع محمّد بن أبی بکر، فحدّثه الأنصاری بما عاین و شاهد و أخبره بهلاک محمّد و أخبره الفرازی انّه لم یخرج من الشّام حتّی قدمت البشری من قبل عمرو بن العاص فیتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل محمّد بن أبی بکر و حتّی اذن معاویة بقتله علی المنبر و قال: یا أمیر المؤمنین ما رأیت یوما قط سرورا مثل ما رأیته بالشّام حین أتاهم قتل ابن أبی بکر، فقال علیّ علیه السّلام أما إنّ حزننا علی قتله علی قدر سرورهم به لا بل یزید أضعافا.

قال و حزن علیّ علیه السّلام علی محمّد حتّی رؤی ذلک فیه و تبیّن فی وجهه و قام خطیبا فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

الا- و انّ المصر قد افتتحها الفجرة أولیاء الجور و الظلم الذین صدّوا عن سبیل اللّه و بغوا الاسلام عوجا، ألا و إنّ محمّد بن أبی بکر قد استشهد رحمة اللّه علیه و عند اللّه نحتسبه، أما و اللّه لقد کان ما عملت ینتظر القضاء و یعمل للجزاء و یبغض شکل الفاجر و یحبّ سمت المؤمن، إنّی و اللّه ما ألوم نفسی علی تقصیر و لا عجز و إنّی لمقاساة الحرب مجد بصیر إنی لأقدم علی الحرب و أعرف وجه الحزم و أقوم بالرّای المصیب فاستصرخکم و ادیکم مستغیثا فلا تسمعون قولا و لا تطیعون لی أمرا حتّی تصیر الامور إلی عواقب المسائة و أنتم القوم لا یدرک بکم الثّار و لا ینقص بکم الأوتار، دعوتکم إلی غیاث اخوانکم منذ بضع و خمسین لیلا فجر جرتم علیّ جرجرة الجمل الأشر و تثاقلتم إلی الارض تثاقل من لا نیّة له فی الجهاد و لا رای فی الاکتساب للأجر، ثمّ خرج إلیّ منکم

جنید متدائب ضعیف کانما تساقون إلی الموت و هم ینظرون فافّ لکم، ثمّ نزل فدخل رحله.

قال المدایني: إنّ علیّا علیه السّلام قال: رحم اللّه محمّدا کان غلاما حدثا لقد کنت أردت أن اولی المر قال هاشم بن عتبة مصرا فانّه و اللّه لو ولیها ما خلی لابن العاص و اعوانه العرصة و لا قتل إلاّ و سیفه فی یده بلا ذمّ لمحمد فلقد أحمد نفسه و قضا ما علیه.

قال المدایني و قیل لعلیّ علیه السّلام لقد جزعت یا امیر المؤمنین علی محمّد بن أبی بکر فقال: و ما یمنعنی إنّه کان لی ربیبا و کان لی أخا و کنت له والدا أعده ولدا.

الترجمة

از جملهٔ کلام آن امام انام است در وقتی که ایالت مصر را بمحمد بن أبی بکر تفویض فرمود:

پس مملوک شد مصر و مقتول گردید محمّد یعنی محمّد را بامر معاویّه ملعون شهید کردند و بمصر مستولی شدند و بتحقیق که می خواستم هاشم بن عتبه را والی مصر نمایم و اگر او را والی مصر کرده بودم هر آینه خالی نمی کرد از برای دشمنان عرصهٔ مصر را و نمی داد بایشان فرصت را در حالتی که مذمت نمی کنم محمّد را، پس بتحقیق که بود محمّد بسوی من دوست مخلص و بود مرا پسر زن از جهت این که مادر او اسماء بنت عمیس زوجهٔ جعفر بن ابی طالب بود، و بعد از او ابو بکر او را تزویج نمود و محمّد از او متولد شد و بعد از وفات ابی بکر امیر المؤمنین علیه السّلام آنرا بنکاح خود در آورد.

و من کلام له علیه السلام و هو الثامن

اشارة

و الستون من المختار فی باب الخطب

کم أداریکم کما تداری البکار العمدة، و الثّیاب المتداعیة، کلّما

حیصت من جـانب تهتّکت من آخر، کلّما أطلّ علیکم منسـر من مناسـر أهل الشّام أغلق کلّ رجل منکم بابه، و انحجر انحجار الضّبّة فی جحرهـا و الضّبع فی و جارها، الـذّلیل و اللّه من نصـرتموه، و من رمی بکم فقـد رمی بأفوق ناصل، و و اللّه إنّکم لکثیر فی الباحات، قلیل تحت الرّایات و إنّی لعالم بما یصـلحکم و یقیم أودکم، و لکنّی لا أری إصلاحکم بإفساد نفسی، أضرع اللّه خدودکم، و أتعس جدودکم، لا تعرفون الحقّ کمعرفتکم الباطل، و لا تبطلون الباطل کإبطالکم الحقّ.

اللغة

(البکار) بالکسـر جمع بکر بالفتـح و هو الفتی من الابل و (العمـدة) بکسـر المیم من العمـد الورم و الـدّبر و قیل العمدة التی کسـرها ثقل حملها، و قیل التی قد انشدخت اسـنمتها من داخل و ظاهرها صـحیح و (المتداعیة) الخلقة التی تنخرق و إنّما سـمّیت متداعیة لأنّ بعضها یتخرّق فیدعوا لباقی إلی الانخراق.

و (الحوص) الخیاطـة یقال حاص الثوب یحوصه حوصا خاطه و (اطل) علیه بالطاء المهملـة أشـرف و فی بعض النّسـخ بالمعجمـة أی اقبل الیکم و دنا منکم و (المنسـر) کمجلس و کمنبر القطعـة من الجیش تمرّ قـدام الجیش الکثیر و (الجحر) بالضّم کلّ شـیء یحتفره السّباع و الهوام لأنفسها و حجر الضّب کمنع دخله و حجره غیره أدخله فانحجر و تحجرّ و کذلک احجره و (الضّبة) انثی الضّباب و هی دابة برّیة.

و (الضّبع) مؤنثه و (و جارها) بالکسر جحرها و (الافوق) المکسور الفوق و (النّاصل) المنزوع النّصل و (الباحة) السیاحة و فی بعض النّسخ الساحات و (الرایة) العلم و (الاود) بالتّحریک العوج و (ضـرع) إلیه بالتثلیث ضرعا بالتحریک و ضراعة خضع و ذلّ و استکان و اضرعه اللّه أذلّه و (التّعس) الهلاک و الانحطاط.

و (الجدود) بالضّم جمع الجدّ بالفتح كالجدودة و الاجداد و هو البخت و الحظّ و فى الكتاب الكريم:

«أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً».

الاعراب

جملة كلما حيصت فى محلّ الرّفع صفة للثياب، و جملة كلّما اطل استينافية و تحتمل الاستيناف البيانى فكانه سئل عن سبب المداراة فأشار إلى الجواب بها، و قوله الذّليل و اللّه من اه، جملة القسم معترضة بين الخبر و المبتدأ و تقديم الخبر لقصد الحصر، و جملة اضرع اللّه خدودكم، و أنعس جدودكم دعائيّتان لا محلّ لهما من الاعراب.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام توبيخ أصحابه، و ذمّهم بتثاقلهم عن الجهاد، و تقاعدهم عن النّهوض إلى حرب أهل الشّام، فأشار اوّلا إلى كونهم محتاجين إلى المداراة الكثيرة البعيدة عن شيمة أهل النّجدة و الشّجاعة و ذوى الفتوّة و الكياسة و نبّه على ذلک بقوله:

(كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة و الثياب المتداعية) اى كما يدارى صاحب البعير بعيره المنشدخ السّنام و لا بس الأثواب ثيابه الخلقة المنخرقة، و وجه تشبيههم بالبكار العمدة هو قلة صبرهم و شدّة اشفاقهم و عدم تحملهم لمشاق الجهاد و القتال كما يشتدّ جرجرة البكر العمد و يقل صبره و لا يتحمل ثقال الأحمال.

و وجه التّشبيه بالثياب المتداعية أنّ الثياب الموصوفة كما انّها(كلما حيصت من جانب تهتک من جانب آخر)فكذلک أصحابه كلّما أصلح حال بعضهم و انتظم أمرهم للحرب فسد عليه البعض الآخر (كلما اطل عليكم) و اشرف (منسر من مناسر اهل الشّام اغلق كلّ رجل منكم بابه) و لزم بيته من شدّة الجبن و الخوف و (انحجر انحجار الضّبة فى حجرها و الضّبع فى وجارها).

تخصيصهما من بين ساير الحيوانات بالذّكر لاتّصاف الاولى بالجهل و العقوق

حتّى صار يضرب بها المثل فى الجهل، و لذلک لا تحفر جحرها إلاّ عند صخرة لئلا تضلّ عنه إذا خرجت لطلب الطعام و من عقوقها أنّها تأكل حسولها(1) و اتصاف الثانية بالحمق كما عرفت ذلک فى شرح سادس المختار فى باب الخطب، و خصّ الاناث منهما أيضا لأنهما أولى بالمخافة من الذّكر.

انّ (الذّليل و اللّه من نصرتموه) لاتّصاف المخاطبين فى أنفسهم بالذلة فيلزم اتّصاف المنتصرين بهم بها أيضا(و من رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل)شبّههم بالسّهم المكسور الفوق المنزوع النّصل لعدم الانتفاع بهم فى الحرب كما لا ينتفع بالسّهم الموصوف و قد مضى مثل هذه العبارة فى الخطبة التّاسعة و العشرين، و ذكرنا هنالک ما يوجب زيادة توضيحها.

(و و اللّه انّكم لكثير فى المباحات قليل تحت الرايات) و صفهم بالكثرة فى الاندية و القلّة تحت الألوية إشارة إلى جبنهم، فانّ هذين الوصفين من لوازم الجبن و الخوف كما أن مقابلهما من لوازم الفتوّة و الشجاعة و لذلک يهجو الشّعراء بالأوّل و يمدحون بالثانى قال الشّاعر:

أما انكم تحت الخوافق و القنا لثكلاء لا زهراء من نسوة زهر

أ لستم أقلّ النّاس تحت لوائهم و أكثرهم عند الذّبيحة و القدر

و قال آخر:

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا قليل إذا عدوّا كثير إذا شدّوا

(و) اللّه (انّى لعالم بما يصلحكم و يقيم اودكم) و هو اقامة مراسم السّياسة فيهم من القتل و التّعذيب و استعمال وجوه الحيل و التّدبير و المخالفة لأمر اللّه سبحانه، و لذلک استدرک بقوله (و لكنّى لا أرى اصلاحكم بافساد نفسى) يعنى أنّ اصلاحكم بالقتل و السّياسة موجب لفساد نفسى و دينى و لا أرضى به كما يرتضيه ملوک الدّنيا و رؤسائها بلحاظ صلاح ملكهم و انتظام أمر مملكتهم لكون نظرهم مقصورا على زخارف الدّنيا و زهراتها العاجلة و غفلتهم بالكليّة عن الآخرة:

و أما هو عليه السّلام فراعى صلاح نفسه و قدّمه على اصلاح حال الغير لانحصار همّته

1- (1) حسول ولد الضبّ حين يخرج من بيضته و يكنى الضبّ ابو حسيل، ق.

فی الآخرة و انقطاعه بکلیّته عن الـدّنیا الفانیـة، فلم یکن یسـتحلّ منهم ما یسـتحلّ سایر الملوک من رعیّتهم من القتل و التّعذیب الموجبین للاثم و المعصیة المستلزمین لفساد الدّین و السّخط فی الآخرة.

ثمّ دعی علیه السّلام علیهم بقوله(اضـرع اللّه خـدودکم)و هو کنایـة عن ذلّـة النّفس و الاسـتکانة و بقوله(و اتعس جدودکم)و هو کنایة عن الخسران و الخیبة.

ثمّ نبّههم علی علّة استحقاقهم للدّعاء بقوله (لا تعرفون الحقّ کمعرفتکم الباطل) أراد به جهلهم بما یلزم علیهم من القیام بوظایف التّکالیف الشّرعیة و الاحکام الالهیة و اشتغالهم بالامور الدّنیویة الباطلة (و لا تبطلون الباطل کابطالکم الحقّ) أراد به عدم ابطالهم للمنکر کابطالهم للمعروف.

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست در مذمت اصحاب خود:

چقـدر مـدارا کنم با شـما چنانکه مـدارا کننـد با شترانی که کوفناک باشد کوهان ایشان، و هم چنانکه مدارا کنند با لباسـهای کهنه پاره پاره بمرتبهٔ که هر وقت دوخته شود از جانبی دریده می شود از جانب دیگر هر وقت که مشرف شود بر شما دستهٔ لشکری از لشکرهای أهل شام می بنـدد هر مردی از شـما در خانهٔ خود از ترس و در آید در سوراخ همچو در آمدن سوسـمار در سوراخ خود و همچو در آمدن کفتار در خانه خود.

بخدا سوگند که ذلیل آن کسـی است که شـما ناصـر آن شده باشـید، و کسـی که تیر اندازد با شما به دشمنان پس بتحقیق که می اندازد بتیر سوفار شکسـتهٔ بی پیکان قسم بخدا که بدرستی شما هر آینه بسیارید در عرصها و اندکید در زیر علمها، و بدرستی من دانا هستم بچیزی که اصلاح نماید شما را و راست گرداند کجی شما را و لیکن من بخدا سوگند نمی بینم اصلاح شما را با فساد نفس خود.

خوار گرداند خدا رخسارهای شـما را، و تباه گرداند نصـیبهای شما را، نمی شناسید شما حق کامل را چنانچه می شناسید باطل را، و باطل نمی گردانید باطل را

همچو باطل گردانیدن شما حق را یعنی شما با مورد دنیویهٔ باطله مشغولید و از امور اخرویة غافل.

و قال علیه السلام فی سحرة الیوم الذی ضرب

اشارة

فیه و هو التاسع و الستون من المختار باب الخطب

ملکتنی عینی و أنا جالس فسنح لی رسول اللّه فقلت: یا رسول اللّه ما ذا لقیت من أمّتک من الأود و اللّدد؟ فقال: أدع علیهم، فقلت: أبدلنی اللّه بهم خیرا لی منهم، و أبدلهم بی شرّا لهم منّی. قال السّید (ره): یعنی بالأود الاعوجاج، و اللدد الخصام و هو من أفصح الکلام.

اللغة

(السّحر) بالتّحریک قبیل الصّبح و السّحرة بالضّم السّحر الاعلی و (سنح) لی رای کمنع سنوحا و سنحا بالفتح و سنحا بالضّم عرض و (اود) یأ وداودا من باب فرح.

الاعراب

جملة انا جالس حال من مفعول ملکت، و ما فی قوله ما ذا لقیت استفهامیة استعظامیة کما فی قوله تعالی الحاقّة ما الحاقّة، و ذا إمّا موصولة أو زایدة کما قلناه فی ما سبق، و الباء فی قوله بهم و بی للمقابلة.

المعنی

اشارة

قال الشّارح البحرانی:قوله(ملکتنی عینی)استعارة حسنة و تجوّز فی الترکیب أمّا الاستعارة فلفظ الملک للنوم و وجه الاستعارة دخول النائم فی غلبة النوم و قهره و منعه له ان یتصرف فی نفسه کما یمنع المالک المملوک من التّصرف فی أمره،

و أمّا التّجوز ففی العین و فی الاسناد إلیها، أمّا الأوّل فاطلق لفظ العین علی النوم لما بینهما من الملابسة إذا طباق الجفون من عوارضهما، و أمّا الثانی فاسناد الملک إلی النوم المتجوّز فیه بلفظ لعین.

أقول: حاصله أنّه من باب الاستعارة التّبعیة مثل قولهم: نطقت الحال بکذا، و محصّله أنّ الملک استعارة عن غلبة النوم و العین مجاز عن النّوم بعلاقة المجاورة و اسناد الغلبة إلی النوم مجاز عقلیّ فافهم، فالمعنی غلبنی نومی (و أنا جالس فسنح لی رسول اللّه) أی رأیته فی المنام أو مرّ بی معترضا (فقلت یا رسول اللّه ما ذا لقیت من امّتک من الاود و اللدد فقال ادع علیهم) شکایته منهم إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم دلیل علی غایة کربه منهم من جهة تقصیرهم فی الاجابة إلی دعائه و التّلبیة لنداءه و توانیهم فی القتال و الجهاد، و ترخیص رسول اللّه فی دعائه علیهم دلیل علی عدم رضائه عنهم.

و قوله:(فقلت أبدلنی اللّه بهم خیرا لی منهم و أبدلهم بی شرّا لهم منی) لا یدلّ علی اتّصافه بالشّر إذ صیغة افعل لم یرد بها التّفضیل بل المراد مجرّد الوصف أو بناء التّفضیل علی اعتقاد القوم فانّهم لما لم یطیعوه حق الطاعة فکأنّهم زعموا فیه شرا، و قد مرّ مزید تحقیق لهذه الفقرة فی شرح الخطبة الخامسة و العشرین فتذکر هذا.

و روی فی البحار من الارشاد عن عمّار الدّهنی، عن أبی صالح الحنفی قال: سمعت علیّا علیه السّلام یقول: رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم فی مناهی فشکوت إلیه ما لقیتة من امّته من الاود و اللدد و بکیت، فقال لی: لاتبک یا علی و التفت و إذا رجلان مصفدان(1) و إذا جلامید ترضخ بهما رؤوسهما، قال أبو صالح: فغدوت إلیه من الغد کما کنت أغد و الیه کلّ یوم حتّی إذا کنت فی الجزارین لقیت الناس یقولون قتل أمیر المؤمنین.

1- (1) صفده یصفده شده و اوثقة کاصفده و صفده، و الجلمد الصخر کالجلمو دو رضخ الحصا کمنع و ضرب کسرها و به الارض جلده بها و راضخ فلانا رماه بالحجارة، ق.

تذييلات

الاول

فى كيفية شهادته عليه السّلام

و فيها روايات كثيرة و ابسطها ما رواه فى المجلد التاسع من البحار قال: رأيت فى بعض الكتب القديمة رواية فى كيفية شهادته أوردنا منه شيئا مما يناسب كتابنا هذا على وجه الاختصار.

قال: روى أبو الحسن علىّ بن عبد اللّه بن محمّد البكرى، عن لوط بن يحيى، عن اشياخه و اسلافه قالوا: لمّا توفى عثمان و بايع النّاس أمير المؤمنين كان رجل يقال له حبيب بن المنتجب واليا على بعض أطراف اليمن من قبل عثمان فأقرّه علىّ عليه السّلام على عمله و كتب كتابا يقول فيه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من عبد اللّه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب إلى حبيب بن المنتجب سلام عليك، أمّا بعد فانّى أحمد اللّه الذى لا إله إلاّ هو، و اصلّى على محمّد عبده و رسوله، و بعد فانّى وليتك ما كنت عليه لمن كان من قبل فامكث على عملك و إنّى اوصيك بالعدل فى رعيتك و الاحسان إلى أهل مملكتك، و اعلم أنّ من ولى على رقاب عشرة من المسلمين و لم يعدل بينهم حشره اللّه يوم القيامة و يداه مغلولتان إلى عنقه لا يفكها إلاّ عدله فى دار الدّنيا، فاذا ورد عليك كتابى هذا فاقرءه على من قبلك من أهل اليمن و خذلى البيعة على من حضرك من المسلمين فاذا بايع القوم مثل بيعة الرّضوان فامكث فى عملك و انفذ إلى منهم عشرة يكونون من عقلائهم و فصحائهم و ثقاتهم ممّن يكون أشدّهم عونا من أهل الفهم و الشّجاعة عارفين باللّه عالمين بأديانهم و مالهم و ما عليهم و أجودهم رايا، و عليك و عليهم السّلام.

و طوى الكتاب و ختمه و أرسله مع أعرابىّ، فلمّا وصله قبّله و وضعه على عينيه و رأسه فلمّا قرأه صعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه و صلى على محمّد و آله ثمّ قال:

أيّها النّاس اعلموا أنّ عثمان قد قضى نحبه و قد بايع النّاس من بعده العبد الصّالح و الامام النّاصح أخا رسول اللّه و خليفته و هو أحقّ بالخلافة و هو أخو رسول اللّه و ابن عمه و كاشف الكرب عن وجهه و زوج ابنته و وصيه و أبو سبطيه أمير المؤمنين

علیّ بن أبی طالب فما تقولون فی بیعته و الـدّخول فی طاعته؟ قال: فضـجّ النّاس بالبکاء و النّحیب و قالوا: سـمعا و طاعة و حبّا و کرامة للّه و لرسوله و لأخی رسوله، فأخذ له علیه السّلام البیعة علیهم عامّة، فلمّا بایعوا قال لهم:

اریـد عشـرة منکم من رؤسائکم و شـجعانکم انفذهم إلیه کما أمرنی به فقالوا: سـمعا و طاعة فاختار منهم مأئة، ثمّ من المأة سـبعین، ثمّ من السّبعین ثلاثین، ثمّ من الثلاثین عشرة فیهم عبد الرّحمن بن ملجم المرادی لعنه اللّه و خرجوا من ساعتهم.

فلمّا أتوه علیه السّلام سلموا علیه و هنّوه بالخلافة، فردّ علیهم السلام و رحّب بهم، فتقدّم ابن ملجم و قام بین یدیه و قال:

السّـلام علیک أیّها الامام العادل و البدر التّمام و اللّیث الهمام و البطل الضـرغام و الفارس القمقام و من فضّـله اللّه علی سایر الأنام صـلی اللّه علیک و علی آلک الکرام، أشـهد انّک امیر المؤمنین صدقا و حقّا و أنّک وصـی رسول اللّه و الخلیفة من بعده و وارث علمه لعن اللّه من جحد حقّک و مقامک أصـبحت أمیرها و عمیدها، لقد اشـتهر بین البریّة عدلک، و هطلت(1) شآبیب فضـلک و سحائب رحمتک و رأفتک علیهم، و لقد أنهضنا الأمیر إلیک فسررنا بالقدوم علیک فبورکت بهذه الطلعة المرضیّة و هنئت بالخلافة فی الرّعیة.

ففتـح أمیر المؤمنین علیه السّـلام عینیه فی وجهه و نظر الی الوفد فقرّبهم و أدناهم فلمّا جالسوا دفعوا الکتاب ففضّه و قرأه و سـرّ بما فیه فأمر بکلّ واحد منهم بحلّة یمانیّة و رداء عدنیة و فرس عربیة و أمر أن یفتقدوا و یکرموا، فلما نهضوا قام ابن ملجم و وقف بین یدیه و أنشد:

أنت المهیمن و المهذّب ذو الندی و ابن الضراغم فی الطراز الأوّل

اللّه خصّک یا وصیّ محمّد و حباک فضلا فی الکتاب المنزل

و حباک بالزّهراء بنت محمّد حوریّة بنت النبیّ المرسل

1- (1) الهطل هو تتابع المطر المتفرق العظیم القطر و الشؤبوب الدفعة من المطر، ق.

ثمّ قال: يا أمير المؤمنين ارم بنا حيث شئت لترى منّا ما يسرّک فو اللّه ما فينا إلاّ كلّ بطل أهيس(1) و حازم أكيس و شجاع أشوس(2) و رثنا ذلک عن الآباء و الاجداد و كذلک نورثه صالح الأولاد.

قال: فاستحسن أمير المؤمنين كلامه من بين الوفد فقال له: ما اسمک يا غلام؟ قال:

اسمی عبد الرّحمن، قال: ابن من؟ قال: ابن ملجم المرادی، قال: أمرادیّ أنت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام إنّا للّه و إنا إليه راجعون و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلیّ العظيم.

قال: و جعل أمير المؤمنين يكرّر النّظر إليه و يضرب احدی يديه على الاخرى و يسترجع ثمّ قال له: و يحک أمر ادیّ أنت؟ قال: نعم فعند ها تمثّل بقوله:

أنا أنصحک منّی بالوداد مكاشفة و أنت من الأعادی

اريد حياته و يريد قتلی عذيرک(3) من خليلک من مرادی

قال الاصبغ بن نباتة: لما دخل الوفد إلى أمير المؤمنين و بايعوه و بايعه ابن ملجم فلما أدبر عنه دعاه أمير المؤمنين ثانيا فتوثق منه بالعهود و المواثيق أن لا يغدر و لا ينكث ففعل ثمّ سار عنه، ثمّ استدعاه ثالثا ثمّ توثق منه فقال ابن ملجم: يا أمير المؤمنين ما رأيتک فعلت هذا بأحد غيری فقال عليه السّلام امض لشانک فما أراک تفی بما بايعت عليه.

فقال ابن ملجم: كانّک تكره و فودی عليک لما سمعته من اسمی و انّی و اللّه لاحبّ الاقامة معک و الجهاد بين يديک و انّ قلبی محبّ لک و انّی و اللّه اوالی وليّک

1- (1) الاهيس الشجاع و من الابل الجری لا ينقبض عن شیء ق.

2- (2) الشوس محركة النظر بمؤخر العين تكبر او تغيظا، ق.

3- (3) العذير امير و زننده عاذر معناسنه دركه عذر و بهانه لی قبول ايدن آدمه دينور و منه قول علی و هو ينظر الى ابن ملجم عذيرک من خليلک من مراد يقال عذيرک من فلان بالنصب ای هات عذيرک ای من يعذرنی و عذير معين و نصيره اطلاق الونور يقول من عذيری من فلان ای نصيری او قيانوس

و أعادی عدوّک.

قال: فتبسّم علیه السّلام و قال: باللّه یا أخا مراد إن سألتک عن شیء تصدّقنی فیه؟ قال: أی و عیشک یا أمیر المؤمنین، فقال له: هل کان لک داية یهودّیة فکانت إذا بکیت تضربک و تلطم جبینک و تقول لک: اسکت فانک أشقی من عاقر ناقة صالح و إنّک ستجنی فی کبرک جنایة عظیمة یغضب اللّه بها علیک، و یکون مصیرک إلی النّار؟ فقال قد کان ذلک و لکنک و اللّه یا أمیر المؤمنین أحبّ إلیّ من کلّ أحد، فقال أمیر المؤمنین و اللّه ما کذبت و لا کذبت و لقد نطقت حقّا و قلت صدقا و أنت و اللّه قاتلی لا محالة و ستخضب هذه من هذه و أشار إلی لحیته و رأسه و لقد قرب وقتک و حان زمانک.

فقال ابن ملجم و اللّه یا أمیر المؤمنین انّک أحبّ إلیّ من کلّ ما طلعت علیه الشّمس، و لکن إذا عرفت ذلک منّی غیّرنی إلی مکان تکون دیارک من دیاری بعیدة فقال: کن مع أصحابک حتّی اذن لکم فی الرّجوع إلی بلادکم.

ثمّ امرهم بالنّزول فی بنی تمیم فأقاموا ثلاثة أیّام، ثمّ أمرهم بالرّجوع إلی الیمن، فلمّا عزموا علی الخروج مرض ابن ملجم مرضا شدیدا فذهبوا و ترکوه، فلما برء أتی أمیر المؤمنین و کان لا یفارقه لیلا و لا نهارا و یسارع فی قضاء حوائجه و کان یکرمه و یدعوه إلی منزله و یقرّبه، و کان مع ذلک یقول له: أنت قاتلی و یکرّر علیه الشّعر:

ارید حیاته و یرید قتلی عذیرک من خلیلک من مرادی

فیقول له: یا أمیر المؤمنین إذا عرفت ذلک منّی فاقتلنی، فیقول إنّه لا یحلّ ذلک أن اقتل رجلا قبل أن یفعل بی شیئا، و فی خبر آخر قال: إذا قتلتک فمن یقتلنی.

قال: فسمعت الشّیعة ذلک فوثب مالک الأشتر و الحرث بن الأعور و غیرهما من الشّیعة فجرّدوا سیوفهم و قالوا: یا أمیر المؤمنین من هذا الکلب الذی تخاطبه بمثل هذا الخطاب مرارا و أنت امامنا و ولیّنا و ابن عمّ نبیّنا، فمرنا بقتله، فقال لهم: اغمدوا سیوفکم بارک اللّه فیکم و لا تشقّوا عصا هذه الامّة أترون أنی أقتل رجلا

لم يصنع بى شيئا.

فلمـا انصـرف عليه السّـلام إلى منزله اجتمعت الشّـيعة و أخبر بعضـهم بعضا بما سـمعوا و قالوا: إنّ أمير المؤمنين يغلس إلى الجامع و قد سمعتم خطـابه لهـذا المرادى و هو ما يقول إلاّ حقّا و قـد علمتم عـدله و إشـفاقه علينا و نخاف أن يغتاله هـذا المرادى فتعالوا نقترع على أن تحوطه كلّ ليلة منّا قبيلة.

فوقعت القرعـة فى الليلة الاولى و الثانية و الثالثة على أهل الكناس، فتقلّدوا سـيوفهم و اقبلوا فى ليلتهم إلى الجامع، فلما خرج عليه السّـلام رآهم على تلك الحالة فقال ما شأنكم؟ فأخبروه فدعا لهم فتبسّم ضاحكا، و قال: جئتم تحفظونى من أهل السّماء أم من أهل الأرض؟ قالوا: من أهل الأرض، قال: ما يكون شىء فى السماء إلاّ هو فى الأرض و ما يكون شىء فى الأرض إلاّ هو فى السّماء ثمّ تلى:

«قُـلْ لَنْ يُصِـيبَنا إِلاّ ما كَتَبَ اللّهُ لَنا » ثمّ أمرهم أن يأتوا منازلهم و لا يعود و المثلها، ثمّ إنّه صـعد المأذنـة و كان إذا تنحنـح يقول السّامع ما اشـبهه بصوت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله و سلّم؟ فتأهب النّاس بصلاة الفجر و كان إذا أذّن يصل صوته إلى نواحى الكوفة كلّها، ثمّ نزل عليه السّلام فصلّى و كانت هذه عادته.

قال: و أقام ابن ملجم بالكوفـة إلى أن خرج أمير المؤمنين عليه السّـلام إلى غزاة النهروان فخرج ابن ملجم معه و قاتل بين يـديه قتالا شديـدا فلما رجع إلى الكوفـة و قد فتح اللّه على يديه قال ابن ملجم لعنه اللّه يا أمير المؤمنين أ تأذن لى أن أتقدّمک إلى المصـر لابشّـر أهله بما فتح اللّه عليک من النّصر؟ فقال: ما ترجو بذلک؟ قال: الثواب من اللّه و الشّكر من النّاس و افرح الأولياء و اكمد الأعداء، فقال: شأنک.

ثمّ أمر له بخلعة سـنيّة و عما متين و فرسـين و سـيفين و رمحين فسار ابن ملجم و دخل الكوفة و جعل يخترق أزقّتها و شوارعها، و هو يبشّـر الناس بما فتح اللّه على أمير المؤمنين و قد دخله العجب فى نفسه فانتهى به الطريق إلى محلّة بنى تميم.

فمرّ على دار تعرف بالقبيلة و هى أعلاـ دار بها و كانت لقطام بنت سخينة بن عوف بن تيم اللاّت، و كانت موصوفة بالحسن و الجمال و الكمال و البهاء، فلما سمعت كلامه بعثت إليه و سألته النزول عندها ساعة لتسأله عن أهلها، فلما قرب من منزلها و أراد النّزول عن فرسه خرجت إليه ثمّ كشفت له عن وجهها و أظهرت له محاسنها.

فلما رآها أعجبته و هواها من وقته فنزل عن فرسه و دخل إليها و جلس فى دهليز الدار و قد أخذت بمجامع قلبه فبسطت له بساطا و وضعت له متكئا و أمرت خادمها أن تنزع أخفافه و أمرت له بماء فغسل وجهه و يديه و قدمت إليه طعاما فاكل و شرب، و أقبلت عليه تروحه من الحرّ فجعل لا يملّ من النظر إليها و هى مع ذلک متبسّمة فى وجهه سافرة له عن نقابها بارزة عن جميع محاسنها ما ظهر منها و ما بطن.

فقال لها أيّتها الكريمة لقد فعلت اليوم بى ما وجب به بل ببعضه على مدحک و شكرک دهرى كلّه فهل من حاجة أتشرّف بها و أسعى فى قضائها؟ قال: فسألته عن الحرب و من قتل فيه فجعل يخبرها و يقول فلان قتله الحسن و فلان قتله الحسين إلى أن بلغ قومها و عشيرتها، و كانت قطام لعنها اللّه على رأى الخوارج و قد قتل أمير المؤمنين فى هذا الحرب من قومها جماعة كثيرة منهم أبوها و أخوها و عمّها، فلما سمعت منه ذلک صرخت باكية ثمّ لطمت خدّها و قامت من عنده و دخلت البيت و هى تندبهم طويلا.

قال: فندم ابن ملجم فلما خرجت إليه قالت: يعزّ علىّ فراقهم من لى بعدهم أفلا ناصر ينصرنى و يأخذ لى بثارى و يكشف عن عارى فكنت أهب له نفسى و أمكنه منها و من مالى و جمالى، فرقّ لها ابن ملجم و قال لها: غضّى صوتک و ارفقى بنفسک فانک تعطين مرادک.

قال: فسكتت من بكائها و طمعت فى قوله، ثمّ أقبلت عليه بكلامها و هى كاشفة عن صدرها و مسبلة شعرها، فلما تمكّن هواها من قبله مال إليها بكليّته ثمّ جذبها

إليه و قال لها: كان أبوک صديقا لی و قد خطبتک منه فأنعم لی بذلک فسبق إليه الموت فزوّجينی نفسک لآخذ لک بثارک.

قال: ففرحت بكلامه و قالت قد خطبنی الأشراف من قومی و سادات عشيرتی فما انعمت إلاّ لمن يأخذ لی بثاری و لما سمعت عنک أنّک تقاوم الأقران و تقتل الشّجعان فأحببت أن تكون لی بعلاو أكون لک أهلا.

فقال لها: فأنا و اللّه كفو كريم فاقرحی على ما شئت من مال و فعال، فقالت له: إن قدمت على العطيّة و الشّرط فها أنا بين يديک فتحكم كيف شئت، فقال لها: و ما العطية و الشّرط؟ فقالت له: أمّا العطيّة فثلاثة آلاف دينار و عبد و قينة(1) فقال هذا أنا ملیء به، فما الشرط المذكور؟ قالت: نم على فراشک حتّى أعود إليک.

ثمّ إنّها دخلت خدرها فلبست أفخر ثيابها و لبست قميصا رقيقا يرى صدرها و حليتها و زادت فی الحلیّ و الطيب و خرجت فی معصفرها فجعلت تباشره بمحاسنها ليرى حسنها و جمالها، و أرخت عشرة ذوايب من شعرها منظومة بالدّرّ و الجواهر.

فلما دخلت إليه أرخت لثامها عن وجهها و رفعت معصفرها(2) و كشفت عن صدرها و اعكانها و قالت: ان قدمت على الشّرط المشروط ظفرت بهذا جميعه و أنت مسرور مغبوط.

قال: فمدّ ابن ملجم عينيه إليها فحار عقله و هوى لحينه مغشيّا عليه ساعة فلما أفاق قال: يا منية النّفس ما شرطک فاذكريه لی فانّی سأفعله و لو كان دونه قطع القفار و خوض البحار و قطع الرّؤوس و اختلاس النّفوس، قالت له الملعونة: شرطی عليک أن تقتل علیّ بن أبی طالب بضربة واحدة بهذا السّيف فی مفرق رأسه يأخذ منه ما يأخذ و يبقى ما يبقى.

1- (1) القينه الامة المغنية أو الاعم.

2- (2) ثوب صبغ بالعصفر و هو نبت.

فلمـا سـمع ابن ملجم كلاـمه استرجع و رجع إلى عقله و اغـاظه و أقلقه ثمّ صـاح بأعلى صوته: و يحک ما هـذا الـذى و اجهتنى به بئس ما حدّثتک به نفسک من المحال، ثمّ طأطأ رأسه يسيل عرقا و هو متفكّر فى أمره، ثمّ رفع رأسه إليها و قال:

و يلک من يقدر على قتل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب المسـتجاب الدعاء المنصور من السّماء، و الأرض ترجف من هيبته، و الملائكة تسرع إلى خدمته.

يا ويلک و من يقـدر على قتل علىّ بن أبى طالب و هو مؤيّـد من السّـماء، و الملائكة تحوطه بكرة و عشـيّة، و لقد كان فى أيّام رسول اللّه إذا قاتـل يكون جبرئيـل عن يمينه و ميكائيـل عن يسـاره و ملک الموت بين يـديه فمن هو هكـذا الاطاقـة لأحـد بقتله و لا سبيل لمخلوق على اغتياله.

و مع ذلک فانّه قد أعزّنى و أكرمنى و أحبّنى و رفعنى و آثرنى على غيرى، فلا يكون ذلک جزاؤه منّى أبدا، فان كان غيره قتلته لک شرّ قتلة و لو كان أفرس أهل زمانه، و أمّا أمير المؤمنين فلا سبيل لى عليه.

قال: فصبرت عنه حتّى سكن غيظه و دخلت معه فى المداعبة و الملاعبة و علمت أنّه قد نسى ذلک القول، ثمّ قالت له: يا هذا ما يمنعک عن قتل علىّ بن أبى طالب و ترغب فى هـذا المال و تتنّعم هـذا الجمال و ما أنت بأعفّ و أزهد من الذين قاتلوه و قتلهم و كانوا من الصّوامين و القوّامين، فلما نظروا إليه و قـد قتل المسـلمين ظلما و عـدوانا اعتزلوه و حاربوه، و مع ذلک فانّه قـد قتل المسـلمين و حكم بغير حكم اللّه و خلع نفسه من الخلافة و امرة المؤمنين، فلما رأوه قومى على ذلک اعتزلوه فقتلهم بغير حجة له عليهم.

فقال له ابن ملجم: يا هذه كفّى عنّى فقد أفسدت علىّ دينى و أدخلت الشكّ فى قلبى و ما أدرى ما أقول لک و قد عزمت على رأى ثمّ أنشد:

ثلاثة آلاف و عبد و قينة و ضرب علىّ بالحسام المصمّم

فلا مهر أغلا من قطام و ان غلا و لا فتک(1) إلاّ دون فتک ابن ملجم

فأقسمت بالبیت الحرام و من أتی الیه و لبّی من محلّ و محرم

لقد أفسدت عقلی قطام و انّنی لمنها علی شکّ عظیم مذمم

لقتل علیّ خیر من وطأ الثری أخی العلم الهادی النبیّ المکرّم

ثمّ امسک ساعة و قال:

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة کمهر قطام من فصیح و أعجم

ثلاثة آلاف و عبد و قینة و ضرب علیّ بالحسام المصمم

فلا مهر أغلا من علیّ و إن غلا و لا فتک إلاّ دون فتک ابن ملجم

فأقسمت بالبیت الحرام و من أتی الیه جهارا من محلّ و محرم

لقد خاب من یسعی لقتل إمامه و ویل له من حرّ نار جهنم

إلی آخر ما أنشد من الأبیات ثمّ قال لها: أجّلینی لیلتی هذه حتّی أنظر فی أمری و آتیک غدا بما یقوی علیه عزمی.

فلما همّ بالخروج أقبلت إلیه و ضمّته إلی صدرها و قبّلت ما بین عینیه و أمرته بالاستعجال فی أمرها و سایرته إلی باب الدّار و هی تشجعه و انشدت له أبیات، فخرج الملعون من عنده و قد سلبت فؤاده و أذهبت رقاده و رشاده، فبات لیلته قلقا متفکّرا فمرّة یعاتب نفسه و مرّة یفکّر فی دنیاه و آخرته.

فلما کانت وقت السّحر أتاه طارق فطرق الباب فلما فتحه إذا برجل من بنی عمّه علی نجیب و إذا هو رسول من إخوته إلیه یعزّونه فی أبیه و عمّه و یعرفونه أنّه خلّف مالا جزیلا و أنّهم دعوه سریعا لیحوز ذلک المال.

فلما سمع ذلک بقی متحیرا فی أمره إذ جاءه ما یشغله عمّا عزم علیه من أمر قطام فلم یزل مفکرا فی أمره حتّی عزم علی الخروج، و کان له اخوان لأبیه و امه کانت من زبید یقال لها عدنیة و هی ابنة علیّ بن ماشوج و کان أبوه مرادیا، و کانوا یسکنون عجران صنعا.

1- (1) الفتک مثلثة رکوب ما هم من الامور و دعت الیه النفس و فتک یفتک فهو فاتک جریء شجاع و فتک به انتهز منه فرصة فقتله او جرحه مجاهرة او اعم، ق.

فلمّا وصل إلى النّجف ذكر قطام و منزلتها فى قلبه و رجع إليها فلمّا طرق الباب اطلعت عليه و قالت من الطارق! فعرفته على حالة السّفر فنزلت إليه و سلّمت عليه و سألته عن حاله فأخبرها بخبره و وعدها بقضاء حاجتها إذا رجع من سفره و تملكها جميع ما يجىء به من المال، فعدلت عنه مغضبة فدنى منها و قبّلها و ودّعها و حلف لها أنّه يبلغها مأمولها فى جميع ما سألته.

فخرج و جاء إلى أمير المؤمنين و أخبره بما جاءوا إليه لأجله و سأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتابا ليعينه على استخلاص حقّه فأمر كاتبه فكتب له ما أراد ثمّ أعطاه فرسا من جياد خيله فخرج و سار سيرا حثيثا حتّى وصل إلى بعض أودية اليمن، فأظلم عليه الليل فبات فى بعضها، فلمّا مضى من الليل نصفه إذا هو بزعقة عظيمة من صدر الوادى و دخان يفور و نار مضرمة فانزعج لذلك و تغيّر لونه و نظر إلى صدر الوادى و إذا بالدّخان قد أقبل كالجبل العظيم و هو واقع عليه و النّار تخرج من جوانبه، فخرّ مغشيّا عليه فلمّا أفاق و إذا بها تف يسمع صوته و لا يرى شخصه و هو يقول:

اسمع وع القول يا بن ملجم إنّک فى أمر مهول معظم

تضمر قتل الفارس المكرّم أكرم من طاف و لبّى و احرم

ذاک علىّ ذو التقاء الأقدم فارجع إلى اللّه لكيلا تندم

فلما سمع توهّم أنّه من طوارق الجنّ و إذا بالهاتف يقول:

يا شقىّ ابن الشّقى أمّا ما أضمرت من قتل الزّاهد العابد العادل الرّاكع السّاجد امام الهدى و علم التّقى و العروة الوثقى فانّا علمنا بما تريد أن تفعله بأمير المؤمنين و نحن من الجنّ الذين أسلمنا على يديه و نحن نازلون بهذا الوادى فانّا لا ندعک تبيت فيه فانّک ميشوم على نفسک ثمّ جعلوا يرمونه بقطع الجنادل فصعد فوق شاهق فبات بقيّة ليله.

فلمّا أصبح سار ليلا و نهارا حتّى وصل إلى اليمن و أقام عندهم شهرين و قلبه على حرّ الجمر من أجل قطام ثمّ إنّه أخذ الذى أصابه من المال و المتاع و الأثاث

و الجواهر و خرج.

فبينا هو فی بعض الطريق إذا خرجت عليه حراميّة فسايرهم و سايروه فلمّا قربوا من الكوفة حاربوه و أخذوا جميع ما كان معه و نجی بنفسه و فرسه و قليل من الذهب علی وسطه و ما كان تحته، فهرب علی وجهه حتّی كاد أن يهلک عطشا.

و أقبل سايرا فی الفلاة مهموما جايعا عطشانا فلاح له شبح فقصده، فاذا بيوت من أبيات الحرب فقصد منها بيتا فنزل عندهم و استسقاهم شربة ماء فسقوه و طلب لبنا فأتوه به فنام ساعة.

فلمّا استيقظ أتاه رجلان و قدما إليه طعاما فأكل و أكلا معه و جعلا يسألانه عن الطريق فأخبرهما، ثمّ قالا له: ممّن الرّجل؟ قال: من مراد، قالا: اين تقصد؟ قال: الكوفة، قالا: كانّک من أصحاب أبی تراب؟ قال: نعم، فاحمرّت أعينهما غيظا و عزما علی قتله ليلا، و أسرّا ذلک و نهضا، فتبيّن له ما عزما عليه فندم علی كلامه.

فبينما هو متحير إذ أقبل كلبهم و نام قريبا منهم، فأقبل اللعين يمسح بيده علی الكلب و يشفق عليه و يقول مرحبا بكلب قوم أكرمونی فاستحسنا ذلک و سألاه ما اسمک؟ قال: عبد الرّحمن بن ملجم، فقالا له: ما اردت بصنعک هذا فی كلبنا؟ فقال:

أكرمته لأجلكم حيث اكرمتمونی فوجب علیّ شكركم و كان هذا منه خديعة و مكرا فقالا: اللّه اكبر الآن و اللّه وجب حقّک علينا و نحن نكشف لک عمّا فی ضمائرنا.

نحن نری رأی الخوارج و قد قتل أعمانا و أخوالنا و أهالينا كما علمت، فلما أخبرتنا أنّک من أصحابه عزمنا علی قتلک فی هذه اللّيلة فلمّا رأينا صنعک هذا بكلبنا صفحنا عنک و نحن الآن نطلعک علی ما قد عزمنا عليه فسألهما عن أسمائهما فقال أحدهما أنا البرک بن عبد اللّه التميمی، و هذا عبد اللّه بن عثمان العنبری صهری.

و قد نظرنا إلی ما نحن عليه من مذهبنا فرأينا أنّ فساد الأرض و الأمة كلّها من ثلاثة نفر أبو «أبی ظ» تراب، و معاوية و عمرو بن العاص، فامّا أبو تراب فانّه قتل رجالنا كما رأيت و افتكرنا أيضا فی الرّجلين معاوية و ابن العاص و قد وليا علينا هذا الظالم الغشوم بسر بن أرطاة يطرقنا فی كلّ وقت و يأخذ أموالنا و قد عزمنا علی قتل هؤلاء

الثلاثة فاذا قتلناهم توطات الأرض و اقعد النّاس لهم اماما يرضونه.

فلمّا سمع ابن ملجم كلامهما صفق باحدى يديه على الأخرى و قال: و الذى فلق الحبّة و برء النسمة و تردّى بالعظمة إنّى لثالثكما و إنّى موافقكما على رأيكما و أنا أكفيكما أمر علىّ بن أبى طالب.

فنظرا إليه متعجّبين من كلامه قال و اللّه ما أقول لكما إلاّ حقّا، ثمّ ذكر لهما قصّته فلمّا سمعا كلامه عرفا صحّته و قالا إنّ قطام من قومنا و أهلها كانوا من عشيرتنا فنحن نحمد اللّه على اتّفاقنا فهذا لا يتمّ إلاّ بالايمان المغلظة فنركب الآن مطايانا و نأتى الكعبة و نتعاقد عندها على الوفاء فلمّا أصبحوا و ركبوا حضر عندهم بعض قومهم فأشاروا عليهم و قالوا لا تفعلوا ذلك فما منكم أحد إلا و يندم ندامة عظيمة، فلم يقبلوا و ساروا جميعا حتّى أتوا البيت و تعاهدوا عنده.

فقال البرك: أنا لعمرو بن العاص، و قال العنبرى: أنا لمعاوية، و قال ابن ملجم لعنه اللّه: أنا لعلىّ، فتحالفوا على ذلك بالأيمان المغلّظة و دخلوا المدينة و حلفوا عند قبر النبىّ على ذلك ثمّ افترقوا و قد عينوا يوما معلوما يقتلون فيه الجميع، ثمّ سار كلّ منهم على طريقه.

فاما البرك فأتى المصر و دخل الجامع و أقام فيه أيّا ما، فخرج عمرو بن العاص ذات يوم إلى الجامع و جلس فيه بعد صلاته فجاء البرك إليه و سلّم عليه ثمّ حادثه فى فنون الأخبار و طرف الكلام و الأشعار، فشعف به عمرو بن العاص و قرّبه و أدناه و صار يأكل معه على مائدة واحدة، فأقام إلى الليلة التى تواعدوا فيها فخرج إلى نيل مصر و جلس مفكرا فلمّا غربت الشّمس أتى الجامع و جلس فيه.

فلمّا كان وقت الافطار افتقده عمرو بن العاص فلم يره فقال لولده: ما فعل صاحبنا و أين مضى فانّى لا أراه فبعث إليه يدعوه فقال له: إنّ هذه الليلة ليست كالليالى و قد أحببت أن أقيم ليلتى هذه فى الجامع رغبة فيما عند اللّه و احبّ أن اشرك للأمير فى ذلك.

فلمّا رجع إليه و أخبره بذلک سرّه سرورا عظيما و بعث إليه مائدة فاكل و بات ليلته ينتظر قدوم عمرو، و كان هو الذى يصلّى بهم فلمّا كان عند طلوع الفجر أقبل المؤذّن إلى باب عمرو و أذّن و قال: الصّلاة يرحمک اللّه الصّلاة.

فانتبه فأتى بالماء و توضّأ و تطيّب و ذهب ليخرج إلى الصّلاة فزلق فوقع على جنبه فاعتوره عرق النّساء فاشغلته (فشغلته خ ل) عن الخروج، فقال قدّموا خارجة ابن تميم القاضى يصلّى بالنّاس، فأتى القاضى و دخل المحراب فى غلس فجاء البرک فوقف خلفه و سيفه تحت ثيابه و هو لا يشک أنّه عمرو فأمهله حتّى سجد و جلس من سجوده فسلّ سيفه و نادى.

لا حكم إلاّ اللّه و لا طاعة لمن عصى اللّه ثمّ ضربه بالسّيف على أمّ رأسه فقضى نحبه لوقته، فبادر النّاس و قبضوا عليه و أخذوا سيفه من يده و أوجعوه ضربا و قالوا له: يا عدوّ اللّه قتلت رجلا مسلما ساجدا فى محرابه فقال: يا حمير أهل مصر إنّه يستحق القتل قالوا: بماذا ويلک؟ قال: لسعيه فى الفتنة لأنّه الدّاهية الدّهماء الذى أثار الفتنة و نبذها و قوّاها و زيّن لمعاوية محاربة علىّ.

فقالوا له: يا ويلک من تعنى؟ قال: الطاغى الباغى الكافر الزّنديق عمرو بن العاص الذى شقّ عصا المسلمين و هتک حرمة الدّين، قالوا: لقد خاب ظنّک و طاش سهمک إنّ الذى قتلته ما هو إنّما هو خارجة، فقال يا قوم المعذرة إلى اللّه و اليكم فو اللّه ما أردت خارجة و إنّما أردت قتل عمرو.

فأوثقوه كتافا و أتوا به إلى عمرو، فلمّا رآه قال: أليس هذا هو صاحبنا الحجازى قالوا له: نعم قال: ما باله؟ قالوا: إنّه قد قتل خارجة فدهش عمرو لذلک و قال:

إنّا للّه و إنّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلىّ العظيم.

ثمّ التفت إليه و قال: يا هذا لم فعلت ذلک؟ فقال له و اللّه يا فاسق ما طلبت غيرک و لا أردت سواک، قال: و لم ذلک؟ قال: إنّا ثلاثة تعاهدنا بمكّة على قتلک و قتل علىّ بن أبى طالب و قتل معاوية فى هذه الليلة، فان صدق صاحباى فقد قتل علىّ بالكوفة و معاوية بالشّام و أمّا أنت فقد سلمت، فقال عمرو: يا غلام احبسه حتّى نكتب إلى معاوية، فحبسه

حتّى أمره معاوية بقتله فقتله.

و أما عبد اللّه العنبرى فقصد دمشق و استخبر عن معاوية فارشد إليه فجعل يتردّد إلى داره فلا يتمكّن من الدّخول عليه إلى أن أذن معاوية يوما للنّاس إذنا عاما فدخل إليه مع النّاس و سلّم عليه و حادثه ساعة و ذكر له ملوك قحطان و من له كلام مصيب حتّى ذكر له بنى عمّه و هم أوّل ملوك قحطان و شيئا من أخبارهم فلمّا تفرّقوا بقى عنده مع خواصّ أصحابه و كان فصيحا خبيرا بأنساب العرب و أشعارهم.

فأحبّه معاوية حبا شديدا فقال: قد أذنت لک فى كلّ وقت نجلس فيه أن تدخل علينا من غير مانع و لا دافع، فكان يتردّد إليه إلى ليلة تسع عشرة و كان قد عرف المكان الذى يصلّى فيه معاوية.

فلمّا أذن المؤذّن للفجر و أتى معاوية المسجد و دخل محرابه ثار إليه بالسّيف و ضربه فراغ عنه، فأراد ضرب عنقه فانصاع عنه فوقع السّيف فى إليته و كانت ضربته ضربة جبان، فقال معاوية: لا يفوتنّكم الرّجل فاستخلف بعض أصحابه للصّلاة و نهض إلى داره.

و أمّا العنبرى فأخذه النّاس و أونقوه و أتوا به إلى معاوية و كان مغشيّا عليه فلمّا أفاق قال له: ويلک يا لكع لقد خاب ظنّى فيک ما الذى حملک على هذا؟ فقال له: دعنى من كلامک اعلم أنّنا ثلاثة تحالفنا على قتلک و قتل عمرو بن العاص و علىّ بن أبى طالب فان صدقا صاحباى فقد قتل علىّ و عمرو، و أمّا أنت فقد روغ أجلک كروغک الثعلب.

فقال له معاوية: على رغم أنفک فامر به إلى الحبس فأتاه الساعدى و كان طبيبا فلمّا نظر إليه قال له، اختر إحدى الخصلتين إمّا أن احمى حديدة فأضعها موضع السّيف، و إمّا أن أسقيک شربة تقطع منک الولد و تبرء منها، لأنّ ضربتک مسمومة فقال معاوية أمّا النّار فلا صبر لى عليها، و أمّا انقطاع الولد فانّ فى يزيد

و عبد اللّه ما تقرّ به عينى، فسقاه الشّربة فبرىء و لم يولد له بعدها.

و أما ابن ملجم لعنه اللّه فانّه سار حتّى دخل الكوفة و اجتاز على الجامع و كان أمير المؤمنين جالسا على باب كندة فلم يدخله و لم يسلّم عليه، و كان إلى جانبه الحسن و الحسين و معه جماعة من أصحابه فلمّا نظروا إلى ابن ملجم و عبوره قالوا: ألا ترى إلى ابن ملجم عبر و لم يسلّم عليك؟ قال عليه السّلام: دعوه فانّ له شأنا من الشّأن، و اللّه ليخضبنّ هذه من هذه و أشار إلى لحيته و هامته ثمّ قال عليه السّلام.

ما من الموت لانسان نجا كلّ امرء لا بدّ يأتيه الفنا

تبارک اللّه و سبحانه لكلّ شىء مدّة و انتها

يقدر الانسان فى نفسه امرا و يأتيه عليه القضاء

لا تامننّ الدهر فى أهله لكلّ شىء آخر و انقضاء

بين ترى الانسان فى غبطة يمسى و قد حلّ عليه القضا

ثمّ جعل يطيل النّظر إليه حتّى غاب عن عينه و أطرق الأرض يقول: إنّا للّه و انّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلىّ العظيم.

قال: و سار ابن ملجم حتّى وصل إلى دار قطام و كانت قد ايست من رجوعه إليها، و عرضت نفسها على بنى عمها و عشيرتها و شرطت عليهم قتل أمير المؤمنين فلم يقدم أحد على ذلک، فلما طرق الباب قالت من الطارق؟ قال: أنا عبد الرّحمن، ففرحت قطام به و خرجت إليه و اعتنقته و ادخلته دارها و فرشت له فرش الدّيباج و احضرت له الطعام و المدام فاكل و شرب حتّى سكر و سألته عن حاله فحدثها بجميع ما جرى له فى طريقه.

ثمّ أمرته بالاغتسال و تغيير ثيابه، ففعل ذلک و امرت جارية لها ففرشت الدّار بأنواع الفرش و حضرت له شرابا و جوارى فشرب مع الجوار و هن يلعبن له بالعيدان و المعازف(1) و الدّفوف فلما أخذ الشّراب منه أقبل عليها و قال: ما بالک لا تجالسينى و لا تحادثينى يا قرّة عينى و لا تمازحينى، فقالت له: بلى سمعا و طاعة

1- (1) المعازف الملاهى كالعود و الطنبور و شبهه الواحد معزف كمنبر ق.

ثمّ انّها نهضت و دخلت إلی خدرها و لبست أفخر ثیابها و تزینت و تطیبت و خرجت إلیه و قد کشفت له عن رأسها و صدرها و نهودها و أبرزت له عن فخذها و هی فی طاق غلالة رومی یبیّن له منها جمیع جسدها و هی تتبختر فی مشیتها و الجوار حولها یلعبن.

فقام الملعون و اعتنقها و ترشقها(1) و حملها حتّی أجلسها مجلسها و قد بهت و تحیر و استحوذ علیه الشّیطان فضربت بیدها علی زرّ قمیصها فحلّته و کان فی حلقها عقد جوهر لیست له قیمة فلما أراد مجامعتها لم تمکّنه من ذلک فقال لم تمانعینی عن نفسک و أنا و أنت علی العهد الذی عاهدناک علیه من قتل علیّ و لو أحببت لقتلت معه شبلیه الحسن و الحسین.

ثمّ ضرب یده علی همیانه فحلّه من وسطه و رماه إلیها و قال خذیه فانّ فیه أکثر من ثلاثة آلاف دینار و عبد و قینة، فقالت له و اللّه لا امکنک من نفسی حتّی تحلف لی بالایمان المغلظة انّک تقتله فحملته القساوة علی ذلک و باع آخرته بدنیاه و تحکم الشیطان فیه بالایمان المغلظة انّه یقتله و لو قطعوه اربا اربا.

فمالت إلیه عند ذلک و قبلته و قبلها فأراد وطیها فمانعته و بات عندها تلک اللیلة من غیر نکاح فلما کان من الغد تزوّج بها سرّا و طاب قلبه فلما أفاق من سکرته ندم علی ما کان منه و عاتب نفسه و لعنها فلم تزل ترادعه فی کلّ لیلة و تعده بوصالها فلما دنت اللیلة الموعودة مدّیده إلیها لیضاجعها و یجامعها فأبت علیه و قالت ما یکون ذلک إلاّ أن تفی بوعدک و کان الملعون اعتلّ علّة شدیدة فبرء منها، و کانت الملعونة لا تمکنه من نفسها مخافة أن تبرد ناره فیخلّ بقضاء حاجتها.

فقال لها یا قطام: اقتل لک فی هذه اللیلة علیّ بن أبی طالب فأخذ سیفه و مضی به إلی الصّیقل فأجاد صقاله و جاء به إلیها فقالت إنّی ارید أن اعمل فیه سمّا قال: و ما تصنع بالسّم لو وقع علی جبل لهده، فقالت: دعنی أعمل فیه السّم فانّک لو رأیت علیّا لطاش عقلک و ارتعشت یداک و ربّما ضربته ضربة لا تعمل فیه

1- (1) ارشق حدد النظر و ومی و حبها.

شيئا، فاذا كان مسموما فان لم تعمل الضّربة عمل السّم.

فقال لها: يا ويلک أ تخوفينى من علىّ فو اللّه لا أرهب عليّا و لا غيره، فقالت له:

دعنى من قولک هـذا فانّ عليّا ليس كمن لا قيت من الشـجعان فاطرت فى مدحه و ذكرت شـجاعته و كان غرضـها أن يحمل الملعون على الغضب و يحرّضه على الأمر فأخذت السّيف و انفذته إلى الصّيقل فسقاه السّم و ردّه إلى غمده.

و كان ابن ملجم قد خرج فى ذلک اليوم و يمشى فى أزقة الكوفة فلقاه صديق له و هو عبد اللّه بن جابر الحارثى فسلّم عليه و هنّأ بزواج قطام، ثمّ تحادثا ساعة فحدّثه بحديثه من أوله إلى آخره فسّر بذلک سرورا عظيما، فقال له:

أنا اعاونک.

فقال ابن ملجم: دعنى من هـذا الحـديث فانّ عليّا أروغ من الثّعلب و أشدّ من الاسد، ثم مضـى ابن ملجم لعنه اللّه يدور فى شوارع الكوفة، فاجتاز على أمير المؤمنين و هو جالس عند ميثم التّمار فخطف عنه كيلا يراه ففطن به فبعث خلفه رسولا فلما أتاه وقف بين يديه و سلم عليه و تضرّع لديه.

فقال له: ما تعمل ههنا؟ قال: أطوف فى أسواق الكوفـة و أنظر إليها، فقال عليک بالمساجد فانّها خير لک من البقاع كلّها و شـرّها الاسواق ما لم يذكر اسم اللّه فيها ثمّ حادثه ساعة و انصرف.

فلما ولى جعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه و يقول يالک من عدوّ لى من مراد ثمّ قال: اريد حياته و يريد قتلى، و يأبى اللّه إلاّ أن يشاء.

ثمّ قال عليه السّلام يا ميثم هـذا و اللّه قاتلى لا محالة أخبرنى به حبيبى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، فقال ميثم: يا أمير المؤمنين فلم لا تقتله أنت قبـل ذلـک؟ فقال: يا ميثم لا يحلّ القصاص قبل الفعل، فقال ميثم يا مولاى إذا لم تقتله فاطرده، فقال: يا ميثم لو لا آيـة فى كتاب اللّه:

«يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ ».

و أيضا انّه بعد ما جنا جناية فيؤخذ بها و لا يجوز أن يعاقب قبل الفعل، فقال ميثم:

جعل يومنا قبل يومک و لا أرانا اللّه فيک سوء ابـدا و متى يکون ذلک يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنّ اللّه تفرّد بخمسة أشـياء لا يطلع عليها نبىّ مرسل و لا ملک مقرّب فقال عزّ من قائل:

«إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ » الآية.

يا ميثم هذه خمسة لا يطلع عليها إلاّ اللّه و ما اطلع عليها نبىّ و لا وصـىّ و لا ملک مقرّب، يا ميثم لا حذر من قدر، يا ميثم إذا جاء القضاء فلا مفرّ، فرجع ابن ملجم و دخل على قطام لعنهما اللّه و كانت تلک الليلة ليلة تسع عشر من شهر رمضان.

قالت امّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السّلام لما كانت ليلـة تسع عشـرة من شـهر رمضان قدمت إليه عند افطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشّعير و قصعة فيها لبن و ملح جريش، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلما نظر إليه و تأمله حرک رأسه و بكى بكاء شديدا عاليا و قال: يا بنيـة ما ظننت أنّ بنتا تسوء أباها كما قـد أسات أنت إلىّ، قالت: و ما ذا يا أبا؟ قال: يا بنية أتقدّمين إلى أبيک ادامين فى فرد طبق واحد أ تريد بن أن يطول وقوفى غدا بين يدى اللّه عزّ و جل يوم القيامة أنا اريد أن أتبع أخى و ابن عمّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما قدم إليه طعامان فى طبق واحد إلى أن قبضه اللّه.

يا بنية ما من رجل طاب مطعمه و مشـربه و ملبسه إلاّ طال وقوفه بين يدى اللّه عزّ و جل يوم القيامة، يا بنية انّ الدّنيا فى حلالها حساب و فى حرامها عقاب.

و قـد أخبرنى حبيبى رسول اللّه أنّ جبرئيـل نزل إليه و معه مفاتيـح كنوز الأـرض و قال: يا محمّـد اللّه يقرؤک السّلام و يقول لک ان شـئت سيّرت معک جبال تهامة ذهبا و فضة و خذ هذه مفاتيح كنوز الأرض و لا ينقص ذلک من حظک يوم القيامة قال،:

يا جبرئيل و ما يكون بعـد ذلک؟ قال الموت، فقال: إذن لا حاجـة لی فی الدّنيا دعنی أجوع يوما و أشـبع يوما، فاليوم الذی أجوع فيه أتضـرّع إلی ربی و أسأله، و اليوم الذی أشبع فيه أشكر ربّی و أحمده، فقال له جبرئيل: وفّقت لكلّ خير ثم قال:

يا بنيـة الـدّنيا دار غرور و دار هو ان فمن قدّم شـيئا وجده، يا بنية و اللّه لا آكل شـيئا حتّی ترفعين أحد الادامين، فلما رفعته تقدّم إلی الطعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش.

ثمّ حمد اللّه و أثنی عليه ثمّ قام إلی صـلاته فصـلی فلم يزل راكعا و ساجدا و مبتهلا و متضـرّعا إلی اللّه سبحانه و يكثر الدّخول و الخروج و هو ينظر إلی السّـماء و هو قلق يتململ، ثم قرء سورة يس حتّی ختمها، ثمّ رقـد هنيئة و انتبه مرعوبا و جعل يمسح وجهه بثوبه و نهض قائما علی قـدميه و هو يقول: اللهمّ بارک لنا فی لقائک و يكثر من قول لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلیّ العظيم، ثمّ صـلّی حتّی ذهب بعض الليل، ثمّ جلس للتعقيب، ثمّ نامت عيناه و هو جالس، ثمّ انتبه من نومته مرعوبا.

قالت ام كلثوم كانّی به و قـد جمع أولاده و أهله و قال لهم فی هـذا الشّـهر تفقـدونی إنّی رأيت فی هـذه الليلة رؤياها لتنی و اريد أن أقصّ ها عليكم، قالوا: و ما هی؟ قال: إنی رأيت الساعة رسول اللّه فی منامی و هو يقول لی: يا أبا الحسن إنّک قادم إلينا عن قريب يجیء اليک أشقاها فيخضب شيبتک من دم رأسک و أنا و اللّه مشتاق إليک و إنّک عندنا فی العشر الآخر من شهر رمضان فهلمّ إلينا فما عندنا خير لک و أبقی.

قال: فلما سـمعوا كلامه ضـجّوا بالبكاء و النحيب و أبدوا العويل فاقسم عليهم بالسّكوت فسكتوا، ثمّ أقبل عليهم يوصيهم و يأمرهم بالخير و ينهيهم عن الشّر.

قالت أمّ كلثوم فلم يزل تلک الليلة قائما و قاعدا و راكعا و ساجدا، ثمّ يخرج

ساعة بعد ساعة يقلّب طرفه فى السماء و ينظر فى الكواكب و هو يقول و اللّه ما كذبت و لا كذبت و إنها الليلة التى وعدت بها.

ثمّ يعود إلى مصلاّه و يقول. اللهمّ بارک لى فى الموت و يكثر من قول إنا للّه و إنّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلىّ العظيم و يصلّى على النبىّ و آله و يستغفر اللّه كثيرا.

قالت ام كلثوم: فلما رأيته فى تلک الليلة فلقا متململا كثير الذّكر و الاستغفار أرقت معه ليلتى و قلت يا ابتاه مالى أراک هذه الليلة لا تذوق طعم الرّقاد، قال: يا بنية إنّ أباک قتل الابطال و خاض الأهوال و ما دخل الجوف له خوف و ما دخل فى قلبى رعب أكثر ممّا دخل فى هذه الليلة، ثمّ قال: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، فقلت: يا أباه مالک تنعى نفسک منذ الليلة، قال: يا بنية قد قرب الأجل و انقطع الأمل قالت أمّ كلثوم: فبكيت، فقال لى: يا بنية لا تبكين فانّى لم أقل ذلک إلاّ بما عهد إلىّ النبىّ، ثمّ أنّه عليه السّلام نعس و طوى ساعة ثمّ استيقظ من نومه، و قال يا بنية اذا قرب وقت الاذان فأعلمينى، ثمّ رجع إلى ما كان عليه أوّل الليل من الصّلاة و الدّعاء و التضرّع إلى اللّه سبحانه.

قالت أمّ كلثوم فجعلت أرقب وقت الأذان فلما لاح الوقت أتيته و معى إناء فيه ماء ثمّ ايقظته اسبغ الوضوء و قام و لبس ثيابه و فتح بابه، ثمّ نزل إلى الدّار و كان فى الدار اوز قد اهدى إلى أخى الحسين فلما نزل خرجن و رائه و رفرفن و صحن فى وجهه و كان قبل تلک لم يصحن، فقال: لا إله إلاّ اللّه.

صوارخ تتبعها نوايح و فى غداة غد يظهر القضا

فقلت له: يا أبا هكذا تتطير، فقال: يا بنية ما منّا أهل البيت من يتطير و لا يتطير به و لكن قول جرى على لسانى، ثمّ قال: يا بنية بحقّى عليک إلاّ ما أظلقتيه فقد حبست ما ليس له لسان و لا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه و اسقيه و إلاّ خلّى سبيله يأكل من حشايش الأرض، فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فانحل مئزره حتّى سقط فأخذه و شدّه و هو يقول:

اشدد حيازيمک للموت فانّ الموت لاقيکا و لا تجزع من الموت إذا حلّ بناديکا

و لا تغتر بالدّهر و ان کان يواتيکا کما أضحکک الدّهر کذاک الدهر يبکيکا

ثمّ قال: اللهمّ بارک لنا فی الموت اللهمّ بارک لی فی لقاءک.

قالت أمّ کلثوم: و کنت أمشی خلفه فلما سمعته يقول ذلک، قلت: و اغوثاه يا أبتاه أراک تنعی نفسک منذ الليلة، قال: يا بنية ما هو بنعاء و لکنها دلالات و علامات للموت تتبع بعضها بعضا فامسکی عن الجواب، ثمّ فتح الباب و خرج.

قالت أمّ کلثوم: فجئت إلی أخی الحسن فقلت يا أخی قد کان من أمر أبيک الليلة کذا و کذا، و هو قد خرج فی هذا الليل الغلس فالحقه، فقام الحسن بن علیّ عليه السّلام و تبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فقال: يا أباه ما اخرجک فی هذه السّاعة و قد بقی من الليل ثلثه.

فقال: يا حبيبی و يا قرّة عينی خرجت لرؤيا رأيتها فی هذه الليلة هالتنی و أزعجتنی و أقلقتنی، فقال له: خيرا رأيت و خيرا يکون فقصّ ها علیّ، فقال: يا بنیّ رأيت کان جبرئيل قد نزل من السّماء علی جبل أبی قبيس فتناول منه حجرين و مضی بهما إلی الکعبة و ترکهما علی ظهرها و ضرب أحدهما علی الآخر فصار کالرّميم، ثمّ ذراهما(1) فی الرّيح فما بقی بمکّة و لا بالمدينة بيت إلاّ و دخله من ذلک الرّماد فقال له يا أبت و ما تأويلها؟ فقال: يا بنیّ إن صدقت رؤياي فانّ أباک مقتول و لا يبقی بمکّة حينئذ و لا بالمدينة بيت إلاّ و يدخله من ذلک غمّ و مصيبة من أجلی، فقال الحسن عليه السّلام و هل تدری متی يکون ذلک يا أبت؟ قال: يا بنیّ انّ اللّه يقول:

«وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ».

1- (1) الذر التفريق.

و لکن عهد إلیّ حبیبی رسول اللّه أنّه یکون فی العشر الآخر من شهر رمضان یقتلنی ابن ملجم المرادی، فقلت له یا أبتاه إذا علمت ذلک منه فاقتله، قال: یا بنیّ لا یجوز القصاص قبل الجنایـة و الجنایـة لم تحصل منه، یا بنیّ لو اجتمع الثقلان الانس و الجن علی أن یدفعوا ذلک لما قدروا، یا بنیّ ارجع إلی فراشک، فقال الحسن یا أبتاه أرید أمضی معک إلی موضع صلاتک.

فقال له: اقسـمت بحقّی علیک إلاّ ما رجعت إلی فراشک لئلا یتنغص علیک نومک و لا تعصـنی فی ذلک، قال فرجع الحسن فوجد اخته امّ کلثوم قائمة خلف الباب تنتظره فدخل فأخبرها بذلک و جلسا یتحادثان و هما محزونان حتی غلب علیها النعاس فقاما و دخلا إلی فراشـهما و ناما.

قال أبو مخنف و غیره: و سار أمیر المؤمنین حتّی دخل المسـجد و القنادیل قد خمد ضوئها فصـلّی فی المسجد و تمّ و رده و عقّب ساعة ثمّ إنّه قام و صـلّی رکعتین ثمّ علا المأذنـة و وضع سـبابتیه فی اذنیه و تنحنح، ثمّ أذّن و کان صـلوات اللّه علیه إذا أذّن لم یبق فی الکوفة بیت إلاّ اخترقه صوته.

قال الرّاوی: و أمّا ابن ملجم فبات فی تلک اللیلة یفکّر فی نفسه و لا یدری ما یصنع فتارة یعاتب نفسه و یوبّخها و یخاف من عقبی فعله فیهمّ أن یرجع عن ذلـک، و تارة یـذکر قطام لعنها اللّه و حسـنها و جمالها و کثرة مالها فتمیل نفسه الیها، فبقی عامـة لیله یتقلّب علی فراشه و هو یترنّم بشعره ذلک إذا أتته الملعونة و نامت معه فی فراشه و قالت یا هذا من یکون علی هذا العزم یرقد.

فقـال لها و اللّه إنّی أقتله لک السّاعـة فقالت اقتله و ارجع إلیّ قریر العین مسـرورا و افعل ما تریـد فانّی منتظرة لک، فقال لها بل اقتله و ارجع إلیک سخین العین منحوسا محسورا، فقالت أعوذ باللّه من تطیرک الوحش.

قال فوثب الملعون کأنّه الفحل من الابل قال هلمّی الیّ بالسّیف، ثمّ انّه اتّزر بمئزر و اتّشح(1) بازار و جعل السّیف تحت الازار من بطنه، و قال افتحی لی

1- (1) توشح بازار شدّه علی وسطه.

الباب ففی هـذه السّاعة اقتل لک علیّا، فقامت فرحة مسـرورة و قبلت صدره و بقی یقبّلها و یترشـقها ساعة ثمّ راودها عن نفسـها فقالت: هذا علیّ أقبل الی الجامع و أذّن فقم إلیه فاقتله ثمّ عد إلیّ فها أنا منتظرة رجوعک، فخرج من الباب و هی خلفه تحرّضه بهذه الابیات:

أقول إذا ما حیّة أعیت الرّقا و کان ذعاف(1) الموت منه شرابها

دسسنا إلیها فی الظلام ابن ملجم همام إذا ما الحرب شبّ لها بها

فخذها علیّ فوق رأسک ضربة بکفّ سعید سوف یلقا ثوابها

قال الرّاوی: فالتفت إلیها و قال أفسدت و اللّه الشّعر فی هذا البیت الآخر، قالت: و لم ذلک؟ قال لها: هلاّ قلت

بکف شقیّ سوف یلقا عقابها

قال مصـنّف هذا الکتاب قدّس اللّه روحه: هذا الخبر غیر صـحیح بل إنّا کتبناه کما وجدناه، و الرّوایة الصـحیحة أنّه بات فی المسجد و معه رجلان أحـدهما شبیب ابن بحیرة و الآخر وردان بن مجالد یساعدانه علی قتل علیّ، فلمّا أذّن نزل من المأذنة و جعل یسـبّح اللّه و یقدّسه و یکبّره و یکثر من الصّلاة علی النّبیّ.

قال الرّاوی: و کان من أکرم أخلاقه أن یفتقد النّائمین فی المسـجد و یقول للنّائم: الصـلاة یرحمک اللّه الصـلاة ثمّ إلی الصـلاة المکتوبة ثمّ یتلو.

«إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ ».

ففعل ذلک کما کان یفعله علی جاری عاداته مع النائمین فی المسـجد حتی إذا بلغ إلی الملعون فرآه نائما علی وجهه قال له: یا هـذا قم من نومـک هـذا فانّهـا نومـة یمقتها اللّه و هی نومـة الشّیطان و نومـة أهل النّار، بل نم علی یمینک فانّها نومـة العلما أو علی یسارک فانّها نومة الحکماء أو علی ظهرک فانّها نومة الانبیاء.

قـال: فتحرّک الملعون کانّه یریـد أن یقوم و هو من مکانه لا یبرح فقال له أمیر المؤمنین: لقـد هممت بشـیء «تَکادُ السَّماواتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ »

1- (1) الذعف السقی ذعفه ای اسقاء بالسم الذعاف کغراب السم ق.

«اَلْجِبالُ هَدًّا »، و لو شئت لأنبئک بما تحت ثيابک، ثمّ تركه و عدل عنه إلى محرابه و قام قائما يصلّى و كان يطيل الرّكوع و السّجود فى الصّلاة كعادته فى الفرائض و النوافل حاضرا قلبه.

فلمّا أحسّ به فنهض الملعون مسرعا و أقبل يمشى حتّى وقف بازاء الاسطوانة التى كان الامام يصلّى عليها، فأمهله حتّى صلّى الرّكعة الاولى و ركع و سجد السجدة الاولى منها، و رفع رأسه فعند ذلک أخذ السّيف و هزّه ثمّ ضربه على رأسه المكرّم الشّريف فوقعت الضّربة على الضّربة التى ضربها عمرو بن عبدود العامرى ثمّ أخذت الضّربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السّجود.

فلمّا أحسّ الامام بالضرب لم يتأوّه و صبر و احتسب و وقع على وجهه و ليس عنده أحد قائلا: بسم اللّه و باللّه و على ملّة رسول اللّه، ثمّ صاح و قال قتلنى ابن ملجم قتلنى اللّعين ابن اليهودية و ربّ الكعبة أيّها الناس لا يفوتنكم ابن ملجم و سار السمّ فى رأسه و بدنه و ثار جميع من فى المسجد فى طلب الملعون و ماجوا بالسلاح فما كنت أرى إلاّ صفق الأيدى على الهامات و علوّ الصرخات.

و كان ابن ملجم ضربه ضربة خائفا مرعوبا، ثمّ ولى هاربا و خرج من المسجد و أحاط الناس بأمير المؤمنين و هو فى محرابه يشدّ الضربة و يأخذ التراب و يضعه عليها ثمّ تلا قوله تعالى:

«مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى » ثمّ قال: جاء أمر اللّه و صدق رسول اللّه ثمّ إنه لما ضربه الملعون ارتجّت الأرض و باحت البحار و السماوات و اصطفقت أبواب الجامع.

قال: و ضربه اللعين شبيب بن بحيرة، فأخطأه و وقعت الضربة فى الطاق.

قال الراوى: فلما سمع الناس الضجة ثار إليه كلّ من كان فى المسجد و صاروا يدورون و لا يدرون أين يذهبون من شدّة الصدمة و الدهشة، ثم أحاطوا بأمير المؤمنين و هو يشدّ رأسه بميزره و الدم يجرى على وجهه و لحيته و قد خضبت بدمائه و هو يقول:

هذا ما وعد اللّه و رسوله و صدق اللّه و رسوله.

قال الرّاوى. فاصطفقت أبواب الجامع و ضجّت الملائكة فى السّماء بالدّعاء وهبّت ريح عاصف سوداء مظلمة، و نادى جبرئيل بين السّماء و الأرض بصوت يسمعه كلّ مستيقظ: تهدّمت و اللّه أركان الهدى، و انطمست و اللّه نجوم السّماء، و أعلام التّقى و انفصمت و اللّه العروة الوثقى، قتل ابن عمّ محمّد المصطفى قتل الوصىّ المجتبى قتل علىّ المرتضى، قتل و اللّه سيّد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء.

قال: فلمّا سمعت امّ كلثوم نعى جبرئيل فلطمت على وجهها و خدّها و شقّت جيبها و صاحت وا أبتاه وا عليّاه وا محمّداه وا سيّداه، ثمّ أقبلت إلى أخويها الحسن و الحسين عليهما السّلام فأيقظتهما و قالت لهما لقد قتل أبو كما، فقاما يبكيان فقال لها الحسن يا اختاه كفّى عن البكاء حتّى نعرف صحة الخبر كيلا تشمت الأعداء.

فخرجا فاذا النّاس ينوحون و ينادون وا اماماه وا أمير المؤمنين قتل و اللّه إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم قط كان أشبه النّاس برسول اللّه.

فلمّا سمع الحسن و الحسين صرخات النّاس ناديا وا أبتاه وا عليّاه ليت الموت أعدمنا الحياة، فلمّا و صلا الجامع و دخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة و معه جماعة من النّاس و هم يجتهدون أن يقيموا الامام فى المحراب ليصلّى بالناس فلم يطق على النهوض و تأخر عن الصفّ و تقدّم الحسن فصلّى بالناس و أمير المؤمنين يصلّى ايماء عن جلوس و هو يمسح الدّم عن وجهه و كريمه الشريف يميل تارة و يسكن اخرى و الحسن ينادى وا انقطاع ظهراه يعزّ و اللّه علىّ أن أراك هكذا.

ففتح عينه و قال: يا بنىّ لا جزع على أبيك بعد اليوم، هذا جدك محمّد المصطفى و جدّتك خديجة الكبرى و امّك فاطمة الزّهراء و الحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، فطب نفسا و قرّ عينا و كفّ عن البكاء فانّ الملائكة قدار تفعت أصواتهم إلى السماء.

قال: ثمّ إنّ الخبر شاع فى جوانب الكوفة و انحشر الناس حتى المخدّرات خرجن من خدرهن إلى الجامع ينظرن إلى أمير المؤمنين، فدخل الناس الجامع

فوجـدوا الحسن و رأس أبيه فی حجره و قـد غسل الـدّم عنه و شدّ الضّـربة و هی بعدها تشـخب دما و وجهه قد زاد بياضا بصـفرة و هو يرمق السّماء بطرفه و لسانه يسبّح اللّه و يوحّده و هو يقول:

أسألک يا ربّ الرّفيع الأعلى، فأخذ الحسن رأسه فی حجره فوجده مغشيّا عليه فعندها بكى بكاء شديدا و جعل يقبّل وجه أبيه و ما بين عينيه و موضع سـجوده، فسـقط من سـجوده «دموعه ظ» قطرات على وجه أمير المؤمنين ففتـح عينيه فرآه باكيا فقال: يا بنیّ يا حسن ما هذا البكاء يا بنیّ لاروع على أبيک بعد اليوم هذا جدّک محمّد المصـطفى و خديجة و فاطمة و الحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيک فطب نفسا و قرّ عينا و اكفف عن البكاء فانّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السّماء.

يـا بنیّ أ تجزع على أبيـک و غـدا تقتل بعـدى مسـموما مظلوما و أخوک يقتل بالسـيف هكـذا و تلحقان بجـدّ كما و أبيكما و امّكما فقال له الحسن: ما تعرفنا من قتلک و من فعل بک هذا، قال: قتلنى ابن اليهوديّة عبد الرحمن بن ملجم المرادى، فقال يا أباه من أىّ طريق مضى قال: لا يمضى أحد فى طلبه فانّه سيطلع عليكم من هذا الباب و أشار بيده الشّريفة إلى باب كندة.

قال: و لم يزل السّمّ يسـرى فى رأسه و فى بـدنه، ثمّ اغمى عليه ساعـة و النّاس ينتظرون قدوم الملعون من باب كندة، و اشـتغل النّاس بالنّظر إلى الباب و يرتقبون قدوم الملعون و قد غصّ المسجد بالعالم ما بين باک و محزون، فما كان إلاّ ساعة و إذا بالصّيحة قد ارتفعت و زمرة من النّاس و قـد جاءوا بعـدوّ اللّه ابن ملجم مكتوفا و هـذا يلعنه و هـذا يضـربه قال: فوقع النّاس بعضـهم على بعض ينظرون إليه فأقبلوا باللعين مكتوفا و هذا يلعنه و هذا يضربه و هم ينهشون لحمه بأسنانهم و يقولون له: يا عدوّ اللّه ما فعلت أهلكت امّة محمّد و قتلت خير النّاس و إنّه لصامت و بين يديه رجل يقال له حذيفة النّخعى بيده سـيف مشـهور و هو يردّ النّاس عن قتله و هو يقول: هذا قاتل الامام علیّ عليه السّـلام حتّى أدخلوه المسجد.

قال الشّعبی: کانّی أنظر إلیه و عیناه قد طار فی أمّ رأسه کانّهما قطعتا علق و قد وقعت فی وجهه ضربة قد هشمت وجهه و أنفه و الدم یسیل علی صدره و هو ینظر یمینا و شمالا و عیناه قد طارتا فی أمّ رأسه و هو أسمر اللون حسن الوجه و فی وجهه اثر السّجود و کان علی رأسه شعر أسود منثور علی وجهه کانّه الشّیطان الرّجیم، فلما حاذانی سمعته یترنّم بهذه الأبیات:

أقول لنفسی بعد ما کنت انهها و قد کنت أسناها و کنت أکیدها

أیا نفس کفّی عن طلابک و اصبری و لا تطلبی همّا علیک یبیدها

فما قبلت نصحی و قد کنت ناصحا کنصح ولود غاب عنها ولیدها

فما طلبت إلاّ عنائی و شقوتی فیا طول مکثی فی الجحیم بعیدها

فلما جاءوا به أوقفوه بین یدی أمیر المؤمنین فلما نظر إلیه الحسن علیه السّلام قال له: یا ویلک یا لعین یا عدوّ اللّه أنت قاتل أمیر المؤمنین و امام المسلمین، هذا جزاؤه منک حیث آواک و قرّبک و أدناک و آثرک علی غیرک، و هل کان بئس الامام لک حتّی جازیته هذا الجزاء یا شقی.

قال: فلم یتکلّم بل دمعت عیناه فانکبّ الحسن علیه السّلام علی أبیه یقبّله و قال له:

هذا قاتلک یا أباه قد أمکن اللّه منه فلم یجبه علیه السّلام و کان نایما فکره أن یوقظه من نومه، ثمّ التفت إلی ابن ملجم و قال له: یا عدوّ اللّه هذا کان جزاؤه منک بوّاک و أدناک و قرّبک و حباک و فضلک علی غیرک هل کان بئس الامام حتّی جازیته هذا الجزاء یا شقیّ الاشقیاء.

فقال له الملعون یا أبا محمّد «أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِی النّارِ» فعند ذلک ضجّت النّاس بالبکاء و النحیب فأمرهم الحسن علیه السّلام بالسکوت.

ثمّ التفت الحسن علیه السّلام إلی الذی جاء به حذیفة رضی اللّه عنه، فقال له:

کیف ظفرت بعدوّ اللّه و أین لقیته: فقال: یا مولای إنّ حدیثی معه لعجیب.

و ذلک إنّی کنت البارحة نائما فی داری و زوجتی إلی جانبی و هی من غطفان و أنا راقد و هی مستیقظة إذ سمعت هی الزّعقة و ناعیا ینعی أمیر المؤمنین و هو یقول:

تهدّمت و اللّه أرکان الهدی، و انطمست و اللّه أعلام التّقی، قتل ابن عمّ محمّد المصطفی

قتل علیّ المرتضی قتله أشقی الاشقیاء، فأیقظتنی و قالت لی أنت نائم و قد قتل إمامک علیّ بن أبی طالب.

فانتبهت من کلامها فزعا مرعوبا و قلت لها: یا ویلک ما هذا الکلام رضّ اللّه فاک لعلّ الشّیطان قد ألقی فی سمعک هذا أو حلم القی علیک، یا ویلک إنّ أمیر المؤمنین لیس لأحد من خلق اللّه قبله تبعة و لا ظلامة و إنّه للیتیم کالأب الرّحیم و للأرملة کالزّوج العطوف، و بعد ذلک فمن الذی یقدر علی قتل علیّ أمیر المؤمنین و هو الأسد الضّرغام و البطل الهمام و الفارس القمقام.

فاکثرت علیّ و قالت: انّی سمعت ما لم تسمع و علمت ما لم تعلم، فقلت لها و ما سمعت فأخبرتنی بالصّوت، فقالت سمعت نادیا ینادی بأعلی صوته: تهدّمت و اللّه أرکان الهدی و انطمست و اللّه أعلام التّقی قتل ابن عمّ محمّد المصطفی قتل علیّ المرتضی قتله أشقی الأشقیاء.

ثمّ قالت و ما أظنّ بیتا إلاّ و قد دخله هذا الصّوت، قال فبینما أنا و هی فی مراجعة الکلام و إذا بصیحة عظیمة و جلبة و ضجّة عظیمة و قائل یقول: قتل أمیر المؤمنین.

فحسّ قلبی بالشّر فمددت یدی إلی سیفی و سللته من غمده و أخذته و نزلت مسرعا و فتحت باب داری و خرجت فلما صرت فی وسط الجادة فنظرت یمینا و شمالا و إذا بعدوّ اللّه یحول فیها یطلب مهربا فلم یجدوا إذا قد انسدّت الطرقات فی وجهه فلما نظرت إلیه و هو کذلک رابنی أمره فنادیته:

یا ویلک من أنت و ما ترید لا أمّ لک فی وسط هذا الدّرب تمرّ و تجیء فتسمّی بغیر اسمه و انتمی بغیر کنیته، فقلت له: من أین أقبلت؟ قال: من منزلی قلت: و إلی أین ترید تمضی فی هذا الوقت قال: إلی الحیرة، فقلت: و لم لا تقعد حتّی تصلّی مع أمیر المؤمنین صلاة الغداة و تمضی فی حاجتک؟ فقال: اخشی أن أقعد للصّلاة فتفوت حاجتی فقلت: یا ویلک إنّی سمعت صیحة و قائلا یقول قتل أمیر المؤمنین فهل عندک من ذلک خبر؟ قال: لا علم لی بذلک فقلت له: فلم لا تمضی معی حتّی تحقّق الخبر

و تمضی فی حاجتک؟ فقال: أنا ماض فی حاجتی و هی أهمّ من ذلک.

فلما قال لی مثل ذلک القول قلت یا لکع الرّجال حاجتک أحبّ إلیک من التحسس لأمیر المؤمنین و إمام المسلمین إذن و اللّه یا لکع مالک عند اللّه من خلاق، و حملت علیه بسیفی و هممت أن أعلو به فراغ عنّی.

فبینما أنا أخاطبه و هو یخاطبنی إذهبّت الرّیح فکشفت إزاره و إذا بسیفه یلمع تحت الازار کانّه مرآة مصقولة، فلما رأیت بریقه تحت ثیابه قلت: یا ویلک ما هذا السّیف المشهور تحت ثیابک لعلک أنت قاتل أمیر المؤمنین فأراد أن یقول لا فانطق اللّه لسانه بالحقّ فقال نعم.

فرفعت سیفی و ضربته فرفع هو سیفه و همّ أن یعلونی فانحرفت عنه فضربته علی ساقیه فأوقفته و وقع لحینه و وقعت علیه و صرخت صرخة شدیدة و أرددت أخذ سیفه فمانعنی عنه، فخرج أهل الحیرة فأعانونی علیه حتّی أوثقته کتافا و جئتک به فها هو بین یدیک جعلنی اللّه فداک فاصنع به ما شئت.

فقال الحسن الحمد للّه الذی نصر ولیّه و خذل عدوّه، ثمّ انکبّ الحسن علی أبیه یقبله و قال له: یا أباه هذا عدوّ اللّه و عدوّک قد امکن اللّه منه فلم یجبه و کان نایما فکره أن یوقظه من نومه فرقد ساعة ثمّ فتح عینیه و هو یقول: ارفقوا بی یا ملائکة ربّی.

فقال له الحسن علیه السّلام هذا عدوّ اللّه و عدوّک ابن ملجم قد أمکن اللّه منه و قد حضر بین یدیک قال: ففتح أمیر المؤمنین علیه السّلام عینیه و نظر إلیه و هو مکتوف و سیفه معلّق فی عنقه فقال له بضعف و انکسار صوت و رأفة و رحمة: یا هذا لقد جئت عظیما و ارتکبت أمرا عظیما و خطبا جسیما أبئس الامام کنت لک حتّی جازیتنی بهذا الجزاء؟ ألم اکن شفیقا علیک و آثرتک علی غیرک و احسنت الیک و زدت فی اعطائک؟ ألم یکن یقال لی فیک کذا و کذا فخلیت لک السّبیل و منحتک عطائی؟ و قد کنت أعلم أنّک قاتلی لا محالة و لکن رجوت بذلک الاستظهار من اللّه تعالی علیک یا لکع و علی أن ترجع عن غیک فغلبت علیک الشّقاوة فقتلتنی یا

أشقى الأشقياء.

قال فدمعت عينا ابن ملجم لعنه اللّه و قال: يا أمير المؤمنين أ فأنت تنقذ من فى النّار، قال له: صدقت، ثمّ التفت إلى ولده الحسن و قال له: ارفق يا ولدى بأسيرک و ارحمه و أحسن إليه و اشفق عليه ألا ترى إلى عينيه قد طارتا فى أمّ رأسه و قلبه يرجف خوفا و رعبا و فزعا.

فقال له الحسن: يا أباه قد قتلک هذا اللّعين الفاجر و أفجعنا فيک و أنت تأمرنا بالرّفق به فقال له: نعم يا بنىّ نحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرما و عفوا و الرّحمة و الشّفقة من شيمتنا لا من شيمة عدوّنا.

بحقّى عليک فأطعمه يا بنىّ ممّا تأكل و اسقه مما تشرب و لا تقيد له قدما و لا تغل له يدا فان أنامتّ فاقتصّ منه بأن تقتله و تضربه ضربة واحدة و تحرقه بالنار و لا تمثّل بالرّجل فانّى سمعت جدّک رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم يقول إيّاكم و المثلة و لو بالكلب العقور، و إن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو عنه و أنا أعلم بما أفعل به فان عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ عفوا و كرما.

قال مخنف بن حنيف: إنّى و اللّه ليلة تسع عشرة فى الجامع فى رجال نصلّى قريبا من السدّة التى يدخل منها أمير المؤمنين فبينما نحن نصلّى إذ دخل أمير المؤمنين من السدّة و هو ينادى الصّلاة ثمّ صعد المأذنة فأذّن ثمّ نزل فعبر على قوم نيام فى المسجد فناداهم الصّلاة ثمّ قصد المحراب.

فما أدرى دخل فى الصّلاة ام لا إذ سمعت قائلا يقول: الحكم للّه لا لک يا على، قال: فسمعت عند ذلک أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: لا يفوتنّكم الرّجل، قال فشدّ الناس عليه و أنا معهم و إذا هو وردان بن مجالد، و أمّا ابن ملجم لعنه اللّه فانّه هرب من ساعته و دخل الكوفة و رأينا أمير المؤمنين مجروحا فى رأسه.

قال محمّد بن الحنفية رضى اللّه عنه: ثمّ إنّ أبى قال: احملونى الى موضع مصلاّى فى منزلى قال فحملناه إليه و هو مدنف و النّاس حوله و هم فى اسر عظيم باكين محزونين قد اشرفوا على الهلاک من شدّة البكاء و النّحيب.

ثمّ التفت إليه الحسين و هو يبكى فقال له يا أبتاه من لنا بعدک لا کیومک إلاّ یوم رسول اللّه من اجلک تعلّمت البکاء، یعزّ و اللّه علیّ أن أراک هکذا فناداه علیه السّلام و قال: یا حسین یا أبا عبد اللّه ادن منّی، فدنا منه و قد قرحت أجفان عینیه من البکاء فمسح الدّموع من عینیه و وضع یده علی قلبه و قال له: یا بنیّ ربط اللّه قلبک بالصّبر و أجزل لک و لاخوانک عظیم الأجر، فسکن روعتک و اهدیء من بکائک، فانّ اللّه قد آجرک علی عظیم مصابک ثمّ ادخل إلی حجرته و جلس فی محرابه.

قال الرّاوی: و أقبلت زینب و أمّ کلثوم حتّی جلستا معه علی فراشه و أقبلتا تندبانه و تقولان: یا أبتاه من للصّغیر حتّی یکبر، و من للکبیر بین الملاء، یا أبتاه حزننا علیک طویل و عبرتنا لا ترقی.

قال فضجّ النّاس من وراء الحجرة بالبکاء و النّحیب و فاضت دموع أمیر المؤمنین عند ذلک و جعل یقلّب طرفه و ینظر إلی أهل بیته و أولاده، ثمّ دعا الحسن و الحسین علیهما السّلام و جعل یحضنها و یقبلهما.

ثمّ اغمی علیه ساعة طویلة و أفاق، و کذلک رسول اللّه یغمی علیه ساعة طویلة و یفیق أخری لأنه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم کان مسموما فلما أفاق ناوله الحسن قعبا من لبن فشرب منه قلیلا ثمّ نحّاه عن فیه و قال: احملوه إلی أسیرکم.

ثمّ قال للحسن: بحقّی علیک یا بنیّ إلاّ ما طیبتم مطعمه و مشربه و أرفقوا به إلی حین موتی و تطعمه ممّا تأکل و تسقیه ممّا تشرب حتّی تکون أکرم منه، فعند ذلک حملوا إلیه اللبن و أخبروه بما قال أمیر المؤمنین فی حقّه فأخذ اللّبن و شربه.

قال: و لما حمل أمیر المؤمنین إلی منزله جاءوا باللّعین مکتوفا إلی بیت من بیوت القصر فحبسوه فیه فقالت له أمّ کلثوم و هی تبکی: یا ویلک أما أبی فانّه لا بأس علیه و إنّ اللّه مخزیک فی الدّنیا و الآخرة و إنّ مصیرک الی النّار خالدا فیها، فقال لها ابن ملجم لعنه اللّه: ابکی إن کنت باکیة فو اللّه لقد اشتریت سیفی هذا بألف و سممته بألف، و لو کانت ضربتی هذه لجمیع أهل الکوفة ما نجا منهم أحد

و فی ذلک یقول الفرزدق:

فلا غرو للأشراف إن ظفرت بها ذئاب الأعادی من فصیح و أعجم

فحربة وحشیّ سقت حمزة الرّدی و حتف علیّ من حسام ابن ملجم

قال محمّد بن الحنفیة رضی اللّه عنه: و بتنا لیلة عشرین من شهر رمضان مع أبی و قد نزل السّم إلی قدمیه و کان یصلّی تلک اللیلة من جلوس و لم یزل یوصینا بوصایاه و یعزینا من نفسه و یخبرنا بأمره و تبیانه إلی حین طلوع الفجر(1).

فلما أصبح استاذن النّاس علیه فاذن لهم بالدّخول فدخلوا علیه و أقبلوا یسلمون علیه و هو یردّ علیهم السّلام، ثمّ قال أیّها النّاس اسألونی قبل أن تفقدونی و خفّفوا سؤالکم لمصیبة إمامکم.

قال: فبکی النّاس عند ذلک بکاء شدیدا و أشفقوا أن یسألوه تخفیفا عنه، فقام إلیه حجر بن عدی الطائی و قال:

فیا أسفا علی المولی التّقیّ أبو الأطهار حیدرة الزّکیّ

قتله کافر حنث زنیم لعین فاسق نغل شقیّ

فیلعن ربّنا من حاد عنکم و یبرء منکم لعنا وبیّ

لانکم بیوم الحشر ذخری و أنتم عترة الهادی النبیّ

فلمّا بصر به و سمع شعره قال له: کیف لی بک اذا دعیت إلی البراءة منّی فما عساک أن تقول؟ فقال: و اللّه یا أمیر المؤمنین لو قطعت بالسّیف اربا اربا و اضرم لی النّار و ألقیت فیها لآثرت ذلک علی البراءة منک، فقال: وفّقت لکلّ خیر یا حجر جزاک اللّه خیرا عن أهل بیت نبیّک.

1- (1) قال ابو الفرج الاصبهانی ثمّ جمع له اطباء الکوفة فلم یکن منهم اعلم بجرحه من اثیر ابن عمرو بن هانی السلوی و کان متطبب صاحب کرسی یعالج الجراحات و کان من الاربعین غلاما الذین کان ابن الولید اصابهم فی عین التمر فسباهم فلما نظر اثیر الی جرح أمیر المؤمنین دعا بریة شاة حارة فاستخرج منها عرقا و ادخله فی الجرح ثمّ نفخه، ثمّ استخرجه و اذا علیه بیاض الدماغ فقال یا امیر المؤمنین اعهد عهدک فانّ عدوّ اللّه قد وصلت ضربته الی أم رأسک منه.

ثمّ قال: هل من شـربة من لبن؟ فأتوه بلبن فی قعب فأخذه و شـربه کلّه فذکر الملعون ابن ملجم و أنّه لم یخلف له شـیئا فقال: و کان أمر اللّه قدرا مقدورا، اعلموا أنّی شـربت الجمیع و لم أبق لأسیرکم شیئا من هذا ألا و انّه آخر رزقی من الدّنیا فباللّه علیک یا بنیّ إلاّ ما أسقیته مثل ما شربت فحمل إلیه ذلک فشربه.

قال محمّد بن الحنفیّة رضی اللّه عنه: لمّا کانت لیلة احدی و عشرین و أظلم اللیل و هی اللیلة الثانیة من الکائنة، جمع أبی أولاده و أهل بیته و ودّعهم، ثمّ قـال لهم: اللّه خلیفتی علیکم و هو حسبی و نعم الوکیـل، و أوصـاهم الجمیع منهم بلزوم الایمـان و الأدیان و الأحکام التی أوصاه بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فمن ذلک ما نقل عنه أوصـی به الحسن و الحسین علیهما السّلام لما ضربه الملعون ابن ملجم و هی هذه: اوصیکما بتقوی اللّه، إلی آخر ما یأتی فی الکتاب بروایة السّید فی باب المختار من وصایاه إنشاء اللّه.

قال: ثمّ تزایـد و لوج السمّ فی جسـده الشـریف حتّی نظرنا إلی قدمیه و قد احمرتا جمیعا، فکبر ذلک علینا و آیسـنا منه ثمّ أصـبح فأمرهم و نهـاهم و أوصاهم ثمّ عرضـنا علیه المأکول و المشـروب فأبی أن یشـرب فنظرنا إلی شـفتیه و هما یختلجان بـذکر اللّه تعالی، و جعل جبینه یرشح عرقا و هو یمسحه بیده.

قلت: یا أبت أراک تمسح جبینک، فقال: یا بنیّ إنّی سـمعت جدّک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: إنّ المؤمن إذا نزل به الموت و دنت وفاته عرق جبینه و صار کاللؤلؤ الرطب و سکن أنینه.

ثمّ قال: یا أبا عبد اللّه و یا عون، ثمّ نادی أولاده کلّهم بأسمائهم صغیرا و کبیرا، واحدا بعد واحد و جعل یودّعهم و یقول: اللّه خلیفتی علیکم استودعکم اللّه، و هم یبکون.

فقال الحسن علیه السّلام یا أبه ما دعاک إلی هذا، فقال له: یا بنیّ إنّی رأیت جدّک رسول اللّه فی منامی قبل هذه الکائنة بلیلة فشکوت إلیه ما أنا فیه من التذلّل و الأذی من هذه الامة، فقال لی: ادع علیهم فقلت: اللهمّ أبدلهم بی شرّا منّی، و أبدلنی

بهم خيرا منهم، فقال لی قد استجاب اللّه دعاک سینقلک الینا بعد ثلاث، و قد مضت الثلاث.

یا أبا محمّد أوصیک و یا أبا عبد اللّه خیرا فأنتما منّی و أنا منکما، ثمّ التفت إلی أولاده الذین من غیر فاطمة و أوصاهم أن لا یخالفوا أولاد فاطمة یعنی الحسن و الحسین.

ثمّ قال: أحسن اللّه لکم العزاء ألاواتّی منصرف عنکم و راحل فی لیلتی هذه و لا حق بحبیبی محمّد کما و عدنی فاذا أنامت یا أبا محمّد فغسّلنی و کفنّی و حنّطنی ببقیة حنوط جدّک رسول اللّه فانّه من کافور الجنّة جاء به جبرئیل إلیه، ثمّ ضعنی علی سریری و لا یتقدّم أحد منکم مقدّم السریر و احملوا مؤخّره و اتّبعوا مقدّمه فأیّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخر فحیث قام سریری فهو موضع قبری.

ثمّ تقدّم یا أبا محمّد و صلّ علیّ یا بنیّ یا حسن و کبّر علیّ سبعا و اعلم أنّه لا یحلّ ذلک علی أحد غیری إلاّ علی رجل یخرج فی آخر الزّمان اسمه القائم المهدی من ولد اخیک الحسین یقیم اعوجاج الحقّ.

فاذا أنت صلّیت یا حسن فنحّ السریر عن موضعه ثمّ اکشف التراب عنه فتری قبرا محفورا و لحدا مثقوبا و ساجة منقوبة فاضجعنی فیها، فاذا أردت الخروج من قبری فافتقدنی فانّک لا تجدنی و انّی لاحق بجدّک رسول اللّه.

و اعلم یا بنیّ ما من نبیّ یموت و إن کان مدفونا بالمشرق و یموت وصیه بالمغرب إلاّ و یجمع اللّه عزّ و جل بین روحیهما و جسدیهما ثمّ یفترقان فیرجع کلّ واحد منهما إلی موضع قبره و الی موضعه الذی حطّ فیه.

ثمّ اشرج اللّحد باللبن و أهل التّراب علی ثمّ غیّب قبری، و کان غرضه بذلک لئلاّ یعلم بموضع قبره أحد من بنی امیّة فانّهم لو علموا بموضع قبره لحفروه و أخرجوه و أحرقوه کما فعلوا بزید بن علیّ بن الحسین.

ثمّ یا بنیّ بعد ذلک إذا أصبح الصّباح أخرجوا تابوتا إلی ظاهر الکوفة علی

ناقة و أمر بمن يسيرها بما عليها كانّها ترید المدینة بحیث یخفی علی العامة موضع قبری الذی تضعنی فیه(1) ، و کأنّی بکم و قد خرجت علیکم الفتن من ههنا و ههنا فعلیکم بالصّبر فهو محمود العاقبة.

ثمّ قال: یا أبا محمّد و یا أبا عبد اللّه کانّی بکما و قد خرجت علیکما من بعدی الفتن من ههنا فاصبروا حتّی یحکم اللّه و هو خیر الحاکمین.

ثمّ قال: یا أبا عبد اللّه أنت شهید هذه الامّة فعلیک بتقوی اللّه و الصّبر علی بلائه، ثمّ اغمی علیه ساعة و أفاق و قال: هذا رسول اللّه و عمّی حمزة و أخی جعفر و أصحاب رسول اللّه کلهم یقولون عجّل قدومک علینا فانّا إلیک مشتاقون.

ثمّ أدار عینیه فی أهل بیته کلّهم، و قال: استودعکم اللّه جمیعا سدّدکم اللّه جمیعا، حفظکم اللّه جمیعا خلیفتی علیکم اللّه و کفی باللّه خلیفة، ثمّ قال و علیکم السّلام یا رسل ربّی ثمّ قال:

«لِمِثْلِ هذا فَلْیَعْمَلِ الْعامِلُونَ »... «إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ الَّذِینَ هُمْ مُحْسِنُونَ ».

و عرق جبینه و هو یذکر اللّه کثیرا و ما زال یذکر اللّه و یتشهّد الشّهادتین، ثمّ استقبل القبلة و غمض عینیه و مدّ رجلیه و یدیه و قال: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله.

ثمّ قضی نحبه علیه السّلام و کانت وفاته فی لیلة احدی و عشرین من شهر رمضان و کانت لیلة الجمعة سنة أربعین من الهجرة.

قال: فعند ذلک صرخت زینب بنت علیّ و امّ کلثوم و جمیع نسائه و قد شقّوا الجیوب و لطموا الخدود و ارتفعت الصّیحة فی القصر فعلم أهل الکوفة أنّ أمیر المؤمنین

1- (1) فی البحار من فرحة الغری من بعض کتب القدیمة مسندا انّ جعفر بن محمد حدّث ان امیر المؤمنین امر ابنه الحسن أن یحفر له اربع قبور فی أربع مواضع فی المسجد و فی الرحبة و فی دار جعدة بن هبیرة و فی الغریّ و انما أراد بهذا أن لا یعلم أحد من أعدائه موضع قبره، منه.

قد قبض، فأقبل النّساء و الرّجال يهرعون أفواجا أفواجا و صاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها، و كثر البكاء و النّحيب و كثر الضّجيج بالكوفة و قبايلها و دورها و جميع أقطارها، فكان ذلک کیوم مات فيه رسول اللّه.

فلما أظلم الليل تغيّر افق السّماء و ارتجّت الأرض و جميع من عليها بكوه و كنّا نسمع جلبة و تسبيحا فی الهواء فعلمنا أنّها أصوات الملائكة، فلم يزل كذلک إلى أن طلع الفجر ثمّ ارتفعت الأصوات و سمعنا هاتفا بصوت يسمعه الحاضرون و لا يرون شخصه يقول:

بنفسی و مالی ثمّ أهلی و اسرتی فداء لمن أضحی قتيل ابن ملجم

علیّ رقا فوق الخلايق فی الوغا فهدّت له أركان بيت المحرّم

علیّ أمير المؤمنين و من بكت لمقتله البطحاء و اكناف زمزم

يكاد الصّفا و المشعرين كلاهما يهدّ او بان النّقص فی ماء زمزم

و أصبحت الشّمس المنير ضياؤها لقتل علیّ لونها لون دهلم

و ظلّ له افق السّماء كابة كشقّة ثوب لونها لون عندم

و ناحت عليه الجنّ إذ فجعت به حنينا كثكلی نوحها يترّنم

و أضحی التّقی و الخير و الحلم و النهی و بات العلی فی قبره المتهدّم

لفقد علی خير من وطأ الحصی أخی العلم الهادی النبیّ المعظّم

قال محمّد بن الحنفية رضی اللّه عنه ثمّ أخذنا فی جهازه ليلا، و كان الحسن عليه السّلام يغسله و الحسين عليه السّلام يصبّ الماء عليه و كان لا يحتاج إلى من كان يقلّبه بل يتقلّب كما يريد الغاسل يمينا و شمالا، و كانت رائحته أطيب من رائحة المسک و العنبر، ثمّ نادی الحسن باخته زينب و امّ كلثوم و قال: يا اختاه هلمّی بحنوط جدّی رسول اللّه، فبادرت زينب مسرعة حتّی أتته به.

قال الرّاوی: فلما فتحته فاحت الدّار و جميع الكوفة و شوارعها لشدّة رائحة ذلک الطيب، ثمّ لفوه بخمسة أثواب كما أمر عليه السّلام ثمّ وضعوه علی السرير و تقدّم الحسن و الحسين إلى السرير من مؤخره و إذا مقدّمه قد ارتفع و لا يری حامله، و كان حاملاه من مقدّمه جبرئيل و ميكائيل فما مرّ بشیء علی وجه الأرض إلاّ انحنی

له ساجدا و خرج السّرير من مايل باب كنده فحملا مؤخّره و سايرا يتبعان مقدّمه.

قال ابن الحنفيّة رضى اللّه: و اللّه لقد نظرت إلى السّرير و أنّه ليمرّ بالحيطان و النّخل فتنحنى له خشوعا و مضى مستقيما إلى النّجف إلى موضع قبره الآن.

قال: و ضجّت الكوفة بالبكاء و النّحيب و خرجن النّساء يتبعنه لاطمات حاسرات فمنعهم «كذا» الحسن عليه السّلام و نهاهم «كذا» عن البكاء و العويل و ردّهنّ إلى أماكنهنّ، و الحسين عليه السّلام يقول: لا حول و لا قوة إلاّ باللّه العلىّ العظيم إنّا للّه و إنّا إليه راجعون يا أباه وا انقطاع ظهراه من أجلك تعلّمت البكاء إلى اللّه المشتكى.

فلما انتهيا إلى قبره و إذا مقدّم السرير قد وضع فوضع الحسن مؤخره، ثمّ قام الحسن و صلّى عليه و الجماعة خلفه فكبّر سبعا كما أمره به أبوه، ثمّ زحزحا سريره و كشفا التّراب و إذا بقبر محفور و لحد مشقوق و ساجة منقورة مكتوب عليها:

هذا ما ادّخره له جدّه نوح النبىّ (1).

فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفا يقول: انزلوه إلى التّربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، فدهش النّاس عند ذلک و تحيّروا و الحد أمير المؤمنين قبل طلوع الفجر و انصرف النّاس و رجع أولاد أمير المؤمنين و شيعتهم إلى الكوفة و لم يشعر بهم أحد من النّاس.

فلما طلع الصّباح و بزغت الشّمس اخرجوا تابوتا من دار أمير المؤمنين و أتوابه إلى المصلّى بظاهر الكوفة، ثمّ تقدّم الحسن و صلّى عليه و رفعه على ناقة و سيرها مع بعض العبيد.

قال فى البحار: روى البرسى فى مشارق الأنوار عن محدّثى أهل الكوفة أنّ أمير المؤمنين لما حمله الحسن و الحسين على سريره إلى مكان البئر المختلف فيه إلى نجف الكوفة وجدوا فارسا يتضوّع منه رايحة المسک فسلّم عليهما.

1- (1) و فى البحار من فرحة الغرى عن ام كلثوم فى حديث ثمّ اخذ الحسن المعول فضرب ضربة فانشق القبر عن ضريح فاذا هو بساجة مكتوب عليها سطر ان بالسر يانية بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا قبر قبره نوح النبىّ لعلىّ وصىّ محمد قبل الطوفان بسبعمأة عام منه،.

ثمّ قال للحسن أنت الحسن بن علىّ رضيع الوحى و التّنزيل و فطيم العلم و الشّرف الجليل خليفة أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين؟ قال: نعم قال: و هذا الحسين ابن أمير المؤمنين و سيد الوصيين سبط الرّحمة و رضيع العصمة و ربيب الحكمة و والد الأئمة؟ قال: نعم، قال: سلّماه إلىّ و امضيا فى دعة اللّه.

فقال له الحسن إنّه أوصى إلينا أن لا نسلمه إلاّ إلى أحد رجلين جبرئيل أو الخضر فمن أنت منهما؟ فكشف النقاب فاذا هو أمير المؤمنين، ثمّ قال: يا أبا محمّد إنّه لا يموت نفس إلاّ و يشهدها(1) فما يشهد جسده.

قال البرسى و روى عن الحسن بن على عليه السّلام أن أمير المؤمنين قال للحسن و الحسين: إذا وضعتمانى فى الضّريح فصلّيا ركعتين قبل أن تهيلا علىّ التّراب و انظرا ما يكون، فلما وضعاه فى الضّريح المقدس فعلا ما امرا به و إذا الضّريح مغطى بثوب من سندس فكشف الحسن ممّا يلى وجه أمير المؤمنين فوجد رسول اللّه و آدم و إبراهيم (صلوات اللّه عليهم) يتحدّثون مع أمير المؤمنين، و كشف الحسين مما يلى رجليه فوجد الزهراء و حواء و مريم و آسية عليهن السّلام ينحن على أمير المؤمنين و يندبنه.

قال المجلسى: و لم أر هذين الخبرين إلاّ من طريق البرسى و لا أعتمد على ما يتفرّد بنقله و لا أردهما لورود الأخبار الكثيرة الدّالة على ظهورهم بعد موتهم فى أجسادهم المثاليّة.

و فى البحار من ارشاد المفيد: كانت امامة أمير المؤمنين بعد النبىّ ثلاثين سنة منها أربع و عشرون سنة و أشهر ممنوعا من التّصرف فى أحكامها مستعملا للتقيّة و المداراة و منها خمس سنين و ستّة أشهر ممتحنا بجهاد المنافقين من النّاكثين و القاسطين و المارقين، و مضطهدا بفتن الضّالين.

كما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم ثلاثة عشر سنة من نبوّته ممنوعا من احكامها خائفا و محبوسا و هاربا و مطرود ألا يتمكّن من جهاد الكافرين و لا يستطيع دفعا عن المؤمنين، ثمّ هاجر و أقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهدا للمشركين ممتحنا بالمنافقين إلى أن قبضه

1- (1) أى يحضرها امير المؤمنين (عليه السلام) منه.

اللّه إليه و أسكنه جنات النّعيم.

و كان وفات أمير المؤمنين عليه السّلام قبيل الفجر من ليلة الجمعة ليلة إحدى و عشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، قالت سودة بن «بنت ظ» عمارة الهمدانية و نعم ما قالت:

صلّى الاله على روح تضمّنها قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الخير لا يبغى به بدلا فصار بالحقّ و الايمان مقرونا

(1) و من أمالى الصّدوق فى حديث فلمّا كان من الغدو أصبح الحسن قام خطيبا على المنبر فحمد اللّه و أثنا عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس فى هذه الليلة نزل القرآن و فى هذه الليلة رفع عيسى بن مريم و فى هذه الليلة قتل يوشع بن نون و فى هذه الليلة مات أبى أمير المؤمنين و اللّه لا يسبق أبى أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنّة، و لا من يكون بعده و إن كان رسول اللّه ليبعثه فى السّرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ما ترك صفراء و لا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم ليشترى بها خادما لأهله.

و من المناقب عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: إنّ السّماء و الأرض لتبكى على المؤمن إذا مات أربعين صباحا و إنّها لتبكى على العالم إذا مات أربعين شهرا و إنّ السّماء و الأرض ليبكيان على الرّسول أربعين سنة و إنّ السّماء و الأرض

1- (1) فى المناقب قال الحسن بن على (عليه السلام) اين من كان لعلم المصطفى فى الناس بابااين من كان اذا ما قحط الناس سحابااين من كان اذا نودى فى الحرب أجابااين من كان دعاء مستجابا و مجابا فى المناقب ايضا قال انس بن مالک يسمع صوت هاتف من الجنّ يا من يؤمّ الى المدينة قاصداأدّ الرسالة غير ما متوانقتلت شرار بنى امية سيداخير البرية ما جدا ذا شأنربّ المفضل فى السماء و أرضهاسيف النبى و هادم الأوثانبكت المشاعر و المساجد بعد مابكت الأنام له بكلّ مكان

ليبكيان عليک يا على إذا قتلت أربعين سنة.

قال ابن عباس: لقد قتل أمير المؤمنين على الأرض بالكوفة فامطرت السّماء ثلاثة أيّام دما.

أبو حمزة عن الصّادق عليه السّلام و قد روى أيضا عن سعيد بن المسيب أنّه لمّا قبض أمير المؤمنين عليه السّلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط.

أربعين الخطيب و تاريخ النّسوى أنّه سئل عن عبد الملک بن مروان الزّهرى ما كانت علامة يوم قتل علىّ عليه السّلام قال: ما رفع حصاة من بيت المقدس إلاّ كان تحتها دم عبيط، و لمّا ضرب فى المسجد سمع صوت(1) للّه الحكم لا لک يا على و لا لأصحابک، فلمّا توفّى سمع فى داره:

«أَ فَمَنْ يُلْقى فِى النّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِى آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ » الآية.

ثمّ هتف آخر مات رسول اللّه و مات أبوكم.

و فى أخبار الطالبين أنّ الرّوم اسروا قوما من المسلمين فاتى بهم إلى الملک فعرض عليهم الكفر فأبوا فأمر بالقائهم فى الزّيت المغلى و اطلق منهم رجلا يخبر بحالهم، فبينما هو يسير إذ سمع وقع حوافر الخيل فوقف فنظر إلى أصحابه الذين القوا فى الزّيت فقال لهم فى ذلک فقالوا قد كان ذلک فنادى مناد من السّماء فى الشّهداء البرّ و البحر إنّ علىّ بن أبى طالب قد استشهد فى هذه الليلة فصلّوا عليه فصلّينا عليه و نحن راجعون إلى مصارعنا.

تسلى هم و تسكين فؤاد فى أحوال قاتله و كيفية قتله

ففى البحار من كتاب قصص الأنبياء عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغىّ، و إنّ قاتل علىّ صلوات اللّه ابن بغىّ و كانت مراد تقول ما نعرف له فينا أبا و لا نسبا و إنّ قاتل الحسين بن علىّ صلوات اللّه ابن بغىّ، و لم

1- (1) هذا الصوت كان من ابن ملجم كما ورد فى بعض الروايات منه.

يقتل الأنبياء و لا أولاد الأنبياء إلاّ أولاد البغايا.

و فيه أيضا فى ذيل الرّواية السّالفة التى قدمناها فى كيفية شهادته عليه السّلام عن لوط بن يحيى:

قال الرّاوى: ثمّ انّه لما رجع أولاد أمير المؤمنين و أصحابه إلى الكوفة و اجتمعوا لقتل اللعين عدوّ اللّه ابن ملجم فقال عبد اللّه بن جعفر: اقطعوا يديه و رجليه و لسانه و اقتلوه بعد ذلک، و قال محمّد بن الحنفية: اجعلوه غرض النّشاب و احرقوه بالنّار، و قال آخر: اصلبوه حيّا حتّى يموت فقال الحسن: أنا ممتثل فيه ما أمرنى به أمير المؤمنين أضربه ضربة بالسّيف حتّى يموت فيها و احرقه بالنّار بعد ذلک.

قال الرّاوى: فأمر الحسن أن يأتوه، فجاءوا به مكتوفا حتّى ادخلوه الموضع الذى ضرب فيه الامام و النّاس يلعنونه و يوبّخونه و هو ساكت لا يتكلّم، فقال الحسن يا عدوّ اللّه قتلت أمير المؤمنين و إمام المسلمين و أعظمت الفساد فى الدّين.

فقال لهما: يا حسن و يا حسين ما تريدان أن تصنعا لى؟ قالا نريد أن نقتلک كما قتلت سيدنا و مولانا، فقال لهما اصنعا ما شئتما أن تصنعا و لا تعنّفا من استزلّه الشيطان فصدّه عن السّبيل، و لقد زجرت نفسى فلم تنزجر و نهيتها فلم تنته فدعها تذوق و بال أمرها و لها عذاب شديد ثمّ بكى.

فقال له: يا ويلک ما هذه الرّقة اين كانت حين وضعت قدمک و ركبت خطيئتک، فقال ابن ملجم:

«اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللّهِ أُولئِکَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ ».

و لقد انقضى التّوبيخ و المعايرة و إنّما قتلت أباک و حصلت بين يديک فاصنع ما شئت و خذ بحقک منّى كيف شئت ثمّ برک على ركبتيه و قال: يا بن رسول اللّه الحمد للّه اجرى قتلى على يديک، فرّق له الحسن لأنّ قلبه كان رحيما صلّى اللّه عليه، فقام الحسن فأخذ السّيف بيده و جرّده من غمده و ندّبه «و نزته خ ل» حتّى لاح الموت

فی حدّه ثمّ ضـربه ضربة أراد بها عنقه فاشتدّ زحام النّاس علیه و علت أصواتهم فلم یتمکّن من فتح باعه فارتفع السّیف إلی باعه «رأسه» فأبراه فانقلب عدوّ اللّه علی قفاه یخور فی دمه.

فقام الحسـین إلی أخیه و قال: یا أخی أ لیس الأب واحـدا و الأم واحدة ولی نصـیب فی هذه الضّـربة ولی حقّ فی قتله فدعنی أضـربه ضـربة أشفی بها بعض ما أجده، فناوله الحسن السّیف فأخذه و هزّه و ضربه علی الضّربة التی ضربها الحسن فبلغ إلی طرف أنفه و قطع جانبه الآخر و ابتدره النّاس بأسیافهم بعد ذلک فقطعوه اربا اربا، فعجل اللّه بروحه إلی النّار و بئس القرار ثمّ جمعوا جثته و أخرجوه من المسجد و جمعوا له حطبا و أحرقوه بالنّار.

و فی المناقب استوهبت أمّ الهثیم بنت الأسود النّخعیّة جیفته لتتولّی إحراقها فوهبها لها فأحرقتها بالنّار.

و قیل: طرحوه فی حفرة و طمّوه بالتّراب فهو یعوی کعوی الکلاب فی حفرته إلی یوم القیامة.

و اقبلوا إلی قطام الملعونة و أخذوها فقطعوها بالسّیف اربا اربا و نهبوا دارها ثمّ أخذوها و أخرجوها إلی ظاهر الکوفة و أحرقوها بالنّار و عجل اللّه بروحها إلی النّار و غضب الجبار.

و أمّا الرّجلان اللذان تحالفا معه فأحدهما قتله معاویة بن أبی سفیان بالشّام و الآخر قتله عمرو بن العاص بمصر لا رضی اللّه عنهما.

و أمّا الرّجلان(1) اللذان کانا مع ابن ملجم بالجامع یساعد انه علی قتل علیّ علیه السّـلام فقتلا من لیلتهما لعنهما اللّه و حشـرهما محشـر المنافقین الظالمین فی جهنّم خالدین مع السّالفین.

و فی البحار من الخرائج مسـندا عن عمرو بن أحمد بن محمّد بن عمرو، عن الحسن بن محمّد المعروف بابن الرّفا، قال: سمعته یقول: کنت بالمسجد الحرام فرأیت

1- (1) و هما شبیب بن بحیرة و رجل من وکلاء عمرو بن العاص.

النّاس مجتمعين حول مقام إبراهيم فقلت ما هـذا؟ قالوا: راهب أسـلم فأشـرفت عليه فاذا بشـيخ كبير عليه جبّة صوف و قلنسوة صوف عظيم الخلقة و هو قاعد بحذاء مقام إبراهيم فسمعته يقول:

كنت قاعدا فى صومعة فأشـرفت منها و إذا طاير كالنّسـر قد سقط على صخرة على شاطى البحر فتقيأ فرمى بربع إنسان، ثمّ طار فتفقّدته فعاد فتقيـأ فرمى بربع انسـان، ثمّ طار فجاء فتقيأ بربع انسان، ثمّ طار فجاء فتقيأ بربع إنسان ثمّ طار فـدنت الأرباع فقام رجلا فهو قائم و أنا أتعجّب منه.

ثمّ انحدر الطير فضربه و أخذ ربعه فطار، ثمّ رجع فاخذ ربعه فطار، ثمّ رجع فأخذ ربعه فطار، ثمّ انحدر الطير فأخذ الرّبع الآخر فطار، فبقيت أتفكّر و تحسّرت ألاّ أكون لحقته و سألته من هو فبقيت أتفقد الصّخرة حتّى رأيت الطير قد أقبل فتقيأ بربع انسان فنزلت فقمت بازائه، فلم أزل حتّى تقيأ بالرّبع الرّابع، ثمّ طارفا لتأم رجلا فقام قائما.

فدنوت منه فسألت فقلت: من أنت؟ فسكت عنّى فقلت بحقّ من خلقك من أنت؟ قال: أنا ابن ملجم، فقلت له و أىّ شىء عملت قال: قتلت علىّ بن أبى طـالب فوكل بى هـذا الطير يقتلنى كلّ يوم قتلـة فهو بينا يخبرنى إذا انقض الطائر فأخـذ ربعه فطار فسألت عن علىّ عليه السّلام فقالوا: هو ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فأسلمت.

التذييل الثانى فى موضع قبره الشريف و الاشارة الى من بناه

فنقول إنّه كان فى بعض الأزمان بين المخالفين اختلاف فى موضع قبره صـلوات اللّه عليه، فذهب جماعة منهم إلى إنّه دفن فى رحبة مسجد الكوفة و قيل: إنّه دفن فى قصـر الامارة، و قيل: إنّه أخرجه الحسن معه إلى المدينة و دفنه بالبقيع و كان بعض جهلة الشـيعة يزورونه بمشـهد فى الكرخ.

و قد اجتمعت الشـيعة على أنّه مدفون بالغرى فى الموضع المعروف عند الخاص و العام، و هو عندهم من المتواترات رووه خلفا عن سلف إلى أئمة الدّين صلوات اللّه عليهم أجمعين و كان السّبب فى هذا الاختلاف إخفاء قبره خوفا من الخوارج

و المنافقين و كان لا يعرف ذلک إلاّ خاص الخاص من الشّيعة إلى أن ورد الصادق عليه السّلام الحيرة فى زمن السّفاح فأظهره لشيعته.

و من هـذا اليوم يزوره كافّة الشّيعة فى هـذا المكان، و لا حاجة لنا إلى ذكر ما ورد فى تعيين موضع القبر الشّريف من الأخبار المرويّة عن الأئمة الأطهار، و انّما الأنسب ذكر كيفيّة بناء المرقد الشّريف و القبّة المباركة زادها اللّه شرفا، فأقول: روى عن الصّادق عليه السّلام إذا ركب نوح فى السّفينة أتت إلى مكان البيت و طاف له اسبوعا، فأوحى اللّه إليه ان انزل عن السّفينة و اخرج عظام آدم و جسده و ادخله فى السّفينة، فنزل نوح و كان الماء إلى ركبته فاخرج تابوتا فيه جسد آدم فأوقعه فى السّفينة، و لمّا وصلت السّفينة إلى مسجد الكوفة فاستقرّ هناک فانزل نوح جسده من السّفينة فدفنه فى النّجف و جعل نوح لنفسه قبرا فى امامه و صيّر صندوقا لعلى يدفن فيه فى أمام صدره.

و فى كتاب رياض الجنّة تأليف بعض أصحابنا قدّس اللّه روحه: مشهد النّجف على ساكنه ألف تحيّة و تحف واقع على طرف القبلة من الكوفة بنصف فرسخ.

و أوّل من بنا القبر الشّريف هارون العبّاسى على ما ستطلع عليه، ثمّ بعد مأئة و ثمانين سنة و نيّفا بنا عضد الدّولة الديلمى القبّة الشّريفة، ثمّ زاد الملوک على ذلک يوما فيوما إلى أن صار بلدة صغيرة جاور النّاس فيها.

و لمّا وصل دورة السّلطنة إلى السّلطان نادر أمر بتذهيب القبّة المباركة و بناء الأيوان و المنارتين و تذهيبها و صرف على ذلک خمسين ألف تومان نادرىّ و صرفت زوجته گوهرشاد امّ ابنيه امام قلى ميرزا و نصر اللّه ميرزا مأئة ألف ربعيّة على تعمير الصّحن المقدّس و بناء جدرانه بالكاشىّ و صرفت امّ سلطان و ساير زوجاته عشرين ألف تومان نادرى على بناء المسجد الواقع فى ظهر الرّأس الشّريف و أرسلن إلى الرّوضات المطهّرة عشرين حمل بعير من الفرش و البساط، و كان الفراغ من جميع ذلک فى سنة سبع و خمسين و مأئة بعد الألف، و قيل فى تاريخ تمام المنارة الشّماليّة.

«تعالى شانه الله أكبر» و فى تمام المنارة الجنوبيّة.

«تكرر اربعا الله اكبر» أراد أربعة اللّه أكبر ثمّ لمّا صار نوبة السلطنة إلى السّلطان على مراد خان زند فى سنة سبع و تسعين و مأئة و ألف بعث جمعا من حذقة المهندسين بواحد من ثقاتة إلى تعمير ما خرب من جدران البقعة الشّريفة و تجديد كواشى الجدران و الطاقات و تنقية بئر الصّحن المقدّس و ساير آبار المشهد و اصلاح مجرى مياهها و أهدى إلى المشاهد المشرفة و لا سيّما مشهد أمير المؤمنين بالفرش النّفيسة و القناديل المرصّعة بالدّرر و الجواهر و أعطى الخدّام و المجاورين هناک عطايا عظيمة و صلات جزيلة.

ثمّ أمر بصنعة صندوق من الخاتم يوضع فوق القبر الشريف و توفّى قبل تمامه ثمّ اشتغل به حذقة الصّانعين بأمر جعفر خان، و توفّى و لم يتمّ، و أتمّه لطفعلى خان ابن جعفر خان و كان مدّة الاشتغال بصنعته ستّ سنين.

ثمّ بنا الضريح المقدّس المفضّض السّلطان آقا محمّد خان قدّس اللّه روحه، و كان آصف الدّولة الهندى أراد أن يجرى نهرا إلى المشهد من الفرات من جنب جسر المسيّب على أربعة و عشرين فرسخا فلم يتيسّر.

ثمّ عزم الحاج محمّد علىّ البغدادى إلى نهر من سمت ذى الكفل و صرف مصارف كثيرة عليه و لم يمكن.

أقول: و للّه الحمد و المنّة فقد جرى النّهر فى زمان اشتغالنا بالتحصيل فى المشهد بسعى السّيد الفاضل الجليل العالم العلامة الزّاهد الورع الحاج سيّد أسد اللّه الاصفهانى قدّس اللّه سرّه و نوّر ضريحه من تحت الأرض منتهيا إلى البحر، و أرّخ بعضهم جريان الماء بقوله: جاء ماء الغرى شكر اللّه مساعى المتصدّين لبناء المشاهد المشرفة و السّاعين فى تعمير البقاع المتبرّكة و حشرهم مع مواليهم الطاهرين.

و عن سيّد السّند نعمة اللّه الجزائرى فى مقامات النّجاة أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام مدفون بالغرى و يقال له الغريان أيضا و هما قبرا مالک و عقيل نديمى حذيمة الأبرش

سمّيا غريين لأنّ النّعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج فى يوم بأسه(1).

و قيل: كان ينادم النّعمان رجلان من العرب خالد بن مفضل و عمرو بن مسعود الأسديّان، فشرب معهما ليلة فرجفاه الكلام فغضب و أمر بأن يجعلا فى تابوتين و يدفنا بظهر الكوفة، فلمّا أصبح سأل عنهما فأخبره بصنيعه فندم و ركب حتّى وقف عليهما و أمر ببناء الغريّين و جعل لنفسه كلّ سنة يوم نعم و يوم بؤس و كان يضع سريره بينهما.

فاذا كان يوم نعمه فأوّل من يطلع عليه يؤتيه مأئة من الابل، و إذا كان يوم بؤسه فأوّل من يطلع يؤتيه رأس طربال و هى دويبة منتنة الرّيح و أمر بقتله فقتل و يغرى به الغرّيان و بقى هذا حاله إلى وقوع قضيّة الطائى و شريک نديم النّعمان، و قد مضى ذكر تلک القضيّة منّا فى شرح الخطبة الحادية و الأربعين فتذكّر

التذييل الثالث فى ذكر نبذ من المعجزات الظاهرة منه و من قبره الشريف

بعد وفاته

فمن هذه ما عن ارشاد الديلمى عند الاستدلال على كونه مدفونا بالغرى قال:

و الدليل الواضح و البرهان اللايح على ذلک من وجوه.

الأوّل تواتر أخبار الأئمة يرويه خلف عن سلف.

الثّانى اجماع الشّيعة و الاجماع حجّة.

الثّالث ما حصل عنده من الاسرار و الآيات و ظهور المعجزات كقيام الزّمن و ردّ بصر الأعمى و غيرها.

فمنها ما روى عن عبد اللّه بن حازم قال خرجنا يوما مع الرشيد من الكوفة فصرنا إلى ناحية الغريين فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصّقور و الكلاب فجادلتها ساعة ثمّ لجأت الظباء إلى اكمة(2) فراجعت الصّقور و الكلاب عنها، فتعجب الرّشيد من

1- (1) و تسمية المشهد بالغرى من باب مجاز المجاورة لوقوعه قرب الغرى، منه.

2- (2) الاكمة كقصبة التلّ الصغير.

ذلـک، ثمّ إنّ الظباء هبطت من الأکمـة فسـقطت الطیور و الکلاب عنها فرجعت الظباء إلی الأکمـة فتراجعت الصّقور و الکلاب عنها مرّة ثانیة، ثمّ فعلت ذلک مرّة اخری.

فقال الرّشید: ارکضوا إلی الکوفة فأتونی بأکبرها سنّا، فاتی بشیخ من بنی أسد فقال الرّشید: أخبرنی ما هذه الاکمه؟ فقال: حدّثنی أبی عن آبائه أنّهم کانوا یقولون: إنّ هذه الاکمة قبر علیّ بن أبی طالب جعله اللّه تعالی حرما لا یأوی إلیه شیء إلاّ أمن.

فنزل هارون و دعا بماء و توضّأ و صلّی عند الأکمة و جعل یدعو و یبکی و یتمرّغ علیها یوجهه و أمر أن یبنی قبة بأربعة أبواب فبنی، و بقی إلی أیّام السّلطان عضد الدّولة فجاء فأقام فی ذلک الطریق قریبا من سنة هو و عسکره فبعث فاتی بالصّناع و الاستادیة من الأطراف و خرب تلک العمارة و صرف أموالا کثیرة جزیلة و عمر عمارة جلیلة حسنة و هی العمارة التی کانت قبل عمارة الیوم.

و منهـا ما حکی عن جماعـة خرجوا بلیل مختفین إلی الغری لزیارة أمیر المؤمنین علیه السّلام قالوا: فلمّا وصـلنا إلی القبر الشّریف و کان یومئذ قبرا حوله حجارة و لا بناء عنده، و ذلک بعد أن أظهره الرّشید و قبل أن یعمره، فبینا نحن عنده بعضنا یقرأ و بعضنا یصلّی و بعضنا یزور و إذا نحن بأسـد مقبل نحونا، فلمّا قرب منّا قـدر رمـح قال بعضـنا لبعض: ابعدوا عن القبر لننظر ما یصـنع، فتباعدنا عن القبر الشـریف فجاء الأسد و جعل یمرغ ذراعیه علی القبر، فمضی رجل منّا فشاهده فعاد فأعلمنا فزال الرّعب عنّا فجئنا بأجمعنا فشاهدناه یمرغ ذراعیه علی القبر و فیه جراح فلم یزل یمرّغه ساعة، ثمّ نزح عن القبر فمضی، فعدنا إلی ما کنّا علیه من الزّیارة و الصّلاة و القرآن.

و عن مزار البحار قال: و قد شاع فی زماننا من شفاء المرضی و معافاة أصحاب البلوی و صحة العمیان و الزّمن أکثر من أن یحصی.

و لقد أخبرنی جماعة کثیرة من الثّقات أنّ عند محاصرة الرّوم لعنهم اللّه المشهد

الشّريف فی سنة أربع و ثلاثین و ألف من الهجرة تحصّن أهله بالبلد و إغلاق الأبواب علیهم و التعرّض لدفعهم مع قلّة عددهم و عدّتهم و کثرة المحاصرین لهم و قوّتهم و شوکتهم، و جلسوا زمانا طویلا و لم یظفروا بهم و کانوا یرمون بالبنادق الصّغار و الکبار علیهم شبه الأمطار و لم یقع علی أحد منهم، و کانت الصّبیان فی السّکک ینتظرون وقوعها لیلعبوا بها حتّی أنّهم یروون أنّ بندقا کبیرا دخل فی کمّ جاریة رفعت یدها لحاجة علی بعض السّطوح و سقط من ذیلها و لم یصبها و یروی عن بعض الصّلحاء الأفاضل من أهل المشهد أنّه رأی فی تلک الأیام أمیر المؤمنین علیه السّلام فی المنام و فی یده سواد فسأله عن ذلک فقال: لکثرة دفع الرّصاص عنکم، و الغرایب التی ینقلونها فی تلک الواقعة کثیرة.

فأما التی اشتهرت بین أهل المشهد بحیث لا ینکره أحد منهم.

فمنها قصّة الدّهن و هو أنّ خازن الرّوضة المقدّسة المولی الصّالح البارع التّقی مولانا محمود قدس اللّه روحه کان هو المتوجّه لاصلاح العسکر الذی کانوا فی البلد، و کانوا محتاجین إلی مشاعل کثیرة لمحافظة أطراف الحصار فلمّا ضاق الأمر و لم یبق فی السّوق و لا فی البیوت شیء من الدّهن أعطاهم من الحیاض التی کانوا یصبّون فیها الدّهن لا سراج الرّوضة و حوالیها، فبعد إتمام جمیع ما فی الحیاض و یأسهم من حصوله من مکان آخر رجعوا إلیها فوجدوها مترعة من الدّهن فأخذوا منها و کفاهم إلی انقضاء و طرهم.

و منها أنّهم کانوا یرون فی اللیالی فی رءوس الجدران و أطراف العمارات و المنارات نورا ساطعا بیّنا حتّی أنّ النّاس إذا کان یرفع یده إلی السّماء کان یری أنامله کالشّموع المشتعلة.

و لقد سمعت من بعض أشارف الثّقات من غیر أهل المشهد أنّه قال: کنت ذات لیلة نائما فی بعض سطوح المشهد الشّریف فانتبهت فرأیت النّور ساطعا من الرّوضة المقدّسة و من أطراف جمیع جدران البلد فعجبت من ذلک و مسحت یدی علی عینی فنظرت فرأیت مثل ذلک فأیقظت رجلا کان نائما بجنبی فأخبرنی

بمثل ما رأيت و بقى هكذا زمانا طويلا ثمّ ارتفع.

و سمعت أيضا من بعض الثّقات قال: كنت نائما فى بعض الليالى على بعض سطوح البلد الشّريف فانتبهت فرأيت كوكبا نزل من السّماء بحذاء القبّة السّامية حتّى وصل إليها و طاف حولها مرارا بحيث أراه يغيب من جانب و يطلع من آخر ثمّ صعد إلى السّماء.

و من الامور المشهورة التى وقعت قريبا من زماننا أنّ جماعة من صلحاء أهل البحرين أتوا لزيارة الحسين عليه السّلام لادراك بعض الزيارات المخصوصة فأبطأوا و لم يصلوا إليه و وصلوا ذلک اليوم إلى الغرى و كان يوم مطر و طين و كان مولانا محمود أغلق أبواب الرّوضة و قالوا قد حرمنا من زيارة ولدک فلا تحرمنا زيارتک فانّا من شيعتک و قد أتيناک من شقّة بعيدة، فبيناهم فى ذلک إذ سقطت الاقفال و فتحت الأبواب و دخلوا و زاروا.

و هذا مشهور بين أهل المشهد و بين أهل البحرين غاية الاشتهار.

و منها ما تواترت به الأخبار و نظموها فى الأشعار و شاع فى جميع الاصقاع و الأقطار و اشتهر اشتهار الشّمس فى رابعة النّهار و كان بالقرب من تاريخ الكتابة سنة اثنين و سبعين بعد الألف من الهجرة، و كان كيفيّة تلک الواقعة على ما سمعته من الثّقات أنّه.

كان فى المشهد الغروى عجوز تسمّى بمريم، و كانت معروفة بالعبادة و التقوى فمرضت مرضا شديدا و امتدّ بها حتّى صارت مقهورة مزمنة و بقيت كذلک قريبا من سنتين بحيث اشتهر أمرها و كونها مزمنة فى الغرى.

ثمّ إنّها لتسع ليال خلون من رجب تضرّعت لدفع ضرّها إلى اللّه تعالى و استشفت بمولانا أمير المؤمنين عليه السّلام و شكت إليه فى ذلک و نامت، فرأت فى منامها ثلاث نسوة دخلن إليها واحدهنّ كالقمر ليلة البدر نورا و صفاء و قلن لها لا تخافى و لا تحزنى فانّ فرجک فى الليلة الثّانى عشر من الشّهر المبارک.

فانتبهت فرحا و قصّت رؤياها على من حضرها و كانت منتظرة ليلة ثانى عشر

رجب فمرّت بها و لم تر شيئا، ثمّ ترقّبت ليلة ثانى عشر شعبان فلم تر شيئا ايضا، فلما كانت ليلة تاسع شهر رمضان رأت فى منامها تلك النسوة بأعيانهنّ و هنّ يبشّرنها، فقلن لها إذا كانت ليلة الثّانى عشر من هذا الشّهر فامض إلى روضة أمير المؤمنين و ارسلى إلى فلانة و فلانة و سمين نسوة معروفات و باقيات إلى حين هذا التحرير و اذهبى بهنّ معك إليها.

فلما أصبحت قصّت رؤياها و بقيت مسرورة مستبشرة بذلك إلى أن دخلت تلك الليلة فأمرت بغسل ثيابها و تطهير جسدها و أرسلت إلى تلك النّسوة و دعتهن فأجبن و ذهبن بها محمولة لأنّها كانت لا تقدر على المشى.

فلما مضى قريب من ربع الليل خرجت واحدة و اعتذرت منها و بقيت معها اثنتان و انصرف عنهنّ جميع من حضر الروضة المقدّسة و غلقت الأبواب و لم يبق فى الرّواق غير هنّ فلما كان وقت السّحر و أرادت صاحبتاها أكل السّحور أو شرب التتن فاستحييا من الضّريح المقدّس فتركتاها عند الشّباك المقابل للضريح المقدس فى جانب القبلة و ذهبتا إلى الباب الذى فى جانب خلفه يفتح إلى الصّحن و خلفه الشّباك، فدخلتا هناك و أغلقتا الباب لحاجتهما.

فلما رجعتا إليها بعد قضاء و طرهما لم تجداها فى الموضع الذى تركتاها ملقاة فيه، فتحيّرتا فمضتا يمينا و شمالا فاذا بها تمشى فى نهاية الصّحة و الاعتدال.

فسألتاها عن حالها و ما جرى عليها فأخبرتهما أنّكما لمّا انصرفتما عنّى رأيت تلك النسوة اللاّتى رأيتهن فى المنام أقبلن و حملننى و أدخلننى داخل القّبة المنورة و أنا لا أعلم كيف دخلت و من اين دخلت.

فلما قربت من الضّريح المقدّس سمعت صوتا من القبر يقول: حرّكن المرأة الصّالحة و طفن بها ثلاث مرّات فطفن بى ثلاث مرّات حول القبر، ثمّ سمعت صوتا آخر اخرجن المرأة الصّالحة من باب الفرج فأخرجننى من الباب الغربى الذى يكون خلف من يصلّى بين البابين بحذاء الرّأس و خلف الباب شباك يمنع الاستطراق و لم يكن الباب معروفا

قبل ذلک بهذا الاسم.

قالت فالآن مضـین عنّی و جئتمانی و أنا لا أرا بی شـیئا ممّا کان من المرض و الالم و الضّـعف و أنا فی غایة الصّـحة و القوّة، فلما کان آخر اللیل جاء خازن الحضرة الشّریفة و فتح الابواب فرآهنّ یمشین بحیث لا یتمیّز واحدة منهنّ.

و انّی سـمعت من المولی الصّالح التّقی مولینا محمّد طاهر الذی بیده مفاتیح الرّوضة المقدّسة و من جماعة کثیرة من الصّلحاء الذین کانوا حاضـرین فی تلک اللیلـة فی الحضـرة الشّـریفة أنّهم رأوها فی أوّل اللیلـة محمولـة عنـد دخولها و فی آخر اللیل سائرة أحسن ما یکون عند خروجها.

و فی المجلد التّاسع من البحار من بعض مؤلفات أصـحابنا عن زید النّساج قال: کان لی جار و هو شیخ کبیر علیه آثار النّسک و الصّلاح، و کان یدخل إلی بیته و یعتزل عن النّاس و لا یخرج إلاّ یوم الجمعة.

قال زید النسّاج: فمضـیت یوم الجمعة إلی زیارة زین العابدین علیه السّـلام فدخلت إلی مشـهده فاذا أنا بالشّیخ الذی هو جاری قد اخذ من البئر ماء یرید أن یغتسل غسل الجمعة و الزّیارة.

فلما نزع ثیابه و اذا فی ظهره ضـربة عظیمـة فتحها أکثر من شبر و هی تسـیل قیحا و مدة، فاشـمئز قلبی منها فحانت منه التفاتة فرآنی فخجل فقال أنت زید النساج؟ فقلت: نعم، فقال لی: یا بنی عاونی علی غسـلی فقلت لا و اللّه لا اعاونک حتّی تخبرنی بقصّة هذه الضّـربة التی بین کتفیک و من کف من خرجت و أیّ شیء کان سببها.

فقال: یا زید اخبرک بها بشرط أن لا تحدّث بها أحدا من النّاس إلاّ بعد موتی فقلت:

لـک ذلک، فقال: عاونی علی غسـلی فاذا لبست أطماری حـدّثتک بقصّتی، قال زیـد فساعـدته فاغتسل و لبس ثیابه و جلس فی الشّـمس و جلست إلی جـانبه و قلت له حـدّثنی یرحمـک اللّه فقـال لی: اعلم أنّا کنّا عشـرة أنفس قـد تواخینا علی الباطل و توافقنا علی قطع الطریق و ارتکاب الآثام، و کانت بیننا نوبة ندیرها فی کلّ لیلة علی واحد منا لیصنع لنا طعاما نفیسا و خمرا عتیقا و غیر ذلک.

فلما کانت اللیلة التاسعة و کنّا قد تعشینا عند واحد من أصحابنا و شربنا

الخمر ثمّ تفرّقنا و جئت إلى منزلى و نمت، أيقظتنى زوجتى و قالت لى إنّ الليلة الآتية نوبتها عليک و لا عندنا فى البيت حبّة من الحنطة.

قال فانتبهت و قد طار السّكر من رأسى و قلت كيف أعمل و ما الحيلة والى أين أتوجّه؟ فقالت لى زوجتى: الليلة ليلة الجمعة و لا يخلو مشهد مولينا علىّ بن أبى طالب من زوّار يأتون إليه يزورونه فقم و امض و اكمن على الطريق فلا بدّ أن ترى أحدا فتأخذ ثيابه فتبيعها و تشترى شيئا من الطعام لتتم مروّتک عند أصحابک و تكافيهم على ضيفهم.

قال: فقمت و أخذت سيفى و حجفتى و مضيت مبادرا و كمنت فى الخندق الذى فى ظهر الكوفة، و كانت ليلة مظلمة ذات رعد و برق فأبرقت برقة فاذا أنا بشخصين مقبلين من ناحية الكوفة، فلما قربا منّى برقت برقة اخرى فاذا هما امرئتان، فقلت فى نفسى فى مثل هذه السّاعة أتانى امرئتان ففرحت و وثبت إليهما و قلت لهما انزعا الحلىّ الذى عليكما سريعا فطرحا.

فأبرقت السّماء برقة اخرى فاذا إحداهما عجوز و الاخرى شابة من أحسن النساء وجها كأنّها ظبية قنّاص(1) أو درّة غواص، فوسوس لى الشّيطان على أن أفعل بها القبيح، فقلت فى نفسى مثل هذه الشّابة التى لا يوجد مثلها حصلت عندى فى هذا الموضع و اخلّيها، فراودتها عن نفسها.

فقالت العجوز: يا هذا أنت فى حلّ مما أخذته منّا من الثياب و الحلىّ فخلّنا نمضى إلى أهلنا فو اللّه إنّها بنت يتيمة من امّها و أبيها و أنا خالتها و فى هذه الليلة القابلة تزفّ إلى بعلها و أنّها قالت لى: يا خالة إنّ الليلة القابلة أزفّ إلى ابن عمّى و أنا و اللّه راغبة فى زيارة سيّدى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و إنى إذا مضيت عند بعلى ربّما لا يأذن لى بزيارته فلما كانت هذه اللّيلة الجمعة خرجت بها لأزوّرها مولاها و سيدها أمير المؤمنين فباللّه عليک لا تهتک سترها و لا تفص ختمها و لا تفضحها بين قومها.

فقلت لها: إليک عنّى و ضربتها و جعلت أدور حول الصّبية و هى تلوذ بالعجوز

1- (1) القناص الصياد.

و هی عربانـة ما علیها غیر السّـروال و هی فی تلک الحال تعقـد تکّتها و توثقها عقـدا فـدفعت العجوز عن الجاریة و صـرعتها إلی الأرض و جلست علی صدرها و مسـکت یدیها بید واحدة و جعلت أحلّ عقد التّکة بالید الاخری و هی تضـطرب تحتی کالسـمکة فی ید الصّـیاد و هی تقول: المستغاث بک یا اللّه المستغاث بک یا علیّ بن أبی طالب خلّصنی من ید هذا الظالم.

قال: فو اللّه ما اسـتتمّ کلامها إلاّ و حسّ حافر فرس خلفی، فقلت فی نفسـی هـذا فارس واحد و أنا أقوی منه و کانت لی قوّة زایدة و کنت لا أهـاب الرّجال قلیلا أو کثیرا، فلما دنا منّی فاذا علیها ثیاب بیض و تحته فرس أشـهب تفوح منه رایحـة المسک فقال لی: یا ویلک خلّ المرأة فقلت له: اذهب لشأنـک فـأنت نجوت بنفسـک تریـد تنجی غیرک؟ قـال: فغضب من قولی و نقفنی(1) بذبال(2) سـیفه بشیء قلیل فوقعت مغشیا علیّ لا أدری أنا فی الأرض أو فی غیرها و انعقد لسانی و ذهبت قوّتی لکنّی أسمع الصوت و أعی الکلام.

فقال لهما قوما البسا ثیابکما، فقالت العجوز: فمن أنت یرحمک اللّه و قـد منّ اللّه علینا بک و إنّی اریـد منک أن توصـلنا إلی زیارة سـیدنا و مولینا علیّ بن أبی طالب قال فتبسم فی وجوههما و قال لهما: أنا علیّ بن أبی طالب ارجعا إلی أهلکما فقد قبلت زیارتکما.

قـال: فقامت العجوز و الصّبیـة و قبلا یـدیه و رجلیه و انصـرفا فی سـرور و عافیـة قال الرّجل: فأفقت من غشوتی و انطلق لسانی فقلت له: یا سیـدی أنا تائب إلی اللّه علی یـدک و انی لا عـدت ادخل فی معصـیة أبدا، فقال: إن تبت تاب اللّه علیک، فقلت له: تبت و اللّه علی ما أقول شهید.

1- (1) النقف الضرب بالرمح و العصا و نحوهما، منه.

2- (2) لعلّ المراد بذبال السیف الموضع الذابل ای الدقیق منه و هو راسه و فی بعض النسخ بالمثناة و هو ایضا کنایة عن راسه.

ثمّ قلت له: يا سيدى تركتنى و فى هذه الضّربة هلكت بلا شكّ، قال: فرجع إلىّ و أخذ بيده قبضة من تراب ثمّ وضعها على الضّربة و مسح بيده الشّريفة عليها فالتحمت بقدرة اللّه تعالى.

قال زيد النساج: فقلت: كيف التحمت و هذه حالتها فقال لى: إنّها و اللّه كانت ضربة مهولة أعظم ممّا تراها الآن و لكنّها بقيت موعظة لمن يسمع و يرى.

و من فرحة الغرى معنعنا عن علىّ بن الحسن بن الحجاج من حفظه، قال: كنا جلوسا فى مجلس ابن عمّى أبى عبد اللّه محمّد بن عمر بن الحجاج و فيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ و فيمن حضر العباس بن أحمد العباسى و كانوا قد حضروا عند ابن عمّى يهنونه بالسّلامة، لأنّه حضر وقت سقوط سقيفة سيدى أبى عبد اللّه الحسين عليه السّلام فى ذى الحجة من سنة ثلاث و سبعين و مأتين.

فبينا هم قعود يتحدّثون إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسى العباسى، فلما نظرت الجماعة إليه أحجمت عمّا كانت فيه و أطال إسماعيل الجلوس، فلما نظر إليهم قال لهم: يا أصحابنا أعزّكم اللّه لعلّى قطعت حديثكم بمجيئى.

قال أبو الحسن علىّ بن يحيى السليمانى و كان شيخ الجماعة و مقدّما فيهم:

لا- و اللّه يا با عبد اللّه أعزك اللّه ما أمسكنا بحال من الأحوال، فقال لهم: يا أصحابنا اعلموا أنّ اللّه عزّ و جلّ مسائلى عمّا أقول لكم و ما أعتقده من المذهب حتّى حلف بعتق جواريه و مماليكه و حبس دوابه أنّه لا يعتقد إلاّ ولاية علىّ بن أبى طالب و السّادة من الأئمة عليهم السّلام و عدّهم واحدا واحدا و ساق الحديث، فأبسط إليه أصحابنا و سألوهم و سألوه.

ثمّ قال لهم: رجعنا يوم جمعة من الصّلاة من المسجد الجامع مع عمّى داود فلما كان قبل منازلنا و قبل منزله و فدخلا الطريق قال لنا أينما كنتم قبل أن تغرب الشّمس فصيروا إلىّ و لا يكون أحد منكم على حال فيتخلف لأنّه كان جمرة بنى هاشم.

فصرنا إليه آخر النّهار و هو جالس ينتظرنا، فقال صيحوا بفلان و فلان من

الفعلـة فجاء رجلان معهما آلتهما و التفت إلينا فقال: اجتمعوا كلكم فاركبوا فى وقتكم هذا و خذوا معكم الجمل غلاما كان له أسود يعرف بالجمل، و كان لو حمل هذا الغلام على سـكر دجلة لسـكرها من شدّته و بأسه، و امضوا إلى هذا القبر الذى قد افتتن به النّاس و يقولون إنّه قبر عليّ حتّى تنبشوه و تجيبونى بأقصى ما فيه.

فمضينا إلى الموضع فقلنا دونكم و ما امر به، فحفر الحفارون و هم يقولون:

لا حول و لا قوة إلاّ باللّه فى أنفسـهم و نحن فى ناحيـة حتّى نزلوا خمسـة أذرع، فلما بلغوا إلى الصّـلابة قال الحفارون: قـد بلغنا إلى موضـع صلب و ليس نقوى بنقره، فانزلوا الحبشـى فأخذ المنقار فضـرب ضـربة سمعنا لها طنينا شديدا فى البرّ، ثمّ ضرب ثانية فسمعنا طنينا أشدّ من ذلک، ثمّ ضرب الثالثة فسمعنا أشدّ ممّا تقدّم.

ثمّ صاح الغلام صيحة فقمنا فأشرفنا عليه و قلنا للذين كانوا معه: اسألوه ما باله فلم يجبهم، و هو يستغيث فشدّوه و اخرجوه بالحبل فاذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرفقه دم هو يستغيث لا يكلّمنا و لا يحير جوابا، فحملناه على البغل و رجعنا طائرين.

و لـم يزل لحم الغلام بنثر من عضده و جنبيه و ساير شقّه الأيمن حتّى انتهينا إلى عمّى فقال: ايش و رائكم؟ فقلنا: ما ترى و حدّثناه بالصّورة.

فالتفت إلى القبلـة و تاب ممّا هو عليه و رجع عن المذهب و تولى و تبرّى و ركب بعد ذلک فى الليل على مصـعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقا و لـم يخبره بشىء ممّا جرى، و وجّه من طمّ الموضع و عمر الصّندوق عليه و مات الغلام الأسود من وقته.

و قال أبو الحسن الحجاج رأينا هذا الصّندوق الذى هذا حديثه لطيفا.

أقول: و مـا ظهر منه عليه السّـلام من هـذا القبيل فوق حـد الاحصاء و لا حاجـة إلى الاطالـة، فسـبحان من آثر أولياءه بالكرامات الظاهرة و المعجزات القاهرة، و خصّهم بالمناقب السّنية و المآثر الرّفيعة.

«لِيَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ »

و لشیخنا البهائی قدس اللّه روحه فی مدح حرم الغری سلام اللّه علی مشرّفه:

فی ذا الحرم الأقدس بیت معمور فی خدمته ملائک العرش حضور

فیه القبس الذی ابن عمران رأی فیه النّور الذی تجلّی للطور

و قال أیضا:

هذا الحرم الأقدس قد لاح لدیک فاسجد متخشعا و عفّر خدّیک

ذا طور سنین فاغضض الطرف به هذا حرم العزّة فاخلع نعلیک

و قال أیضا:

هذا النباء العظیم ما فیه خلاف هذا لملایک السّماوات مطاف

هذا حرم اللّه لمن حجّ و طاف من حلّ به فهو من النار معاف

الترجمة

و فرمود آن حضرت در سحر آن روزی که ضربت یافت در او: مالک شد مرا چشم من یعنی غلبه نمود خواب بر من در حالتی که من نشسته بودم، پس ظاهر شد بمن رسول خدا صلّی اللّه علیه و اله و سلّم پس گفتم یا رسول اللّه چیست اینها که رسیدم از امت تو از کجی و دشمنی؟ پس حضرت رسالت فرمود که ای علی دعای بد کن برایشان، پس گفتم که بدل گرداند و عوض دهد مرا خدای تعالی بایشان بهتری از برای من از ایشان یعنی بجای ایشان جماعتی بهتر بمن کرامت فرماید، و بدل گرداند و عوض دهد ایشان را بمن بدتر کسی از برای ایشان بجای من تا این که ایشان را بجزا و سزای عملهای بدشان برساند.

و من کلام له علیه السلام فی ذم اهل العراق

اشارة

و هو السبعون من المختار فی باب الخطب

و الظاهر أنّها ملتقطة من خطبة طویلة قدّمنا روایتها عن الاحتجاج و الارشاد فی شرح الخطبة التاسعة و العشرین فلیراجع هناک:

أمّا بعد يا أهل العراق فإنّما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلمّا أتمّت أملصت و مات قيّمها، و طال تأيّمها، و ورثها أبعدها، أما و اللّه ما أتيتكم اختيارا، و لكن جئت إليكم سوقا، و لقد بلغنى أنّكم تقولون علىّ يكذب، قاتلكم اللّه، فعلى من أكذب؟ أعلى اللّه؟ فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه، كلاّ و اللّه، و لكنّها لهجة غبتم عنها، و لم تكونوا من أهلها، ويل أمّه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء، «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ».

اللغة

(املصت) الحامل ألقت ولدها ميّتا و المملاص معتادته و (قيّم) المرأة زوجها لأنه يقوم بأمرها و (تايّم) المرأة خلوّها من الزّوج، و الأيم فى الأصل التى لا زوج لها قال سبحانه:

«وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ ».

و (السّوق) الاضطرار و فى بعض النّسخ و لا جئت اليكم شوقا بالشّين المعجمة و(اللّهجة)بسكون الهاء و فتحها اللسان و يكنّى بها عن الكلام.

قال الفيروز آبادى: (الويل) حلول الشّر و بهاء الفضيحة، أو هو تفجيع يقال:

ويله و ويلك و ويلى و فى النّدبة يقال ويلاه، و ويل كلمة عذاب و واد فى جهنّم أو بئر أو باب لها و رجل ويلمة بكسر اللاّم و ضمّها واه و يقال للمستجار ويلمّه أى ويل لامّه كقولهم لا أب له، فركبوه و جعلوه كالشّىء الواحد ثمّ ألحقوه الهاء مبالغة كداهية.

الاعراب

قال الجوهرى: تقول ويل لزيد و ويلا لزيد، فالنّصب على اضمار الفعل و الرفع

على الابتداء هذا إذا لم تضفه فاذا أضفت فليس إلاّ النّصب لأنّک لو رفعته لم يکن له خبر.

و قال نجم الأئمة الرّضیّ فی باب حذف عامل المفعول المطلق من شرح الکافیة: و منها أی من جملة ما یحذف عامله أسماء الأصوات قامت مقام المصادر کاها منک أی توجّعا، و واها لک أی طیبا، و افالک أی کراهة، إلی أن قال: و الأصوات القائمة مقام المصادر یجوز اعرابها نصبا إلاّ أن تکون علی حرفین ثانیهما حرف مدّ نحووی لزید، و ذلک نحواها و ویها، و یجوز إبقائها علی البناء الأصلی نحو افّ لکما و أوه من اخوانی وآه من ذنوبی.

و الظاهر أنّ و یلک و ویحک و ولیک و و یبک من هذا الباب و أصل کلهاوی علی ما قال الفراء جیء بلام الجرّ بعدها مفتوحة مع المضمر نحووی لک ووی له ثمّ خلط اللاّم بوی حتّی صارت لام الکلمة کما خلطوا اللاّم بیافی قوله:

فخیر نحن عند النّاس منکم إذ الدّاعی المثوب قال یالا

فصار معربا باتمامه ثلاثیا فجاز أن یدخل بعدها لام اخری نحو ویل لک لصیرورة الاولی لام الکلمة ثمّ نقل الی باب المبتدأ فقیل ویل لک کما فی سلام علیک.

أقول: و تحقیق الکلام أنّک إذا قلت ویل لزید فیجوز الرّفع علی الابتداء و النّصب علی المفعولیة أی حلّ الشّر به حلولا أو عذّب اللّه عذابا أو هلکا له، و جوّز جرّه فی القاموس و لا أری له وجها.

و إذا قلت: ویل زید فیجوز الضّم علی الابتداء و حذف الخبر أی عذابه أو هلاکه مطلوب، و الکسر علی أنّ اصله وی لزید فکلمة وی بمعنی الحزن و الخسران اتصلت لام الجرّ بها لکثرة الاستعمال فقیل ویل زید، و الفتح علی أنّها بعد الاتّصال بلام الجرّ حسبما قلناه خفّفوا اللاّم بالفتح.

و أمّا قولهم رجل و یلمه بکسر اللاّم و ضمّه فأرادوا به أنّه واه یستعملونه فی مقام التّعجب من دهاء الرّجل و ذکائه، و أصله ویل لامّه فرکب الکلمتان بعد التّخفیف بحذف اللاّم و اسقاط الهمزة فصار و یلمه.

قال فی الاقیانوس: وی فیها کلمة مفردة معناها التّعجب کانّه یتعجّب من

امّه أنّها ولـدت هذا الولد الذى لا نظير له فى العقل و الفراسة، أو أنّه من قبيل قاتله اللّه و تربت يداه يعنى أنّ الجملة موضوعة للتّعجب ملغاة عن معناها الأصـلى أو أن الويل بمعنى العذاب و الخسـران كأنّه يريد عذاب امّه كيف ولدت هذا الولد الدّاهى الظالم فيكون مسـتعملا فى مقام الأسف و الانفعال، أو أنّ المراد بذلک الحسـرة و التأسّف من أمّه و أنّها ولدت هذا الولد فردا و لـم تلد له ثانيا كفوا فيكون مسـتعملا فى مقام التّعجب و الاستجادة.

و قيـل: إنّ أصـل ذلک ويل لام كما أنّ قولهم لاب لک مخفّف لا أب لک، فالحق به الهاء كمالا للمبالغـة كما فى الدّاهيـة فصار ويل لامّه فخفّف و صار ويلمّه و على ذلک فالهاء ليست ضميرا و لكن المستفاد من كلام الزّمخشرى أنّه مخفّف من قولهم ويل لامّه أو من قولهم وى لامّه، و الهاء ضمير يفسّره ما بعده من باب الاضمار على شريطة التّفسير كما فى قولهم ربّه رجلا يقال و يلمه رجلا قال ذو الرّمة:

و يلمّها روحة و الرّيح معصفة و الغيث مرتجز و الليل مقترب

و عن النّهايـة و منه حديث علىّ كرّم اللّه وجهه ويلمه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء أى يكيل العلوم الجمة بلا عوض إلاّ أنّه لا يصادف داعيا الويـل للتّعجب، و قيـل ويل كلمـة مفردة و لامه مفردة و هى كلمـة تفجّع و تعجّب و حـذفت الهمزة من امّه تخفيفا و القيت حركتها على اللاّم و ينصب ما بعدها على التميز انتهى.

و فى شرح المعتزلى انتصب كيلا لأنّه مصدر فى موضع الحال، و يمكن أن ينتصب على التّميز كقولهم للّه درّه فارسا.

المعنى

قـد ظهر من روايـة الاحتجاج المتقدّمـة فى شـرح الخطبـة التاسـعة و العشـرين أنّ هذه الخطبة واردة فى ذمّ أهل العراق بتثاقلهم عن جهاد معاويـة و أتباعه فقال لهم (أمّا بعد يا أهل العراق فانّما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلما أتمّت)حملها و تكاملت ايّامه(أملصت)و أسـقطت ولدها ميّتا(و مات قيّمها)أى زوجها(و طال

تأيمها) بقاؤها بلا زوج(و ورثها ابعدها)لفقدان الوارث القريب.

شبّههم بالمرأة الموصوفة بالأوصاف الخمسة التى هى وجوه الشّبه بينها و بينهم، فحملها يشبه تهيؤهم للحرب و استعدادهم لها، و اتمام الحمل يشبه مشارفتهم لاستيصال أهل الشّام و الظفر على المقصود، و الاملاص يشبه باجابتهم إلى التّحكيم و جنوحهم إلى السّلم و رجوعهم عن العدوّ و بعد قرب الظفر و ظهور أمارات الفتح، فانّ ذلک رجوع غير طبيعى و غير معتاد للعقلاء كما أنّ الاملاص أمر غير طبيعىّ و خارج عن العادة و موت القيّم و طول الأيمّ يشبه بقائهم بلا صاحب الجارى مجرى موته عنهم و طول ضعفهم و تمادى ذلّتهم، كما أنّ موت قيّم المرأة مستلزم لطول ضعفها و تمادى عجزها.

و أمّا وراثة الأبعدين فاشارة إلى أنّهم لتقصيرهم فى الأمر أخذ عدوّهم الذين هم أبعد النّاس عنهم بلادهم و تسلطوا عليهم و صاروا بمنزلة الوارثين لها، كما أنّ المرأة الموصوفة بسبب املاصها و موت زوجها لا يبقى لها وارث قريب نسبىّ و سببىّ فيرثها البعيد عنها.

ثمّ اقسم تضجّرا من حالهم بقوله:(أما و اللّه ما أتيتكم اختيارا) و ايثارا للمقام بينكم و حبا لكم و لبلادكم (و لكن جئت اليكم سوقا) و اضطرارا كان القضاء ساقه إليهم، إذ خروجه من المدينة دار الهجرة لم يكن إلاّ لقتال أهل الجمل و احتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة إذ لم يكن جيش الحجاز وافيا بمقاتلتهم، ثمّ اتّصلت تلک الفتنة بفتنة أهل الشّام فاضطرّ إلى المقام بينهم.

ثمّ قال (و لقد بلغنى أنكم تقولون علىّ يكذب) فانّه عليه السّلام كان كثيرا ما يخبرهم عن الملاحم و الامور الغيبية و ما يكون قبل كونه كما مضى نبذ من ذلک فى شرح كلامه السّادس و الخمسين، و يأتى كثير منها فى تضاعيف الشّرح أيضا فكان منافقو أصحابه ينسبونه فى هذه الاخبارات الغيبية إلى الكذب لضعف عقولهم و قصور أفهامهم و يقولون إنّه يكذب فدعا عليهم بقوله (قاتلكم اللّه) أى لعنكم و أبعدكم عن رحمته.

ثمّ ردّ زعمهم الفاسد و اعتقادهم الكاسد بقوله:(فعلى من أكذب أ على اللّه فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه فأنا أوّل من صدّقه) يعنى أنّ هذه الأخبار ما أخبركم بها من تلقاء نفسى، و إنّما هى اخبار عن اللّه و عن رسوله فكيف أكذب على اللّه و أنا أوّل المؤمنين به و أوّل مؤمن به لا يكون أوّل مكذّب، و كيف أكذب على زز ز على الرّسول و أنا أوّل المصدّقين له و التّابعين لملّته فكيف أكون مكذّبا عليه.

(كلاّ و اللّه) أى لا و اللّه أو حقّا و اللّه (و لكنّها) أى تلك الاخبارات الغيبية (لهجة غبتم عنها و لم تكونوا من أهلها) أى غابت عقولكم الضّعيفة عن إدراكها و تحصيل منافعها و إدراك ثمراتها و لستم أهلا لفهمها، أو أنكم كنتم غائبين عنها حين أخبرنى بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فسمعت كلامه و لم تسمعوه و لو سمعتموه أيضا لم تكونوا من أهله.

(ويل امّه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء) أنت بعد الخبرة بما حقّقناه فى بيان الاعراب تعرف احتمال رجوع ضمير امّه فيه إلى المكذب له فيكون تعجبا من قوّة جهلهم أو استعظاما لمقالتهم أو دعاء عليهم أى عذّبه اللّه و قاتله فانّى أكيل العلم لهم كيلا بلا ثمن لو وجدت له حاملا.

أو أنّه راجع إلى نفس العلم فيكون واردا فى مقام الاستجادة و الاستعظام و التّعجب كأنّه يتعجب من علمه حيث يكال كيلا بلا ثمن لو كان له واعيا، و ساير الاحتمالات غير خفىّ على البصير النّاقد لما قدّمنا.

و قوله:(و لتعلمنّ نبأه بعد حين) اقتباس عن الآية الشّريفة أى لتعلمنّ ثمرة جهلكم و تكذيبكم و اعراضكم عمّا أقول بعد مفارقتى عنكم و حين مماتى حيثما تسلط عليكم بنو اميّة و العباس و ساقكم سوق العبيد و ابتليتم بالقتل و الذّل و الصغار أو أنّكم تعلمون جزاء ذلك و تجدونه بعد مفارقة الدّنيا و مصيركم إلى الآخرة حين ما وقعتم فى النّدامة الدّائمة و الحسرة الباقية.

الترجمة

أز جمله كلام بلاغت نظام آن عالى مقامست در مذمت أهل عراق و توبيخ

ایشان می فرماید:

پس از حمد الهی و درود حضـرت رسالت پناهی ای أهل عراق پس بدرستی که شـما مثل زن آبستن هستید که حامله شود پس چون تمام نمایـد حمل را بینـدازد و سـقط کنـد آن بچه را و بمیرد شوهر او که قایم أمر اوست و طول یابـد بی شوهر ماندن او و وارث شود بر او دورتر ورّاث آن زن.

وجه تشبیه أهـل عراق بزن موصوف اینست که اسـتعداد و مهیـا شـدن ایشان بحرب أهل شام مشابه حمل آن زن است، و مشارفـهٔ ایشان بر غلبه به دشـمن در جنک صفین شبیه است با تمام ولد، و برگشتن ایشان از دشمن بعد از ظهور علامات فتح و ظفر مانند سقط کردن اوست بچه اش را، و رجوع ایشان از رأی آن حضـرت و تفرق ایشان که باعث ذلتشان شد شبیه است به مردن شوهر ضعیفه و بی صاحب ماندن او که مستلزم عجز و مذلتش است، و تسلط اعدا بر شهرهای ایشان به منزله وارث شدن دورترین است از آن زن.

باری حضـرت ولایت مآب بعد از این که ایشان را باین نوع مذمت فرمود می فرماید: که آگاه باشـید قسم بخدا نیامدم بسوی شـما ای أهل کوفه از روی رغبت و میل و اختیار، و لکن آمدم من بسوی شـما از روی اضـطرار که دست قضا و قدر خداوندی از گریبان من گرفته بسوی شما کشـید، بجهت این که حرکت آن حضـرت از مدینه بجهت حرب أهل بصـره بود و محتاج شد بیاری أهل کوفه و بعد از انقضاء حرب جمل وقعه صفین اتفاق افتاد که لا بد شدن از ماندن کوفه پس فرمود:

و بتحقیق که رسید به من این که شما می گوئید علیّ بن أبی طالب دروغ می گوید در آنچه خبر می دهد از اخبار آینده، خدا از رحمت کنار نماید شـما را بکه دروغ می بندم آیا بر خدا افترا می گویم و حال آنکه من أول کسـی هستم که ایمان آورده ام باو، یا بر رسول خدا کذب می گویم و حال آنکه من أول کسی هستم که پیغمبر را تصدیق نمود.

نه چنین است قسم بخـدا و لکن این سـخنان که می گویم بشـما گفتار فصـیحی است که غایب بودید شـما از آن در وقتی که پیغمبر به من تعلیم فرمود و نبودید شما از اهل آن.

ما در تکـذیب کننـدهٔ من به ماتم آن بنشـیند من می پیمایم علم ربانی را پیمودنی بدون بها اگر باشد در میان شـما آنرا حافظی که ظرفیت و دارائی آن را داشته باشد.

و هر آینه البته خواهیـد دانست ثمرهٔ کردار و گفتار خودتان را بعـد از زمانی، یعنی در وقتی که من از میان شـما بروم و امراء جور بنی امیّه به شما مسلط شوند.

و من خطبة له علیه السلام علم فیها الناس الصلاة

اشارة

علی النبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و هی الحادیة و السبعون

من المختار فی باب الخطب

و هی مرویـة فی المجلـد السّـابع عشـر من البحـار من مناقب ابن الجوزی عن الحسن بن عرفـة عن سـعید بن عمیر عن أمیر المؤمنین علیه السّلام بتغییر یسیر.

أللّهمّ داحی المدحوّات، و داعم المسـموکات، و جابل القلوب علی فطرتها، شـقیّها و سـعیدها، اجعل شـرایف صلواتک و نوامی برکاتک، علی محمّـد عبـدک و رسولک، الخاتم لما سـبق، و الفاتح لما انغلق، و المعلن الحقّ بالحقّ، و الدّافع جیشات الأباطیل، و الدّامغ صولات الأضالیل، کما حمّل فاضطلع قائما بأمرک، مستوفزا فی مرضاتک،

غير ناكـل عن قـدم، و لاـ واه فى عزم، واعيـا لوحيـک، حافظا على عهـدک ماضـيا على نفاذ أمرک، حتّى أورى قبس القابس، و أضاء الطّريق للخابـط، و هـديت به القلوب بعـد خوضـات الفتن، و أقـام موضـحات الأعلاـم، و نيّرات الأحكـام، فهو أمينـک المأمون، و خازن علمک المخزون، و شـهيدک يوم الـدّين، و بعيثـک بـالحقّ، و رسولک إلى الخلق. أللّهمّ افسـح له مفسـحا فى ظلّک، و أجزه مضاعفات الخير من فضـلک أللّهمّ واعل على بناء البانين بنائه، و أكرم لديک منزلته، و أتمم له نوره، و أجزه من ابتعاثک له مقبول الشّ هادة، و مرضـىّ المقالة، ذا منطق عـدل، و خطّ ة فصل، أللّهمّ اجمع بيننا و بيّنه فى برد العيش و قرار النّعمـة، و منى الشّ هوات، و أهواء اللّذّات، و رخاء الدّعة، و منتهى الطّمأنينة، و تحف الكرامة.

اللغة

(دحى) اللّه الأرض دحوا بسـطها فهى مـدحوّة و (دعمت) الشّ ىء من باب نفع دعما حفظته بالدّعامـة و هى بالكسـر ما يسـتند به الحائط و السّ قف و نحوهما يمنعهما السّ قوط و (سـمكه) سـمكا رفعه، و المسمكات كمكرمات السّماوات، و المسموكات لغة و (الجبل) الخلق و (النّامى) الزّايد و (الجيشات) جمع جيشة من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.

و (بطل) الشّی‌ء يبطل بطلا و بطولا و بطلانا بضمّ الأوائل فسدا و سقط حكمه فهو باطل و الجمع بواطل و أباطيل على غير قياس، و قال أبو حاتم: الاباطيل جمع ابطولة بضمّ الهمزة و قيل جمع ابطالة و (دمغته) دمغا من باب نفع كسرت عظم دماغه، فالشجة دامغة و هى التى تخسف الدّماغ و لا يبقى معها حياة و (الصّولة) السّطوة و (الأضاليل) جمع الضّلال على غير القياس.

و (ضلع) الشّی‌ء بالضّم ضلاعة قوى، و فرس ضليع غليظ الألواح شديد العصب و رجل ضليع قويّ و (الوفز) العجلة و استوفر فى قعدته قعد منتصبا غير مطمئن و (نكل) نكولا نكص و جبن و (ورى) الزّند يورى خرج ناره و اوريته أنا، و منه قوله سبحانه:

«فَالْمُورِياتِ قَدْحاً».

و (القبس) بفتحتين شعلة من النّار قال سبحانه:

«لَعَلِّی آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ».

و القابس هو الذى يطلب النّار يقال قبس نارا يقبسها من باب ضرب أخذها و قبس علما تعلمه و قبست الرّجل علما يتعدّى و لا يتعدّى و أقبسته نارا و علما بالالف و (الخابط) الذى يسير على غير جادّة ليلا و (العلم) بالتّحريک ما يستدلّ به على الطريق.

و (البعيث) بمعنى المبعوث كالجريح و القتيل و (فسحت) له فى المجلس فسحا من باب نفع فرجت له من مكان يسعه، و المفسح إما مصدر أو اسم مكان، و بعثته رسولا بعثا أوصلته و ابتعثته كذلک و فى المطاوع فانبعث مثل كسرته فانكسر و كلّ شی‌ء ينبعث بنفسه يتعدّى الفعل إليه بنفسه فيقال بعثه، و كلّ شی‌ء لا ينبعث بنفسه كالكتاب و الهدية يتعدّى الفعل إليه بالباء فيقال بعثت به.

و (الخطة) بالضّم الخصلة و الحالة، و فى اكثر النّسخ و خطبة فصل و هو الأظهر و (برد العيش) قال المعتزلى، العرب يقول عيش بارد و عيشة باردة أى لا حرب

فيها و لا نزاع، لأنّ البرد و السّكون متلازمان كتلازم الحرّ و الحركة و (قرّ) الشيء قرّا من باب ضرب استقرّ و الاسم القرار.

و (الأهواء) جمع هوى بالقصر و هو ما تحبه النّفوس و تميل إليه من هويته هوى من باب تعب إذا أحببته و علقت به و (رخى) و رخو من باب تعب و قرب رخاوة بالفتح إذ الان، و كذلک العيش رخى و رخو اذا اتسع فهو رخىّ على فعيل و الاسم الرّخاء و (الدعة) بفتح الدّال السّكون و السّعة فى العيش و (الطمأنينة) اسم من اطمأنّ القلب إذا سكن و (التحف) جمع التّحفة بالضّم و كهمزة البرّ و اللطف و الطرفة و أصلها وحفة بالواو.

الاعراب

داحى المدحوات و داعم المسموكات منصوبان على النّداء، و شقيّها و سعيدها بالجرّ على البدل من القلوب، و اضافة الشّرايف و النوامى من باب اضافة الصّفة إلى الموصوف، و الكاف فى قوله كما حمل إمّا بمعنى لام التعليل كما فى قول الشّاعر:

فقلت أبا الملحاة خذها كما أو سعتنا بغيا و عدوا

اى خذ هذه الضّربة لأجل بغيک و تعدّيک علينا، ويحتمل كونهاعلى أصل التشبيه و قوله: قائما، منصوب على الحال و كذلک المنصوبات بعده أعنى مستوفزا و غير ناكل و ما عطف عليه، و واعيا و حافظا و ماضيا و اضافة الخوضات الى الفتن ظرفية، و اضافة الموضحات و النيرات الى الأعلام و الأحكام من باب اضافة الصفة الى الموصوف، و المخزون بالجرّ صفة علمک، و مقبول الشهادة و كذلک مرضى المقالة منصوب على المفعولية من اجزه، و ذا منطق منصوب على الحال.

المعنى

اشارة

اعلم انّ هذه الخطبة مشتملة على فصول ثلاثة الاول فى صفات المدعوّ و تمجيده، و هو اللّه سبحانه الثانى فى صفات المدعوّ له و هو النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الثالث فى أنواع المدعوّ به.

اما الاول

فـاليه الاشارة بقوله (اللهمّ داحى المـدحوّات) أى باسط الأرضـين السّـبع المبسوطـة، و وصـفها بالبسط لا ينافى كرويّتها إذ بسـطها باعتبار سطحها البارز الذى هو مسكن الحيوان فانّه فى الأوهام سطح مبسوط و إن كان بالاعتبار العقلى محدّبا و إلى ذلک ينظر قوله سبحانه:

«وَ اللّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً » وَ «اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً ».

(و داعـم المسـموكات) أى حافظ السّماوات المرفوعة بالدّعامة التى هى القدرة على ما مرّ تحقيقه فى شرح الفصل الثّامن من فصول الخطبة الاولى (و جابل القلوب على فطرتها شـقيّها و سـعيدها) أراد كونه سـبحانه خالق شقىّ القلوب و سعيدها على فطراتها الأصليّة المكتوبة فى اللوح المحفوظ، و المراد بالقلوب النّفوس.

و أهل العرفان كثيرا ما يعبّرون عن النّفس بالقلب، و بالسّـعادة ما يوجب دخول الجنّـة و النّعمة الدّائمة و اللذة الأبدية، و بالشّـقاوة ما يوجب دخول النّار و العقوبات الأبديّة و الآلام الدّائمة.

فمحصّل المعنى أنه خالق النّفوس و موجدها فى الخارج موافقا لفطراتها التى كتبت فى الألواح السّـماويّة قبل خلق الخلق و قدّرت أنّها من أهل الجنّة أو من أهل النّار موافقا لعلمه سبحانه التّابع لما يختارونه بعد وجودهم و تكليفهم بارادتهم و اختيارهم.

و إلى هـذا ينظر ما رواه فى الكافى باسـناده عن منصور بن حازم عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: إنّ اللّه خلق السّـعادة و الشـقاوة قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه اللّه سـعيدا لـم يبغضه أبـدا و إن عمل شـرّا أبغض عمله و لـم يبغضه، و إن كان شـقيّا لـم يحبّه أبـدا و إن عمل صالحا أحبّ عمله و أبغضه لما يصير إليه فاذا أحبّ اللّه شيئا لـم يبغضه أبدا و إذا أبغض شيئا لـم يحبّه أبدا.

ص:193

و اما الثانی

فالیه أشار بقوله:(اجعل شـرایف صـلواتک و نوامی برکاتک علی محمّد عبدک و رسولک) قیل فی تفسیر العبد: العین علمه باللّه، و الباء بونه عن الخلق، و الـدّال دنوّه من اللّه بلا اشارة و لا کیف، یعنی أنّ العبد لا یکون کامل العبودیة إلاّ إذا کان عارفا باللّه سـبحانه قریبا منه بالقرب المعنوی و باینـا من الخلق بـأن یکون فیهم و لاـ یکون منهم، و ذلـک مسـتلزم لاسـتغراقه فی طاعـة معبوده اذ لولاه لما حصل التّقرب و لا یتحصّل معنی العبودیة.

و من هنا قیل: إنّ حقیقة العبودیة عنوان ثلاثة أشیاء: أن لا یری العبد لنفسه فیما خوّله اللّه ملکا لأنّ العبید لا یکون لهم ملک بل یرون المال مال اللّه یضـعونه حیث امرهم اللّه، و لا یـدبّر العبد لنفسه تدبیرا، و یکون جملة اشـتغاله فیما امر اللّه تعالی و نهاه عنه، فاذا لم یر العبد فیما خوّله اللّه ملکا هان علیه الانفاق و إذا فوّض العبد نفسه إلی مدبّرها هانت علیه مصائب الدّنیا، و إذا اشتغل العبد فیما أمره اللّه و نهاه لا یتفرّغ منهما إلی المراء و المباهات مع النّاس.

فاذا اکرم اللّه العبـد بهـذه الثّلاث هانت علیه الـدّنیا و لا یطلب الـدّنیا تفاخرا و تکاثرا و لا یطلب عنـد النّاس عزّا و علوّا و لا یدع أیّامه باطلة فیکون ترکا لدنیاه و فارغا لطاعة مولاه، فاذا وصل العبد إلی هذا المقام انکشـفت له الحجابات الغیبیة و أدرکته الألطاف الرّبانیة، و تحصـل له معنی العبودیة «و هی ظ» جوهرة کنهها الرّ بوبیة، و یصیر مظهرا لصفات الکمال و مصدرا لنعوت الجلال.

و إلی هذا المعنی ینظر الحدیث القدسی: إنّ عبدی لیتقرّب إلیّ بالنّافلة حتّی احبّه فاذا أحببته کنت سمعه الذی یسمع به و بصره الذی یبصر به و لسانه الـذی ینطق به و یـده التی یبطش بها إن دعانی أجبته و إن سألنی أعطیته و لمّا کان هـذا المعنی غایـة الکمال وصف اللّه سـبحانه جملة من أولیائه المقرّبین فی کتابه المجید بذلک فقال:

«سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ » و قال:

«عَبْداً مِنْ عِبادِنا » و قال: «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ ».

الى غير هـذا، ثمّ انّه لما كان مرتبـة الرّسالـة فوق مرتبـة العبودية و من عادتهم تقديم غير الابلغ على الابلغ كما يقولون: عالم نحرير و جواد فياض لا جرم قدّم توصيفه بالعبودية على توصيفه بالرّسالة، و إنّما قلنا إنّ درجة الرّسالة فوق هذه الدّرجة لأنّ الرّسول من يسع قلبه الجانبين و لا يحجب بشهود الحقّ عن الخلق، فهو أكمل ممن يستغرق فيه تعالى غافلا عن خلقه.

و يـدلّ على تقـدّمها عليها رواية زيد الشّحام التى مرّت فى شـرح الفصل الثانى من فصول الخطبة الثّانية فتذكر (الخاتم لما سـبق) إن جاز استعمال كلمة ما فى ذوى العقول فالمراد بها النّبيّون و المرسلون، و إلاّ فالمراد أنّه خاتم لشرعه للشرايع و الأديان السّابقة.

(و الفاتـح لما انغلق) من باب الهـدى و طريق الرّشاد و الجنّـة، و إنّما كان منغلقا لغلبـة أمر الجاهلية و اندراس الشّرايع السّابقة (و المعلن الحقّ بـالحقّ) قـال الشّارح المعتزلى: اى المظهر الحقّ الـذى هو خلاـف الباطل بالحقّ أى بالحرب و الخصومـة يقال حاق فلان فلانا أى خاصمه فخصمه.

أقول: و منه الحاقّة للقيامة قال تعالى: الحاقّة ما الحاقّة، سـمّيت بذلک لأنها تحاقّ الكفّار الذين حاقّوا الأنبياء أى خاصـموهم هذا، و الأظهر أن يكون المراد بالحقّ الأول الدّين و بالثّانى الحقّ المرادف للصدق أى مظهر الدّين بقول حقّ ثابت فى نفس الأمر و بيان صواب.

(و الـدّافع جيشات الاباطيل) اى لثوران فتن المشـركين و اجتماعهم على إطفاء نور اللّه أو لفتنتهم التى كانت عادة بينهم و اسـتمرت عليها سجيتهم من القتل و الغارة و حرب بعضـهم لبعض، فانّ هذا كلّه امور خارجة عن قانون العدالة و قد اندفع ذلک كلّه بميامن قدومه صلوات اللّه عليه و آله.

(و الدّامغ صولات الأضاليل) أى المهلک لسطوات الضّلالات و قامع هيبات أهل

الضّلال المنحرفين عن سبيل اللّه و سبيل الرّشاد إلى الفساد (كما حمل فاضطلع) معناه على جعل الكاف بمعنى اللاّم: اجعل شرايف صلواتک عليه لأجل أنّه حمل أعباء الرّسالة فنهض بها قوّيا، و على جعلها بمعناها الأصلى صلّ عليه صلاة مناسبة مشابهة لتحميلک له الرّسالة إذ الجزاء من الحكيم العدل لا بدّ أن يكون مناسبا للعمل المجزى عليه.

(قائما بأمرک مستوفزا فى مرضاتک) أى مستعجلا فى تحصيل رضاء اللّه سبحانه و رضوانه غير بطىء فيه حاثا نفسه عليه (غيرنا كل عن قدم و لا واه فى عزم) أراد كونه غير جبان عن التّقدّم فيما يلزمه التقدم فيه و لا متوان فى الاتيان بما عزم عليه (واعيا لوحيک) ضابطا له قوىّ النفس على قبوله (حافظا لعهدک) المأخوذ عليه فى تبليغ الرّسالة و أداء الامانة (ماضيا على انفاذ امرک) مصرّا فى إجرائه و فى جذب الخلق إلى سلوک سبيل الآخرة.

(حتّى) انتهى فى اصراره فى هداية الخلق و جذبهم إلى الآخرة إلى النّهاية و بلغ الغاية ف (أورى قبس القابس) أى أخرج نور الحقّ و أشعله لطالبيه و المقتبسين له (و أضاء الطريق) طريق الجنّة و الصّراط المستقيم (للخابط) فى ظلمات الجهل السّالک على غير جادّة واضحة.

(و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن) و الآثام اللازمة عما اجترحته من السّيئات (و أقام موضحات الأعلام) أى الأدلة الواضحة على الحقّ التى هى كالأعلام المستدلّ بها على الطريق (و نيرات الأحكام) أى الأحكام الشّرعية و التكاليف الالهية ذوات النّور المستنبطة من الأدلّة الواضحة.

(فهو أمينک المأمون) أى ائتمنه على وحيه و رسالته و المأمون تاكيد للامين (و خازن علمک المخزون) أراد به علمه الذى لا يقدر على حمله عموم الخلق و هو المشار إليه بقوله: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ ».

روى سدير قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السّلام و يقول أرأيت

قوله: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً »، فقال له أبو جعفر عليه السّلام «إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً »، و كان و اللّه محمّد ممن ارتضاه و أما قوله «عالِمُ الْغَيْبِ »، فانّ اللّه تبارک و تعالى عالم بما غاب عن خلقه ممّا يقدر من شيء و يقضيه فى علمه فذلک يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشية فيقضيه إذا أراد و يبدو له فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذى يقدره اللّه و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذى انتهى إلى رسول اللّه ثمّ الينا.

(و شهيدک يوم الدّين) يحتمل أن يكون المراد بذلک شهادته على امّته و شهادته على أئمة الدّين خصوصا و جميع الحجج الذين لم يخل اللّه سبحانه ارضه منهم من لدن آدم إلى آخر الدهر و قد ورد الاحتمالات الثلاثة فى أخبار أهل البيت و مثل كلامه قوله تعالى فى سورة النحل:

«وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِکَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ ».

و فى سورة البقرة: «وَ كَذلِکَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ».

و فى سورة النّساء: «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً ».

قال الطبرسى فى تفسير هذه الآية إنّ اللّه يستشهد يوم القيامة كلّ نبىّ على امّته فيشهد لهم و عليهم و يستشهد نبينا على امّته.

و فى البحار فى الأخبار ما يدلّ على أنّ حجّة كلّ زمان شهيد على أهل ذلک الزمان و نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله شهيد على الشهداء.

و فيه من الكافى باسناده عن سماعة قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: فى قول

اللّه عزّ و جلّ:

«فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً».

نزلت فى أمّة محمّد خاصة فى كلّ قرن منهم إمام منا شاهد عليهم و محمّد شاهد علينا قال المجلسىّ يمكن أن يكون المراد تخصيص الشّاهد و المشهود عليهم جميعا بهذه الامة فيكون المراد بكل امّة فى الآية كلّ قرن من تلك الامة واحد من الأئمة عليهم السّلام شاهدا على من فى عصرهم من هذه الامة و على جميع من مضى من الامم، و الأوّل أظهر لفظا و الثانى معنا و إن كان بحسب اللفظ يحتاج إلى تكلّفات أقول: و يدلّ على الوجه الأوّل ما عن تفسير فرات بن إبراهيم عن أبى جعفر عليه السّلام فى تفسير الآية الثانية قال: منا شهيد على كلّ زمان علىّ بن أبى طالب فى زمانه و الحسن فى زمانه و الحسين فى زمانه و كلّ من يدعو منّا إلى أمر اللّه.

و على الثانى ما عن تفسير علىّ بن إبراهيم فى تفسير الآية الثانية أيضا باسناده عن بريد العجلى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن تفسير هذه الآية قال نحن الامّة الوسط و نحن شهداء اللّه على خلقه و حجّته فى أرضه.

و ما عن بصائر الدّرجات باسناده عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنّ اللّه طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجته فى أرضه و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا يفارقنا.

و على هذا فمعنى كونهم شهيدا أنّهم عليهم السلام يشهدون على الأنبياء أنّ اللّه أرسلهم و يشهدون للأنبياء أنّهم بلغوا رسالات ربّهم و يشهدون لمن أجابهم و أطاعهم باجابته و اطاعته و على من خالفهم و عصاهم بمخالفته و عصيانه و يشهدون على محمّد أنّ اللّه أرسله و يشهدون له انّه بلغ ما امر بتبليغه و على امته و لهم كذلك و يشهد رسول اللّه عليهم بما حملهم من أمر الخلافة و لهم بما أدّوا ما حملوا و لمن أجاب بما أجاب و لمن عصى بالعصيان هذا.

و غير خفيّ على الفطن العارف أنّ الشّهادة لما كانت مشروطة بالعلم و اليقين و من ذلک أنّ رسول اللّه أرى للشّاهد الشّمس و قال على مثل هذا فاشهد أودع، فاللازم من كونهم صلوات اللّه عليهم شهداء على النّاس أن يكونوا عالمين بأعمال النّاس غير غائبين عنها، و يستفاد ذلک من الأخبار و هى على قسمين.

احدهما ما دلّت على أنّه سبحانه أعطى الامام عمودا من نور يرى فيه أعمال الخلايق كرؤية الشّخص فى المرات و أنّ الدّنيا بأسرها و ما فيها عند الامام كالدرهم فى يد أحدكم يقلّبه كيف شاء.

فمن ذلک ما فى البحار من بصاير الدّرجات عن معاوية بن حكيم عن أبى داود المسترقّ عن محمّد بن مروان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الامام يسمع الصّوت فى بطن امّه فاذا بلغ أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن:

«وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ ».

فاذا وضعته امّه سطع له نور ما بين السّماء و الأرض فاذا درج رفع له عمود من نور يرى ما بين المشرق و المغرب.

و منه باسناده عن ابن ظبيان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الامام لسمع فى بطن امّه فاذا ولد خطّ على منكبيه، ثمّ قال هكذا بيده فذلک قول اللّه تعالى:

«وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ ».

و جعل له فى كلّ قرية عمودا من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها.

و عن محمّد بن الفضيل عن بعض رجاله عن أبى عبد اللّه عليه السّلام الامام يسمع الكلام فى بطن امّه فاذا سقط إلى الأرض نصب له عمود فى بلاده و هو يرى ما فى غيرها.

و عن محمّد بن مروان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ الامام يسمع فى بطن امّه فاذا ولد خط بين كتفيه:

«وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ ».

فاذا صار الأمر إليه جعل اللّه له عمودا من نور يبصر به ما يعمل به أهل كلّ بلدة.

و عن إسحاق القمىّ قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام ما قدر الامام؟ قال يسمع فى بطن امّه فاذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوبا:

«وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ».

ثمّ يبعث أيضا له عمودا من نور من تحت بطنان العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخلايق كلّها، ثمّ ينشعب له عمود آخر من عند اللّه إلى اذن الامام كلّما احتاج إلى مزيد افرغ فيه افراغا.

أقول: و العمود الآخر ما اشير إليه فى رواية صالح بن سهل.

عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كنت جالسا عنده فقال لى ابتداء منه: يا صالح بن سهل إنّ اللّه جعل بينه و بين الرّسول رسولا و لم يجعل بينه و بين الامام رسولا، قال:

قلت: و كيف ذاک؟ قال: جعل بينه و بين الامام عمودا من نور ينظر اللّه به إلى الامام و ينظر الامام به إليه فاذا أراد علم شىء نظر فى ذلک النّور فعرفه.

قال المحدّث المجلسىّ: نظر اللّه تعالى إليه كناية عن إفاضاته عليه و نظره إليه كناية عن غاية عرفانه.

و القسم الثانى من الأخبار ما دلّت على عرض أعمال العباد على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و على الأئمة عليهم السلام و إلى ذلک اشير فى الكتاب العزيز:

قال تعالى: «وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ».

روی فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن محمّد بن الحسن الصّفار عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ما من مؤمن یموت أو کافر یوضع فی قبره حتّی یعرض عمله علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و علی أمیر المؤمنین علیه السّلام و هلمّ جرّا إلی آخر ما فرض اللّه طاعته فذلک قوله:

«وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ ».

و عنه علیه السّلام قال: إنّ أعمال العباد یعرض علی رسول اللّه کل صباح أبرارها و فجّارها فاحذروا فلیستحی أحدکم أن یعرض علی نبیّه العمل القبیح.

و من بصایر الدّرجات باسناده عن معلّی بن خنیس عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تعالی:

«وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ ».

قال: هو رسول اللّه و الأئمة تعرض علیهم أعمال العباد کلّ خمیس.

و عن محمّد بن مسلم و زرارة قالا سألنا أبا عبد اللّه علیه السّلام عن الأعمال تعرض علی رسول اللّه؟ قال ما فیه شکّ، ثمّ تلاهذه الآیة:

«وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ ».

قال إنّ للّه شهداء فی أرضه.

و عن ابن أبی عمیر عن غیر واحد من أصحابنا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأصحابه حیاتی خیر لکم و مماتی خیر لکم، قالوا: أما حیاتک یا رسول اللّه فقد عرفناه، فما فی وفاتک؟ قال: أمّا حیاتی فانّ اللّه یقول: و ما کان اللّه لیعذّبهم و أنت فیهم و ما کان اللّه معذّبهم و هم یستغفرون، و أمّا وفاتی فتعرض علیّ أعمالکم فأستغفر لکم.

و عن داود الرّقی قال: دخلت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فقال یا داود أعمالکم عرضت علیّ یوم الخمیس فرأیت لک فیها شیئا فرحنی و ذلک صلتک لابن عمک أما

أنّه سيمحق أجله و لا ينقص رزقک، قال داود: و كان لى ابن عمّ ناصب كثير العيال محتاج، فلما خرجت إلى مكّة أمرت له بصلة، فلما دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام أخبرنى بهذا هذا.

و قد تحصّل ممّا ذكرنا كلّه اطلاع النبىّ و اطلاع الأئمة على جميع أفعال النّاس و أعمالهم من خير أو شرّ و أنّه لا تفاوت فى ذلک بين حالتى الموت و الحياة فان قلت: ما فايدة تلک الشّهادة و ما ثمرة عرض الأعمال عليهم و اطلاعهم بذلک و النّاس كلّهم يردّون إلى عالم الغيب و الشّهادة و ينبّئهم بما كانوا يعملون.

قلت: ثمرة ذلک أنّ النّاس إذا علموا أنّ لهم شهداء و رقباء و كتّابا يكتبون ما يفعلون لا يغادرون صغيرة و لا كبيرة و أنّ النبىّ و الأئمة يعرض عليهم الأعمال و يطلعون بما يعملون كان ذلک رادعا للنّفس الامارة عن الانهماک فى الشّهوات و مانعا لها عن متابعة الأهواء و اللذات، فلا بدّ للعاقل البصير أن ينظر إلى عمله و يحذر من عرض عمله القبيح على نبيّه و أئمته و يستحى من ذلک و لا يفعل ما يوجب مسائة حالهم و استحيائهم من اللّه سبحانه من قبايح أعمال شيعتهم و اللّه ولىّ التوفيق.

(و بعيثک بالحقّ و رسولک إلى الخلق) أراد كونه مبعوثا بالدّين الثابت الباقى نفعه إلى الخلق و رسولا إليهم، و هذان الوصفان كساير الأوصاف المذكورة فى هذا الفصل إشارة إلى جهات استحقاق الصّلاة و الرّحمة.

الفصل الثالث

فى أنواع المدعوّ به

، و إليها الاشارة بقوله(اللهمّ افسح له مفسحا فى ظلّک)أى مكانا متّسعا فى حظيرة قدسک، و الظلّ إمّا استعارة للجود و الافضال و وجه الشّبه استراحة المستظلّ بالظلّ من حرارة الشّمس و كذلک الملتجى إلى جود اللّه سبحانه و افضاله يستريح بجوده تعالى من شديد العذاب الاليم و حرّ نار الجحيم، و يحتمل أن يكون المراد معناه الحقيقى كما فى قوله تعالى:

«وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَ طَلْحٍ »

«مَنْضُودٍ وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ ».

قال فی مجمع البیان أی دائم لا تنسخه الشّمس فهو باق لا یزول، و قد ورد فی الخبر أنّ فی الجنّة شجرة یسیر الرّاکب فی ظلّها مأئة سنة لا یقطعها، و روی أیضا أنّ أوقات الجنة کغدوات الصّیف لا یکون فیها حرّ و لا برد.

(و اجزه مضاعفات الخیر من فضلک) أراد به أن یضاعف له الکمالات من نعمه إذ مراتب استحقاق نعمه سبحانه غیر متناهیة (اللهمّ و اعل علی بناء البانین بناءه) المراد بالبانین إمّا الأنبیاء و ببنائهم ما شیّدوه من أمر الدّین فیکون المقصود بالدّعاء علوّ دینه و ظهوره علی الدّین کله و لو کره المشرکون، و إما مطلق عباد اللّه الصّالحین البانین بأعمالهم الصّالحة غرفا فی الجنّة و قصورا فیها فیکون المقصود علوّ منزلة علی سایر المنازل (و اکرم لدیک منزلته) بانزاله المنزل المبارک الموعود و هو سبحانه خیر المنزلین، قال تعالی مخاطبا لنوح:

«وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلاً مُبارَکاً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ ».

(و اتمم له نوره) المراد بذلک اتمام نوره یوم القیامة بحیث یطفی سایر الأنوار و هو النّور الذی یسعی بین أیدی الامة حتّی ینزلوا منازلهم فی الجنّة، و إلیه الاشارة فی قوله.

«یَوْمَ لا یُخْزِی اللّهُ النَّبِیَّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ یَسْعی بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمانِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ » قال الطبرسی: یسعی نورهم بین أیدیهم و بأیمانهم علی الصّراط یوم القیامة و هو دلیلهم إلی الجنّة و یرید بالنّور الضّیاء الذی یرونه و یمرّون فیه عن قتادة، و قیل نورهم هداهم عن الضّحاک قال قتادة: إنّ المؤمن یضیء له نور کما بین عدن إلی صنعا و دون ذلک حتّی أنّ من المؤمنین من لا یضیء له نوره إلاّ موضع قدمیه.

قال الشّارح المعتزلی: قد روی أنّه یطفی سایر الأنوار إلاّ نور محمّد، ثمّ یعطی المخلصون من أصحابه أنوارا یسیرة یبصرون بها مواطیء الأقدام فیدعون اللّه

بزيادة تلك الأنوار و إتمامها، ثمّ إنّ اللّه يتمّ نور محمّد فيستطيل حتّى يملاء الآفاق فذلک إتمام نوره.

(و اجزه من انبعاثک له مقبول الشّهادة و مرضىّ المقالة) أراد به أن يجزيه اللّه سبحانه من بعثته له الشّهادة المقبولة عنده و المقالة المرضيّة لديه بأن يكون شهادته صلّى اللّه عليه و اله و سلّم على امته و غيرها نافذة و شفاعته فيهم ماضية حالكونه (ذا منطق عدل و خطة فصل) أى صاحب نطق عادل و خصلة فاصلة بين الحقّ و الباطل او ذا قول(1) غير هازل كما قال تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ».

و المطلوب بهذه الاعتبارات كلّها على اختلاف مفاهيمها أمر واحد و هو زيادة كمالاته صلّى اللّه عليه و آله و قربه من اللّه سبحانه، ثمّ إنّه عليه السّلام بعد الصّلاة على الرسول دعا لنفسه و للمؤمنين من خالصى شيعته بقوله (اللهمّ اجمع بيننا و بينه فى برد العيش) الذى لا كلفة فيها من الحرب و الخصومة (و قرار النّعمة) مستقرّها فى الحضرة الرّبوبية (و منى الشهوات) فى حظيرة القدس (و أهواء اللذّات) فى الجنة العالية، و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين (و رخاء الدّعة و منتهى الطمأنينة) أى سعة سكون النّفس و نهاية اتّساع عيشها فى دار الخلد (و تحف الكرامة) المعدّة لأهل اليقين من أولياء اللّه المقرّبين مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

تنبيهات

الاول

الصّلاة على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ممّا أمر اللّه تعالى به و حثّ عليه بقوله:

«إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً».

و ينبغى لنا أن نحقّق الكلام فى ذلک و نذكر ما أتى به الفاضل المقداد صاحب كنز العرفان فى تفسير هذه الآية و ما يرتبط عليها و نفصّل بعض ما أجمله قدّس اللّه روحه.

1- (1) الترديد على رواية خطبة فصل بالباء كما اشرنا اليه فى بيان اللغة منه.

قال «ره» قرء شاذا برفع ملائكته فقال الكوفيّون بعطفها على أصل إنّ و اسـمها و قال البصريّون مرفوعة بالابتداء و خبر إنّ محذوف أى إنّ اللّه يصلّى و ملائكته يصلّون فحذف للقرينة و نظايره كثيرة كقول الشّاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندک راض و الرّأى مختلف

اى نحن راضون، و الصّلاة و ان كانت من اللّه الرّحمة فالمراد بها هنا هو الاعتناء باظهار شرفه و رفع شأنه، و من هنا قال بعضهم تشريف اللّه محمّدا بقوله:

«إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ».

أبلغ من تشريف آدم بالسّجود له و التسليم، قيل المراد به الانقياد كما فى قوله:

«فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ».

و قيل هو قولهم: السّلام عليک أيّها النبىّ قاله الزّمخشـرى و القاضـى فى تفسيرهما و ذكره الشّيخ فى تبيانه و هو الحقّ لقضية العطف و لأنّه المتبادر إلى الفهم عرفا و لرواية كعب الآتية و غيرها إذا تقرّر ذلک فهنا

فوايد

.

الاولى

ذهب أصـحابنا و الشّافعى و أحمـد إلى وجوب الصّلاة على النبىّ فى الصـلاة خلافا لمالک و أبى حنيفـة فانّهما لم يوجباها و لم يجعلاها شرطا فى الصّلاة و استدلّ بعض الفقهاء بما تقريره.

شىء من الصّلاة على النّبىّ واجب و لا شىء من ذلک فى غير الصّلاة بواجب ينتج أنّها فى الصّلاة واجب، أمّا الصّغرى فلقوله تعالى: صلّوا، و الأمر حقيقة فى الوجوب، و أمّا الكبرى فظاهرة، و فيه نظر لمنع الكبرى كما يجىء و حينئذ فالأولى الاستدلال على الوجوب بدليل خارج.

أمّا من طرقهم فما رووه عن عايشة قالت: سـمعت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و اله و سـلّم يقول: لا تقبل صـلاة الاّ بطهور و بالصّلاة علىّ، و كذا عن أنس عن النبىّ صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: إذا صلّى

أحدكم فليبدأ بحمد اللّه ثمّ ليصلّ عليّ.

و من طرقنا ما رواه أبو بصير و غيره عن الصّادق عليه السّلام قال: من صلّى و لم يصلّ على النبيّ و تركه متعمّدا فلا صلاة له، حتّى أنّ الشّيخ جعلها ركنا فى الصّلاة فان عنى الوجوب و البطلان بتركها عمدا فهو صحيح و إن عنى تفسير الرّكن بأنّه ما يبطل الصّلاة بتركه عمدا و سهوا فلا.

الثانية

قال علمائنا اجمع: إنّ الصّلاة على النبيّ صلّى اللّه عليه و اله و سلّم واجبة فى التشهدين و به قال أحمد، و قال الشّافعيّ: مستحبّة فى الأول واجبة فى الآخر، و قال مالک و أبو حنيفة: مستحبّة فيهما، دليل أصحابنا روايات كثيرة عن أئمّتهم عليهم السّلام.

الثالثة

هل تجب الصّلاة على النّبيّ فى غير الصّلاة أم لا ذهب الكرخى إلى وجوبها فى العمر مرّة، و قال الطحاوى: كلّما ذكر، و اختاره الزّمخشرى، و نقل عن ابن بابويه من أصحابنا، و قال بعضهم: فى كلّ مجلس مرّة، و المختار الوجوب كلّما ذكر لدلالة ذلک على التّنوية(1) برفع شأنه و الشكر لاحسانه المأمور بها، و لأنه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضا و هو منهيّ عنه فى آية النّور.

أقول: و أشار بها إلى قوله سبحانه: «لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً » و لما روى عنه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فدخل النّار فأبعده اللّه، و الوعيد أمارة الوجوب.

و روى أنّه قيل له: يا رسول اللّه أرأيت قول اللّه إنّ اللّه و ملائكته يصلّون على النّبيّ؟ فقال: هذا من العلم المكنون و لو لا أنّكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به إنّ اللّه عزّ و جلّ و كل بى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلّى عليّ إلاّ قال له ذلک الملكان غفر اللّه لک، و قال اللّه و ملائكته: آمين، و لا اذكر عند مسلم فلا يصلّى عليّ إلاّ قال له الملكان: لا غفر اللّه لک و قال اللّه و ملائكته: آمين.

أقول: و مثل ذلک فى إفادة الوعيد ما رواه الصّدوق فى عقاب الأعمال باسناده عن محمّد بن هارون عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا صلّى أحدكم و لم يصلّ على النبيّ

1- (1) التعظيم.

خطىء به طريق الجنّة.

و قال النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله: من ذكرت عنده فنسـى الصّـلاة علىّ خطىء به طريق الجنّة قال (ره): و أمّا عند عدم ذكره صلوات اللّه عليه فيستحبّ استحبابا مؤكدا، لتظافر الرّوايات أنّ الصّلاة عليه و آله تهدم الذّنوب و توجب اجابة الدّعاء المقرون بها.

الرابعة

روى كعب بن عجرة قال: لمّا نزلت الآية قلنا: يا رسول اللّه هذا السّـلام عليك فقد عرفناه فكيف الصّـلاة عليك؟ فقال قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد كما صـلّيت على إبراهيم و آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، و بارك على محمّد و آل محمّد كما باركت على إبراهيم و آل إبراهيم إنّك حميـد مجيـد، و على هذا الحديث سؤال مشـهور بين العلماء ذكرناه فى نضد القواعد و ذكرنا ما قيل فى أجوبته من أراده وقف عليه هناك.

أقول: و لا يحضـرنى كتاب نضـد القواعد حتّى نقف على ما ذكره و لعلّ المراد بالسؤال المشـهور ما ذكروه من أنّ التّشبيه يقتضـى أن يكون المشـبّه به أقوى من المشـبّه فيلزم أن يكون التّشبيه الواقع فيه من بـاب إلحاق النّاقص بالكامل، و اجيب تارة بأنّ التّشبيه لبيان حال من يعرف بمن لا يعرف، و ثانية بأنّ التّشبيه فى أصل الصّـلاة لا فى قدر الصّـلاة، و ثالثة بأنّ معناه: اجعل لمحمّد صلاة بمقدار الصّلاة لابراهيم و آله و فى آل إبراهيم خلاـيق لاـ يحصون من الأنبياء، و ليس فى اللّه نبىّ فطلب إلحاق جملـة فيها نبىّ واحـد بما فيه الأنبياء، و ربّما اجيب باجوبة اخر و لا حاجة إليها و الأظهر الأوسط.

الخامسة

دلّ حديث كعب المذكور على مشروعيّة الصّلاة على الآل تبعا له صلّى اللّه عليه و آله، و عليه اجماع المسلمين، و هل يجوز عليهم لا تبعا بل افرادا كقولنا: اللهمّ صلّ على آل محمّد بل الواحد منهم لا غير أم لا؟ قال أصحابنا: بجواز ذلك، و قال الجمهور:

بكراهته لأنّ الصّلاة على النبىّ صارت شعارا فلا يطلق على غيره و لا يهامه الرّفض و الحقّ ما قاله الأصحاب لوجوه.

الأوّل قولى تعالى مخاطبا للمؤمنين كافة: «هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ »

و هو نصّ فی الباب.

الثّانی قوله تعالی: «اَلَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ » و لا ریب أنّ أهل البیت أصیبوا بأعظم المصائب الذی من جملتها اغتصابهم مقام امامتهم.

أقول: و هذا الدّلیل لعلّه مأخوذ من العلاّمة قدس اللّه روحه و قد حکی فی لؤلؤة البحرین من کتاب حیاة القلوب أنّه قدّس اللّه سرّه ناظر أهل الخلاف فی مجلس سلطان محمّد خدا بنده أنار اللّه برهانه و بعد إتمام المناظرة و بیان حقّیة مذهب الامامیة الاثنی عشریة خطب قدّس اللّه لطفه خطبة بلیغة مشتملة علی حمد اللّه و الصّلاة علی رسوله و الأئمة علیهم السّلام.

فلمّا سمع ذلک السّ ید الموصلی الذی هو من جملة المسکوتین بالمناظرة قال ما الدّلیل علی جواز توجیه الصّ لاة علی غیر الأنبیاء؟ فقرأ الشّیخ العلاّمة فی جوابه بلا انقطاع الکلام: الّذین إذا أصابتهم مصیبة، الآیة فقال الموصلی بطریق المکابرة:

ما المصیبة التی أصابت إلیهم حتّی أنّهم یستوجبون بها الصّ لاة؟ فقال الشّ یخ: من أشنع المصائب و أشدّها أن حصل من ذراریهم مثلک الذی ترجّح المنافقین الجهّال المستوجبین اللعنة و النکال علی آل رسول المتعال، فاستضحک الحاضرون و تعجّبوا من بداهة آیة اللّه فی العالمین و قد انشد بعض:

إذ العلویّ تابع ناصبیّا بمذهبه فما هو من أبیه

و کان الکلب خیرا منه قطعا لأنّ الکلب طبع أبیه فیه

الثّ الث أنّه لمّ ا أتی أبوأ و فی بزکاته قال النبیّ صلّی اللّه علیه و اله و سلّم: اللهمّ صلّ علی أبی أوفی و آل أبی أوفی، فیجوز علی أهل البیت بطریق أولی.

الرّابع انّ الصّ لاة من اللّه بمعنی الرّحمة و یجوز الرّحمة علیهم إجماعا فیجوز مراد فها لما تقرّر فی الاصول من أنّه یجوز إقامة احد المترادفین مقام الآخر الخامس قولهم إنّه صار شعارا للرسول قلنا مصادرة علی المطلوب، لأنّها کما

دلت على الاعتناء برفع شأنه كذلک تدلّ على الاعتناء برفع شان أهله القائمين مقامه فيكون الفرق بينه و بينهم وجوبها فى حقه صلّى اللّه عليه و آله كلّما ذكر كما اخترناه.

أقول: التفريق بذلک غير خال عن التّأمل.

فان قلت: عادة السّلف قصره على الأنبياء.

قلت: العادة لا يخصّص كما تقرّر فى الاصول، هذا مع أنّ من أعظم السّلف الباقر و الصّادق عليهما السّلام، و لم يقولا بذلک.

السادس أنّ قولهم: إنّ ذلک يوهم الرّفض تعصّب محض و عناد ظاهر، نظير قولهم من السنة تسطيح القبور لكن لما اتخذته الرّافضة شعارا لقبورهم عدلنا منه إلى التسنيم، فعلى هذا كان يجب عليهم أنّ كلّ مسألة قال بها الامامية أن يفتوا بخلافها و ذلک محض التعصّب و العناد، نعوذ باللّه من الأهواء المضلّة و الآراء الفاسدة.

السادسة

مذهب علمائنا أجمع أنه يجب الصلاة على آل محمّد فى التشهدين، و به قال بعض الشافعية، و فى إحدى الرّوايتين عن أحمد، و قال الشافعى بالاستحباب لنا رواية كعب و قد تقدّمت فى كيفية الصلاة عليه و إذا كانت الصلاة عليه واجبة كانت كيفيتها أيضا واجبة.

و روى كعب أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يقول ذلک فى صلاته و قال: صلّوا كما رأيتمونى أصلّى.

و عن جابر الجعفى عن الباقر عليه السّلام عن ابن مسعود الأنصارى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من صلّى صلاة و لم يصلّ فيها علىّ و على آلى و أهل بيتى لم يقبل منه.

السابعة

الآل الذين يجب الصلاة عليهم فى الصلاة و يستحبّ فى غيرها هم الأئمة المعصومون، لاطباق الأصحاب على أنهم هم الآل و لأنّ الأمر بذلک مشعر بغاية التعظيم المطلق الذى لا يستوجبه إلاّ المعصوم، و أما فاطمة عليها السلام فتدخل أيضا لأنها بضعة منه.

الثانى

قال الجمهور: الصلاة من اللّه الرّحمة و من الملائكة الاستغفار و من الآدميّين

الـدّعاء، و اسـتبعد تارة باقتضائه كونه مشتركا لفظيا و الأصل العـدم، و اخرى بأنّا لا نعرف فى العربيـة مسـندا واحدا يختلف معناه باختلاف المسـند إليه إذا كان الاسناد حقيقيا، و ثالثة بأن الرحمة فعلها متعدّ و الصلاة فعلها قاصر و تفسير القاصر بالمتعدّى غير مناسب، و رابعة بأنه لو قيل مكان صلّى عليه دعا عليه انعكس المعنى و لو كانا مترادفين صحّ حلول كلّ منهما محلّ الآخر.

و قال المحقّقون: إنّه لغـة بمعنى العطف و العطف بالنّسـبة إلى اللّه الرّحمة اللايقة و إلى الملائكة الاسـتغفار و إلى الآدميّين دعاء بعضـهم لبعض، قال السّهيلى:

الصّلاة كلّها و إن اختلفت معانيها راجعة إلى أصل واحد فلا تظنها لفظ اشتراک و لا استعارة إنّما معناها العطف و يكون محسوسا و معقولا انتهى. فعلى ما ذكروه يكون مشتركا معنويا و هو أولى من الاشتراک اللفظى إذا دار الأمر بينه و بينه

الثالث

قال الشّـهيد الثانى نوّر اللّه مضـجعه فى الرّوضة غاية السؤال بالصّـلاة عايدة إلى المصـلّى لأنّ اللّه تعالى قد أعطى نبيّه من المنزلة و الزّلفى لديه ما لا يؤثر فيه صلاة مصلّ كما نطقت به الأخبار و صرّح به العلماء الأخيار.

أقول: أمّا انتفاع المصـلّى بالصّلاة و استحقاقه بها الثواب الجزيل و الجزاء الجميل فممّا لا غبار عليه و ستطّلع على ذلک فى التنبيه الآتى، و أمّا عـدم تأثيره فى حقّه صـلوات اللّه عليه و آله فممنوع، لأنّ مراتب القرب إليه تعالى و الزّلفى لـديه غير متناهية فيجوز أن يوجب كلّ صـلاة عليه الارتقاء من مرتبة إلى مرتبة فوقها.

فان قلت: يستلزم ذلک أن يكون صلوات اللّه عليه ناقصا فى ذاته و مرتبته مستكملا بالصّلاة و الدّعاء.

قلت: إن أردت نقصه بالنّسبة إلى الواجب فمسلّم و لا ضير فيه و إن أردت النقص بالنسبة إلى الموجودات الممكنة فلا، بيان ذلک أنّه أفضل الموجودات و أشـرف المجعولاـت و أكمـل المخلوقـات، لا موجود سواه إلاّ و هو دونه و لا مجعول غيره إلاّ و هو ناقص بالنسـبة إليه، لكنّه صلوات اللّه عليه و آله مع ذلک كلّه ممكن

محتاج فی وجوده و بقائه و استکمال ذاته إلی الواجب تعالی و هو قدیم و فیضه غیر متناه، و هو قابل بذاته لکسب الفیوضات و ازدیاد الدّرجات و هو تعالی ولیّ الخیرات و الحسنات، و هو علی کلّ شیء قدیر هذا.

و قد عثرت بعد ما حقّقت المقام علی کلام المحدّث العلامة المجلسی فی هذا المرام ذکره فی کتاب مرآت العقول علی بسط و تفصیل فأحببت نقل ما أورده لتضمّنه فواید سنیّة.

قال «ره»: اختلف العلماء فی أنّه هل ینفعهم الصّلاة شیئا أم لیس إلاّ لانتفاعنا فذهب الاکثر إلی أنّهم صلوات اللّه علیهم لم یبق لهم کمال منتظر بل حصل لهم جمیع الخصال السّنیة و الکمالات البشریة و لا یتصوّر للبشر أکثر ما منحهم اللّه تعالی، فلا یزیدهم صلواتنا علیهم شیئا بل یصل نفعها إلینا و إنّما أمرنا بذلک لاظهار حبّهم و ولائهم، بل هی إنشاء لاظهار الاخلاص و الولاء لنا، و لیس الغرض طلب شیء لهم.

و یترتّب علیه أن یفیض اللّه علینا بسبب هذا الاظهار فیوضه و مواهبه و عطایاه کما أنّه إذا کان لأحد محبوب یحبّه حبّا شدیدا و قد أعطاه کلّما یمکن فاذا کان لرجل حاجة عند المحبّ یتقرّب إلیه بالثّناء علی محبوبه و طلب شیء له تقرّبا إلیه باظهار حبّه و تصویبه فی إکرامه و أنّه مستحقّ لما أعطاه حقیق بما أولاه.

و هذا الکلام عندی مدخول بل یمکن توجیهه بوجوه اخر لکلّ منها شواهد من الأخبار.

الأوّل أن تکون الصّلاة سببا لمزید قربهم و کمالاتهم و لم یدلّ دلیل علی عدم ترقیهم إلی ما لا یتناهی من الدّرجات العلی فی الآخرة و الاولی، و کثیر من الأخبار یدلّ علی خلافه کما ورد فی کثیر من أخبار التفویض أنّه إذا أراد اللّه سبحانه أن یفیض شیئا علی امام العصر یفیضه أوّلا علی رسول اللّه ثمّ علی إمام إمام حتّی ینتهی إلی إمام الزمان لئلا یکون آخرهم أعلم من أوّلهم.

و کما أنّ بیننا و بین موالینا صلوات اللّه علیهم من أرباب العصمة و الطهارة

درجات غير متناهية لا يمكن لأحدنا و إن عرج على معارج القرب و الكمال أن يصل إلى أدنى منازلهم، فكذا بينهم عليهم السّلام و بين جناب الالوهية و ساحة الرّبوبية معارج غير متناهية كلّما صعدوا بأجنحة الرفعة و الكمال على منازل القرب و الجلال لا تنتهى تلك المعارج و يعدون أنفسهم فى جنب ساحة القدس مثل الذّرة أو دونها.

و قد افيض على وجه وجيه فى استغفار النبىّ و الأئمة صلوات اللّه عليهم يناسب هذا الوجه و هو: أنّهم صلوات اللّه عليهم لمّا كانوا دائما فى الترقى فى مدارج المعرفة و القرب و الكمال ففى كلّ آن تحصل لهم معرفة جديدة و قرب جليل و كمال عتيد عدّوا أنفسهم مقصّرين فى المرتبة السّابقة فى المعرفة و القرب و الطاعة كانوا يستغفرون منها و هكذا إلى ما لا نهاية لها.

و قد ورد فى الرّوايات الكثيرة أنّ أشرف علومنا علم ما يحدث بالليل و النّهار آنا فآنا و ساعة فساعة، و يؤيّده ما روى فى تفسير قوله سبحانه: «وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ »، أنّ أهل الجنّة فى كلّ يوم جمعة يجتمعون فى موضع يتجلّى لهم الرّب تبارک و تعالى بأنوار جلاله، فيرجع المؤمن بسبعين ضعفا ممّا فى يديه فيتضاعف نوره و ضياؤه، و هذا كناية عن تضاعف قربه و معرفته.

الثانى أن تكون سببا لزيادة المثوبات الاخرويّة و إن لم تصر سببا لمزيد قربهم و كمالهم.

و كيف يمنع ذلک عنهم و قد ورد فى الأخبار الكثيرة وصول آثار الصّدقات الجارية و الأولاد و المصحف و تعليم العلوم و العبادات إلى أموات المؤمنين و المؤمنات و أىّ دليل دلّ على استثنائهم عن تلک الفضايل و المثوبات، بل هم آباء هذه الامة المرحومة و الامة عبيدهم و ببركتهم فازوا بالسّعادات و نجوا من المهلكات، و كلّما صدر عن الامة من خير و سعادة و طاعة يصل إليهم نفعها و بركتها و لا منقصة لهم فى ذلک مع أنّ جميع ذلک من آثار مساعيهم الجميلة و أياديهم الجليلة.

الثالث أن تصير سببا لأمور تنسب إليهم من رواج دينهم و كثرة امّتهم و استيلاء

قائمهم و تعظيمهم و ذكرهم فى الماء الأعلى بالجميل و بالتّفخيم و التبجيل.

و قد ورد فى بعض الأخبار فى معنى السّلام عليهم: أنّ المراد سلامتهم و سلامة دينهم و شيعتهم فى زمن القائم عليه السّلام، انتهى كلامه رفع مقامه.

الرابع

فى فضيلة الصّلاة و ثوابها، و الأخبار فى ذلك كثيرة لا تحصى.

فمنها ما فى ثواب الأعمال للصّدوق باسناده عن عباس بن ضمرة عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: الصّلاة على النبىّ و آله صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أمحق للخطايا من الماء إلى النّار و السّلام على النبىّ و آله أفضل من عتق رقاب و حبّ رسول اللّه أفضل من مهج الأنفس أو قال ضرب السّيوف فى سبيل اللّه.

و عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا ذكر النبىّ صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فأكثروا الصّلاة عليه فانّه من صلّى على النبىّ صلاة واحدة صلّى اللّه عليه ألف صلاة فى ألف صفّ من الملائكة و لم يبق شىء ممّا خلق اللّه إلاّ صلّى على ذلك العبد لصلاة اللّه عليه و صلاة ملائكته، و لا يرغب عن هذا إلاّ جاهل مغرور قد برىء اللّه منه و رسوله، و رواه أيضا فى جامع الأخبار كالكلينى فى الكافى نحوه.

و عن أبى البخترى عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئآته على حسناته جئت بالصّلاة علىّ حتّى اثقل بها حسناته، و رواه فى جامع الأخبار مثله.

و عن عبد السّلام بن نعيم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: إنّى دخلت البيت فلم يحضرنى شىء من الدّعاء إلاّ الصّلاة على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقال عليه السّلام و لم يخرج أحد بأفضل ممّا خرجت.

و عن الحارث الأعور قال: قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام: كلّ دعاء محجوب عن السّماء حتّى يصلّى على محمّد و آله.

و عن الصّباح بن سيابة عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ألا أعلّمك شيئا يقى اللّه وجهك من حرّ جهنم؟ قال: قلت: بلى، قال: قل بعد الفجر: اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد

مأئة مرّة يقى اللّه به وجهک من حرّ جهنم.

و عن محمّد بن أبى عمير عمن أخبره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: وجدت فى بعض الكتب: من صلّى على محمّد و آل محمّد كتب اللّه له مأئة حسنة، و من قال صلّى اللّه على محمّد و أهل بيته كتب اللّه له ألف حسنة.

و عن محمّد بن الفضيل عن أبى الحسن الرّضا قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من صلّى علىّ يوم الجمعة مأئة صلاة قضى اللّه له ستّين حاجة ثلاثون للدّنيا و ثلاثون للآخرة.

و عن أبى المغيرة قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: من قال فى دبر صلاة الصّبح و صلاة المغرب قبل أن يثنّى رجليه أو يكلّم أحدا: إنّ اللّه و ملائكته يصلّون على النبىّ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليما اللهمّ صلّ على محمّد و ذرّيته قضى اللّه له مأئة حاجة سبعين «سبعون» فى الدّنيا و ثلاثين «ثلاثون» فى الآخرة، قال: قلت: ما معنى صلوات اللّه و صلوات ملائكته و صلوات المؤمن؟ قال: صلوات اللّه رحمة من اللّه و صلوات الملائكة تزكية منهم له، و صلوات المؤمنين دعاء منهم له.

و من سرّ آل محمّد فى الصّلاة على النبىّ و آله: اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد فى الأوّلين، و صلّ على محمّد و آل محمّد فى الآخرين، و صلّ على محمّد و آل محمّد فى الملاء الأعلى، و صلّ على محمّد و آل محمّد فى المرسلين اللهمّ اعط محمّدا الوسيلة و الشّرف و الفضيلة و الدّرجة الكبيرة، اللهمّ إنّى آمنت بمحمّد و لم أره فلا تحرمنى يوم القيامة رؤيته، و ارزقنى صحبته و توفّنى على ملّته و اسقنى من حوضه مشربا «شرباخ» رويا سائغا هنيئا لا ظمأ بعده أبدا إنّک على كلّ شىء قدير اللهمّ كما آمنت بمحمد و لم أره فعرفنى فى الجنان وجهه اللهمّ بلّغ روح محمّد تحيّة كثيرة و سلاما.

فانّ من صلّى على النبىّ بهذه الصّلاة هدمت ذنوبه و محيت خطاياه و دام سروره و استجيب دعاؤه و اعطى أمله و بسط له فى رزقه و اعين على عدوّه و هيّىء له سبب أنواع الخير و يجعل من رفقاء نبيّه فى الجنان الأعلى، يقولهنّ ثلاث مرّات غدوة و ثلاث مرّات عشيّة.

و عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذات يوم

لأمير المؤمنين: ألا أبشّرك؟ قال: بلى بأبى أنت و أمّى، فانّک لم تزل مبشّرا بكلّ خير فقال: أخبرنى جبرئيل آنفا بالعجب، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام و ما الّذى أخبرک يا رسول اللّه؟ قال: أخبرنى أنّ الرّجل من امّتى إذا صلّى علىّ فاتبع بالصلاة على أهل بيتى فتحت له أبواب السّماء و صلّت عليه الملائكة سبعين صلاة و إنّه إن كان من المذنبين تحات عنه الذنوب كما تحات الورق من الشّجر، و يقول اللّه تبارک و تعالى:

لبّيک عبدى و سعديک يا ملائكتى أنتم تصلّون عليه سبعين صلاة و أنا اصلّى عليه سبعمائة صلاة، فان صلّى علىّ و لم يتبع بالصّلاة على أهل بيتى كان بينها و بين السّماء سبعون حجابا و يقول اللّه جلّ جلاله: لا لبيک و لا سعديک يا ملائكتى لا تصعدوا دعائه إلاّ أن يلحق بالنبىّ عترته، فلا يزال محجوبا حتّى يلحق بى أهل بيتى.

و عن معاوية بن عمّار عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من قال فى يوم مأئة مرّة ربّ صلّ على محمّد و على أهل بيته، قضى اللّه له مأئة حاجة ثلاثون منها للدّنيا، و سبعون منها للآخرة.

و عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ارفعوا أصواتكم بالصّلاة علىّ فانّها يذهب بالنّفاق.

و فى جامع الأخبار عن أبى هريرة أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: من صلّى علىّ فى كتابه لم يزل الملائكة تصلّى عليه ما دام ذلک مكتوبا إلى يوم القيامة.

و فيه أيضا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: من صلّى علىّ مرّة صلّى اللّه عليه ألف مرّة لا يعذّبه «كذا» فى النّار أبدا، و قال: من صلّى علىّ مرّة فتح اللّه عليه بابا من العافية، و قال من صلّى علىّ مرّة لم يبق من ذنوبه ذرّة.

و روى عن عبد اللّه بن مسعود أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: إنّ أولى النّاس فى يوم القيامة أكثرهم صلاة، و قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى الوصية: يا على من صلّى كلّ يوم أو كلّ ليلة وجبت له شفاعتى و لو كان من أهل الكباير.

عن أنس بن مالک قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ أقربكم منّى يوم القيامة فى كلّ موطن أكثركم علىّ صلاة فى دار الدّنيا، و من صلّى فى يوم الجمعة أو فى ليلة

الجمعـة مأئة مرّة قضـى اللّه له مأئة حاجة سـبعين من حوائج الآخرة و ثلاثين من حوائج الدّنيا، ثمّ يوكل اللّه له بكلّ صـلاة ملكا يدخل فى قبرى كما يدخل أحدكم الهدايا و يخبرنى من صلّى علىّ باسمه و نسبه إلى عشيرته فاثبته عندى فى صحيفة بيضاء.

عن الرّضا عليه السّلام من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصّلاة على محمّد و آله فانّها تهدم الذّنوب هدما.

و قال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم من قال: صـلّى اللّه على محمّد و آل محمّد أعطاه اللّه أجر اثنين و سبعين شهيدا و خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه.

روى عن أنس بن مالک عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما من أحد يذكرنى ثمّ صلّى علىّ إلاّ غفر اللّه له ذنوبه و إن كان أكثر من رمل عالج.

و قال صلوات اللّه عليه و آله: من صلّى علىّ يوم الجمعة مأئة مرّة غفر اللّه له خطيئته ثمانين سنة.

و قال صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: من صـلّى علىّ مرّة خلق اللّه تعالى يوم القيامة على رأسه نورا و على يمينه نورا و على شماله نورا و على فوقه نورا و على تحته نورا، و فى جميع، أعضائه نورا.

و قال صلّى اللّه عليه و آله: لن يلج النّار من صلّى علىّ.

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الصّلاة علىّ نور على الصّراط، و من كان له على الصّراط من النور لم يكن من أهل النّار.

و فى رواية عبد الرحمن بن عون أنّه قال: جائنى جبرئيل و قال: إنّه لا يصـلّى عليک أحد إلاّ و يصـلّى عليه سبعون ألف ملک و كان من أهل الجنة.

عن أنس عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: من صلّى علىّ ألف مرّة لم يمت حتّى يبشّر بالجنّة.

و قال قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم من صلّى علىّ و على آلى تعظيما خلق اللّه من ذلک القول ملكا يرى جناح له بالمغرب و الآخر بالمشرق و رجلاه مغموستان من الأرض السّفلى و عنقه ملتوى تحت العرش، فيقول اللّه عزّ و جلّ: صلّ على عبدى كما صلّى

علی النبیّ، فهو یصلّی علیه إلی یوم القیامة إلی غیر هذه من الأخبار المتجاوزة عن حدّ الاحصاء.

و الحمد للّه الذی جعل صلاتنا علیه و آله و ما خصّنا به من ولایتهم طیبا لخلقنا و طهارة لأنفسنا و تزکیة لنا و کفارة لذنوبنا، و له الشّکر علی ما آثرنا بذلک و خصّصنا به دون غیرنا کثیرا کثیرا.

الترجمة

از جمله خطب آن حضرتست که تعلیم فرموده خلق را در آن صلوات فرستادن به پیغمبر را.

ای خداوند ما ای گستراننده گستردها چون هفت طبقه زمین و أی نگه دارندهٔ بلند شده ها چون طبقات چرخ برین و أی مجبول نمایندهٔ قلبها بر فطرت اصلیهٔ آنها که مجبول نموده قلبهای با شقاوت را بشقاوت و قلبهای با سعادت را بسعادت، بگردان شریف ترین درودهای خود را و بلندترین و افزونترین برکتهای خود بر محمّد بن عبد اللّه که بندهٔ برگزیده و رسول پسندیدهٔ تو است که ختم کنندهٔ آن چیزی است که گذشته از پیش از شریعت و ملت، و گشایندهٔ آن چیزیست که بسته شده از باب رشاد و هدایت، و اظهار کنندهٔ دین حق است با بیان درست و حق و دفع کنندهٔ غلبهای باطلان و شکنندهٔ صولتهای گمراهان.

صلوات فرست بر آن حضرت صلواتی که مشابه باشد برسالتی که برداشت آنرا و قوی شد به برداشتن او در حالتی که استاده بود بفرمان تو و صاحب تعجیل بود در تحصیل رضای تو، و در حالتی که جبون نبود از پیشی گرفتن در أداء أوامر شریعت و سست نبود در عزیمت بابلاغ أحکام ملت، نگاه دارنده بود وحی تو را، حفظ کننده بود عهد تو را، گذرنده باجراء فرمان تو تا آنکه برافروخت شعلهٔ نور حق را بجهة طالبین، و روشن ساخت راه شرع متین را از برای خبط کننده و جاهلین، و هدایت یافته شده بوجود مبارک آن قلبها بعد از غوطه خوردن در فتنها، و بر پا نمود علمهای راه نماینده و احکام روشنی دهنده را.

پس او امین تو است و خزینه دار علم مخزون و سرّ مکنون تو، و شاهد تو است در روز جزا و فرستادهٔ تو بسوی خلق بار خدایا گشاده گردان از برای آن حضرت مکان با وسعت در سایهٔ کشیدهٔ خود، و جزا بده او را زیادتیهای خیر را از فضل و رحمت خود.

بار خدایا بلند گردان بر بنای بانیان بنای او را که عبارتست از دین مبین و شرع متین، و گرامی دار نزد خود منزل او را که جنت عدن است و فردوس برین، و تمام گردان از برای او نور او را که احاطه نماید بهمه خلایق، و پاداش ده او را از جهة مبعوث نمودن تو او را شهادت پذیرفته شده و گفتار پسندیده در حالتی که او صاحب نطق عادلست و صاحب خصلت جدا کننده میان حق و باطل.

بار خدایا جمع کن میان ما و میان او در خوشی زندگانی و در ثبات نعمت جاودانی و در مطلوبهای آرزوها و در خواهشات لذّتها و در گشادگی آسایش و راحت و در پایان آرامی و استراحت و در تحفهای کرامت که معدّاست و مهیا برای أهل جنّت.

و من کلام له علیه السلام قاله لمروان بن الحکم

اشارة

بالبصرة و هو الثانی و السبعون من المختار فی باب الخطب

قالوا: اخذ مروان بن الحکم اسیرا یوم الجمل فاستشفع الحسن و الحسین علیهما السّلام إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فکلّماه فیه فخلّی سبیله فقالا له: یبایعک یا أمیر المؤمنین. فقال: أو لم یبایعنی بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لی فی بیعته، إنّها کفّ یهودیّة لو بایعنی بکفّه لغدر بسبّته، أما إنّ له إمرة کلعقة الکلب أنفه، و هو أبو الأکبش الأربعة، و ستلقی الامّة منه و من ولده یوما أحمر.

اللغة

قال الشّارح المعتزلی یقال استشفعت فلانا إلی فلان و سألته ان یشفع لی إلیه و تشفّعت إلی فلان فی فلان فشفّعنی فیه تشفیعا، و قول النّاس استشفعت بفلان إلی فلان لیس بذلک الجید انتهی، و (السّبة) بالفتح الاست، و (الامرة) بالکسر مصدر کالامارة و قیل اسم و (لعقه) کسمعه لحسه لعقة و یضمّ و (کبش) القوم رئیسهم و (الولد) بالتّحریک مفرد و جمع.

الاعراب

فاعل استشفع فی کلام السّید راجع إلی مروان، قوله: انّها وارد فی مقام التّعلیل لعدم الحاجة و حذف منه الجار، و الضّمیر فیه راجع إلی الکفّ المفهوم من البیعة لجریان العادة بوضع المبایع کفّه فی کفّ المبتاع، و یهودیّة بالرّفع صفة لکفّ.

المعنی

اشارة

اعلم أنّ مروان الملعون هو ابن الحکم بن أبی العاص بن امیّة بن عبد شمس ابن عبد مناف، و کان أبوه الحکم لعنه اللّه عمّ عثمان بن عفّان و قد طرده رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و نفاه عن المدینة مع ابنه مروان، و کان مروان یومئذ طفلا فلم یزالا بالطایف حتّی ولی عثمان فردّه إلی المدینة مع ولده.

و اختلف فی السّبب الموجب لنفیه له فقیل: إنّه یتحیل و یستخفی و یسمع ما یسرّه رسول اللّه إلی أکابر الصّحابة فی مشرکی قریش و سایر الکفّار و المنافقین، و قیل: یتجسّس علی رسول اللّه و هو عند نسائه و یصغی إلی ما لا یجوز الاطلاع علیه ثمّ یحدّث به المنافقین علی طریق الاستهزاء، و قیل: کان یحکیه فی بعض مشیه و بعض حرکاته، فقد قیل: إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إذا مشی یتکفّاء، و کان الحکم بن العاص یحکیه و کان شانئا له حاسدا مبغضا، فالتفت رسول اللّه یوما فرآه یمشی خلفه یحکی فی مشیته فقال له کذلک فلتکن یا حکم، فکان الحکم مختلجا یرتعش من یومئذ.

و فی شرح المعتزلی من کتاب الاستیعاب باسناد ذکره عن عبد اللّه بن عمرو بن

العاص أنّ الرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يدخل عليكم رجل لعين، قال: و كنت قد رأيت أبى يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول اللّه فلم أزل مشفقا أن يكون أوّل من يدخل، فدخل الحكم بن أبى العاص.

و عن النّهاية فى حديث عايشة قالت لمروان: إنّ اللّه لعن أباك و أنت فضض من لعنة اللّه أى قطعة و طائفة منها، و رواه بعضهم فظاظة من لعنة اللّه بظائين من الفظيظة و هو ماء الكرش. و قال الزّمخشرى افتظظت الكرش اعتصرت مائها كأنّها عصارة من لعنة اللّه.

و كيف كان فهو الطريد ابن الطريد، و اللعين ابن اللعين و منافق ابن منافق، و لذلک أنّ الحسنين عليهما السّلام لمّا قالا لأمير المؤمنين عليه السّلام إنّه يبايعک يا أمير المؤمنين فقال (أ و لم يبايعنى بعد قتل عثمان) فغدر و حضر فيمن حضر حرب الجمل (لا حاجة لى فى بيعته إنّها) أى كفّه (كفّ يهوديّة) غادرة و النّسبة إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم كما نبّه عليه السّلام على ذلک بقوله (لو بايعنى بيده لغدر بسبّته) أراد أنّه لو بايع فى الظاهر لغدر فى الباطن و ذكر السّبة إهانة له.

(أما انّ له امرة كلعقة الكلب أنفه) أشار بذلک إلى قصر مدّة امارته، فقد قيل: انّه ولى الأمر تسعة أشهر، و قيل: ستّة أشهر، و قيل أربعة أشهر و عشرة أيّام (و هو أبو الكبش الأربعة) فسّر الأكثر ذلک ببنى عبد الملک بن مروان: الوليد، و سليمان، و يزيد، و هشام، و لم يل الخلافة من بنى اميّة و لا من غيرهم أربعة اخوة إلاّ هؤلاء.

قال المعتزلى: و عندى أنّه يجوز أن يعنى به بنى مروان لصلبه، و هم عبد الملک الذى ولى الخلافة، و بشر الذى ولى العراق، و محمّد الذى ولى الجزيرة، و عبد العزيز الذى ولى مصر، و لكلّ منهم آثار مشهورة (و ستلقى الامّة منه و من ولده يوما أحمر) أى شديدا و فى بعض النّسخ موتا أحمر و هو كناية عن القتل.

تكملة

هذا الكلام مروىّ بنحو آخر، و هو ما رواه فى البحار من الخرائج عن

ابن الصّير فی عن رجل من مراد قال: كنت واقفا على رأس أمير المؤمنين عليه السّلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عبّاس بعد القتال فقال: إنّ لی حاجة فقال ما اعرفنی ما الحاجة التی جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم؟ قال: نعم اريد أن تؤمنه قال أمنته و لكن اذهب و جئنی به و لا تجئنی به إلاّ رديفا فانّه أذلّ له.

فجاء به ابن عباس رد فاخلفه كانّه قرد قال أمير المؤمنين عليه السّلام: أ تبايع؟ قال:

نعم، و فی النّفس ما فيها قال: اللّه أعلم بما فی القلوب فلمّا بسط يده ليبايعه أخذ كفّه عن كفّ مروان فترها فقال لا حاجة لی فيها إنّها كفّ يهوديّة لو بايعنی بيده عشرين مرّة لنكث باسته، ثمّ قال:

هيه هيه يابن الحكم خفت على رأسک أن تقع فی هذه المعمعة، كلاّ و اللّه حتّی يخرج من صلبک فلان و فلان يسومون هذه الامّة خسفا و يسقونه كاسا مصبرة قال المجلسی: قوله فترّها، كذا فی أكثر النّسخ باليّاء و الرّاء المهملة فی القاموس ترّ العظم و يترّ تريرا و ترور ابان و انقطع، و قطع كأترّ و التّترتر كالتزلزل و التّقلقل، و فی بعض النّسخ فنثرها بالنّون و الثّاء المثلثة أی نفضها، و فی بعضها فنترها بالنّون و التّاء المثنّاة من النّترو هو الجذب بقوّة و فی القاموس يقال لشیء يطرد هيه هيه بالكسر و هی كلمة استرادة أيضا، و فی النّهاية المعامع شدّة الموت و الجدّ فی القتال و المعمعة فی الاصل صوت الحريق و المعمعان شدّة الحرّ.

أقول: و لعله أراد بقوله كأسا مصبرة كأسا مرّا كان فيها صبرا.

الترجمة

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضرت است كه فرمود از برای مروان بن حكم در شهر بصره، راويان گويند كه گرفتند مروان بن حكم را اسير در روز حرب جمل پس شفيع نمود حسن و حسين عليهما السّلام را مروان بسوی أمير المؤمنين عليه السّلام پس سخن گفتند آن دو بزرگوار بآن حضرت در خصوص آن بی اخلاص، پس رها كرد آن را، پس عرض كردند ايشان كه بيعت میكند مروان بتو ای أمير مؤمنان پس آن حضرت فرمود كه:

آیا بیعت نکرد آن بیـدین بعد از کشـته شدن عثمان لعین هیچ حاجت نیست مرا در بیعت آن بدبخت، بدرستی که دست آن ملعون دسـت یهودی است یعنی مثل طائفـهٔ یهود مکار و غـدار است اگر بیعت کند بمن بدست خود هر آینه غدر کند باد بر خود، یعنی اگر ظاهرا بیعت نماید باطنا نقض آن را خواهد نمود.

آگاه باشـد که بـدرستی باشـد او را امارتی بغایت کوتاه مانند لیسـیدن سک بینی خود را و او است پدر چهار رئیس، مراد عبد الملک و عبد العزیز و بشـر و محمّد است که همه پسران مروان بودند، و زود باشد که برسند این امت از جانب مروان و از جانب پسران او روز با شدّت، مراد قتل و غارتیست که از ایشان صادر شد.

و من کلام له علیه السلام لما عزموا علی بیعة عثمان

اشارة

و هو الثالث و السبعون من المختار فی باب الخطب

لقد علمتم أنّی أحقّ بها من غیری، و و اللّه لاسـلّمنّ ما سـلمت أمور المسلمین، و لم یکن فیها جور إلاّ علیّ خاصّة التماسا لأجر ذلک من فضله، و زهدا فیما تنافستموه من زخرفها و زبرجها.

اللغة

(نافست) فی الشـیء منافسة و نفاسا إذا رغبت فیه علی وجه المباراة و (الزّخرف) بالضمّ الذّهب و کمال حسن الشـیء قال تعالی: «حَتّی إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها » و (الزّبرج) بالکسر الزّینة.

الاعراب

کلمة ما فی قوله ما سلمت ظرفیّة مصدریة، و خاصّة منصوب علی الحالیّة، و التماسا مفعول له و العامل لاسلّمن و من زخرفها بیان لما.

المعنى

المستفاد من شرح المعتزلى أنّ هذا الكلام صدر منه عليه السّلام بعد أن بايع أهل الشّورى عثمان و عدّ عليه السّلام فضائله و سوابقه، و ناشد أصحاب الشّورى فقطع عبد الرّحمن ابن عوف كلامه و قال يا على: قد أبى النّاس إلاّ على عثمان فلا تجعلنّ على نفسك سبيلا، ثمّ قال عليه السّلام: يا با طلحة ما الذى أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شقّ عصا الجماعة، فقال عبد الرّحمن لأمير المؤمنين بايع إذن و إلاّ كنت متّبعا غير سبيل المؤمنين و انفذنا فيك ما أمرنا به فعند ذلك قال:

(لقد علمتم أنّى أحقّ بها) أى بالخلافة المستفادة من قرينة المقام (من غيرى) لاستجماعه عليه السّلام الكمالات النّفسانية و الفضايل الدّاخليّة و الخارجيّة مضافا إلى وصية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بها، فيكون أولى و أحقّ و ذلك لا يستلزم كون غيره حقيقا أيضا إذا سم التّفضيل فى كلامه نحوه فى قوله تعالى:

«قُلْ أَ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ».

ثمّ نبه عليهما السّلام على أنّ رغبته فيها ليست حرصا على زخارف الدّنيا و زينتها و امارتها كما هى فى غيره، و إنّما هى لرعاية مصلحة الاسلام و صلاح حال المسلمين فقال (و و اللّه لاسلمنّ) و أتركن المخالفة (ما سلمت امور المسلمين) أى مهما كان فى تسليمى سلامة امور المسلمين (و لم يكن فيها جور إلاّ علىّ خاصّة) و إنّما سلمت ذلك (التماسا لأجر ذلك من فضله) أى لأجر المظلوميّة و الجور الواقع فى حقّى من فضل اللّه سبحانه (و زهدا فيما تنافستموه) و رغبة عمّا رغبتم فيه (من زخرفها و زبرجها) أى ذهب الدّنيا و زينتها.

قال المحدّث المجلسى: فى هذا الكلام دلالة على أنّ خلافة غيره جور مطلقا و أنّ التّسليم على التّقدير المفروض و هو سلامة امور المسلمين و إن لم يتحقّق الفرض لرعاية مصالح الاسلام و التّقية انتهى.

و بذلك يظهر ما فى كلام الشّارح المعتزلى حيث قال:

فان قلت: فهلاّ سلم إلى معاوية و إلى أصحاب الجمل و اغضى على اغتصاب

حقّه حفظا للاسلام من الفتنة.

قلت: إنّ الجور الدّاخل عليه من أصحاب الجمل و من معاوية و أهل الشّام لم يكن مقصورا عليه خاصّة، بل كان يعمّ الاسلام و المسلمين جميعا، لأنّهم عنده لم يكونوا ممّن يصلح لرياسة الامّة و تحمّل أعباء الخلافة، فلم يكن الشّرط الذى اشترطه متحقّقا و هو قوله: و لم يكن فيها جور إلاّ علىّ خاصّة.

ثمّ قال: و هذا الكلام يدلّ على أنّه عليه السّلام لم يكن يذهب إلى أنّ خلافة عثمان تتضمّن جورا على المسلمين و الاسلام و إنّما يتضمّن جورا عليه خاصّة و إنّما وقعت على جهة مخالفة الاولى لا على جهة الفساد الكلّى و البطلان الأصلى و هذا محض مذهب أصحابنا انتهى.

و أقول: أماما ذكره من التفرقة بين المتخلّفين الثلاثة و بين النّاكثين و القاسطين بكون جور الأولين مقصورا عليه خاصّة و جور الآخرين عامّا له و للاسلام و المسلمين، فضعيف جدّا كضعف توهّمه صلاحية الأوّلين عنده عليه السّلام لرياسة الامة و عدم صلاحية الآخرين لها.

أما أولا فلمنع انحصار جور الأولين فيه خاصّة ألم يبعث الأوّل خالد بن الوليد لعنه اللّه إلى مالک بن نويرة فقتله و أصحابه و زنى امرئته بمجرّد امساكه عن الزكاة و منع بضعة الرّسول من فدک أليس جورا بيّنا و ظلما فاحشا فضلا عن ساير ما صدر عنه؟ أو لم يأمر الثّانى باحراق بيت الصّديقة و منعها حقّها و أعطى عايشة و حفصة عشرة آلاف درهم فى كلّ سنة و ظلم المسلمين فى بيت مالهم؟ أولا تنظر إلى الثّالث كيف اخرج أبى ذر إلى الرّبذة و كسر ضلع عبد اللّه بن المسعود و حمل بنى أبى معيط على رقاب النّاس و أتلف مال المسلمين و ظلمهم فى حقّهم و قام معه بنو اميّة «أبيه» يخضمون مال اللّه خضم الابل نبتة الرّبيع؟ و لو لم يكن منهم جور إلاّ فى حقّه عليه السّلام لكفى فى بطلان خلافتهم إذ الجائر لا يكون إماما لقوله تعالى:

«لا يَنالُ عَهْدِی الظّالِمِينَ ».

و اما ثانيا فلمنع صلاحيّة الأولين عنده عليه السّلام للرياسة، و كيف يتوّهم ذلک مع تصريحه فی الخطبة الشّقشّقية و غيرها ممّا مرّت و يأتی بعد ذلک ببطلان خلافتهم و اغتصابهم حقّه فضلا عما حقّقنا سابقا فی غير موضع فساد خلافتهم و بطلان دعواهم لها.

فان قلت: فلم أمسک عنهم و نهض إلی معاوية و أصحاب الجمل؟ قلت: قد بيّنا جواب ذلک فيما سبق و قلنا إنّ إمساكه النكير علی الأوّلين لعدم وجود ناصر و معين له يومئذ ينصره و يحمی له فأمسک عنهم تقيّة و حقنا لدمه بخلاف يوم الجمل، و صفّين كما مر تفصيلا فی تنبيهات كلامه السّابع و الثّلاثين، و بالجملة لا ريب فی بطلان خلافة الجميع و كون الكلّ جائرا ظالما فی حقّه و فی حقّ المسلمين، غاية الأمر أنّ معاوية و أصحاب الجمل هتكوا حرمة الاسلام بالمرّة و أعلنوا بعداوته عليه السّلام و شهر و اسيوفهم عليه، و الأولين لم يبلغوا هذه المثابة.

و بهذا كلّه ظهر فساد ما توّهمه أخيرا و نسبه إليه عليه السّلام من عدم ذهابه إلی بطلان خلافة عثمان أصلا و رأسا و إنّما كان يذهب إلی أنّها متضمنة للجور عليه خاصة فافهم جيدا.

الترجمة

از جمله كلام آن امام همام است كه فرموده در زمانی كه عزم كردند أهل شوری ببيعت عثمان.

بتحقيق هر آينه دانسته ايد كه آنكه بدرستی من سزاوارترم بخلافت از غير من و قسم بذات خداوند كه هر آينه تسليم ميكنم مادامی كه سلامت باشد كارهای مسلمانان و نباشد در خلافت ديگران ستمی مگر بر من تنها از جهت خواهش نمودن ثواب آنرا از فضل خداوند تبارک و تعالی و از جهت اعراض نمودن در آنچه شما رغبت نموديد در آن از طلای آن و زينت و آرايش آن.

و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بنى امية

اشارة

له بالمشاركة فى دم عثمان و هو الرابع و السبعون

من المختار فى باب الخطب

أو لم ينه أميّة علمها بى عن قرفى؟ أو ما وزع الجهّال سابقتى عن تهمتى؟ و لما وعظهم اللّه به أبلغ من لسانى أنا حجيج المارقين، و خصيم المرتابين، و على كتاب اللّه تعرض الأمثال، و بما فى الصّدور تجازى العباد

اللغة

قوله (أو لم ينه اميّة) فى بعض النّسخ بنى امية و كلاهما صحيحان، و المراد القبيلة يقال كليب و بنو كليب و يراد بهما القبيلة قال الشّاعر:

أشارت كليب بالأكفّ الأصابع

و قال آخر:

أبنى كليب إنّ عمّى اللّذا

و (قرف) فلانا من باب ضرب اتّهمه و عابه و (وزعه) عنه صرفه و كفّه و (السّابقة) الفضيلة و التّقدّم و (الحجيج) المحاج من حجّ فلان فلانا اذا غلبه بالحجة و (المارق) الخارج من الدّين و (الخصيم) المخاصم.

الاعراب

الهمزة فى قوله أ و لم ينه و أ و ما وزع استفهام على سبيل الانكار التّوبيخى نحو قوله تعالى:

«أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ »...، «أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ ».

و الواو فى قوله و لما وعظهم يحتمل القسم و الاستيناف و الحال.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له وارد فى توبيخ بنى امية و الطعن عليهم، فانّه عليه السّلام لما بلغه اتّهامهم له بالمشاركة فى دم عثمان و بخهم بقوله (أ و لم ينه اميّة علمها بى عن قرفى) قال الشّارح المعتزلى: يقول عليه السّلام أما كان فى علم بنى اميّة بحالى ما ينهيها عن قرفى و اتّهامى بدم عثمان، و حاله التى أشار إليها و ذكر أنّ علمهم بها يقتضى أن لا يقرفوه بذلك هى منزلته فى الدّين التى لا منزلة أعلى منها، و ما نطق به الكتاب الصّادق من طهارته و طهارة بنيه و زوجته فى قوله:

«إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

و قول النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنت منّى بمنزلة هارون من موسى، و ذلك يقتضى عصمته عن الدّم الحرام كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك ثمّ أكّد ذلك بقوله (أ و ما وزع الجهال) و ردعهم (سابقتى) فى الاسلام (عن تهمتى) ثمّ اعتذر عليه السّلام لنفسه فى عدم تاثير موعظته فيهم بقوله (و لما وعظهم اللّه به) فى كتابه (ابلغ من لسانى) و قولى.

يعنى انّ كلام اللّه سبحانه مع كونه أبلغ الموعظة و أكمل فى الرّدع و التحذير لا يوجب و زعهم و ردعهم عن القول و الاعتقاد بما لا يجوز و لا يؤثر فيهم، فكيف بكلامى و هذا الكلام نظير قوله فى الخطبة الرّابعة: و قر سمع لم يفقه الواعية و كيف يراعى النبأة من أصمّته الصّيحة، و المراد بما و عظهم اللّه به الآيات النّاهية عن الظنّ و الرّادعة عن الغيبة و المحذرة من ايذاء المؤمنين مثل قوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لا تَجَسَّسُوا وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ» و قوله: «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً».

إلى غير ذلک و هو كثير فى القرآن ثمّ قال (أنا حجيج المارقين و خصيم المرتابين) أى مغالب الخارجين عن الدّين باظهار الحجة عليهم فى الدّنيا و الآخرة و مخاصم الشّاكين فى الدّين أو فى كلّ حقّ فى خصوص الامامة من بنى اميّة و غيرهم.

روى فى غاية المرام عن الشّيخ فى أماليه باسناده عن قيس بن سعد بن عبادة قال: سمعت علىّ بن أبى طالب يقول: أنا أوّل من يجثو بين يدى اللّه عزّ و جلّ للخصومة أقول: و إلى تلک المخاصمة اشيرت فى قوله تعالى:

«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ ما فِى بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ».

روى فى غاية المرام عن ابن بابويه مسندا عن النّصر بن مالک قال: قلت للحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السّلام: يا أبا عبد اللّه حدّثنى عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ ».

قال: نحن و بنو اميّة اختصمنا فى اللّه عزّ و جلّ قلنا صدق اللّه و قالوا كذب اللّه فنحن و إيّاهم الخصمان يوم القيامة.

و من كشف الغمة عن مسلم و البخارى فى حديث فى قوله تعالى:

«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا ».

نزلت فى علىّ و حمزة و عبيدة بن الحارث الذين بارزوا المشركين يوم بدر عتبة و شيبة ابنار بيعة و الوليد بن عتبة.

و من تفسير علىّ بن إبراهيم فى معنى الآية قال: قال يعنى الصّادق عليه السّلام نحن و بنو امية نحن قلنا صدق اللّه و رسوله، و قالت بنو اميّة كذب اللّه و رسوله:

«فَالَّذِينَ كَفَرُوا » يعنى بنى أميّة «قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ »

إلى قوله «حديد».

قال قال عليه السّلام: تشويه النار فتسترخى شفته السفلى حتّى يبلغ سرّته و تتعلّق شفته العليا حتّى تبلغ وسط رأسه، و لهم مقامع من حديد، قال: قال الأعمدة التى يضربون بها.

و من تفسير الثعلبى فى تفسير قوله تعالى:

«ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ » قال: روى خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن أبى سعيد الخدرى قال: كنا نقول ربّنا واحد و نبيّنا واحد و ديننا واحد فما هذه الخصومة، فلما كان يوم صفين و شدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا، ثمّ قال عليه السّلام (و على كتاب اللّه تعرض الأمثال) يريد نحو قوله تعالى:

«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا » الآية. و قوله تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّارِ ».

روى فى غاية المرام من طريق العامة عن ابن عبّاس فى قوله:

«أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ » قال على و حمزة و عبيدة «كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ » عتبة و شيبة و الوليد بن عتبة «أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ » هؤلاء علىّ و أصحابه «كَالْفُجّارِ » عتبة و أصحابه، و قوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ ».

قال ابن عبّاس فالذين آمنوا بنو هاشم و بنو عبد المطلب، و الذين اجترحوا السّيئات بنو عبد شمس، و قال بعضهم لما كان فى أقواله و أفعاله عليه السّلام ما يشبه الأمر بالقتل أو

فعله فأوقع فی نفوس الجهّال شبهة القتل نحو ما روی عنه علیه السّلام اللّه قتله و أنا معه و کتخلّفه عن الخروج یوم قتل عثمان حسبما تقدّم فی شرح کلامه التاسع و العشرین فقال علیه السّلام: ینبغی أن یعرض ذلک علی کتاب اللّه فان دلّ علی کون شیء من ذلک قتلا فیحکم به و إلاّ فلا و لن یدلّ علیه أبدا.

قال المحدّث العلاّمة المجلسی: و یحتمل أن یراد بالأمثال الحجج أو الأحادیث کما ذکر فی القاموس أی ما احتجّ به فی مخاصمة المارقین و المرتابین و ما یحتجّون به فی مخاصمتی ینبغی عرضها علی کتاب اللّه حتّی یظهر صحّتهما و فسادهما، أو ما یسندون إلیّ فی أمر عثمان و ما یروی فی أمری و أمر عثمان یعرض علی کتاب اللّه (و بما فی الصّدور تجازی العباد) أی بالنیّات و العقائد أو بما یعلمه اللّه من مکنون الضّمایر لا علی وفق ما یظهره المتخاصمون عند الاحتجاج یجازی اللّه العباد.

الترجمة

از جمله کلام آن عالی مقام است در حینی که رسید بأو متّهم کردن بنی امیه او را بشریک شدن او در خون عثمان علیه اللّعنة و النّیران.

آیا نهی کرد بنی امیه را علم ایشان بحالت من از متّهم داشتن من، آیا منع و ردع نکرد جاهلان را سابقهٔ فضیلت من از اتّهام من و هر آینه آنچه که موعظه فرموده است خداوند ایشان را بأو ابلغ است از کلام من، من احتجاج کننده ام با کسانی که از دین خارجند و خصومت کننده ام با اشخاصی که در دین شک دارند بر کتاب خدا عرض و تطبیق شود شبه ها و مثلها و به آن چه در سینهاست از اعتقادهای نیک و بد جزا داده میشوند بندگان در این جهان و آن جهان.

و من خطبة له علیه السلام و هی الخامسة و السبعون

اشارة

من المختار فی باب الخطب

رحم اللّه عبدا «امرء» سمع حکما فوعی، و دعی إلی رشاد فدنی،

و أخـذ بحجزة هاد فنجى، راقب ربّه، و خاف ذنبه، قـدّم خالصا، و عمل صالحا، اكتسب مـذخورا، و اجتنب محـذورا، رمى غرضا، و أحرز عوضا، كابر هواه، و كـذّب مناه، جعل الصّبر مطيّـة نجاته، و التّقوى عـدّة وفاته، ركب الطّريقة الغرّاء، و لزم المحجّة البيضاء، اغتنم المهل و بادر الأجل، و تزوّد من العمل.

اللغة

(و عيت) الحـديث حفظته قال تعالى: «وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَـةٌ » و (الحجزة) بالضمّ معقد الازار و (رقبته) أرقبه من باب قتل حفظته و أنا رقيب و راقبت اللّه خفت عـذابه و (اكتسب) بمعنى كسب و (الغرض) ما يرمى بالسّـهام و فى بعض النّسخ عرضا بالعين المهملة و هو متاع الدّنيا و (كابرته) مكابرة غالبته و عاندته، و فى بعض النّسخ كاثر بالثاء المثلثة و هو بمعنى غالب أيضا، يقال: كاثرناهم فكثرناهم أى غلبناهم بالكثرة و (المطيّـة) المركب و (الغرّاء) و (البيضاء) بمعنى و (المحجّـة) بالفتـح معظم الطريق و (المهل) بالفتـح فالسّـكون و بفتحتين أيضا اسم من المهلة أو مصدر

الاعراب

جملـة سـمع و ما بعدها منصوب المحل على الوصـفيّة و قوله: راقب ربّه، و قدّم خالصا، و ما بعدهما من الافعال بحذف العواطف فيها نوع من الفصاحة كثير فى استعمالهم قال سبحانه:

«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ لِسَعْيِها راضِيَةٌ فِى جَنَّةٍ عالِيَةٍ لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ فِيها سُرُرٌ ».

و ربّه و ذنبه مفعولاـن بالواسـطةو نسـبة الخوف إلى الـذّنبمجاز لأنّه انّما هو من اللّه سـبحانه إلاّ أنّه لمّا كان سـببه الـذّنب نسب إليه و حقيقة الكلام خاف من اللّه

لأجل ذنبه.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام ترحّم فى كلامه ذلک على عبد اتّصف بما ذكر فيه من الأوصاف و فيه حثّ و ترغيب على ملازمة تلک الصّفات و الاتّصاف بهذه الأوصاف و هى على ما ذكره عليه السّلام عشرون.

الأوّل ما أشار إليه بقوله (رحم اللّه عبدا سمع حكما فوعى) أراد بالحكم الحكمة الأعمّ من العلميّة و العمليّة كما فى قوله تعالى:

«وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ».

الثّانى قوله (و دعى إلى رشاد فدنى) أى الى رشد و هداية فدنى من الداعى و قرب من المرشد و الهادى.

الثّالث قوله (و أخذ بحجزة هاد فنجى) أى اعتصم به و التجأ إليه و استهدى به فهداه من الضّلالة و انقذه من الجهالة فاهتدى و نجى من الهلكة و امن من العقوبة و الهادى فى كلامه و إن كان مطلقا إلاّ أنّ الأظهر عندى أنّ المراد به الأئمة الذين يهدون بالحقّ و به يعدلون، فيكون المراد بالأخذ بحجزتهم المتمسّكين بحبل الولاية و المقتبسين من أنوارها، و يدلّ على ما استظهرته ما ورد فى تفسير قوله تعالى انّما انت منذر و لكلّ قوم هاد، بطرق كثيرة أنّ الهادى هو أمير المؤمنين و ولده المعصومون سلام اللّه عليهم أجمعين.

فمنها ما فى غاية المرام من تفسير العياشى عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: قال أمير المؤمنين: فينا نزلت هذه الآية:

«إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ».

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنا المنذر و أنت الهادى يا علىّ، فمنّا الهادى و النّجاة و السّعادة إلى يوم القيامة.

و منه أيضا عن بريد، عن معاوية عن أبى جعفر عليه السّلام

«إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ».

فقال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنا المنذر و فى كلّ زمان إمام منّا يهديهم إلى ما جاء به نبيّ اللّه و الهداة من بعده علىّ ثمّ الأوصياء من بعده واحد بعد واحد، و اللّه ما ذهبت منّا و ما زالت فينا إلى السّاعة، رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنذر و بعلىّ يهتدى المهتدون.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيرة بالغة حدّ الاستفاضة يطول الكتاب بذكرها و قد روى فى غاية المرام ثلاثين رواية من طريق العامّة و الخاصّة فى ذلك من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

الرابع قوله (راقب ربّه) و المراقبة احدى ثمرات الايمان و هى على ما قيل رتبة عظيمة من رتب السّالكين، و حقيقتها أنّها حالة للنّفس يثمرها نوع خاص من المعرفة و لها تأثير خاصّ فى القلب و الجوارح أمّا الحالة فهى مراعات القلب للرّقيب و اشتغاله به، و أما العلم المثمر لها فهو العلم بأنّ اللّه تعالى مطلع على الضمائر و السّرائر قائم على كلّ نفس بما كسبت كما قال تعالى:

«إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ».

فهذه المعرفة إذا استولت على القلب و لم يبق فيها شبهة فلا بدّ أن تجذ به إلى مراعات الرّقيب، و الموقنون بهذه المعرفة طائفتان.

احداها الصّديقون و مراقبتهم التّعظيم و الاجلال و استغراق قلبهم بملاحظة ذلک الجلال و الانكسار تحت الهيبة و العظمة بحيث لا يبقى فيه مجال للالتفات إلى الغير أصلا، و جوارحهم معطلة عن الالتفات و التلفّت إلى المباحات فضلا عن المحظورات و إذا تحرّكت بالطاعة كانت كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها و لا يحتاج إلى تدبير فى ضبطها على سنن السّداد، و من نال هذه المرتبة فقد يغفل عن الخلق حتّى لا يبصرهم و لا يسمع أقوالهم.

و الطائفة الثّانية الورعين من أصحاب اليمين و هم قوم غلب بعض اطلاعات اللّه على قلوبهم و لكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال، بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متّسعة

للتّلفت، إلى الأقوال و الأعمال إلاّ أنّها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبة فقد غلب الحياء من اللّه على قلوبهم فلا يقدمون و لا يجحمون «يحجمون» إلاّ عن تثبّت فيمتنعون عن كلّ أمر فاضح يوم القيامة إذ يرون اللّه مشاهدا لأعمالهم فى الدّنيا كما يرونه مشاهدا فى القيامة.

و لا بدّ لأهل هذه الدّرجة من المراقبة فى جميع حركاته و سكناته و يلزم عليه أن يرصد كلّ خاطر يسنح له، فان كان إلهيّا يعجل مقتضاه، و إن كان شيطانيّا يبادر إلى قمعه، و إن شكّ فيه توقف إلى أن يظهر له بنور الحقّ من أىّ جانب هو روى فى الوسائل عن محمّد بن يعقوب عن علىّ بن إبراهيم مسندا عن داود الرّقى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ».

قال: من علم أنّ اللّه يراه أو يسمع ما يقول و يعلم ما يفعله من خير أو شرّ فيحجزه ذلک عن القبح من الأعمال فذلک الذى خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى.

الخامس قوله (و خاف ذنبه) و الخوف توقّع حلول مكروه أو فوات محبوب و إذا علق بالذّوات كما تقول خفت اللّه و خفت زيدا فمعناه توقّع مكروه أو حرمان يقع من جهته و إلاّ فالذّوات لا يتعلّق بها خوف فمعنى الخوف من الذّنب الخوف ممّا يكون الذّنب سببا له من العقوبة الدّنيويّة أو الاخروية أو نقصان الدّرجة و انحطاط الرّتبة و حرمان الجنّة.

قال بعض العلماء: خوف الخائفين من اللّه قد يكون لامور مكروهة لذاتها و قد يكون لامور مكروهة لادائها إلى ما هو مكروه لذاته.

أمّا القسم الأوّل فمثل أن يتمثّل فى نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت و شدّته أو سؤال القبر أو عذابه أو هول الموقف بين يدى اللّه تعالى و الحياء من كشف السّتر و السؤال عن كلّ صغيرة و كبيرة، أو الخوف عن المرور على الصّراط مع حدّته أو من النّار و أهوالها و أغلالها أو من حرمان الجنّة أو من نقصان الدّرجات فيها أو خوف الحجاب من اللّه، و كلّ هذه الأسباب مكروهة فى أنفسها و يختلف أحوال

السّالكين إلى اللّه فيها و أعلاها رتبـة خوف الفراق و الحجاب عن اللّه و هو خوف العارفين و ما قبل ذلک فهو خوف العابـدين و الصّـلحاء و الزاهدين.

و أما القسم الثّانى فأقسام كثيرة كخوف الموت قبل التّوبـة أو خوف نقض التّوبة أو خوف الانحراف عن القصد فى عبادة اللّه أو خوف استيلاء القوى الشّـهوانيّة بحسب مجرى العادة فى اسـتعمال الشّـهوات المألوفـة أو خوف تبعات النفس عنـده أو خوف سوء الخاتمة أو خوف سـبق الشّقاوة فى علم اللّه، و كلّ هذه و نحوها مخاوف عباد اللّه الصّالحين و أغلبها على قلوب المتّقين خوف الخاتمة فانّ الأمر فيه خطير.

قال بعض اولى الالباب: إذا اسكن الخوف القلب أحرق الشّهوة و أطرد عنه الغفلة.

السّادس قوله (قدّم خالصا) قال الصّادق عليه السّلام العمل الخالص الذى لا تريد أن يمدحک عليه أحد إلاّ اللّه و هذا هو معنى الاخلاص قال تعالى:

«وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ».

و للقوم فى تعريف الاخلاص عبارات فقيل: هو تصـفية العمل عن ملاحظة المخلوقين حتّى عن ملاحظة النفس فلا يشهد غير اللّه، و قد مرّ تفصـيل ذلک فى شرح الخطبة الاولى عند قوله عليه السّلام و كمال توحيده الاخلاص له، و قيل: هو تنزيه العمل عن ان يكون لغير اللّه فيه نصـيب، و قيل: هو إخراج الخلق عن معاملة الحقّ، و قيل: هو ستر العمل من الخلايق و تصـفيته من العلايق، و قيل: إنّه لا يريد عامله عليه عوضا فى الـدّارين و هـذه درجة رفيعة و اليها أشار أمير المؤمنين و سـيّد الموحّدين بقوله: ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فى جنّتک و لكن وجدتک أهلا للعبادة فعبدتک.

السّابع قوله (و عمل صالحا) و العمل ما صدر عن الحيوان بقصده قلبيّا أو قالبيّا فهو أخصّ من الفعل، و المراد بالعمل الصّالح إتيان المأمور به كما امر به و يقابله العمل الفاسد قال تعالى:

«فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ».

و قال فی سورة الفاطر: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ ».

قال الصّادق علیه السّلام: الكلم الطيّب قول المؤمن لا إله إلا اللّه محمّد رسول اللّه علیّ ولیّ اللّه و خليفة رسول اللّه قال علیه السّلام: و العمل الصّالح الاعتقاد بالقلب أنّ هذا هو الحقّ من عند اللّه لا شكّ فيه من ربّ العالمين.

أقول: و لعلّ مقصوده علیه السّلام أنّ العمل الصّالح الموجب لرفع الكلم الطيّب بالمعنى الذی ذكره هو الاعتقاد الذی نبّه عليه، لما قد علمت أنّ متعلق العمل أعمّ من الاعتقاد.

الثّامن قوله (اكتسب مذخورا) أی ذخيرة مرجوّة ليوم فاقته و زادا معدّا لوقت حاجته و خير الزّاد هو التّقوى كما أفصح به الكتاب المبين و صرّح به أخبار سيّد المرسلين.

التّاسع قوله (و اجتنب محذورا) أی تجنّب ممّا يلزم الحذر منه و يجب الاحتراز عنه و هو مخالفة الأوامر الشّرعيّة و منابذة التكاليف الالزاميّة قال سبحانه «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ».

أوجب الحذر لمخالفی أمره من إصابة الفتنة و هی العقوبة الدّنيوية و إصابة العذاب الأليم و هی العقوبة الاخرويّة.

العاشر قوله (رمی غرضا) أی رمی بسهام أعماله الصّالحة الباطنة و الظاهرة فأصاب الغرض غير خاطئة(1) فأدرک مناه و حاز ما تمنّاه، و علی رواية عرضا بالمهملة فالمعنى أنّه رمی عرض الدّنيا و حذف متاعها و رفض حطامها و أخرج حبّها من قلبه علما منه بسرعة زوالها و فنائها.

1- (1) حال من السهام.

الحادی عشر قوله (و احرز عوضا) ای أحرز متاع الآخرة الباقیة الذی هو عوض من متاع الدّنیا الفانیة، و ادّخر ما یفاض علیه من الحسنات و أعدّ ما یثاب علیه من الصالحات.

«وَ الْباقِیاتُ الصّالِحاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَواباً وَ خَیْرٌ أَمَلاً ».

الثّانی عشر قوله (کابر هواه) أی غالب هواه بوفور عقله و یجاهد نفسه الأمارة و یطوّعها لقوّته العاقلة، قوله تعالی:

«وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِیَ الْمَأْوی ».

أی نهی نفسه عن المحارم التی تهویها و تشتهیها فانّ الجنّة مستقرّه و مأواه.

روی فی الوسائل عن الصّدوق باسناده عن الحسین بن زید عن الصّادق عن آبائه علیهم السّلام عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی حدیث المناهی قال: من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة اللّه عزّ و جلّ حرّم اللّه علیه النّار و آمنه من الفزع الأکبر و أنجز له ما وعده فی کتابه:

«وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ».

ألا و من عرضت له دنیا و آخرة فاختار الدّنیا علی الآخرة لقی اللّه عزّ و جلّ یوم القیامة و لیست له حسنة یتّقی بها النّار، و من اختار الآخرة و ترک الدّنیا رضی اللّه عنه و غفر له مساوی عمله.

و عن عبد اللّه بن سنان قال سألت أبا عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق علیه السّلام فقلت الملائکة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب: إنّ اللّه رکب فی الملائکة عقلا- بلا شهوة و رکب فی البهائم شهوة بلا عقل و رکب فی بنی آدم کلتیهما من غلب عقله شهوته فهو خیر من الملائکة و من غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم.

و عن السكونى عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله طوبى لمن ترک شهوة حاضرة لموعد لم يره.

الثالث عشر قوله (و كذب مناه) أى قابل ما يلقيه إليه الشيطان من الأمانى الباطلة بالتكذيب، قال تعالى:

«وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِکَ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً أُولئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً».

قال فى مجمع البيان فى تفسير قوله و لا منينهم يعنى امنينهم طول البقاء فى الدّنيا فيؤثرون بذلک الدّنيا و نعيمها على الآخرة، و قيل معناه أقول لهم ليس ورائكم بعث و لا نشر و لا جنة و لا نار و لا ثواب و لا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبى، و قيل: امنينهم بالأهواء الباطلة الدّاعية إلى المعصية و ازيّن لهم شهوات الدّنيا و زهراتها أدعو كلاّ منهم إلى نوع ميل طبعه إليه فأصدّه بذلک عن الطاعة و القيه فى المعصية.

الرّابع عشر قوله (جعل الصبر مطيّة نجاته) و الصبر قوّة ثابتة و ملكة راسخة بها يقتدر على حبس النفس و منعه عن قبايح اللذات و منى الشهوات و على حمله على مشاق العبادات و التكليفات و على التحمل على المصائب و الآفات و الدّواهى و البليات و بها يحصل النجاة و الخلاص من غضب الجبار و عذاب النار، و لذلک جعلها مطيّة يتمكن بها من الهرب، و الفرار عن العدوّ فى مقام الحاجة و الاضطرار، و الآيات القرآنية و الأخبار المعصومية فى مدحها و فضلها و الحثّ عليها أكثر من أن تحصى و لعلّنا نشبع الكلام فى تحقيقها و بيان أقسامها فى شرح الخطبة المأة و الثانية و السبعين

و نقتصر هنا على بعض ما ورد فيها على ما اقتضاه المقام.

فأقول فى الوسائل من الكافى باسناده عن هشام بن الحكم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا كان يوم القيامة فيقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال من أنتم، فيقولون نحن أهل الصبر، فيقال لهم على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة اللّه و نصبر عن معاصى اللّه فيقول اللّه عزّ و جلّ: صدقوا ادخلوهم الجنة و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

«إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ ».

و عن عمرو بن شمر اليمانى يرفع الحديث إلى علىّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الصّبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، و صبر عند الطاعة، و صبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتّى يردها بحسن عزائها كتب اللّه له ثلاثمأة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين السّماء و الأرض، و من صبر على الطاعة كتب اللّه له ستّمأة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، و من صبر عن المعصية كتب اللّه له تسعمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

و عن عثمان بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال اصبروا على الدّنيا فانّما هى ساعة فما مضى منه لا تجد له ألما و لا سرورا، و ما لم يجىء فلا تدرى ما هو و إنّما هى ساعتك التى أنت فيها، فاصبر فيها على طاعة اللّه و اصبر فيها عن معصية اللّه.

الخامس عشر قوله (و التّقوى عدّة وفاته) قد مرّ معنى التّقوى و بعض ما ورد فيها فى شرح الخطبة الثالثة و العشرين، و أقول هنا إنّ العدّة لما كانت عبارة عمّا أعدّها الانسان و هيّئها لحوادث دهره و ملمّات زمانه و كان الموت أعظم الحوادث، و بالتّقوى يحصل الوقاية من سكراته و غمراته و به يتّقى من شدايد البرزخ و كرباته و يستراح من طول الموقف و مخاوفه، لا جرم جعلها عليه السّلام عدّة للوفاة و وقاية يحصل بها النجاة، و استعار عنها الكتاب المجيد بالزاد فقال:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى ».

بملاحظة أنّ الزّاد لمّا كان هو الطعام الذى يتّخذ للسّفر ليتقوّى به الطبيعة على الحركات الحسيّة و كانت تقوى اللّه ممّا تقوى به النّفس على الوصول إلى حظيرة القدس حسن الاستعارة به عنها لما بين المعنيين من كمال المشابهة و تمامها.

قال بعض العارفين: ليس السّفر من الدّنيا أهون من السّفر فى الدّنيا و هذا لا بدّ له من زاد و كذلک ذلک بل يزداد، فانّ زاد الدّنيا يخلصک عن عذاب منقطع موهوم و زاد الآخرة ينجيک من عذاب مقطوع معلوم، زاد الدّنيا يوصلک إلى متاع الغرور و زاد الآخرة يبلغک دار السّرور، زاد الدّنيا سبب حظوظ النّفس و زاد الآخرة سبب الوصول إلى عتبة الجلال و القدس.

السّادس عشر قوله (ركب الطريقة الغرّاء) أى سلک جادّة الشّريعة الواضحة المستقيمة الموصلة لسالكها الى الجنان و مقام القرب و الرّضوان.

السّابع عشر قوله (و لزم المحجة البيضاء) قال الشّارح البحرانى و الفرق بين ذلک و الذى قبله أنّ الأوّل أمر بركوب الطريقة الغرّاء و الثّانى أمر بلزومها و عدم مفارقتها و انّها و إن كانت واضحة إلاّ أنّها طويلة كثيرة المخاوف و سالكها أبدا محارب للشّيطان و هو فى معرض أن يستزلّه عنها.

الثامن عشر قوله (اغتنم المهل) أى أيام مهلته و هو مدّة عمره و أيّام حياته فى دار الدّنيا.

قال زين العابدين و سيد الساجدين عليه السّلام فى دعاء مكارم الأخلاق من الصّحيفة:

اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و نبّهنى لذكرک فى أوقات الغفلة و استعملنى بطاعتک فى أيّام المهلة و انهج لى إلى محبّتک سبيلا سهلة.

و انّما عبّر عنها بأيّام المهلة لأنّ العناية الأزليّة لمّا كانت مقتضية لسوق النّاقص إلى كماله فاقتضت العناية عدم معاجلة العباد بالعقوبة و السّخط و الأخذ

بالـذّنوب و المعصـية فی هـذه الحياة الـدّنيا ليرجعوا إلی التّوبـة و يراجعوا الانابـة فكأنّه تعالی أمهلهم مدّة حياتهم فی الدّنيا و أنظرهم طول بقائهم فيها و جعلهم فی النّظرة و المهلة.

التّاسع عشـرقوله(بادر الأجل)أی سارع إلی أجله الموعود بصـحبة عمله الصّالح و هو كناية عن جعله الموت نصب عينيه و عدم غفلته عنه و ترقبه له فاذا كان كذلک لا يخاف من حلول الموت و نزوله و لا يبالی أوقع علی الموت أم وقع الموت عليه.

العشـرون قوله (و تزوّد من العمل) أی تزوّد من أعماله الصالحـة لقطع منازل الآخرة نسأل اللّه سـبحانه أن يوفّقنا للاتّصاف بتلک الأوصاف الشّامخة الفايقة حتّی نستوجب بذلک رحمته العامة الواسعة بمحمّد و عترته الطاهرة.

الترجمة

از جمله خطبهای شـريفهٔ آن حضرت است كه می فرمايد: خداوند رحمت كند بندهٔ را كه بشنود حكمت را پس گوش گيرد و حفظ نمايد و خوانده شود به سوی رشد و صلاح پس اجابت كند و نزديک آيد، و بگيرد كمرگاه هدايت كننده را و معتصم او بشود پس نجات يابد، مراقب باشد پروردگار خود را و بترسد از گناه خود، پيش فرستد كردار پاكيزه و عمل كند عمل شايسته، كسب نمايد چيزی را كه ذخيره می شود از برای آخرت، و اجتناب نمايد از چيزی كه باعث حذر است و ندامت.

بيندازد با تير اعمال حسـنه بسوی غرض و نشانه و جمع كند متاع دار جاودانی را بعوض متاع دنيای فانی، غلبه نمايد بهوا و هوس و شـهوات نفسانيه و تكـذيب نمايـد آمال و امانی باطله شـيطانيه بگردانـد صبر و شـكيبائی را مركب نجات خويش و تقوی و پرهيزكاری را توشه وفات خود، سوار بشود بر طريقه روشن شـريعت و لازم شود بر جادهٔ آشكار ملّت، غنيمت شمارد ايام مهلت حياة را و مبادرت نمايد بنيكوكاری قبل از ممات و توشه بگيرد از اعمال صالحه بجهت سفر آخرت.

و من كلام له عليه السلام و هو السادس

اشارة

و السبعون من المختار فى باب الخطب

إنّ بنى أميّة ليفوّقو ننى تراث محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تفويقا، و اللّه لئن بقيت لهم لأنفضنّهم نفض اللّحام الوذام التّربة.

قال السّ يد: و يروى التّراب الوذمة و هو على القلب، قوله عليه السّلام: ليفوقوننى أى يعطوننى من المال قليلا قليلا كفواق الناقة و هى الحلبة الواحدة من لبنها، و الوذام جمع و ذمة و هى الحزّة من الكرش و الكبد يقع فى التراب فتنفض.

اللغة

(التراث) بضمّ التا الارث و التّاء و الهمزة فيهما بدل من الواو، و (نفضه) نفضا من باب قتل حرّكه ليزول عنه الغبار و نحوه فانتفض أى تحرّك لـذلک و نفضت الورق من الشّـجر نفضـا اسـقطته و النفض بفتحتين مـا تساقـط فعل بمعنى مفعول و (اللحام) القصّاب و (الوذام) ككتاب جمع و ذمة محرّكة و (ترب) الشّىء يترب من باب تعب لصق بالتراب، و فى القاموس التّراب بالكسر أصل ذراع الشّاة و منه التراب الوذمة أو هى جمع ترب مخفّف ترب و الصواب الوذام التربة انتهى.

و «الحزّة» بالضمّ القطعة من اللحم و نحوه تقطع طولا و الجمع حزز كغرفة و غرف و «الكرش» لذى الخف و الظلف كالمعدة للانسان.

الاعراب

اضافة تراث إلى محمّد من قبيل الحذف و الايصال أى يفوقوننى تراثى من محمّد و التربة صفة للوذام.

المعنى

اشارة

قوله(انّ بنى اميّة ليفوقوننى تراث محمّد صلّى اللّه عليه و آله تفويقا)اى يعطوننى إرثى من

رسول اللّه و هو الفيء الحاصل ببركته صلوات اللّه عليه و آله قليلا قليلا، استعار لفظ التّفويق عن اعطائهم المال قليلا بمشابهة القلة و كونه فى دفعات كما يدفع الفصيل ضرع امّه لتدر ثم يدفع عنها لتحلب ثمّ يعاد إليها لتدرّ و هكذا، ثمّ قال(و اللّه لئن بقيت)و صرت أميرا(لهم لأنفضنّهم نفض اللحام الوذام التربة).

قيل الظاهر أنّ المراد من نفضهم منعهم من غصب الأموال و أخذ ما فى أيديهم من الأموال المغصوبة و دفع بغيهم و ظلمهم و مجازاتهم بسيئات أعمالهم.

و قال الشّارح البحرانى: أقسم عليه السّلام ان بقى لبنى اميّة ليحرمنهم التّقدم فى الامور، و استعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلک و شبه نفضه لهم بنفض القصاب القطعة من الكبد أو الكرش من التّراب إذا أصابته.

أقول: و الأظهر عندى أنّه شبّههم بالوذام التّربة من حيث إنّ الوذمة إذا وقعت فى التّراب و تلطخت به يتنفّر عنها الطباع و لا يرغب إليها النّاس فينفضها القصاب أى يسقطها و يعزلها عن ساير لحماته لمكان ذلک التنفّر فيقول عليه السّلام: إنّى لو بقيت لهم لاسقطهم عن درجة الاعتبار و اعزلهم عن الامارة و المداخلة لامور المسلمين بحيث لا يرغب إليهم أحد و يتنفّر النّاس عنهم و يكونون حقيرا عندهم كمالا يرغبون إلى الوذام لحقارتها و اللّه العالم بحقايق كلام وليه هذا.

و قد روى عنه عليه السّلام هذا الكلام فى رواية اخرى بزيادة و نقصان و تفاوت لما هنا و هى ما رواها أبو الفرج فى كتاب الأغانى باسناد رفعه إلى الحرب بن جيش قال:

بعثنى سعيد بن العاص و هو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى المدينة و بعث معى هدية إلى علىّ عليه السّلام و كتب إليه أنى لم ابعث إلى أحد ممّا بعثت به اليک إلاّ إلى أمير المؤمنين فلما أتيت عليّا و قرء كتابه قال: لشدّ ما يخطر علىّ بنو اميّة تراث محمّد أما و اللّه لان وليّتها لأنفضنّها نفض القصاب التراب الوذمة.

قال أبو الفرج هذا خطاء إنّما هو الوذام التّربة قال: و قد حدّثنى بذلک أحمد ابن عبد العزيز الجوهرى عن أبى يزيد عمر بن شيبة باسناد ذكره فى الكتاب أنّ سعيد

ابن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبى العايشة مولاه إلى علىّ بن أبى طالب بصلة فقال علىّ و اللّه لا يزال غلام من غلمان بنى اميّة يبعث إلينا ممّا أفاء اللّه على رسوله بمثل قوت الأرملة، و اللّه لئن بقيت لهم لأنفضنّها نفض القصاب الوذام التربة.

تذنيبان

الاول

فى بيان نسب بنى امية.

فأقول فى البحار من كامل البهائى أن اميّة كان غلاما روميّا لعبد الشمس فلما ألقاه كيّسا فطنا اعتقه و تنبّاه فقيل: اميّة بن عبد الشمس كما كانوا يقولون قبل نزول الآية: زيد بن محمّد، و لذا روى عن الصّادقين عليهما السّلام فى قوله تعالى:

الم غلبت الرّوم، أنّهم بنو اميّة و من هنا يظهر نسب عثمان و معاوية و حسبهما و أنّهما لا يصلحان للخلافة لقوله صلّى اللّه عليه و آله: الأئمة من قريش.

و قال مؤلف كتاب إلزام النّواصب: اميّة لم يكن من صلب عبد شمس و إنما هو من الرّوم فاستلحقه عبد شمس فنسب إليه فبنو اميّة كلّهم ليس من صميم قريش و إنّما هم يلحقون بهم و يصدّق ذلک قول أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ بنى امية لصاق و ليسوا صحيحى النسب إلى عبد مناف و لم يستطع معاوية إنكار ذلک.

الثانى

فى ذكر بعض ما ورد من الآيات و الأخبار فى لعن بنى اميّة و كفرهم و إلحادهم.

فأقول: فى الكافى عن الصادق عليه السّلام رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى منامه أنّ بنى اميّة يصعدون على منبره و يضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى، فأصبح كئيبا حزينا، قال عليه السّلام فهبط عليه جبرئيل فقال: يا رسول اللّه ما لى أراک كئيبا حزينا؟ قال: يا جبرئيل إنّى رأيت فى ليلتى هذه يصعدون منبرى من بعدى يضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى، فقال: و الذى بعثک بالحقّ نبيّا إنّى ما اطلعت عليه فعرج إلى السّماء فلم يلبث أن نزل بآى من القرآن يونسه بها قال:

«أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ » و أنزل عليه: «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ».

جعل اللّه ليلة القدر لنبيّه خيرا من ألف شهر ملک بنى اميّة.

و فى مفتتح الصحيفة الكاملة السّجادية على صاحبها ألف سلام و تحيّة عن الصادق عليه السّلام قال، إنّ أبى حدّثنى عن أبيه عن جدّه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخذته نعسة و هو على منبره فرأى فى منامه رجالا ينزون على منبره نزو القردة يردّون النّاس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جالسا و الحزن يعرف فى وجهه فأتاه جبرئيل بهذه الآية:

«وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناکَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْياناً كَبِيراً ».

بعنى بنى اميّة قال: يا جبرئيل أعلى عهدى يكونون و فى زمنى؟ قال: و لا و لكن تدور رحى الاسلام من مهاجرک فتلبث بذلک عشرا، ثمّ تدور رحى الاسلام على رأس خمس و ثلاثين من مهاجرک فتلبث بذلک خمسا، ثمّ لا بدّ من رحى ضلالة هى قائمة على قطبها، ثمّ ملک الفراعنة و أنزل اللّه فى ذلک.

«إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ ما أَدْراکَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ».

يملكها بنو اميّة ليس فيها ليلة القدر.

أقول: قوله و الشّجرة الملعونة فى القرآن فيه تقديم و تأخير أى و ما جعلنا الرّؤيا التى أريناک و الشّجرة الملعونة فى القرآن إلاّ فتنة للنّاس، و قيل: الشجرة الملعونة بالرّفع مبتداء و حذف الخبر أى و الشّجرة الملعونة كذلک أى فتنة للناس

و قوله: يعنى بنى اميّة تفسير للشجرة الملعونة، و قوله: تدور رحى الاسلام من مهاجرک، أى من هجرتک فتلبّث بذلک عشرا أى عشر سنين هى مدّة حياته ثمّ تدور على رأس خمس و ثلاثين هى العشر المذكورة و مدّة خلافة المتخلفين، و هى خمس و عشرون سنة فتلک خمس و ثلاثون، قوله فتلبث بذلک خمسا هى مدّة خلافة أمير المؤمنين، ثمّ لا بد من رحى ضلالة اشارة إلى ملک بنى اميّة، و قوله ثمّ ملک الفراعنة اشارة إلى ملک بنى عباس.

و فى مجمع البيان فى تفسير قوله تعالى:

«وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ » قال هى كلمة الشرک و الكفر و قيل: كل كلام فى معصية اللّه كشجرة خبيثة غير زاكية و هى شجرة الحنظل و قيل: انّها شجرة هذه صفتها و هو أنّه لاقرار لها فى الأرض، و روى أبو الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام أنّ هذا مثل لبنى اميّة و فيه أيضا فى تفسير قوله:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ ».

قال سأل رجل أمير المؤمنين عن هذه الآية فقال هما الأفجران من قريش بنو اميّة و بنو المغيرة، فأمّا بنو اميّة فمتّعوا إلى حين و أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر.

و فى البحار من تفسير علىّ بن ابراهيم فى قوله تعالى:

«اَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً ».

قال: نزلت فى بنى اميّة حيث خالفوهم على ان لا يردّوا الأمر فى بنى هاشم، و فى قوله:

«وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ».

قال: نزلت فى بنى اميّة ثمّ قال:

«بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ » قال من عداوة أمير المؤمنين.

«وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ » و فى قوله تعالى:

«إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ».

عن أبى جعفر عليه السّلام قال نزلت فى بنى اميّة فهم شرّ خلق اللّه هم الذين كفروا فى باطن القرآن فهم لا يؤمنون.

و عن أبى جعفر عليه السّلام أيضا فى قوله:

«وَ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النّارِ » يعنى بنى أميّة.

و من كنز جامع الفوايد و تأويل الآيات باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن تفسير الم غلبت الرّوم، قال: هم بنى «بنوظ» اميّة و إنّما انزلها اللّه الم غلبت الرّوم بنو اميّة فى أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين للّه الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه، عند قيام القائم.

أقول: كذا فى النّسخ غلبت الرّوم بنو اميّة، فيحتمل أنّ أصل الكلام غلبت بنو اميّة فزاد النّساخ لفظ الرّوم كما احتمله فى البحار أو أنّه كذلك و بنو اميّة بدل من الرّوم، و على كلّ تقدير فلا بدّ أن يكون غلبت على ذلك بصيغة المعلوم، و قوله سيغلبون بصيغة المجهول و التعبير عن بنى اميّة بالروم من حيث إنّها نسبهم إلى عبد رومى حسبما قدّمنا، و اللّه العالم.

و من تفسير الثعلبى فى قوله تعالى:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ » نزلت فى بنى اميّة و بنى هاشم و فى غاية المرام عن الكلينى باسناده عن صالح بن سعد الهمدانى قال قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ:

«اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ » فاطمة عليها السّلام «فِيها مِصْباحٌ » الحسن «اَلْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ » الحسين «كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ » فاطمة فكوكب درّى بين نساء أهل الدّنيا «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ » إبراهيم «زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ » لا يهوديّة و لا نصرانيّة «يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ » يعنى يكاد العلم ينفجر («وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ » إمام منها بعد إمام «يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ » ظ) للأئمّة «مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ » قلت «أَوْ كَظُلُماتٍ » قال الأوّل و صاحبه «يَغْشاهُ مَوْجٌ » الثّالث «ظُلُماتٌ » الثّانى «بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ » فتن بنى أميّة «إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ » المؤمن فى ظلمة فتنتهم «لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً » أمانا (اماما ظ) من ولد فاطمة «فَما لَهُ مِنْ نُورٍ » يوم القيامة هذا، و الآيات و الرّوايات فى هذا المعنى كثيرة و فيما ذكرناه كفاية لمن اهتدى أو ألقى السّمع و هو شهيد.

الترجمة

از جمله کلام آن حضـرتست فرمود آنرا هنگامی که فرسـتاده بود سـعید بن عاص أموی که أمیر عراق بود أز جانب عثمان هدیه بخدمت آن حضرت از مال غنیمت و از کمی آن اعتذار کرده بود.

بـدرستی بنی امیه می دهند اندک اندک بمن میراث محمّد بن عبد اللّه صـلّی اللّه علیه و آله را اندک اندک دادنی بخدا قسم اگر بمانم از برای آن قوم عنود و والی امر بشوم هر آینه ساقط میکنم ایشان را از درجه اعتبار همچون ساقط نمودن قصاب شـکنبه یا جگر پارهٔ خاک آلود را از میان سایر گوشت های گوسفند، یا این که بیفشانم ایشان را هم چو افشاندن قصاب شکنبه و پارهٔ جگر خاک آلود را، و این استعاره می شود از دور کردن ایشان از امر خلافت و از باز گرفتن اموال مغصوبه از دست ایشان علیهم اللعنة و النیران.

و من کلمات له علیه السلام کان یدعو بها و هی السابعة

اشارة

و السبعون من المختار فی باب الخطب

أللّهـمّ اغفر لی ما أنت أعلم به منّی، فإن عدت فعد علیّ بالمغفرة أللّهـمّ اغفر لی ما و إیت من نفسـی و لـم تجد له وفاء عندی، أللّهـمّ اغفر لی ما تقرّبت به إلیک بلسانی ثـمّ خالفه قلبی، أللّهـمّ اغفر لی رمزات الألحاظ، و سقطات الألفاظ، و شهوات الجنان، و هفوات اللّسان.

اللغة

(غفر) اللّه له ذنبه غفرا و غفرانا من باب ضـرب صـفح عنه و ستر علیه ذنبه و غطاه، و أصل الغفر السّتر یقال الصّیغ أغفر للوسخ ای استر له و (الوأی) الوعد الذی یوثقه

الرّجـل على نفسه و يعزم على الوفـاء به، و منه و أيته و أيا و عـدته و (الرّمز) هو تحريک الشـفتين فى اللفظ من غير اثباته بصوت و قـد يكون اشارة بالعين و الحاجب و (اللحظ) النظر بمؤخّر العين و (السقط) بالتحريک ردىّ المتاع و الخطاء من القول و الفعل و (الهفوة) الزلّة.

الاعراب

قوله ما و أيت كلمـة ما موصول اسـمى بمعنى الّذى، و وأيت صـلته و العايد محذوف و قول البحرانى إنّ ما ههنا مصدرية لا أرى له وجها، و من فى قوله من نفسى نشويّة، و جملة و لم تجد فى محلّ النّصب على الحال، و الباء فى قوله تقربت به سببيّة، و فى قوله بلسانى استعانة.

المعنى

اعلم أنّ المطلوب بهذا الكلام هو غفران اللّه سـبحانه له، و مغفرة اللّه للعبد عبارة عن صفحه عما يؤدّى إلى الفضاحة فى الدّنيا و الهلكة فى الآخرة و ستره عليه عيوباته الباطنة و الظاهرة و أن يوّفقه لأسباب السّعادة الرّادعة عن متابعة الشيطان و النّفس الأمارة، و هذا كلّه فى حقّ غيره عليه السّ ـلام و أما طلبه سـلام اللّه عليه و آله للمغفرة و كذلک استغفار ساير المعصومين من الأنبياء و أئمة الدّين سلام اللّه عليهم أجمعين فقد قدّمنا تحقيقه بما لا مزيد عليه فى التّنبيه الثالث من تنبيهات الفصل الثالث عشر من فصول الخطبة الاولى فليتذكّر.

إذا عرفت ذلک فلنرجع إلى شرح ما يؤدّيه ظاهر كلامه عليه السّلام فأقول: قوله:

(اللهمّ اغفر لى ما أنت أعلم به منّى فان عـدت فعـد علىّ بالمغفرة) طلب للمغفرة ممّا هو عند اللّه معصـية و سـيئة فى حقّه و هو لا يعلمها فيفعلها أو يعلمها لا كعلم اللّه سبحانه إن كان صيغة التّفضيل على معناها الأصلى و طلب لتكرار المغفرة لما يعاوده و يكرّره كذلک.

فان قلت: الطاعة و المعصية عبارة عن امتثال التّكليف و مخالفته و هو فرع العلم به و مع الجهل و عدم العلم لا أمر و لا نهى و لا خطاب و لا طاعة و لا معصية و لا ثواب و لا عقاب إذ النّاس فى سعة ممّا لا يعلمون و لا يكلّف اللّه نفسا إلاّ ما آتيها.

قلت: الجهل بالتّكليف قد يكون ناشئا عن القصور و قد يكون ناشئا من التقصير

فی تحصـیل العلم فحینئذ لا یقبح المؤاخذة علیه کما لا یقبح المؤاخذة عن النّسـیان إن نشأ عن قلّة المبالاة و عن التقصیر فی المقدّمات، و لذلک قال رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم ربّنا لا تؤاخذنا إن نسـینا أو أخطانا، مع أنّ المؤاخذة علیه مرفوعة عن الامّة بحکم حدیث رفع التسعة هذا.

مع أنّ العلم بأنّ ما وقع عن الجهل و النسـیان معفوّ عنه و غیر مؤاخذ علیه لا یمنع من حسن طلب العفو عنه بالدّعاء، فربما یدعو الداعی بما یعلم أنّه حاصل قبل الدّعاء من فضل اللّه تعالی إمّا لاعتداد تلک النّعمة و إمّا لاستدامتها أو لغیر ذلک کقوله تعالی:

«قالَ رَبِّ احْکُمْ بِالْحَقِّ » و قول إبراهیم «وَ لا تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ » (اللهم اغفر لی ما و أیت من نفسی و لم تجد له وفاء عندی) و هو استغفار ممّا وعـده من نفسه و عاهـد علیه اللّه فعلا أو ترکا زجرا أو شـکرا ثمّ لم یف به، و ذلک لأنّ حنث الیمین و نقض العهـد موجب للخذلان و معقب للخسر ان کما صرّح علیه فی غیر آیة من القرآن، قال تعالی فی سورة البقرة:

«اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْـدَ اللّهِ مِنْ بَعْـدِ مِیثاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِـدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِـرُونَ » و فی سورة بنی إسـرائیل: «وَ أَوْفُوا بِالْعَهْـدِ إِنَّ الْعَهْـدَ کانَ مَسْؤُلاً » و فی سورة النّحل: «وَ أَوْفُوا بِعَهْـدِ اللّهِ إِذا عاهَـدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَیْمانَ بَعْدَ تَوْکِیدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَیْکُمْ کَفِیلاً إِنَّ اللّهَ یَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ » قال الطبرسـی فی تفسیر الآیة الأخیرة: قال ابن عباس: الوعد من العهد، و قال المفسرون: العهـد الـذی یجب الوفاء به و الوعد هو الذی یحسن فعله و عاهد اللّه لیفعلنّه فانّه یصـیروا جبا علیه، و لا تنقضوا الایمان بعد توکیدها، هذا نهی منه سبحانه عن

حنث الايمان و هو أن ينقضها بمخالفة موجبها و ارتكاب ما يخالف عقدها، و قوله:

بعد توكيدها أى بعد عقدها و ابرامها و توثيقها باسم اللّه تعالى و قيل: بعد تشديدها و تغليظها بالعزم و العقد على اليمين بخلاف لغو اليمين.

(اللهمّ اغفر لى ما تقرّبت به اليک) اى ما عملته لک (بلسانى) و يدى و رجلى و بصرى و ساير جوارحى (ثمّ خالفه قلبى) و جعله مشوبا بالرّيا و السّمعة المنافى للقربة (اللهمّ اغفر لى رمزات الألحاظ) أى اشارات اللحاظ لتعييب شخص و هجائه و نحو ذلک (و سقطات الالفاظ) أى ردّيتها و ساقطتها عن مناط الاعتبار بأن لا يكون له مبالات فى قوله و كلامه، روى عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إذا رأيتم الرّجل لا يبالى ما قال و لا ما قيل له فهو شرک شيطان (و شهوات الجنان) أى مشتهيات القلوب المخالفة للشّرع.

و روى فى الوسايل عن الكلينى باسناده عن أبى محمّد الوابشى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: احذروا أهوائكم كما تحذرون أعدائكم فليس بشىء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم و حصائد ألسنتهم.

و عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: كان أبو الحسن عليه السّلام يقول: لا تدع النفس و هواها فانّ هواها فى رداها و ترک النّفس و ما تهوى اذاها، و ترک النّفس عما تهوى دواؤها، هذا.

و فى بعض النّسخ سهوات القلوب بالسين المهملة فالمراد بها غفلاتها كما فى قوله سبحانه:

«فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ ».

أى غافلون عنها تاركين لها أو تحمل سهواتها على سهواتها الناشئة عن ترک التّحفظ و قلّة المبالاة فانّها لا تقبح المؤاخذة عليها حينئذ كما أشرنا إليه آنفا فى شرح قوله اللهمّ اغفر لى ما أنت أعلم به منّى، فانّ السهو و النسيان متقاربان و كلاهما من

الشيطان بهما يقطع العبد عن سلوک للل الجنان و الرّضوان كما قال أمير المؤمنين فى رواية الكافى «فى القلب ظ» لمتان لمة من الشيطان و لمة من الملک فلمة الملک الرّقة و الفهم و لمة الشيطان السّهو و القسوة هذا.

و ذكر قوله:(و هفوات اللسان) بعد سقطات الألفاظ إمّا من قبيل التّاكيد أو ذكر الخاصّ بعد العامّ لمزيد الاهتمام بأن يكون المراد بسقطات الألفاظ ما ليس فيها ثمرة اخرويّة سواء كانت حراما و مضرّة فى الآخرة أو لا يكون فيها نفع و لا ضرر كالكلام اللغو، و بهفوات اللسان خصوص ما يوجب المؤاخذة فى الآخرة كالغيبة و البهت و النميمة و السعاية و الاستهزاء و التهمة و السبّ و الكذب إلى غير ذلک، فانّ كلّ ذلک مباين لمكارم الأخلاق و حسن الشّيمة مناف لمقتضى الايمان و التّقوى و المروّة و معقب للخسران و الندامة فى الآخرة.

و لذلک قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طوبى لمن انفق فضلات ماله و أمسک فضلات لسانه.

و قال أيضا إنّ مقعد ملكيک على ثنييک(1) لسانک قلمهما و ريقک مدادهما و أنت تجرى فيما لا يعنيک(2) و لا تستحى من اللّه و لا منهما.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يعذّب اللّسان بعذاب لا يعذّب به شىء من الجوارح فيقول: أى ربّ عذّبتنى بعذاب لا تعذّب به شيئا من الجوارح قال فيقال له: خرجت منک كلمة فبلغت مشارق الأرض و مغاربها فسفک بها الدّم الحرام و أخذ بها المال الحرام و انتهک بها الفرج الحرام فوعزّتى لاعذّبنک بعذاب لا أعذّب به شيئا من جوارحک، رواه فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نحوه.

و من غريب ما وقع لأبى يوسف و هو من أكابر علماء الأدبيّة و عظماء الشيعة و هو من أصحاب الجواد و الهادى عليهما السّلام أنّه قال فى التّحذير من عثرات اللّسان.

يصاب الفتى من عثرة بلسانه و ليس يصاب المرء من عثرة الرّجل

1- (1) اى ثنايا الاسنان.

2- (2) اى لا يهمّک.

فعثرته فی القول تذهب رأسه و عثرته فی الرّجل تذهب عن مهل

فاتّفق أنّ المتوکل العباسی ألزمه تأدیب ولدیه المعتزّ و المؤیّد، فقال له یوما: أیّما أحبّ إلیک ابنای هذان أم الحسن و الحسین؟ فقال: و اللّه إنّ قنبر الخادم خادم علیّ خیر منک و من ابنیک، فقال المتوکّل لعنه اللّه لأتراکه: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا فمات رحمة اللّه علیه.

و روی عن سیّد السّاجدین علیه السّلام قال: لسان ابن آدم یشرف کلّ یوم علی جوارحه فیقول: کیف أصبحتم؟ فیقولون: بخیر إن ترکتنا و یقولون: اللّه اللّه فینا و یناشدونه و یقولون: إنّما نثاب و نعاقب بک.

إلی غیر هذه من الأخبار الواردة فی مدح الصّمت و ذم التکلّم و یأتی إنشاء اللّه جملة منها فی شرح الخطبة المأة و الثالثة و التّسعین، فاللاّزم علی العاقل الصمت و السّکوت بقدر الامکان کی یسلم عن زلاّت اللّسان و عثرات البیان و فضول الکلام و «ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ ».

الترجمة

از جمله کلمات آن امامست که دعا میکرد به آنها و می گفت:

بار خدایا بیامرز از برای من آن چیزی را که تو داناتری بآن از من پس اگر من باز گردم بسوی آن پس باز گرد تو از برای من بآمرزیدن، خداوندا بیامرز از برای من آن چیزی را که من وعده کردم از نفس خود از برای تو و نیافتی مر او را وفا در نزد من بار خدایا بیامرز از برای من عملهائی که تقرّب جستم با آنها بسوی تو پس مخالفت نمود آنرا قلب من. بار خدایا بیامرز از برای من اشارتهای گوشه های چشم ببدیها و بیهوده های گفتارها و شهوات قلب و لغزشات زبان را، و لنعم ما قیل:

زبان بسیار سر بر باد داد است زبان سر را عدوی خانه زاد است

عدوی خانه خنجر تیز کرده تو از خصم برون پرهیز کرده

نشد خاموش کبک کوهساری از آن شد طعمهٔ باز شکاری

اگر طوطی زبان می بست در کام نه خود را در قفس دیدی نه در دام

خموشی پرده پوش راز باشد نه مانند سخن غمّاز باشد

و من کلام له علیه السلام و هو الثامن و السبعون

اشارة

من المختار فی باب الخطب

و هو مرویّ فی غیر واحد من الکتب المعتبرة باختلافات کثیرة علی ما ستطلع علیها، و فی الاحتجاج مثل الکتاب قاله علیه السّلام لبعض أصحابه لمّا عزم علی المسیر إلی الخوارج فقال له بعض أصحابه: یا أمیر المؤمنین إن سرت فی هذا الوقت خشیت أن لا تظفر بمرادک من طریق علم النّجوم فقال:

تزعم أنّک تهدی إلی السّاعة الّتی من سار فیها صرف عنه السوء و تخوّف السّاعة الّتی من سار فیها حاق به الضّرّ، فمن صدّقک بهذا فقد کذّب القرآن و استغنی عن الاستعانة باللّه فی نیل المحبوب و دفع المکروه، و ینبغی فی قولک للعامل بأمرک أن یولّیک الحمد دون ربّه، لأنّک بزعمک أنت هدیته إلی السّاعة الّتی نال فیها النّفع و أمن الضّرّ، ثمّ أقبل علیه السّلام علی النّاس فقال: أیّها النّاس إیّاکم و تعلّم النّجوم إلاّ ما یهتدی به فی برّ أو بحر فإنّها تدعو إلی الکهانة، المنجّم کالکاهن، و الکاهن کالسّاحر، و السّاحر کالکافر، و الکافر فی النّار سیروا علی اسم اللّه.

اللغة

(حاق به الضـرّ) أحاط قال تعالى: و لا يحيق المكر السّـيء إلاّ بأهله، و الضـرّ بالضمّ و فى بعض النّسخ بالفتح ضدّ النّفع أو بالفتح مصدر و بالضمّ اسم أو بالفتـح ضدّ النفع و بالضمّ سوء الحال قال تعالى: ربّ إنّى مسّـنى الضّـرّ، و (يوليک) مضارع باب الافعال أو من باب التّفعيل يقـال أوليته الأـمر وليته ايّاه أى جعلته واليا له و متسـلّطا عليه و (كهن) له من باب نصـر و منع و كرم كهانـة بالفتـح و تكهنّ تكهنا قضـى له بالغيب فهو كاهن و الجمع كهنة و كهان و حرفته الكهانة بالكسر.

الاعراب

الفاء فى قوله فمن صدقک فصـيحة اى أنت إذا زعمت هذا فمن صدّقک بهذا اه، و قوله: و ينبغى فى قولک أى على قولک أو بسـبب قولک أو هى للظرفيّـة المجازيـة، و قوله دون ربّه، ظرف مسـتقرّ متعلّق بمحـذوف وقع حالاـ من فاعـل يولى أى متجـاوزا ربه و دون ممّـا يتوسّع فيه و يسـتعمل فى كلّ مجاوز حـدّ الى حـدّ و تخطى أمر إلى أمر، و قوله أنت هديته، لفظ أنت إمّا تأكيد لكاف انّک أو ضـمير فصل بين الاسم و الخبر على حدّ قوله: إنک أنت السّميع العليم.

و قوله أيّها النّاس كلمـة أىّ اسم وضع للتوصّل إلى نـداء ما فيه أل اسـتكراها لاجتماع آلتى التعريف أعنى النّـدا و حرف التعريف فحاولوا أن يفصـلوا بينهما بشـىء فطلبوا اسـما مبهما غير دالّ على ماهيّـة معيّنة محتاجا بالوضع فى الدّلالة عليها إلى شـىء آخر يزيل عنه الابهام يقع النّداء فى الظاهر على ذلک الاسم المبهم و فى الحقيقة على ذلک المخصّص الرافع للابهام عنه.

فوجدوا الاسم المتّصف بهذه الصّفة أيّا بشرط قطعه(1) عن الاضافة و اسم الاشارة حيث وضعها مبهمين مشروطا بازالة إبهامهما بشىء اما اسم الاشارة فبالاشارة الحسيّة و أمّا أىّ فباسم آخر بعده إلاّ أنّ أىّ لما كان أدخل فى الابهام من اسم

1- (1) و انما شرطوا ذلک لأنّ الاضافة يخصصه نحو أىّ رجل، منه.

الاشارة و أحوج إلى الوصف منه لأنّ زوال ابهامه انّما هو باسم بعده بخلاف اسم الاشارة فانّه قد يزول ابهامه بالاشارة الحسيّة حسبما ذكرنا، و لهذا جاز يا هذا و لم يجزيا أىّ لا جرم خصّوا الفصل بين حرف النداء و اللام التعريف به و جعلوا المعرّف باللام المزيل عنه الابهام وصفا له.

فأىّ فى قوله أيّها النّاس منادى مفرد معرفة مبنىّ على الضمّ و ها حرف تنبيه و النّاس صفة لأىّ و قال الأخفش فى يا أيّها الرّجل: إنّ أيّا لا تكون وصلة و إنّما هو موصول و ذو اللام بعده خبر مبتداء محذوف و الجملة صلة أىّ و إنّما وجب هذا المبتدأ لمناسبة التخفيف للمنادى و لا سيّما إذا زيد عليه كلمتان أعنى أيّها فالمعنى يا من هو الرّجل.

قال الرّضىّ و يصحّ تقوية مذهبه بكثرة وقوع أىّ موصولة فى غير هذا الموضع و ندور كونها موصوفة و قوله: إيّاكم و تعلم النّجوم تحذير و قال ابن الحاجب فى الكافية التحذير معمول بتقدير اتّق تحذيرا ممّا بعده أو ذكر المحذر منه مكرّرا نحو ايّاك و الأسد و إيّاك و أن تحذف و الطريق الطريق.

و قال نجم الأئمة الرّضىّ فى شرحه: قال المصنّف: كان أصل إيّاك و الأسد اتقك ثمّ انّهم لما كانوا لا يجمعون بين ضمير الفاعل و المفعول لواحد إذا اتّصلا جاءوا بالنّفس مضافا إلى الكاف فقالوا اتّق نفسك ثمّ حذفوا الفعل لكثرة الاستعمال، ثمّ حذفوا النّفس لعدم الاحتياج إليه لأنّ اجتماع الضميرين زال بحذف الفاعل مع الفعل فرجع الكاف، و لم يجز أن يكون متّصلا لانّ عامله مقدّم كما يجىء فى باب المضمر فصار منفصلا.

قال الرّضىّ: و أرى أنّ هذا الذى ارتكبه تطويل مستغنى عنه و الأولى أن يقال هو بتقدير ايّاك باعد أونحّ باضمار العامل بعد المفعول و انّما جاز اجتماع ضميرى الفاعل و المفعول لواحد لكون أحدهما منفصلا كما جاز ما ضربت إلا ايّاك و ما ضربت إلاّ إيّاى، إلى أن قال و انّما وجب حذف الفاعل فى نحو إيّاك لأنّه

فی معنی المکرّر الذی ذکرنا(1) انّه یجب حذف فعله لأنّ معنی إیّاک أی بعّد نفسک من الأسد.

و فحوی هـذا الکلام احـذر الأسد و معنی الأسد أی بعّد الأسد عن نفسک و هو أیضا بمعنی لحذر الأسد لأنّ تبعید الأسد عن نفسک بأن تتباعد عنه فکأنک قلت:

الأسد الأسد.

فان قلت المعطوف فی حکم المعطوف علیه و ایّاک محذّر و الأسد المحذّر منه و هما متخالفان فکیف جاز العطف؟ فالجواب أنّه لا یجب مشارکة الاسم المعطوف للمعطوف علیه إلاّ فی الجهة المنتسب بها المعطوف علیه إلی عامله و جهة انتساب ایّاک إلی عامله کونه مفعولا به أی مبعدا و کذا الأسد إذ المعنی إیّاک بعّد و بعّد الأسد.

المعنی

اشارة

اعلم أنّ هـذا الکلاـم قـاله (لمّـا عزم إلی المسـیر إلی) حرب (الخوارج فقال له بعض أصـحابه) و هو عفیف بن قیس أخو أشـعث بن القیس الکندی الملعون رأس المنافقین و مثیر الفتن فی أیّام خلافة أمیر المؤمنین و لا سیّما وقعة صفّین حسبما عرفت فیما سبق.

و کیف کان فقال له عفیف (یا أمیر المؤمنین إن سرت فی هذا الوقت خشیت أن لا تظفر بمرادک) الذی هو الغلبة علی أهل النهر (من طریق علم النّجوم) فقال له علی سبیل الاسـتفهام التقریری (أ تزعم أنّک تهدی إلی السّاعة التی من سار فیها صـرف عنه السّوء) لسـعود السّاعة (و تخوف) من (الساعـة التی من سار فیها حاق به الضـرّ) و أحاط به سوء الحال بملاحظة نحوس السّاعة (فمن صدّقک بهذا فقد کذّب القرآن) أی من صدّقک بدعواک العلم بالسّاعتین فقد کذّب کتاب اللّه لأنّ اللّه

1- (1) و هو ما ذکره سابقا بقوله و حکمـة اختصاص وجوب الحـذف بالمحذّر منه المکرّر کون تکریره دالا علی مقارنة محذّر منه للمحذّر بحیث یضیق الوقت الاّ عن ذکر محذّر منه علی ابلغ ما یمکن و ذلک بتکریره و لا یتّسع بذکر العامل مع هذا المکرّر انتهی.

تعالى يقول:

«وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً » و «قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلاَّ اللّهُ » «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلاّ هُوَ ».

إلی غیر ذلک ممّا أفاد انحصار العلوم الغیبیّة فی اللّه سبحانه.

و قال العلامة المجلسی (ره): و یمکن حمل الکلام علی وجه آخر و هو أنّ قول المنجم بأنّ صرف السّوء و نزول الضرّ تابع للسّاعة سواء قال إنّ الأوضاع العلویّة مؤثرة تامة فی السّفلیات و لا یجوز تخلّف الآثار عنها أو قال بأنّها مؤثرات ناقصة و لکن باقی المؤثرات امور لا یتطرّق إلیها التغییر أو قال بأنّها علامات تدلّ علی وقوع الحوادث حتما فهو مخالف لما ثبت من الدین من أنّه سبحانه یمحو ما یشاء و یثبت و أنّه یقبض و یبسط و یفعل ما یشاء و یحکم ما یرید، و لم یفرغ من الأمر و هو تعالی کلّ یوم فی شأن.

و الظاهر من أحوال المنجّمین السّابقین و کلماتهم جلّهم بل کلّهم أنّهم لا یقولون بالتّخلف وقوعا أو إمکانا فیکون تصدیقهم مخالفا لتصدیق القرآن و ما علم من الدّین و الایمان من هذا الوجه.

و لو کان منهم من یقول بجواز التخلّف و وقوعه بقدرة اللّه و اختیاره و أنّه تزول نحوسة السّاعة بالتوکل و الدّعاء و التوسل و التصدّق و ینقلب السّعد نحسا و النّحس سعدا و بأنّ الحوادث لا یعلم وقوعها إلاّ إذا علم أنّ اللّه سبحانه لم تتعلّق حکمته بتبدیل أحکامها، کان کلامه علیه السّلام مخصوصا بمن لم یکن کذلک، فالمراد بقوله صرف عنه السّوء و حاق به الضّر أی حتما هذا.

و لمّا نبّه علی فساد زعم المنجّم بکون تصدیقه موجبا لتکذیب کلام اللّه سبحانه نبّه علی فساده ثانیا بقوله (و استغنی) أی مصدّقک و متّبعک (عن الاستعانة باللّه) تعالی (فی نیل المحبوب و دفع المکروه) لأنک اذا کنت عارفا بالسّاعة السّعد

و السّاعة النّحس و هاديا إليهما فيهتدى بک التابعون لک و المصدّقون بک و يتراقبون بعد السّاعات فينالون الخير و السّ عادة و يتّقون نحسها فيسلمون من النحوسة و الكراهة فيلزم على ذلک استغنائهم بک عن اللّه و غناهم برأيک عن اللجأ إلى اللّه و الفزع إليه سبحانه.

(و) أيضا (ينبغى فى قولک للعامل بأمرک أن يوليک الحمد دون ربّه لانّک بزعمک أنت هديته إلى السّاعة التى نال فيها النفع و آمن فيها الضرّ) فكنت أنت المنعم عليه بتلک النعمة فلا بدّ أن تستحقّ الحمد و الثّناء بذلک و لزم أن يكون حمده على تلک النعمة راجعا إليک.

(ثم) إنّه بعد التنبيه على فساد زعم المنجّم بالوجوه الثلاثة (أقبل على الناس) و نهاهم عن الأخذ بالنجوم و حذّرهم عن تعلّمها (فقال أيها الناس إياكم و تعلّم النجوم) قال الشارح البحرانى: الذى يلوح من سرّ نهى الحكمة النبويّة عن تعلّم النجوم أمران الأوّل اشتغال متعلّمها بها و اعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب و الأوقات و الاشتغال بالفزع إليه و إلى ملاحظة الكواكب عن الفزع إلى اللّه و الغفلة عن الرّجوع إليه فيما يهمّ من الأحوال و قد علمت أنّ ذلک يضادّ مطلوب الشارع إذ كان غرضه ليس إلاّ دوام التفات الخلق إلى اللّه و تذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه.

الثانى أنّ الأحكام النجومية اخبارات عن امور سيكون و هى تشبه الاطلاع على الامور الغيبية و أكثر الخلق من العوام و النساء و الصبيان لا يتميزون بينها و بين علم الغيب و الأخبار به فكان تعلّم تلک الأحكام و الحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق و موهنا لاعتقاداتهم فى المعجزات أو الاخبار عن الكاينات منها و كذلک فى عظمة بارئهم و يشككهم فى عموم الآيات الدّالة على اختصاص علم الغيب باللّه سبحانه، و كان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة و السحر و العزائم و نحوهما.

و كيف كان فلما نهى الناس عن تعلّم النجوم بالوجهين الذين عرفت استثنى عن ذلک قوله (إلاّ ما يهتدى به فى برّ أو بحر) لعدم استلزام ذلک الجهتين المذكورتين

و قـد نصّ على جواز الاهتداء بها الآيات الكريمة مضافة إلى الأخبار الكثيرة قال تعالى «هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ » و قال تعالى: «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ ».

قال الطبرسـی لأنّ من النجوم ما یکون بین یـدی الانسان و منها ما یکون خلفه و منها ما یکون عن یمینه و منها ما یکون عن یساره و یهتدی بها فی الاسـفار و فی البلاد و فی القبلـة و أوقات اللیل و إلی الطرق فی مسالک البراری و البحار، و قیل أراد الاهتـداء به فی القبلـة، قال ابن عباس: سألت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عنه فقال: الجدی علامة قبلتکم و به تهتدون فی برّکم و بحرکم.

أقول: و هذه الرّوایة موافقة لما رواه الصدوق مرسـلا قال: قال رجل للصادق علیه السّلام: أنا اکون فی السفر و لا اهتدی إلی القبلة باللیل قال أتعرف الکوکب الذی یقال له جدی؟ قلت: نعم قال: اجعله علی یمینک و إذا کنت فی طریق الحجّ فاجعله بین کتفیک.

و روی أیضا محمّد بن سنان عن أحدهما علیه السّلام قال: سألته عن القبلة قال: ضع الجدی فی قفاک و صلّ هذا.

و لاـ ینحصـر جواز تعلّمهـا فیمـا ذکر بـل ربّمـا یجوز التعلّم لمـا یترتّب علیهـا من الأحکـام الشّرعیة المتعلّقـة بهـا فی أبواب العبادات و المعاملات بل قـد یجب لوجوب الحکم المرتّب علیها فیجب معرفتها من باب المقدّمـة مثلا لوجوب معرفـة الأوقات الخمسـة للصّلاة و معرفـة الحول المضـروبة للزکاة و اتیان الحـجّ و العمرة فی الأشـهر المعلومات و ضـبط عـدد الحولین لرضاع الحاملات و تعیین أیام العدة للمتوفّی عنها زوجها و للحامل و سایر المطلقات، و العلم بما ضـربت للـدّین المؤجل من الأوقات کما اشـیر إلی ذلک فی غیر واحدة من الآیات قال تعالی:

«أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلی غَسَقِ اللَّیْلِ » و قال

«يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنّاسِ وَ الْحَجِّ » و قال «هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللّهُ ذلِکَ إِلاّ بِالْحَقِّ یُفَصِّلُ الآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ » و قد مضی فی سادس تنبیهات الفصل الثامن من فصول الخطبة الاولی ما یوجب ازدیاد بصیرتک فی المقام فتذکّر، و قوله (فانّها تدعو إلی الکهانة) تعلیل للنّهی عن النّجوم و الکهانة بالکسر.

قال فی البحار هی عمل یوجب طاعة بعض الجانّ له بحیث یأتیه بالأخبار الغایبة و هو قریب من السّحر قیل: قد کان فی العرب کهنة کشق و سطیح و غیرهما فمنهم من یزعم أنّ له تابعا من الجنّ و دئیا یلقی إلیه الأخبار، و منهم من کان یزعم أنّه یعرف الامور بمقدّمات و أسباب یستدلّ بها علی مواقعها من کلام من یسأله أو فعله أو حاله و هذا یخصونه باسم العراف کالذی یدّعی معرفة الشّیء المسروق و مکان الضالة و نحوهما.

و دعوة علم النّجوم إلی الکهانة إمّا لانّه ینجرّ أمر النجم إلی الرغبة فی تعلّم الکهانة و التّکسب به أو ادّعاء ما یدّعیه الکاهن، ثمّ إنّه شبّه المنجّم بالکاهن و قال (المنجّم کالکاهن)و وجه الشّبه إمّا الاشتراک فی الاخبار عن الغایبات أو فی الکذب و الاخبار بالظنّ و التخمین و الاستناد إلی الامارات الضعیفة و المناسبات السّخیفة أو فی العدول و الانحراف عن سبیل الحقّ و التمسک فی نیل المطالب و درک المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشّریعة و صدّهم عن التوسل إلی اللّه بالدعاء و الصدقة و سایر أصناف الطاعة، أو فی البعد عن الرحمة و المغفرة.

و یجری بعض هذه الوجوه فی التشبیهین فی قوله:(و الکاهن کالساحر و الساحر کالکافر)و المشبه به فی التشبیهات أقوی.

و السحر علی ما قیل کلام أو کتابة أو رقیة أو أقسام و عزایم و نحوها یحدث بسببها ضرر علی الغیر، و منه عقد الرّجل عن زوجته و القاء البغضاء بین الناس، و منه استخدام الملائکة و الجنّ و استنزال الشّیاطین فی کشف الغایبات و علاج المصاب

و استحضارهم و تلبسهم ببدن صبىّ أو امرئة و كشف الغايبات على لسانه انتهى.

و الظاهر أنّه لا يختصّ بالضّرر بل ربّما يفعل لعبا أو لإبداء أمر غريب و عن صاحب العين السّحر عمل يقرب إلى الشّياطين و من السّحر الاخذة التى تأخذ العين حتّى تظن أنّ الأمر كما ترى، و ليس الأمر كما ترى فالسحر عمل خفىّ لخفاء سببه يصوّر الشّىء بخلاف صورته و يقلبه من جنسه فى الظاهر و لا يقلبه من جنسه فى الحقيقة ألا ترى إلى قوله تعالى:

«يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى ».

و قال: الشّيخ فى محكىّ كلامه عن التبيان قيل فى معنى السّحر أربعة أقوال:

احدها أنّه خدع و مخاريق و تمويهات لا حقيقة يخيل إلى المسحور أنها حقيقة.

و الثّانى أنّه اخذ بالعين على وجه الحيلة.

و الثّالث أنّه قلب الحيوان من صورة إلى صورة و إنشاء الاجسام على وجه الاختراع فيمكن السّاحر أن يقلب الانسان حمارا و ينشى أجساما.

و الرّابع أنّه ضرب من خدمة الجنّ و أقرب الأقوال الأوّل لأنّ كلّ شىء خرج عن العادة الجارية فانّه سحر لا يجوز أنّ يأتى من السّاحر، و من جوّز شيئا من هذا فقد كفر لأنّه لا يمكن معذلک العلم بصحة المعجزات الدّالة على النبوات لانّه أجاز مثله على جهة الحيلة و السّحر و فى الرّياض و السّحر عرف تارة بما فى الكتاب قال تعالى:

«فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ ».

و فى الاحتجاج من أكبر السّحر النميمة يفرق بها بين المتحابّين و يجلب العداوة بين المتصادقين، قيل: و منه استخدام الجنّ و عرف بانّه عمل يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة و اخرى لوجه يدخل فيه العلم الطلسمات و النّيرنجات و غير ذلک، و ذلک أن يقال هو استحداث الخوارق إمّا بمجرّد التأثيرات النفسانية

و هو السّحر أو بالاستعانة بالفلكيات فقط و هو دعوة الكواكب، أو على تمزيج القوى السّماوية بالقوى الأرضية و هو الطلسمات، أو على سبيل الاستعانة بالأرواح السّاذجة و هو العزائم قيل: و الكلّ حرام فى شريعة الاسلام.

و ظاهره اجماع المسلمين عليه و هو الحجة مضافا إلى النّصوص المستفيضة منها، و يدخل فيه النير نجات على ما ورد فى الساحر أنّ دم السّاحر حلال و أنّ تعلم السّحر آخر العهد باللّه تعالى و حدّه القتل و نحو ذلک، و ظاهرها التّحريم مطلقا و قد استثنى منه السّحر للتوقى و دفع المتنبّى و ربّما وجب كفاية.

و روى فى العيون فى تفسير آية هاروت و ماروت أنّه كان بعد نوح قد كثرت السّحرة و المموهون فبعث اللّه ملكين إلى نبىّ ذلک الزّمان يذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم و يردّ به كيدهم فتلقاه النبىّ من الملكين و أداه إلى عباد اللّه بأمر اللّه أن يقفوا به على السّحر و أن يبطلوه و نهاهم أن يسحروا به الناس، و ربّما خصّت روايات الحلّ بغير السّحر كالقرآن و الذّكر و التعويذ و نحوها جمعا و هو أحوط.

ثمّ إنّه بعد تشبيه المنجّم بالكاهن و الكاهن بالساحر و الساحر بالكافر أشار بقوله (و الكافر فى النّار) إلى نتيجة الجميع و هو دخول النّار إما على وجه الخلود كما فى الكافر أولا كما فى غيره، و لما فرغ من تنفير أصحابه عن تعلّم النجوم و قبول أحكامها أمرهم بالمسير بقوله:(سيروا على اسم اللّه) و عونه.

و ينبغى

تذييل المقام بامور مهمة

الأوّل

اعلم أنّ هذا الكلام ممّا اشتهرت روايته بين الخاصّة و العامّة و قد روى بطرق مختلفه مع اختلاف كثير فى متنه و لا بأس بالاشارة إلى بعض تلک الطرق استبصارا و اطلاعا منک على مواقع الاختلاف و استظهارا و استنصارا لما أورد السّيد فى الكتاب فأقول:

منها ما فى شرح المعتزلى عند شرح لخطبة السّادسة و الثلاثين قال: روى ابن ديزيل قال: عزم على الخروج من الكوفة إلى الحروريّة و كان فى أصحابه منجّم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسرفى هذه السّاعة و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار

فانک إن سرت فی هذه الساعة أصابک و أصاب أصحابک أذی و ضرّ شدید، و إن سرت فی ساعة التی أمرتک بها ظفرت(1) و ظهرت و أصبت ما طلبت.

فقال له علیّ أ تدری ما فی بطن فرسی هذه أذکر هو أم انثی؟ قال: إن حسبت علمت، فقال من صدّقک بهذا فقد کذّب القرآن قال اللّه تعالی: «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ » الآیة.

ثمّ قال إنّ محمّدا ما کان یدّعی علم ما ادّعیت علمه، أ تزعم أنک تهدی إلی الساعة التی یصیب النفع من سار فیها و تصرف عن الساعة التی یحیق(2) السوء لمن سار فیها فمن صدّقک فقد استغنی عن الاستعانة باللّه جلّ ذکره فی صرف المکروه عنه و ینبغی للمؤمن بأمرک أن یولیک الحمد دون اللّه جلّ جلاله لأنک بزعمک هدیته إلی السّاعة التی یصیب النفع من سار فیها، و صرفته عن الساعة التی یحیق السوء بمن سار فیها فمن آمن بک فی هذا لم امن علیه أن یکون کمن اتّخذ من دون اللّه ضدا و ندا، اللهمّ لا طیر إلاّ طیرک و لا ضیر إلاّ ضیرک و لا إله غیرک.

ثمّ قال: نخالف و نسیر فی الساعة التی نهیتنا عنها، ثمّ أقبل علی الناس فقال:

أیها النّاس إیاکم و التعلم للنجوم إلاّ ما یهتدی به فی ظلمات البرّ و البحر إنما المنجّم کالکاهن و الکاهن کالکافر و الکافر فی النّار، أما و اللّه لان بلغنی أنک تعمل بالنّجوم لأخلدنک فی السجن أبدا ما بقیت و لأحرمنّک العطاء ما کان لی من سلطان.

ثمّ سار فی الساعة التی نهاه عنها المنجّم فظفر بأهل النهر و ظهر علیهم، ثمّ قال علیه السّلام لو سرنا فی الساعة التی أمرنا بها المنجّم لقال الناس سار فی الساعة التی أمر بها المنجّم فظفر و ظهر أما أنّه ما کان لمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منجّم و لا لنا من بعده حتّی فتح اللّه علینا بلاد کسری و قیصر أیّها الناس توکّلوا علی اللّه و اتّقوا اللّه فانّه یکفی ممّن سواه.

و منها ما فی البحار من مجالس الصّدوق عن محمّد بن علیّ ما جیلویه عن محمّد

1- (1) ظفر بمطلوبه فاز، لغة.

2- (2) حاق به السوء لزمه.

ابن أبی القاسم عن محمّد بن علیّ القرشی عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن یوسف بن یزید عن عبد اللّه بن عوف بن الأحمر.

قال: لما أراد أمیر المؤمنین المسیر إلی النهر و ان أتاه منجّم فقال له: یا أمیر المؤمنین لا تسرفی هذه الساعة و سرفی ثلاث ساعات مضین من النهار، فقال أمیر المؤمنین: و لم ذلک؟ قال: لأنک إن سرت فی هذه الساعة أصابک و أصاب أصحابک اذی و ضرّ شدید و إن سرت فی الساعة التی أمرتک ظفرت و ظهرت و أصبت کما طلبت.

فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام تدری ما فی بطن هذا الدابة ذکر أم انثی؟ قال:

إن حسبت علمت، قال له أمیر المؤمنین علیه السّلام من صدّقک علی هذا القول کذب بالقرآن قال اللّه تعالی: إنّ اللّه عنده علم الساعة و ینزل الغیث و یعلم ما فی الأرحام و ما تدری نفس ما ذا تکسب غدا، و ما تدری نفس بأیّ أرض تموت إنّ اللّه علیم خبیر.

ما کان محمّد یدعی ما ادّعیت أ تزعم أنک تهدی إلی الساعة التی من سار فیها صرف عنه سوء و الساعة التی من سار فیها حاق به الضّر من صدّقک بهذا استغنی بقولک عن الاستعانة باللّه عزّ و جلّ، و فی ذلک الوجه و أحوج إلی الرّغبة إلیک فی دفع المکروه عنه و ینبغی له أن یولیک دون ربه عزّ و جلّ فمن آمن لک بهذا فقد اتّخذک من دون اللّه ندّا و ضدّا.

ثمّ قال: اللّهم لا طیر إلاّ طیرک و لا ضیر إلاّ ضیرک و لا خیرک إلاّ خیرک و لا إله غیرک بل نکذبک و نخالفک و نسیر فی الساعة التی نهیت عنها.

قال المحدّث المجلسی بعد ما أورد الرّوایة: قوله: من صدّقک علی هذا القول فقد کذب بالقرآن لادّعائه العلم الذی أخبر اللّه سبحانه أنّه مختصّ به إذ ظاهر قوله تعالی عنده الاختصاص.

فان قیل: فقد أخبر النبیّ فالأئمة بالخمسة المذکورة فی الآیة فی مواطن کثیرة فکیف ذلک؟

قلنا: المراد أنّه لا يعلمها أحد بغير تعليمه سبحانه و ما أخبروه من ذلک فانّما كان بالوحى و الالهام أو التّعلم من النبىّ الذى علمه بالوحى.

لا- يقال: علم النّجوم أيضا من هذا القبيل لما سيأتى من الأخبار الدّالة على أنّ له أصلا و أنّه ممّا علمه اللّه أنبياءه فكيف يكون تصديق المنجّم تكذيبا بالقرآن؟ لأنا نقول الذى سيظهر من الأخبار أنّ نوعا من هذا العلم حقا يعلمه الأنبياء و الأوصياء و أمّا أنّ ما فى أيدى النّاس من ذلک فلا.

و قوله أن يوليک الحمد، على بناء الافعال أو التّفعيل أى يقربک من الحمد من الولى بمعنى القرب أو من قولهم ولاه الأمير عمل كذا أى قلّده ايّاه أى يجعلک وليا لمحمّد «للحمد ظ» و أهلا له أو من قولهم أوليته معروفا أى أنعمت عليه لا طير إلاّ طيرک الطير من الطيرة و هى التّشام بالشّىء أى لا تاثير للطيرة إلاّ طيرک أى قضاؤک و قدرک على المشاكلة و يدلّ على أنّ ضرر النّجوم من جهة الطيرة، و الضير الضرر.

الثانى

قال السّيد الجليل علىّ بن طاوس (ره) فى محكىّ كلامه عن كتاب النّجوم بعد ما أورد هذا الكلام له عليه السّلام نقلا عن الرّضىّ (ره) فى الكتاب:

إنّنى رأيت فيما وقفت عليه فى كتاب عيون الجواهر تأليف أبى جعفر محمّد بن بابويه (ره) حديث المنجّم الذى عرض لمولانا علىّ عليه السّلام عند مسيره إلى النهروان مسندا عن محمّد بن علىّ ما جيلويه عن عمّه محمّد بن أبى القاسم عن محمّد بن علىّ القرشى عن نصر بن مزاحم المنقرّى عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد اللّه بن عوف ابن الأحمر قال: لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السّلام المسير إلى النّهروان أتاه منجّم، ثمّ ذكر حديثه.

قال: فأقول إنّ فى هذا الحديث عدّة رجال لا يعمل علماء أهل البيت عليهم السّلام على روايتهم و يمنع من يجوّز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و شهادتهم و فيهم عمر بن سعد بن أبى وقاص مقاتل الحسين عليه السّلام فانّ أخباره و رواياته مهجورة

و لا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه.

ثمّ طعن فى الرّوايـة بانّها لو كانت صـحيحة لكان عليه السّـلام قـد حكم فى هـذا على صاحبه الـذى قد شـهد مصـنف نهج البلاغة أنّه من أصـحابه أيضا بأحكام الكفار إمّا بكونه مرتدّا عن الفطرة فيقتله فى الحال أو يردّه عن غير الفطرة فيتوبه أو يمتنع من التّوبة فيقتل لأنّ الرّواية قد تضمّنت أنّ المنجّم كالكافر أو كان يجرى عليه أحكام الكهنة أو السّحرة لأنّ الرّواية تضمّنت أنّه كالكاهن و السّاحر و ما عرفنا إلى وقتنا هذا أنّه حكم على هذا المنجّم أحكام الكفار و لا السّـحرة و لا الكهنة و لا أبعده و لا عزّره بل قال: سـيروا على اسم اللّه و المنجّم من جملتهم لانّه صاحبه.

و هذا يدلک على تباعد الرّواية من صحّة النّقل أو يكون لها تأويل غير ظاهر موافق للعقل.

ثمّ قال: و ممّا نـذكره من التّنبيه على بطلان ظاهر الرّواية بتحريم علم النّجوم قول الرّاوى فيها إنّ من صدّقک فقد كذب القرآن و اسـتغنى عن الاسـتعانة باللّه و نعلم أنّ الطلائع للحروب مـديون على السّـلامة من هجوم الجيش و كثير من النّحوس و يبشّـرون بالسّـلامة و ما الزم من ذلک أن يوليهم الحمد دون ربّهم ثمّ انّنا وجدنا فى الدّعوات الكثيرة التّعوذ من أهل الكهانة و السّحرة فلو كان المنجّم مثلهم كان قد تضمن بعض الأدعية التّعوّذ منه و ما عرفنا فى الأدعية التعوّذ من النّجوم و المنجّم إلى وقتنا هذا.

و من التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أنّ الدّعوات تضمّن كثير منها و غيرها من صفات النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه لم يكن كاهنا و لا ساحرا و ما وجدنا إلى الآن و لا كان عالما بالنّجوم، فلو كان المنجّم كالكاهن و الساحر ما كان يبعد أن يتضـمنه بعض الرّوايات و الدعوات فى ذكر الصّفات انتهى كلامه رفع مقامه.

و اورد عليه المحدّث المجلسى (ره) بعد نقل كلامه فى البحار بقوله، و أقول:

أمّا قـدحه فى سـند الرّوايـة فهى من المشـهورات بين الخاصّـة و العامّـة و لذا أورده السـيّد (ره) فى النهج اذ دأبه فيه أن يروى ما كان مقبول الطرفين و ضعف سند الرّواية

التی أورده الصّدوق لا یدلّ علی ضعف سایر الأسانید.

و عمر بن سعد الذی یروی عنه نصر بن مزاحم لیس الملعون الذی کان محارب الحسین علیه السّلام کما یظهر من کتابه کتاب الصّفین الذی عندنا، فان أکثر ما رواه فیه رواه عن هذا الرّجل و فی کثیر من المواضع عمر و مکان عمر، و لم یکن الملعون من جملة رواة الحدیث و حملة الأخبار حتّی یروی عنه هذه الأخبار الکثیرة.

و أیضا روایة نصر عنه بعید جدّا فانّ نصر کان من أصحاب الباقر علیه السّلام و الملعون لم یبق بعد شهادة الحسین علیه السّلام إلاّ قلیلا، و الشّواهد علی کونه غیره کثیرة لا تخفی علی المتدرّب فی الاخبار العارف بأحوال الرّجال و هذا من السیّد غریب و أمّا قوله إنّه لم یحکم بکفر المنجّم فیرد علیه أنّ ظاهر التشبیه بالکافر أنّه لیس بکافر و إنّما یدلّ علی اشتراکه معه فی بعض الصفات لا فی جمیع الأحکام کقتله فی الحال أو بعد امتناعه من التوبة علی أنه علیه السّلام لم یشبهه بالکافر بل بالمشبه بالکافر.

و أما قوله و لا أبعده و لا عزّره، ففیه أنه قد ظهر مما رواه ابن أبی الحدید الابعاد بالحبس المؤبد و التحریم من العطاء، و لم یعلم أنه أصرّ المنجّم علی العمل بالنجوم بعد ذلک حتی یستحقّ تعزیرا أو نکالا و عدم اشتمال روایة السید علی هذه الزّیادة لا یدلّ علی عدمها، فانّ عادة السید الاختصار علی ما اختاره من کلامه علیه السّلام بزعمه استیفاء النقل و الرّوایة مع عدم النقل فی مثل هذا لا یدلّ علی العدم.

و کونه من أصحابه علیه السّلام و بینهم لا یدلّ علی کونه مرضیا فانّ جیشه علیه السّلام کان مشتملا علی کثیر من الخوارج و المنافقین کالأشعث أخی هذا المنجّم علی ما ذکره السید و غیره أنه کان عفیف بن قیس أخا الأشعث رأس المنافقین و مثیر أکثر الفتن.

و أما قیاسه علی طلائع الحروب فالفرق بین الأمرین بیّن، فانّ ما یهدی إلیه الطلائع و نحوهم لیست امورا یترتب علیها صرف السوء و نیل المحبوب حتما بل یتوقف علی اجتماع امور کوجود الشرائط و ارتفاع الموانع و کلّ ذلک لا یتیسّر الظفر بها الاّ بفضل مسبّب الأسباب بخلاف ما ادّعاه المنجّم من أنّ الظفر یترتّب حتما علی

على الخروج فی الساعة التی اختاره.

و أما عـدم التعوّذ من النجوم و المنجّم فلأن المنجّم إنما یعود ضـرره إلی نفسه بخلاف السّاحر و الکاهن فانه یترتّب منهما ضـرر کثیر علی الناس، مع أنّ الدّعاء الذی رواه السید فی کتاب الاستخارات و أوردناه فی هذا الباب یتضمّن البراءة إلی اللّه من اللّجاء إلی العمل بالنّجوم و طلب الاختیارات منها.

و أما عـدم وصف النبیّ بأنه لم یکن منجّما لأنّ الکفار إنما کانوا یصـفونه بالسـحر و الکهانة و الشـعر فورد براءته عنها ردا علیهم و لم یکونوا یصفونه بالنجوم مع أنه کان عالما بما هو الحقّ من علم النجوم و کان من فضائله صلّی اللّه علیه و آله

الثالث

روی فی الاحتجاج و البحار قصّـة المنجّم معه علیه السّـلام بنحو آخر مشـتمل علی مطالب غریبة و أحکام عجیبة أحببت ایراد ذلک ضـنّنا منّی أن یخلو الشّرح عن ذلک فأقول.

فی الاحتجاج عن سـعید بن جبیر قال استقبل أمیر المؤمنین دهقان من دهاقین الفرس فقال له بعد التهنیة: یا أمیر المؤمنین تناحست النّجوم الطالعات و تناحست السّعود بالنّحوس و إذا کان مثل هذا الیوم وجب علی الحکیم الاختفاء و یومک هذا یوم صعب قد انقلب فیه (کوکبان خ ل) و انقدح من برجک النّیران و لیس الحرب لک بمکان.

فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام ویحک یا دهقان المنبئ بالآثار المحذّر من الأقدار ما قصّة صاحب المیزان و قصّة صاحب السّرطان؟ و کم المطالع من الأسد و السّاعات من المحرکات و کم بین السراری و الدّراری؟ قال: سانظرو أومأ بیده إلی کمّه و أخرج منه اسطر لابا ینظر فیه، فتبسّم علیه السّـلام فقال أ تدری ما حدث البارحة؟ وقع بیت بالصّـین، و انفرج برج ما جین، و سـقط سور سـر اندیب، و انهزم بطریق الرّوم بارمنیه (بارمینیّة خ ل)، و فقد دیّان الیهودی بایلة، و هاج النّمل بوادی النّمل، و هلک ملک أفریقیّة أ کنت عالما بهذا؟

قال: لا يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السّلام: البارحة سعد سبعون ألف عالم، و ولد فى كلّ عالم سبعون ألفا و الليلة يموت مثلهم و هذا منهم، و أومأ بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثى لعنه اللّه و كان جاسوسا للخوارج فى عسكر أمير المؤمنين، فظنّ الملعون أنّه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات، فخرّ الدّهقان ساجدا.

فقال أمير المؤمنين ألم اروّك من عين التّوفيق؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السّلام أنا و صاحبى لا شرقىّ و لا غربىّ نحن ناشئة القطب و أعلام الفلك أما قولك انقدح من برجك النيران، فكان الواجب أن تحكم به لى لا علىّ، و أمّا نوره و ضياؤه فعندى و أمّا حريقه و لهبه فذهب عنّى فهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسبا.

قال المحدّث المجلسى فى شرحه بعد ما أورده فى البحار: «ما قصّة صاحب الميزان» أى الكواكب التى الآن فى برج الميزان أو الكواكب المتعلّقة بتلك البرج المناسبة لها، و كذا صاحب السّرطان و «كم المطالع» أى كم طلع من ذلك البرج الان و «السّاعات» أى كم مضى من طلوع السّاعات من طلوع ساير المحرّكات.

و لعلّ المراد «بالسّرارى» الكواكب الخفية تشبيها لها بالسّرية «و الدّرارى» الكواكب الكبيرة المضيئة أو اصطلاحان فى الكواكب لا يعرفهما المنجّمون، و الغرض أنّه لو كان هذا العلم فانّما يمكن الحكم به بعد الاحاطة بجميع أوضاع الكواكب و أحوالها و خواصّها فى كلّ آن و زمان و المنجّمون لم يرصدوا من الكواكب إلاّ أقلها و مناط أحكامهم أوضاع السّيارات فقط مع عدم احاطتهم بأحوال تلك أيضا.

ثمّ نبّهه عليه السّلام على عدم احاطته بذلك العلم أو عدم كفايته للعلم بالحوادث بجهله بكثير من الامور الحادثة، و فى القاموس «البطريق» ككبريت القايد من قوّاد الرّوم تحت يده عشرة آلاف رجل انتهى و «ديّان اليهود» عالمهم و فى بعض النّسخ بالنّون جمع دن و هو الجبّ العظيم «و صاحبى» أى النّبىّ «لا شرقى و لا غربى» ايماء إلى قوله سبحانه لا شرقيّة و لا غربية، و الغرض لسنا كساير الناس

حتّى تحكم علينا بأحكامهم كالنّجوم المنسوبة إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء و الأشراف فانا فوق ذلک کلّه.

«نحن ناشئة القطب» أى الفرقة النّاشئة المنسوبة إلى القطب أى حقيقة لثباتهم و استقرارهم فى درجات العزّ و الكمال أو كناية عن أنّهم غير منسوبين إلى الفلک و الكواكب بل هى منسوبة إليهم و سعادتها بسببهم، أو أنّهم قطب الفلک إذ الفلک يدور ببركتهم «و» هم «أعلام الفلک» بهم يتزيّن و يتبرّک و يسعد.

ثمّ الزم عليه السّلام عليه فى قوله «انقدح من برجک النّيران» بأنّ للنّار جهتين جهة نور وجهة إحراق فنورها لنا و إحراقها على عدوّنا، و يحتمل أن يكون المراد به أنّ اللّه يدفع ضررها عنّا بتوسّلنا به تعالى و توكلنا عليه «فهذه مسألة عميقة» أى كوننا ممتازين عن ساير الخلق فى الأحكام أو كون النيران خيرا لنا و شرّا لعدوّنا و أنّ التوسل و الدّعاء يدفع النحوس و البلاء مسألة عميقة خارجة عن قانون نجومک و حسابک و يبطل جميع ما تظنّ من ذلک.

و فى البحار روينا باسنادنا إلى الشيخ سعيد محمّد بن رستم بن جرير الطبرى الامامى عن الحسين بن عبد اللّه الجرمى و محمّد بن هارون التلعكبرى عن محمّد بن أحمد ابن محروم عن أحمد بن القاسم عن يحيى بن عبد الرحمن عن علىّ بن صالح بن حىّ الكوفى عن زياد بن المنذر عن قيس بن سعد قال:

كنت كثيرا اساير أمير المؤمنين عليه السّلام إذا سار إلى وجه من الوجوه فلما قصد أهل النهروان و صرنا بالمداين و كنت يومئذ مسايرا له إذ خرج إليه قوم من أهل المداين من دهاقينهم معهم براذين قد جاءوا بها هدية إليه فقبلها، و كان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المداين يدعى سرسفيل، و كانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى و ترجع إلى قوله فيما سلف فلما بصر بأمير المؤمنين قال له:

يا أمير المؤمنين لترجع عما قصدت قال و لم ذاک يا دهقان؟ قال: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطوالع فنحس أصحاب السعود و سعد أصحاب النحوس و لزم الحكيم

فی مثل هذا الیوم الاستخفاء و الجلوس، و أنّ یومک هذا یوم ممیت قد اقترن فیه کوکبان قتّالان، و شرف فیه بهرام فی برج المیزان، و انقدح «و انفذت خ» من برجک النیران و لیس الحرب لک بمکان.

فتبسّم أمیر المؤمنین علیه السّلام ثمّ قال: أیّها الدّهقان المنبئ بالاخبار و المحذّر من الاقدار ما نزل البارحة فی آخر المیزان و أیّ نجم حلّ فی السّرطان؟ قال: سأنظر ذلک و أخرج من کمه اسطرلابا و تقویما، قال له أمیر المؤمنین: أنت مسیر الجاریات؟ قال: لا قال: فأنت تقضی علی الثابتات؟ قال لا. قال: فاخبرنی عن طول الأسد و تباعده من المطالع و المراجع و ما الزّهرة من التوابع و الجوامع؟ قال: لا علم لی بذلک.

قال علیه السّلام: فما بین السواری إلی الدّراری و ما بین السّاعات إلی المعجزات و کم قدر شعاع المبدرات و کم تحصل الفجر فی الغدوات؟ قال: لا علم لی بذلک، قال: فهل علمت یا دهقان أنّ الملک الیوم انتقل من بیت إلی بیت بالصّین و انقلب برج ماجین و احترق دور بالزّنج و طفح جبّ سراندیب و تهدم حصن الاندلس و هاج نمل الشّیخ و انهزم مراق الهندی و فقد دیان الیهود بایلة و هزم بطریک الرّوم برومیة و عمی راهب عمودیّة و سقطت شرفات القسطنطنیة أفعا لم أنت بهذه الحوادث و ما الذی أحدثها شرقیها أو غربیها من الفلک؟ قال: لا علم لی بذلک.

قال و بأیّ الکواکب تقضی فی أعلی القطب و بأیّها تنحس من تنحس؟ قال: لا علم لی بذلک قال: فهل علمت أنّه سعد الیوم اثنان و سبعون عالما فی کلّ عالم سبعون عالما، منهم فی البرّ و منهم فی البحر و بعض فی الجبال و بعض فی الغیاض و بعض فی العمران و ما الذی أسعدهم؟ قال: لا علم لی بذلک.

قال یا دهقان أظنک حکمت علی اقتران المشتری و زحل لما استنار لک فی الغسق و ظهر تلا لاشعاع المریخ و تشریقه فی السحر و قد سار فاتّصل جرمه بجرم تربیع القمر، و ذلک دلیل علی استحقاق ألف ألف من البشر کلّهم یولدون الیوم و اللیلة و یموت مثلهم و أشار بیده إلی جاسوس فی عسکره لمعاویة فقال: و یموت هذا فانّه منهم.

فلما قال علیه السّلام ذلک ظن الرّجل أنّه قال: خذوه فأخذه شیء بقلبه و تکسرت نفسه فی صدره فمات لوقته.

فقال: یا دهقان ألم أرک عین «غیر خ ل» التقدیر فی غایة التصویر؟ قال: بلی یا أمیر المؤمنین قال: یا دهقان أنا مخبرک إنی و صحبی هؤلاء لا شرقیّون و لا غربیّون إنما نحن ناشئة القطب و ما زعمت أنّه انقدح البارحة من برجی النیران فقد کان یجب أن تحکم معه لی لأنّ نوره و ضیائه عنده فلهبه ذاهب عنّی.

یا دهقان هذه قضیة عیص فاحسبها و ولّدها ما إن کنت عالما بالأکوار و الأدوار، فقال: لو علمت ذلک لعلمت تحصی عقود القصب فی هذه الاجمة.

و مضی أمیر المؤمنین فهزم أهل النهروان و قتلهم و عاد بالغنیمة و الظفر، فقال الدّهقان لیس هذا العلم بما فی أیدی أهل زماننا هذا علم مادته فی السّماء.

قال المجلسی أکثر السّؤالات المذکورة فی الرّوایة علی تقدیر صحّتها و ضبطها مبنیّة علی اصطلاحات معرفتها مختصة بهم اوردها لبیان عجزه و جهله و عدم إحاطة علمه بما لا بد منه فی هذا العلم «و کم تحصل الفجر فی الغدوات» یحتمل أن یکون المراد به زمان ما بین طلوع الفجر إلی طلوع الشمس فانّ ذلک یختلف فی الفصول و «طفح جبّ سراندیب» امتلاء و ارتفع، و منه سکران طافح و «الشّیح» نبت معروف و یحتمل أن یکون المراد هنا الوادی الذی هو منبته.

و «العمودیة» ماء للنّصاری یغمسون فیه اولادهم و «ما الذی أحدثها» أی بزعمک «شرقیها» أی الکواکب «ألم أرک غیر التّقدیر» بکسر الغین و فتح الیاء ای التغیرات النّاشئة من تقدیرات اللّه تعالی و فی بعض النّسخ عین التّقدیر أی أصله «هذه قضیة عیص» بالاضافة إلی الاصل فی القاموس العیص بالکسر الاصل و فی بعض النّسخ عویصة ای صعبة شدیدة و «ولّدها» بصیغة الأمر و تشدید اللاّم أی استنتج منها.

الرابع

فی تحقیق الکلام فی علم النجوم و جواز العمل بأحکامه، و قد اختلف فی

ذلک الأخبار ککلمات علمائنا الأخیار و البحث فی مقامات ثلاثة.

المقام الاول

فی بطلان ما زعمه قدماء المنجمین من أنّ الکواکب تفعل فی الأرض و من علیها أفعالا یسندونها إلی طباعها.

فأقول: إنّ اعتقاد ذلک کفر و زندقة و الحاد دلّت علی امتناعه الأدلّة النقلیّة و البراهین العقلیّة.

قال الشّیخ إبراهیم بن نوبخت فی کتاب الیاقوت: قول المنجمین یبطله قدم الصّانع و اشتراط اختیاره و یلزم علیهم أن لا یستقرّ الفعل علی حال من الأحوال و قول أهل الطبایع یبطل بمثل ذلک.

و قال العلامة فی شرح ذلک: اختلف قول المنجّمین علی قسمین: أحدهما قول من قال إنّ الکواکب السّبعة حیة مختارة، و الثانی قول من قال إنّها موجبة و القولان باطلان أما الأوّل فلأنها أجسام محدثة فلا تکون آلهة، و لأنّها محتاجة إلی محدث غیر جسم فلا بدّ من القول بالصّانع، و أما الثانی فلأنّ الکواکب المعین کالمریخ مثلا إذا کان مقتضیا للحرب لزم دوام وقوع الهرج و المرج فی العالم و أن لا یستقرّ أفعالهم علی حال من الأحوال و لما کان ذلک باطلا کان ما ذکروه باطلا، و أما القائلون بالطبایع الذین یسندون الأفعال إلی مجرّد الطبیعة فیبطل قولهم بمثل ذلک أیضا فانّ الطبیعة قوّة جسمانیة فی کلّ جسم محدث فکلّ قوة حالة فهی محدثة تفتقر إلی محدث غیر طبیعة و إلاّ لزم التسلسل فلا بدّ من القول بالصّانع سبحانه.

و قال أیضا فی محکیّ کتاب المنتهی: التنجیم حرام و کذا تعلّم النجوم مع اعتقاد أنّها مؤثرة أو أنّ لها مدخلا فی التاثیر بالنفع و الضّرر و بالجملة کلّ من یعتقد ربط الحرکات النفسانیة و الطبیعیة بالحرکات الفلکیة و الاتّصالات الکوکبیة کافر و أخذ الاجرة علی ذلک حرام.

و قال علم الهدی فی کتاب الغرر و الدّرر: و قد فرغ المتکلّمون من الکلام فی أنّ الکواکب لا یجوز أن تکون فینا فاعلة و تکلّمنا نحن أیضا فی مواضع علی ذلک

و بيّنا بطلان الطبايع التى يهـذون بـذكرها و إضافة الافعال إليها و بيّنا أنّ الفاعل لا بدّ أن يكون حيا قادرا و قد علمنا أنّ الكواكب ليست بهذه الصفة فكيف تفعل و ما يصحّح الأفعال مفقود فيها.

و قـد سـطر المتكلّمون طرفا كثيرة فى أنها ليست بحيّـة و لا قادرة أكثرها معترض و اشـف(1) مـا قيـل فى ذلک أنّ الحياة معلوم انّ الحرارة الشّديـدة كحرارة النّـار تنفيهـا و لاـ تثبت معها و معلوم أنّ حرارة الشـمس أشـدّ و أقوى من حرارة النّار بكثير لأنّ الـذى يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشّمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار و ما كان بهذه الصّفة من الحرارة يستحيل كونه حيّا.

و أقوى من ذلک كلّه فى نفى كون الفلک و ما فيه من شمس و قمر و كوكب أحياء السمع و الاجماع و أنّه لا خلاف بين المسلمين فى ارتفاع الحياة عن الفلک و ما يشـتمل عليه من الكواكب و أنها مسـخّرة مدبّرة مصرفة، و ذلک معلوم من دين رسول اللّه ضرورة و إذا قطعنا على نفى الحياة و القدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة.

و على أننـا قـد سـلّمنا لهم اسـتظهارا فى الحجـة أنّها قادرة قلنا إنّ الجسم و إن كان قادرا قـدرا فانّه لا يجوز أن يفعل فى غيره إلاّ على سبيل التوليد، و لا بدّ من وصـلة بين الفاعل و المفعول فيه، و الكواكب غير مماسة لنا و لا وصـلة بيننا و بينها فكيف تكون فاعلة فينا، فان ادّعى أنّ الوصـلة بيننا الهواء فالهواء أوّلا لا يجوز أن يكون آلة فى الحركات الشّديدة و حمل الاثقال، ثمّ لو كان الهواء آلة تحرّكنا بها الكواكب لوجب أن نحسّ بذلک و نعلم أنّ الهواء يحرّكنا و يصرفنا كما نعلم فى غيرنا من الأجسام إذا حرّكنا بآلة على أنّ فى الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بآلة و لا يتولّد عن سبب كالارادات و الاعتقادات و أشياء كثيرة فكيف فعلت الكواكب ذلک فينا.

و هى لا يصحّ أن تكون مخترعة للأفعال لأنّ الجسم لا يجوز أن يكون قادرة إلاّ

1- (1) أى أفضل منه.

بقدرة و القدرة لا يجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال فأمّا الادمة(1) فليس تؤثرها الشّمس على الحقيقة فى وجوهنا و أبداننا و إنّما اللّه تعالى هو المؤثر لها و فاعلها بتوسّط حرارة الشّمس كما أنّه تعالى هو المحرّق على الحقيقة بحرارة النّار و الهاشم لما يهشمه الحجر بثقله و حرارة الشّمس مسوّدة الأجسام من جهة معقولة مفهومة كما أنّ النّار تحرق الاجسام على وجه معقول فأىّ تأثير للكواكب فينا يجرى هذا المجرى فى تمييزه و العلم بصحته فليشر إليه فانّ ذلک لا قدرة عليه.

و ممّا يمكن أن يعتمد فى إبطال أن تكون الكواكب فاعلة و مصرّفة لنا أن ذلک يقتضى سقوط الأمر و النهى و المدح و الذّم عنّا، و نكون معذورين فى كلّ إسائة تقع منا و نجيئها بأيدينا و غير مشكورين على شىء من الاحسان و الافضال و كلّ شىء نفسد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب.

الثانى

فى أنّه بعد ما تحقق بطلان كون الكواكب عللا مؤثرة مدّبرة لهذا العالم السّفلى موجدة لما فيه فهل يمكن كونها أمارات و علامات على وقوع بعض الحوادث فى هذا العالم ممّا يوجده اللّه تعالى بقدرته، و هل يمكن الاطلاع بالحوادث الاستقبالية من أشكال الكواكب و اتّصالاتها و ما يعرض لها من الأوضاع و الهيآت بقرب بعضها من بعض أو بعده بأن يجرى عادة اللّه سبحانه على فعل كذا عند كذا.

الحقّ إمكان ذلک وفاقا لاكثر الأصحاب لما سمعنا و شاهدنا من إصابة كثير من المنجمين فى أحكامهم النّجوميّة و إن كان خطائهم فيها كثيرا أيضا، و يبعد بأن تكون تلک الاصابة كلّها من باب البخث و الاتفاق.

و قد خالف فى ذلک المرتضى و بالغ كلّ المبالغة فى إنكار أصل هذا العلم و زعم أنّ جميع ما اتفق من اخبار المنجمين من باب الاتفاق و التخمين نحو ما يقوله الفوّالون.

1- (1) الادمة بالضمّ السمرة، ق.

قال فی کتاب الغرر و الـدرر ما ملخصه: إنّ جریان عادة اللّه بأن یفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع کوکب أو غروبه أو اتّصاله أو مفارقته و إن کان جائزا لکن لا طریق إلی العلم بأنّ ذلک قـد وقع و ثبت من أین لنا بأنّ اللّه تعالی قـد أجری العادة بأن یکون زحلا و المرّیـخ إذا کان فی درجة الطالع کان نحسا، و أنّ المشتری إذا کان کذلک کان سعدا، و أیّ سمع مقطوع به جاء بذلک و أیّ نبی خبر به و استفید من جهته.

فان عوّلوا فی ذلک علی التجربة بانّا جرّ بنا ذلک و من کان قبلنا فوجدناه علی هذه الصّفة و إذا لم یکن موجبا وجب أن یکون معتادا.

قلنا و من سـلم لکم صـحّة هذه التّجربة و انتظامها و اطرادها و قدر أینا خطائکم فیها أکثر من صوابکم و صدقکم أقلّ من کذبکم فالاّ نسبتم الصّـحة إذا اتفقت منکم إلی الاتفـاق الـذی یقع من المخمن و المرجّم، فقـد رأینا من یصـیب من هؤلاء أکثر ممّن یخطی و هو غیر أصـل معتمد و لا قاعدة صحیحة.

فاذا قلتم: سـبب خطاء المنجم زلل دخل علیه فی أخذ الطالع أو تسییر الکواکب، قلنا و لم لا کانت اصابته سببها التخمین و إنّما کان یصحّ لکم هـذا التأویل و التخریـج لو کان علی صـحّة احکام النجوم دلیل قاطع هو غیر اصابة المنجّم، فامّا إذا کان دلیل صـحّة الاحکام الاصابة فالا کان دلیل فسادها الخطاء فما أحدهما فی المقابلة إلاّ کصاحبه إلی أن قال.

و بعض الرّؤساء بل الوزراء ممّن کان فاضلا فی الأدب و الکتابة و مشعوفا بالنّجوم عاملا علیها قال لی یوما و قد جری حدیث یتعلق بأحکام النجوم و رای من مخایلی التّعجب ممّن یتشاغل بذلک و یفنی زمانه به: ارید أن أسألک عن شـیء فی نفسی، فقلت: سل عمّا بدا لک، فقال: ارید أن تعرّفنی هل بلغ بک التّکذیب باحکام النّجوم إلی أن لا تختار یوما لسـفر و لبس ثوب جدید و توجه فی حاجة؟ فقلت: قد بلغت إلی ذلک و الحمد للّه و زیادة علیه و ما فی داری تقویم و لا انظر فیه و ما رأیت مع ذلک إلاّ خیرا.

ثم أقبلت عليه فقلت نـدع ما يـدلّ على بطلان احكام النجوم ممّا يحتاج إلى ظن دقيق و روية طويلة و ههنا شـيء قريب لا يخفى على أحد ممن علت طبقته فى الفهم او انخفضت.

خبرنى لو فرضـنا جادّة مسلوكة و طريقا يمشى فيه النّاس ليلا و نهارا و فى محجته آبار متقاربة و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمّل و توقف حتّى يتخلّص من السّقوط فى بعض تلك الآبار هل يجوز أن يكون سلامة من يمشى فى هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشـى من البصـراء، و قـد فرضـنا أنّه لا يخلو طرفـة عين من المشاة فيه بصـراء و عميان و هل يجوز أن يكون عطب البصـراء يقارب عطب العميان أو سلامة العميان مقاربة بسلامة البصراء؟ فقال: هذا ممّا لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان و لا يجوز فى مثل هذا التّقارب.

فقلت: إذا كان هـذا محالا فاحيلوا نظيره و ما لا فرق بينه و بينه و أنتم تجيزون شبيه ما ذكرناه و عديله، لأنّ البصـراء هم الذين يعرفون أحكام النّجوم و يميزّون سـعدها من نحسـها و يتوقون بهـذه المعرفة مضارّ الزّمان و يتحفّظونها و يعتمدون منافعه و يقصدونها، و مثال العميان كلّ من لاـ يحسن تعلّم النّجوم و لاـ يلتفت إليه من الفقهـاء و الفهمـاء و أهـل الـدّيانات و العبـادات ثمّ ساير العوام و الأعراب و الأكراد و هم أضـعاف أضـعاف من يراعى عـدد النّجوم، و مثال الطريق الـذى فيه الآبار الزّمان الذى يمضـى عليه الخلق أجمعون، و مثال آباره مصايبه و نوائبه و محنه.

و قـد كـان يجب لو صـحّ العلم بـالنجوم و أحكامها أن تكون سـلامة المنجّمين أكثر و مصايبهم أقلّ لأنّهم يتوقّون المحن لعلمهم بها قبل كونهـا و تكون محن كـلّ من ذكرناه من الطبقات الكثيرة أوفر و أظهر حتّى تكون السّلامة هى الطريقـة الغريبـة و قـد علمنا خلاف ذلک أنّ السّلامة و المحن متقاربة غير متفاوته.

فقـال: ربّما اتّفق مثل ذلک، فقلت له: فيجب أن نصـدّق من خبرنا فى ذلک الطريق المسـلوک الـذى فرضـناه بأنّ سـلامة العميان كسـلامة البصراء، و نقول لعلّ

ذلک اتّفق، و بعد فانّ الاتّفاق لا یستمرّ بل ینقطع و هذا الذی ذکرناه مستمرّ غیر منقطع إلی أن قال:

و من أدلّ الـدّلیل علی بطلان أحکام النّجوم إنّا قد علمنا أنّ من جملة معجزات الأنبیاء علیهم السـلام الاخبار عن الغیوب و عدّ ذلک خارقا للعـادات کاحیـاء المیّت و ابراء الأـکمه و الأـبرص، و لو کان العلم بما یحـدث طریقا نجومیا لـم یکن ما ذکرناه معجزا و لا خارقا للعادة، و کیف یشتبه علی مسلم بطلان أحکام النّجوم.

و قد أجمع المسـلمون قدیما و حدیثا علی تکذیب المنجمین و الشّهادة بفساد مذاهبهم و بطلان احکامهم، و معلوم من دین الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم ضرورة التّکذیب بما یدّعیه و الازراء علیهم و التعجیز لهم و فی الرّوایات عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من ذلک ما لا یحصـی کثرة و کذلک عن علماء أهل بیته علیهم السّلام و خیار أصحابه فما زالوا یبرون من مذاهب المنجمین و یعدّونها ضلالا و محالا و ما اشتهر هذه الشهرة فی دین الاسلام کیف یفتی بخلافه منتسب إلی الملّة و مصلّ إلی القبلة.

فأمّـا إصـابتهم فی الاخبـار عن الکسوفات فلأجل أنّ الکسوفات و اقترانات الکواکب و انفصالها طریقـة و الحساب و تسـییر الکواکب، و له اصول صحیحة و قواعد سدیدة، و لیس کذلک ما یدعونه من تأثیرات الکواکب فی الخیر و الشّر و النّفع و الضرّ، انتهی کلامه رفع مقامه.

و مثله شیخ المتکلمین محمود بن علیّ الحمصی قال فی محکی کلامه فی البحار: إنّا لا نردّ علیهم فیما یتعلّق بالحساب فی تسییر النّجوم و اتّصالاتها التی یذکرونها فانّ ذلک ممّا لا یهمّنا و لا هو مما یقابل بانکار و ردّ ثمّ قال:

فـان قیـل: کیف تنکرون الاحکام و قـد علمنا أنهم یحکمون بالکسوف و رؤیـة الأهلّـة و یکون الأمر علی ما یحکمون فی ذلک، و کـذلک یخبرون عن امور مستقبلة تجری علی الانسان و تجری تلک الامور علی ما أخبروا عنها فمع وضوح الأمر فیما ذکرناه کیف تدفع الأحکام؟ قلنا إنّ إخبارهم عن الکسوف و الخسوف و رؤیة الأهلّة فلیس من الأحکام

و إنّما هو من باب الحساب إنّما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف كان من الحوادث كذا و كذا، فامّا الامور المستقبلة التى يخبرون عنها فأكثرها لا تقع على ما يخبرون عنه و إنّما يقع قليل منه بالاتفاق و مثل ذلک يتفق لأصحاب الفال و الزّجر الذين لا يعرفون النجوم بل للعجايز اللواتى يتفأ لن بالأحجار و الذى قد يخبر المصروع و كثير من ناقصى العقول عن أشياء فيتّفق وقوع ما يخبرون عنه انتهى.

و نحوهما الشّيخ محمّد بن الحسين الكيدرى قال فى شرحه على الكتاب على ما حكى عنه فى البحار: كيف يمكن أن يكون الانسان يعرف الحوادث و أسبابها فى الحال حتّى يعرف المسبّبات فى المستقبل كما فى الجزر و المدّ، و من ادّعى أنّه يعرف أسباب الكاينات فمقدّماته ليست برهانية و إنما هى تجربية أو شعريّة أو خطابية مؤلفة من المشهورات فى الظاهر أو المقبولات و المظنونات.

و مع ذلک فلا يمكنه أن يتعرّض إلاّ لجنس من أجناس الأسباب و هو تعرّض بعض الأسباب العلوّية و لا يمكنه أن يتعرّض لجميع الاسباب السّماوية و القوابل و اذا تغيرت القوابل عن احوالها تغير أثر الفاعل فيها فانّ النّار فى الحطب اليابس مؤثرة تأثيرا لا تؤثر فى الرّماد و كذلک معرفة بقائها على استعداد القبول شرط و يمكن أن يكون القوابل عوائق فلا يعلم تلک الأسباب و المسببات إلاّ اللّه تعالى.

و أيضا فانّ المنجم يحكم على مفردات الكواكب و لا يحكم على جميعها ممتزجة و كما أنّ أحكام مفردات الترياق و ساير المعاجين غير أحكام المركب الذى حصلت له صورة نوعية، كذلک حكم الكواكب المركوزة فى الأفلاک غير حكم أفرادها، و إذا لم يمكن المنجم الحكم إلاّ على المفردات كان الحكم ناقصا غير موثوق به.

ثمّ إنّه ربّما يحصل التوأمان فى غشاء فيكشف عنهما فاذا فيه صبيّان حيّان و على قوانين الاحكاميين يجب أن يكونا مثلين فى الصورة و العمر و الحركات حتّى لا يجوز أن يختلفا فى شىء من الأشياء و لا يجوز أن يسكت أحدهما فى وقت كلام

الآخر و لا يقوم فى وقت قعود الآخر و لا ينام فى وقت لا ينام فيه الآخر، و إذا دخلا بيتا فيه باب ضيق فلا يمكنهما الدّخول فانّه لا بدّ ههنا من التّقدم و التّأخر، و لا يجوز أن يمسّ الانسان أحدهما دون الآخر، و لا يجوز أن يكون فى التزويج امرأة أحدهما غير امرأة الآخر و لا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر فى الأرض و هذا ما لا يخفى فساده.

و أيضا فانّ الحكم الكلّى عند أكثرهم يغلب الجزئى ألا ترى أنّ طالع ناحية أو بلد إذا كان فاسدا فانّه لا يفيد عطية الكدخداه لانسان فكيف يعتمد على الطوالع و الاختيارات مع نفى العلم بالكليات.

و من شنيع قولهم انّهم يقولون إذا ولد للملك فى حال ولد و لسوقى ولد، فانّ الكواكب تدلّ لابن الملك بخلاف ما يدلّ لابن السوقى مع اتّفاقهما فى كمية العمر لأن حيلاجهما و كدخداهما لا يختلفان، فاذا جاز دلالة النّجوم مختلفة فى سعادة هذين الولدين فما أنكروا أن يكون مقادير أعمارهما أيضا مختلفة.

و اختلفوا فى تقويم الكواكب باختلاف الزّيجات و لا برهان على فساد بعضها و صواب بعضها فربما يوجد فى تقويم الشّمس من التّفاوت خمس درج و تختلف درج الطوالع و بروج التّحاويل بسبب ذلک فتفسد الاحكام.

ثمّ أورد عليهم كثيرا من الاختلافات و التّناقضات لا نطيل الكلام بايرادها.

اقول: و ما ذكره هؤلاء الأفاضل من الاختلافات و التناقضات و الاستبعادات كلّها مسلم إلاّ أنّ دلالتها على بطلان علم النّجوم من أصله ممنوعة، و نحن لا نضايق من كثرة خطاء المنجمين و خبطهم فى أحكامهم إلاّ أنّ إصابتهم فيها أيضا غير عزيز و دعوى أنّ كلّ هذه الاصابة على كثرتها من باب الاتفاق كما ترى، و سرّ كثرة وقوع الخطاء فيها أنّ ما فى أيدى النّاس من هذا العلم غير تامّ و تمامه إنّما هو عند أئمة الدين الذينهم خزّان العلم و اليقين.

و يشهد بما ذكرناه من صحّة هذا العلم فى الجملة و على أنّ له أصلا الأخبار

و الاعتبار.

اما الاخبار فهی کثیرة لا تحصی.

منها روایتا الاحتجاج و البحار السالفتان فی التنبیه الثالث.

و منها ما رواه فی الکافی باسناده عن معلّی بن خنیس قال سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن النّجوم أحقّ هی؟ قال: نعم إنّ اللّه عزّ و جل بعث المشتری إلی الأرض فی صورة رجل فأخذ رجلا من العجم فعلّمه النجوم حتّی ظن أنّه قد بلغ، ثمّ قال له: انظر أین المشتری، فقال: ما أراه فی الفلک و ما أدری أین هو، قال: فنحاه و أخذ بید رجل من الهند فعلمه حتّی ظن أنّه قد بلغ، و قال: انظر إلی المشتری این هو فقال: إنّ حسابی لیدلّ علی أنک أنت المشتری، و قال فشهق شهقة فمات و ورث علمه أهله فالعلم هناک.

و منها ما فی البحار من کتاب النجوم عن الرّیان بن الصّلت، و ذکر اجتماع العلماء بحضرة المامون و حضور الصّباح بن نصر الهندی عند مولانا الرّضا علیه السّلام و سؤاله عن مسائل کثیرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال علیه السّلام ما هذا لفظه:

هو علم فی أصل صحیح ذکروا أنّ أوّل من تکلّم فی النجوم إدریس و کان ذو القرنین بها ماهرا و أصل هذا العلم من عند اللّه عزّ و جلّ و یقال أنّ اللّه بعث النجم الذی یقال له المشتری إلی الأرض فی صورة رجل فأتی بلد العجم فعلّمهم فی حدیث طویل فلم یستکملوا ذلک، فأتی بلد الهند فعلّم رجلا منهم فمن هناک صار علم النجوم بها و قد قال قوم هو علم من علم الأنبیاء خصّوا به لأسباب شتّی فلم یستدرک المنجمون الدّقیق منها فشابوا الحقّ بالکذب.

هذا آخر لفظ مولینا علیّ بن موسی الرّضا علیه السّلام فی هذه الروایة الجلیلة الأسناد و قوله علیه السّلام حجة علی العباد، و قوله علیه السّلام ذکروا و یقال فانّ عادته عند التّقیة من المخالفین و العامة یقول نحو هذا الکلام و تارة یقول کان أبی یقول و تارة روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و منهـا ما فيه أيضا من كتاب النجوم و جادة فى كتاب عتيق عن عطا قال: قيل لعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام: هل كان للنجوم أصل؟ قال: نعم نبىّ من الأنبيـاء قال له قومه إنا لا نؤمن بک حتّى تعلّمنا بـدء الخلق و آجاله فأوحى اللّه عزّ و جلّ إلى غمامـة فأمطرتهم و اسـتنقع حول الجبل ماء صافيا، ثمّ أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى الشّمس و القمر و النجوم أن تجرى فى ذلک الماء، ثمّ أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى ذلک النبىّ أن يرتقى هو وقوعه على الجبـل فـارتقوا الجبـل فقاموا على الماء حتّى عرفوا بـدء الخلق و آجاله بمجارى الشّمس و القمر و النجوم و ساعات الليل و النّهار.

و كان أحدهم يعلم متى يموت و متى يمرض و من ذا الّذى يولد له و من ذا الّذى لا يولد له فبقوا كذلک برهة من دهرهم.

ثمّ إنّ داود عليه السّلام قاتلهم على الكفر فاخرجوا إلى داود فى القتال من لم يحضـر أجله و من حضـر أجله أخلفوه فى بيوتهم فكان يقتل من أصـحاب داود و لا يقتل من هؤلاء واحد، فقال داود عليه السّلام ربّ اقاتل على طاعتک و يقاتل هؤلاء على معصيتک فيقتل أصحابى و لا يقتل من هؤلاء أحد؟ فأوحى اللّه عزّ و جلّ إنّى كنت علّمتهم بدء الخلق و آجاله إنّما أخرجوا إليک من لم يحضر أجله و من حضر أجله خلفوه فى بيوتهم فمن ثمّ يقتل من أصـحابک و لا يقتل منهم أحد قال داود: يا ربّ على ما ذا علّمتهم؟ قال تعالى: على مجارى الشـمس و القمر و النجوم و ساعات الليل و النهار.

قـال عليه السّلام فـدعا اللّه عزّ و جـلّ فحبس الشـمس عليهم فزاد فى النّهار و اختلط الزّيادة بالليل و النهار فلم يعرفوا قـدر الزّيادة فاختلط حسابهم قال علىّ عليه السّلام فمن ثمّ كره النظر فى علم النجوم، و رواه فيه أيضا عن الدّر المنثور، نعم زاد فيه أنّ النبىّ المذكور كان يوشـع بن نون.

و منها ما رواه يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام جعلت فداک أخبرنى عن علم النجوم ما هو؟ قال عليه السّلام هو علم من علم الأنبياء، قال فقلت: كان علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يعلمه؟ فقال: كان أعلم النّاس به.

و الاخبار فى هذا المعنى كثيرة لا نطيل بذكرها و من أراد الزّيادة فليراجع

إلى كتاب السّماء و العالم من البحار، فقد عقد المجلسى «ره» فيه بابا على ذلک و استوفى الكلام فيه.

و اما الاعتبار فهو إنا قد سمعنا تظافرا بل تواترا و حصل لنا العلم وجدانا بأنّ من المنجمين من حصل له العلم بجملة من الحوادث الاستقبالية فى موارد شتى من طريق النجوم و حكموا فيه فكان حكمه مطابقا للواقع و لا بأس بالاشارة إلى بعض تلک الموارد تاييدا و استظهارا.

فمنها دلالة النجوم على نبوّة نوح فقد رواه فى البحار من كتاب التجمل باسناده عن جميل عن زرارة عن أبى جعفر عليه السّلام عمن ذكره قال: قد كان علم نبوّة نوح بالنجوم.

و منها دلالتها على إبراهيم ففى البحار أيضا من كتاب النجوم من كتاب التجمّل إنّ آذر أبا إبراهيم كان منجما لنمرود و لم يكن يصدر إلاّ عن أمره فنظر ليلة فى النجوم فأصبح و هو يقول لنمرود لقد رأيت فى النجوم عجبا، قال: و ما هو؟ قال:

رأيت مولودا يولد فى زماننا يكون هلاكنا على يديه و لا يلبث إلاّ قليلا حتى يحمل به قال: فتعجب من ذلک ثم قال: هل حملت به النساء بعد؟ قال: لا، فحجب الرّجال عن النساء و لم يدع امرأة إلاّ جعلها فى المدينة و لا يخلص إليها بعلها.

قال فوقع آذر على أهله فحملت بابراهيم فظنّ أنّه صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلک الزّمان و كنّ أعلم النّاس بالجنين و لا يكون فى الرّحم شىء إلاّ عرفنه و علمن به، فنظرن فالزم ما فى الرّحم الظهر فقلن ما نرى فى بطنها شيئا، قال و كان ممّا اوتى من العلم أنّ المولود سيحرق بالنار و لم يؤت علما أنّ اللّه سينجيه منها.

قال المجلسى و قد روى هذا الحديث علىّ بن إبراهيم فى كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرّواية و رواه أيضا أبو جعفر محمّد بن جرير الطبرى فى الجزء الأول من تاريخه، و رواه أيضا سعيد بن هبة اللّه الراوندى فى كتاب قصص الأنبياء، و رواه الثعلبى فى تفسيره و غيره من العلماء.

و منها دلالتها على نبوّة موسى عليه السّلام و كتب التواريخ مشحونه بذلک و قد روى

المجلسی من کتاب العرایس للثعلبی قال إنّ فرعون رأی فی منامه أنّ نارا قد أقبلت من بیت المقدس حتّی اشتملت علی بیوت مصر فأحرقتها و أحرقت القبط و ترکت بنی اسرائیل، فدعی فرعون السّحرة و الکهنة و المعبرین و المنجمین و سألهم عن رؤیاه فقالوا له: إنّه یولد فی بنی اسرائیل غلام یسلبک ملکک و یغلبک علی سلطانک، و یخرجک و قومک من أرضک و یذلّ دینک و قد اطلک زمانه الذی یولد فیه.

و منها دلالتها علی نبوّة عیسی علیه السّلام روی فی البحار من کتاب النبوة لابن بابویه فی باب سیاقه حدیث عیسی بن مریم فقال ما هذا لفظه: و قدم علیها و فد من علماء المجوس زائرین معظمین لامر ابنها و قالوا إنا قوم ننظر فی النجوم فلما ولد ابنک طلع بمولده نجم من نجوم الملک فنظرنا فیه فاذا ملکه ملک نبوّة لا یزول عنه و لا یفارقه حتی یرفعه إلی السماء و یجاور ربّه عزّ و جلّ ما کانت الدنیا مکانها ثمّ یصیر إلی ملک هو أطول و أبقی مما کان فیه.

فخرجنا من قبل حتّی رفعنا إلی هذا المکان فوجدنا النجم متطلعا علیه من فوقه فبذلک عرفنا موضعه و قد اهدینا له هدیة جعلناها له قربانا لم یقرب مثله لأحد قط و ذلک إنا وجدنا هذا القربان یشبه أمره و هو الذهب و المرّ و اللبان لأنّ الذهب سید المتاع کلّه و کذلک ابنک سید الناس ما کان حیّا، و لأنّ المرّجبار الجراحات و العاهات کلّها و لأنّ اللّبان یبلغ دخانه السّماء و لن یبلغها دخان شیء غیره و کذلک ابنک یرفعه اللّه عزّ و جلّ إلی السّماء و لیس یرفع من أهل زمانه غیره.

و منها دلالتها علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ففی البحار و جاده فی کتاب دلایل النبوّة جمع أبی القاسم الحسین بن محمّد السّکونی باسناده عن حسان بن ثابت قال إنی و اللّه لغلام یافع یقوا بن سبع أو ثمان سنین أعقل کلّما سمعت إذ سمعت یهودیّا و هو علی أکمة یثرب یصرخ یا معشر الیهود فلما اجتمعوا قالوا ویلک مالک؟ قال: طلع نجم أحمد الذی یبعث به اللیلة.

قال: و وجدت کتابا عندنا الآن اسمه کتاب الید الصینی عمله کشینا ملک

الهند يذكر فيه تفصيل دلالة النّجوم على نبوّة نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و منها موارد متفرقة ذكر السيّد بن طاوس (ره) فى رسالته التى دوّنها فى النّجوم و ذكر جماعة من العلماء المعتنين بهذا العلم العارفين به تاييدا لصحّته.

قال المجلسى: و السيّد الجليل النبيل علىّ بن طاوس (ره) لانس قليل له بهذا العلم عمل فى ذلک رسالة و بالغ فى الانكار على من اعتقد أنّ النّجوم ذوات إرادة فاعلة أو مؤثرة و استدلّ على ذلک بدلايل كثيرة و أيّده بكلام جمّ غفير من الأفاضل إلاّ أنّه أنكر على السّيد الأجلّ المرتضى (ره) فى تحريمه و ذهب إلى أنّه من العلوم المباحات و أنّ النّجوم علامات و دلالات على الحادثات لكن يجوز للقادر الحكيم أن يغيّرها بالبرّ و الصدقة و الدّعآء و غير ذلک من الاسباب و الدّواعى على وفق إرادته و حكمته، و جوّز تعليم علم النّجوم و تعلّمه و النظر فيه و العمل به إذا لم يعتقد انها مؤثرة، و حمل أخبار النّهى و الذّم على ما إذا اعتقد ذلک.

ثمّ ذكر تأييدا لصحّة هذا العلم أسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به فقال:

إنّ جماعة من بنى نوبخت كانوا علماء بالنجوم و قدوة فى هذا الباب و وقفت على عدّة مصنّفات لهم فى النّجوم و أنها دلالات على الحادثات.

منهم الحسن بن موسى النّوبختى.

و من علماء المنجمين من الشيعة أحمد بن محمّد بن خالد البرقى و ذكر النجاشى فى كتبه كتاب النّجوم.

و منهم أحمد بن محمّد بن طلحة، فقد عدّ الشيخ و النجاشى من كتبه كتاب النجوم و الشيخ النجاشى كان له تصنيف فى النجوم.

و من المذكورين بعلم النّجوم الجلودى البصرى.

و منهم علىّ بن محمّد بن العدوى و الشّمشاطى فانّه ذكر النجاشى أنّ له رسالة فى إبطال أحكام النجوم.

و منهم علىّ بن محمّد العباس فانّ النجاشى ذكر فى كتبه كتاب الردّ على المنجمين كتاب الرّد على الفلاسفة.

و منهم محمّد بن أبی عمیر.

و منهم محمّد بن مسعود العیاشی فانّه ذکر فی تصانیفه کتاب النجوم.

و منهم موسی بن الحسن بن عباس بن اسماعیل بن أبی سهل بن نوبخت قال النجاشی کان حسن المعرفة بالنجوم و له مصنّفات فیه و کان مع ذلک حسن العبادة و الدّین.

و منهم الفضل بن أبی سهل بن نوبخت وصل إلینا من تصانیفه ما یدلّ علی قوّة معرفته بالنجوم و ذکر عن العیون ما أوردته فی أبواب تاریخ الرّضا علیه السّلام من أنّه أخبر المأمون بخطاء المنجمین فی السّاعة التی اختاروها لولایة العهد، فزجره المأمون و نهاه أن یخبر به أحدا فعلم أنّه تعمد ذلک.

أقول: و الظاهر أنّ المراد بها هی ما رواها فی العیون عن البیهقی عن الصّولی عن عون بن محمّد قال: حدّثنی الفضل بن أبی سهل النوبختی أو عن أخ له قال: لما عزم المأمون علی العقد للرّضا علیه السّلام بالعهد قلت و اللّه لأعتبر ما فی نفس المأمون من هذا الأمر أیحبّ تمامه أو هو تصنع به، فکتبت إلیه علی ید خادم له کان یکاتبنی باسراره علی یده:

قد عزم ذو الرّیاستین علی عقد العهد و الطالع السّرطان و فیه المشتری و السّرطان و إن کان شرف المشتری فهو برج منقلب لا یتمّ أمر یعقد فیه و مع هذا فانّ المریخ فی المیزان فی بیت العاقبة و هذا یدلّ علی نکبة المعقود له و عرفت أمیر المؤمنین ذلک لئلا یعتب علیّ إذا وقف علی هذا من غیری.

فکتب إلیّ إذا قرأت جوابی إلیک فارددہ إلیّ مع الخادم و نفسک أن یقف أحد علی ما عرفتنیه أو أن یرجع ذو الرّیاستین عن عزمه فانّه إن فعل ذلک الحقت الذّنب بک و علمت أنک سببه، قال فضاقت علیّ الدّنیا و تمنّیت أنّی ما کنت کتبت إلیه.

ثمّ بلغنی أنّ الفضل بن سهل ذو الرّیاستین قد تنبّه علی الأمر و رجع عن

عزمه و كان حسن العلم بالنجوم فخفت و اللّه على نفسى و ركبت إليه فقلت له: أتعلم نجما فى السّماء أسعد من المشترى؟ قال: لا قلت: أ فتعلم أنّ فى الكواكب نجما تكون فى حال أسعد منها فى شرفها؟ قال: لا، قلت: فامض العزم على رأيک إذ كنت تعتقد أن الفلک فى أسعد حالاته فامضى الأمر على ذلک فما علمت أنّى من أهل الدّنيا حتّى وقع العقد فزعا من المأمون.

قال: و منهم السّيد الفاضل علىّ بن أبى الحسن العلوىّ المعروف بابن الأعلم و كان صاحب الزّيج.

و منهم أبو الحسن النقيب الملقب أبا قيراط.

و منهم الشّيخ الفاضل الشّيعى علىّ بن الحسين بن علىّ بن المسعودى مصنّف كتاب مروج الذّهب.

و منهم أبو القاسم ابن نافع من أصحابنا الشّيعة.

و منهم ابراهيم الفرازى صاحب القصيدة فى النّجوم و كان منجّما لمنصور.

و منهم الشّيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصرى كاتب آل طولون.

و منهم الشّيخ الفاضل محمّد بن عبد اللّه بن عمر الباز يار القمىّ تلميذ أبى معشر.

و منهم الشيخ الفاضل أبو الحسين بن أبى الخضيب القمىّ.

و منهم أبو جعفر السقاء المنجم ذكره الشّيخ فى الرّجال.

و منهم محمّد بن أحمد بن سليم الجعفى مصنّف كتاب الفاخر.

و منهم محمود بن الحسين بن السّندى بن شاهک المعروف بكشاجم ذكر ابن شهر آشوب أنّه كان شاعرا منجّما متكلّما.

و منهم العفيف بن قيس أخو الأشعث ذكره المبرد، و قد مرّ أنّه قيل إنه هو الذى أشار إلى أمير المؤمنين بترک قتال الخوارج فى السّاعة التى أراد.

ثمّ قال (ره) و ممّن أدركته من علماء الشّيعة العارفين بالنجوم و عرفت بعض إصاباته

الفقيه العالم الزّاهد الملقب خطير الدّين محمود بن محمّد.

و ممّن رأيته الشيخ الفاضل أبو نصر الحسن بن على القمّى، ثمّ عدّ من اشتهر بعلم النّجوم و قيل انّه من الشّيعة فقال:

منهم أحمد بن محمّد السّنجرى، و الشّيخ الفاضل علىّ بن أحمد العمرانى، و الفاضل اسحاق بن يعقوب الكندى.

قال و ممّن اشتهر بالنجوم من بنى العباس محمّد بن عبد العزيز الهاشمى و علىّ بن القاسم القصرى، و قال وجدت فيما وقفت عليه أنّ علىّ بن الحسين بن بابويه القمى كان ممن أخذ طالعه فى النّجوم و أنّ ميلاده بالسنبلة، ثمّ قال روى الشيخ فى اختيار الكشى فى بيان حال أبى خالد السجستانى حمدويه و إبراهيم عن محمّد بن عثمان قال:

حدّثنا أبو خالد السجستانى أنّه لما مضى أبو الحسن عليه السّلام وقف عليه ثمّ نظر فى نجومه فزعم أنّه قد مات فقطع على موته و خالف أصحابه.

ثمّ قال: ففى هذا عدّة فوايد منها أنّ هذا أبو خالد كان واقفيا يعتقد أنّ أبا الحسن موسى عليه السّلام ما مات فدله اللّه تعالى بعلم النجوم على موته و قد كان هذا العلم سبب هدايته.

و منها أنّه كان من أصحاب الكاظم عليه السّلام و لم يبلغنا أنّه عليه السّلام أنكر عليه علم النّجوم و منها أنّه لو علم أبو خالد أنّ علم النّجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه فى عقيدته و منها اختيار جدّى الطوسى لهذا الحديث و تصحيحه و قد تقدّم ثناؤه على جماعة من العلماء بالنجوم ثم قال:

و ممّن اشتهر بعلمه من بنى نوبخت عبد اللّه بن أبى سهل.

و من العلماء بالنجوم محمّد بن إسحاق النديم كان منجما للعلوى المصرى.

و من المذكورين بالتصنيف فى علم النّجوم حسن بن أحمد بن محمّد بن عاصم المعروف بالعاصمى المحدّث الكوفى ثقة سكن بغداد فمن كتبه الكتب النّجومية ذكر ذلک ابن شهر آشوب فى كتاب معالم العلماء.

و ممّن اشتهر بعلم النّجوم من المنسوبين إلى مذهب الاماميّة الفضل بن سهل وزير المأمون فروى محمّد بن عبدوس الجهشيارى و غيره ما معناه أنّه لما وقع بين الأمين و المأمون ما وقع و اضطربت خراسان و طلب جند المأمون أرزاقهم و توجّه علىّ بن

عیسی بن ماهان من العراق لحرب المأمون و صعد المأمون إلی منظرة للخوف علی نفسه من جنده و معه الفضل و قد ضاق علیه مجال التدبیر و عزم علی مفارقة ما هو فیه أخذ الفضل طالعه و رفع اسطر لابا و قال ما تنزل من هذه المنزلة إلاّ خلیفة غالبا لأخیک الأمین فلا تعجل و ما زال یسکنه و یثبته حتّی ورد علیهم فی تلک الساعة رأس علیّ بن عیسی و قد قتله طاهر و ثبت ملکه و زال ما کان یخافه و ظفر بالامان و روی خبرا آخر مثل ذلک.

ثمّ قال و ممّن کان عالما بالنجوم من المنسوبین إلی الشیعة الحسن بن سهل ثمّ ذکر ما أخرجنا من العیون فی أبواب تاریخ الرّضا علیه السّلام من حدیث الحمام و قتل الفضل فیه.

أقول: الرّوایة فی العیون بسنده عن یاسر الخادم یذکر فیها خروج الرّضا علیه السّلام و المأمون و ذی الرّیاستین من مرو إلی المدینة و فیها:

و خرج المأمون و خرجنا مع الرّضا علیه السّلام فلما کان بعد ذلک بأیام و نحن فی بعض المنازل ورد علی ذی الرّیاستین کتاب عن أخیه الحسن بن سهل إنّی نظرت فی تحویل هذه السنة فی حساب النجوم فوجدت فیه أنّک تذوق فی شهر کذا یوم الأربعا حرّ الحدید و حرّ النار و أری أن تدخل أنت و الرّضا علیه السّلام و أمیر المؤمنین الحمام فی ذلک الیوم فتحتجم أنت فیه و تصب الدّم لیزول نحسه عنک.

فبعث الفضل إلی المأمون و کتب إلیه بذلک و سأله أن یدخل الحمام معه و سأل أبا الحسن علیه السّلام أیضا ذلک فکتب المأمون إلی الرّضا علیه السّلام رقعة فی ذلک فسأله أن یدخل الحمام معه فکتب إلیه أبو الحسن علیه السّلام لست بداخل غدا الحمام و لا أری لک یا أمیر المؤمنین أن تدخل الحمام غدا و لا أری الفضل أن یدخل الحمام غدا فأعاد إلیه مرّتین فکتب إلیه أبو الحسن علیه السّلام لست بداخل غدا الحمام فانی رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی النوم فی هذه اللیلة یقول لی یا علی لا تدخل الحمام غدا فکتب إلیه المأمون: صدقت یا سیدی و صدق رسول اللّه لست بداخل غدا الحمام و الفضل فهو أعلم و ما فعله.

قال یاسر فلما أمسینا و غابت الشمس فقال لنا الرّضا علیه السّلام قولوا نعوذ باللّه من

شرّ ما ينزل فى هذه الليلة فأقبلنا نقول ذلک فلما صلّى الرّضا عليه السّلام الصّبح قال لنا:

قولوا نعوذ باللّه من شرّ ما ينزل فى هذا اليوم فما زلنا نقول ذلک.

فلما كان قريبا من طلوع الشّمس قال لى الرّضا عليه السّلام اصعد السّطح فاستمع هل تسمع شيئا فلما صعدت سمعت الصّيحة «الضجة خ ل» و النّحيب و كثرة ذلک فاذا بالمأمون قد دخل من الباب الذى كان إلى داره من دار أبى الحسن عليه السّلام يقول يا سيدى يا أبا الحسن آجرک اللّه فى الفضل و كان دخل الحمام فدخل عليه قوم بالسّيوف و اخذ من دخل عليه فى الحمام و كانوا ثلاثة نفر أحدهم ابن خالة الفضل ذو العلمين قال و اجتمع القواد و الجند و من كان من جند ذى الرّياستين على باب المأمون فقالوا اغتاله و قتله فلنطلبن بدمه.

فقال المأمون للرّضا عليه السّلام يا سيدى ترى أن تخرج إليهم فتفرّقهم قال: ياسر فركب الرّضا عليه السّلام و قال لى اركب فلما خرجنا من الباب نزل الرّضا عليه السّلام إليهم و قد اجتمعوا و جاءوا بالنّيران ليحرقوا الباب فصاح بهم و أومى إليهم بيده تفرّقوا، فتفرّقوا قال ياسر فأقبل النّاس و اللّه يقع بعضهم على بعض و ما اشار إلى أحد الاّ ركض و مرّ و لم يقف به.

ثمّ قال السّيد رأيت فى كتاب الوزراء جمع عبد الرّحمن بن المبارک أنّه ذكر محمّد بن سعيد أنّه وجد على كتاب من كتب ذى الرّياستين بخطه هذه السنة الفلانية التى تكون فيها النكبة و إلى اللّه نرغب فى رفعها و إن صحّ من حساب الفلک شىء فالأمر واقع فيها لا محالة و نسأل اللّه أن يختم لنا بخير بمنّه، و كان يعمل لذى الرّياستين تقويم فى كلّ سنة فيوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا و يجنب فى هذا اليوم كذا، فلما كان فى السّنة التى قتل فيها عرض عليه اليوم فجعل يوقع فيه ما يصلح حتّى انتهى إلى اليوم الذى قتل فيه فقال: افّ لهذا اليوم ما أشرّه علىّ و رمى بالتّقويم.

و روى عن اخت الفضل قالت: دخل الفضل إلى امّه فى الليلة التى قتل فى صبيحتها فقعد إلى جانبها و أقبل يعظها و يعزّيها عن نفسه و يذكرها حوادث الدّهر

و تقضى امور العباد، ثمّ قبّل صدرها و ثديها و ودّعها و داع المفارق، ثمّ قام فخرج و هو قلق منزعج لما دلّه عليه الحساب، فجعل ينتقل من موضع إلى موضع و من مجلس إلى مجلس و امتنع عليه النوم.

فلما كان السّحر قام إلى الحمام و قدر أن يجعل غمه و حرارته و كربه هو الذى دلّت عليه النّجوم، و قدمت له بغلة فركبها و كان الحمام فى آخر البستان فكبت به البغلة فسرّه ذلک و قدر أنّها هى النكبة التى كان يتخوّفها، ثمّ مشى إلى الحمام و لم يزل حتّى دخل الحمام و اغتسل فيه فقتل.

قال: و من المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل، وجدت فى مجموع عتيق أنّ بوران كان فى المنزلة العليا بأصناف العلوم لا سيّما فى النجوم فانها برعت فيه و بلغت أقصى نهايته و كانت ترفع الاسطر لاب كلّ وقت و تنظر إلى مولد المعتصم فعثرت يوما بقطع عليه سببه الخشب.

فقالت لوالدها الحسن انصرف إلى أمير المؤمنين و عرّفه أنّ الجارية فلانة قد نظرت إلى المولد و رفعت الاسطر لاب فدلّ الحساب و اللّه أعلم أنّ قطعا يلحق أمير المؤمنين من خشب فى السّاعة الفلانية من يوم بعينه.

قال الحسن: يا قرّة عينى يا سيّدة الحرايرإنّ أمير المؤمنين قد تغيّر علينا و ربّما أصغى إلى شىء بخلاف ما يقتضيه وجه المشورة و النّصيحة، قالت يا أبه و ما عليک من نصيحة إمامک لأنّه خطر بروح لا عوض منها، فان قبلها و إلاّ كنت قد أدّيت المفروض عليک.

قال: فانصرف الحسن إلى المعتصم و عرّفه ما قالت بوران، قال المعتصم: أيّها الحسن أحسن اللّه جزائها و جزائک انصرف اليها و خصّ ها عنى بالسّلام و اسألها ثانيا و احضر عندى اليوم الذى عيّنت عليه و لازمنى حتّى ينصرم النوم و يذهب فلست اشار کک فى هذه المشورة و التّدبير أحدا من البشر.

قال فلما كان صباح ذلک اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتصم حتّى خرج كلّ من فى المجلس و خلا إليه و أشار عليه أن ينتقل عن المجلس الثّقفى إلى مجلس

ابن ارخی «رازجی کـذا فی الاصل» لا یوجد فیه وزن درهم واحد من الخشب، و ما زال الحسن یحدثه و المعتصم یمازحه و ینشـطه حتّی أظهر النّهار و ضـربت نوبة الصّلاة فقام المعتصم لیتوضّأ فقال الحسن لا تخرج أمیر المؤمنین عن هذا المجلس و یکون الوضوء و الصّلاة و کلّ ما ترید فیه حتّی ینصرم الیوم.

فجائه خادم و معه المشط و المسواک فقال الحسن للخادم امتشط بالمشط و اسـتک بالسّواک فامتنع و قال و کیف أتناول آلة أمیر المؤمنین، قال المعتصم و یلک امتثل قول الحسن و لا تخالف ففعل فسـقطت ثنایاه و انتفـخ دماغه و خرّ مغشـیّا علیه و رفع میتا، و قام الحسن لیخرج فاسـتدعاه المعتصم إلیه و احتضـنه و لم یفـارقه حتّی قبّل عینیه و ردّ علی بوران أملاکا و ضـیاعا، و کان ابن الزّیات سـلبها عنها و ذکر مثله بروایة اخری.

و روی من کتاب الوزراء لمحمد بن عبدوس عن إسماعیل بن صبیح قال: کنت یوما بین یدی یحیی بن خالد البرمکی فدخل علیه جعفر بن یحیی فلمـا رآه صـاح و اعرض بوجهه عنه و قطب و کره رؤیته فلمـا انصـرف قلت له: أطـال اللّه بقائـک تفعل هـذا بابنک و حاله عنـد أمیر المؤمنین حالة لا یقدم علیه ولدا و لاولیا، فقال: إلیک عنی أیّها الرّجل فو اللّه لا یکون هلاک أهل هذا البیت إلاّ بسببه.

فلمـا کـان بعـد مـدّة من ذلـک دخل علیه أیضا جعفر و أنا بحضـرته ففعل مثل ما فعل الأوّل و أکـدت علیه القول فقال: ادن منّی الـدّوات، فأدنیتها و کتب کلمات یسـیرة فی رقعة و ختمها و دفعها إلیّ و قال: بلی لیکن عندک فاذا دخلت سـنة سـبع و ثمانین و مأئة و مضـی النّجوم فانظر فیها، فلما کان فی صفر أوقع الرّشید بهم فنظرت فی الرقعة فکان الوقت الذی ذکره، قال اسماعیل، و کان یحیی أعلم النّاس بالنجوم.

و روی أیضا عن محمّد بن عبدوس صاحب کتاب الوزراء عن موسی بن نصر الوصیف عن أبیه قال: غدوت إلی یحیی بن خالد فی آخر أمرها ارید عیادته من علّة کان یجدها، فوجدت فی دهلیزه بغلا مسـرّجا فدخلت إلیه فکان یأنس بی و یفضـی إلیّ بسـرّه، فوجدته مفکرا مهموما و رأیته مستخلا مشتغلا بحساب النّجوم و هو

ينظر فيه فقلت له:

إنى لما رأيت بغلا مسرّجا سرّنى لأنى قدرت انصراف العلّة و أنّ عزمک الرّكوب، ثمّ قد غمّنى ما أراه من همک قال: فقال لى: إنّ لهذا البغل قصّة إنّى رأيت البارحة فى النّوم كأنى راكبة حتّى وافيت رأس الجسر من الجانب الأيسر فوقفت فاذا بصايح يصيح من الجانب الآخر:

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس و لم يسمر بمكة سامر

قال فضربت يدى على قربوس السّوج و قلت:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر

ثمّ انتبهت فلجأت إلى أخذ الطالع فأخذته و ضربت الأمر ظهرا لبطن فوقفت على أنه لا بد من انقضاء مدّتنا و زوال أمرنا، قال: فما كان يكاد يفرغ من كلامه حتّى دخل عليه مسرور الخادم بخوانة مغطاة و فيها رأس جعفر بن يحيى و قال له: يقول لک أمير المؤمنين: كيف رأيت نقمة اللّه فى الفاجر فقال له يحيى قوله يا أمير المؤمنين أرى انّک أفسدت عليه دنياه و أفسد عليک آخرتک.

ثمّ قال: و من رأيت ذكره فى علماء النجوم و إن لم أعلم مذهبه إبراهيم بن السّندى بن شاهک و كان منجما طبيبا متكلّما.

و من العلماء بالنّجوم عضد الدولة بن بويه و كان منسوبا إلى التشيّع و لعلّه كان يرى مذهب الزّيدية.

و منهم الشّيخ المعظم محمود بن علىّ الحمصى كما حكينا عنه.

و منهم جابر بن حيّان صاحب الصّادق عليه السّلام و ذكره ابن النّديم فى رجال الشّيعة.

و ممّن ذكر بعلم النجوم من الوزراء أبو أيّوب سليمان بن مخلد المورياني.

و ممن ظهر فيه العمل على النجوم البرامكة ذكر عبد اللّه «الرحمن فى الأصل» بن المبارک أنّ جعفرا لما عزم على الانتقال إلى قصره الذى بناه و جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه فاختار واله وقتا من الليل، فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذى

ينزل على قصره و الطرق خالية و النّاس ساكنون فلما وصل إلى سوق يحيى رأى رجلا يقول:

يدبّر بالنجوم و ليس يدرى و ربّ النّجم يفعل ما يريد

فاستوحش و وقف و دعا بالرّجل فقال له: أعد علىّ ما قلت فأعاده فقال: ما أردت بهذا؟ قال: و اللّه ما أردت به معنى من المعانى لكنّه عرض لى و جاء على لسانى فأمر له بدنانير.

ثمّ ذكر اصابات كثيرة من المنجّمين نقلا- من كتبهم، و نقل من كتاب ربيع الأبرار أنّ رجلا دخل اصبعيه فى حلقتى مقراض و قال لمنجّم: ايش ترى فى يدى؟ فقال: خاتمى حديد.

و قال: فقدت فى دار بعض الرّؤساء مشربة فضة فوجّه إلى ابن هامان يسأله فقال: المشربة سرقت نفسها، فضحكت منه و اغتاض و قال: هل فى الدار جارية اسمها فضّة أخذت الفضّة فكان كما قال.

و قال: سعى بمنجّم فامر بصلبه فقيل له هل رأيت هذا فى نجومک؟ فقال: رأيت ارتفاعا و لكن لم أعلم أنّه فوق خشبة.

و قال: من الملوک المشهورين بعلم النجوم و تقريب أهله المأمون، و ذكر محمّد بن اسحاق أنّه كان سبب نقل كتب النجوم من بلاد الرّوم و نشرها بين المسلمين.

و ذكر المسعودى فى حديث وفات المأمون قال: فأمرنا باحضار جماعة من أهل الموضع فسألهم ما تفسير التديون فقالوا: تفسيره مدّ رجليک، فلما سمع المأمون بذلک اضطرب و تطيّر بهذا الاسم و قال سلوهم ما اسم هذا الموضع بالعربية قالوا: اسمه بالعربيّة الرقة، و كان فيما عمل من مولد المأمون أنّه يموت بالرقة، فلما سمع اسم الرقة عرفه أنّه الموضع الذى ذكر فى مولده و أنّه لا يموت إلاّ برقة فمات به كما اقتضت دلالة النّجوم، انتهى ما أردنا ايراده من كلام السيّد.

فقد بان و ظهر منه و ممّا قدّمنا أنّ الاصابة فی النّجوم غیر عزیزة و إن کان الخطاء فیها کثیرا أیضا إلاّ أنّ وقوع الخطاء لا یدلّ علی بطلانها من أصلها و سرّ کثرة الخطاء هو ما أشرنا إلیه سابقا من عسر الضّبط و الاحاطة بأقطارها.

و إلیه الاشارة فی خبر عبد الرّحمن بن السّیابة قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام:

جعلت فداک إنّ النّاس یقولون إنّ النّجوم لا یحلّ النّظر فیها فان کان یضرّ بدینی فلا حاجة لی فی شیء یضرّ بدینی، و إن کان لا یضرّ بدینی فو اللّه إنّی لأشتهیها و أشتهی النّظر إلیها، فقال: علیه السّلام لیس کما یقولون لا یضرّ بدینک، ثمّ قال علیه السّلام: إنّکم تنظرون فی شیء کثیره لا یدرک و قلیله لا ینفع.

و فی خبر هشام قال قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام کیف بصرک فی النّجوم؟ قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنّجوم ثمّ سأله عن أشیاء لم یعرفها، ثمّ قال علیه السّلام: فما بال العسکرین یلتقیان فی هذا و فی ذاک فیحسب هذا لصاحبه بالظفر و یحسب هذا لصاحبه بالظفر فیلتقیان فیهزم أحدهما الآخر فأین کانت النّجوم؟ قال: فقلت: و اللّه ما أعلم ذلک، فقال علیه السّلام: إنّ أصل الحساب حقّ و لکن لا یعلم ذلک إلاّ من علم موالید الخلق.

الامر الخامس

فی الحکم الشرعی للعمل بالنّجوم و أنّه هل یجوز تعلیمه و تعلّمه و استنباط الأحکام منه و الاخبار عن الحوادث الاستقبالیّة علی وجه القطع أو الظنّ من طریق النّجوم.

المستفاد من السّید بن طاوس (ره) فی کلامه الذی قدّمنا ذکره فی المقام الثانی هو الجواز بحمل الأخبار النّاهیة علی ما إذا اعتقد التأثیر.

و مثله شیخنا البهائی (ره) فی محکیّ کلامه و ما یدّعیه المنجّمون من ارتباط بعض الحوادث السفلیّة بالأجرام العلویّة إن زعموا أنّ تلک الأجرام هی العلّة المؤثّرة فی تلک الحوادث بالاستقلال أو أنّها شریکة فی التأثیر فهذا لا یحلّ للمسلم اعتقاده، و علم النّجوم المبتنی علی هذا کفر و العیاذ باللّه، و علی هذا حمل ما ورد فی

الحديث من التّحذير عن علم النّجوم و النّهى عن اعتقاد صحّته.

و إن قالوا إنّ اتصالات تلک الاجرام و ما يعرض لها من الاوضاع علامات على بعض حوادث هـذا العالم ممّا يوجده اللّه سـبحانه بقدرته و إرادته كما أنّ حركات النّبض و اختلافات أوضاعه علامات يسـتدلّ بها الطبيب على ما يعرض للبـدن من قرب الصّـحة و اشـتداد المرض و نحو ذلـک، و كمـا يسـتدلّ باختلاـج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المسـتقبلة، فهـذا لا مانع منه و لا حرج فى اعتقاده، و ما روى من صحّة علم النّجوم و جواز نقله محمول على هذا المعنى.

ثمّ قال: الامور التى يحكم بها المنجّمون من الحوادث الاسـتقباليّة اصول بعضـها مأخوذة من أصـحاب الوحى سلام اللّه عليهم، و بعضها يدّعون فيها التّجربة، و بعضها مبتن على امور منشعبة لا تفى قوّة البشريّة فى الأغلب بضبطها و الاحاطة بها كما يؤمى إليه قول الصّادق عليه السّـلام: كثيره لاـ يـدرک و قليله لا ينتـج «ينفع»، فلـذلک وجـد الاختلاف فى كلامهم و تطرّق الخطاء إلى بعض أحكامهم و من اتّفق له الجرى على الاصول الصّحيحة صحّ كلامه و صدقت أحكامه لا محالة كما نطق به كلام الصّادق عليه السّلام فى الرّواية المذكورة قبيل هذا الفصل يعنى رواية ابن سيابة، و لكن هذا أمر عزيز المنازل لا يظفر به إلا القليل و اللّه الهادى إلى سواء السّبيل.

أقول: و لقـد أجاد (ره) فيما أفاد إلاّ أنّ فى الأخبار النّاهيـة ما يأبى عن الحمل الـذى ذكره مثل خبر المنجّم الذى عرض لأمير المؤمنين عليه السّـلام عنـد المسـير إلى النّهروان على ما تقدّم روايته منّا و من السّـيد (ره) فى المتن، فانّ الظاهر منها أنّ المنجّم المذكور لم يكن معتقدا للتّأثير فى النّجوم و مع ذلک فقد نهاه عليه السّلام عنه بمحض حكمه المستند إليه فافهم.

و يظهر من شيخنا صاحب الجواهر الميل إلى الجواز أيضا حيث قال: و التّحقيق أنّه لا بأس بالنّظر فى هذا العلم و تعلّمه و تعليمه و الاخبار عمّا يقتضيه ممّا وصل إليه من قواعده لا على جهة الجزم بل على معنى جريان عادة اللّه بفعل كذا عند كذا و عدم اطّراده غير قادح، فانّ اللّه يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أمّ الكتاب، بل قد يتوقّف

فی الکراهة فضلا عن الحرمة، بل یمکن حصول زیادة العرفان بمعرفته و الترقّی إلی بعض درجات الایمان بممارسته.

و دعوی أنّ فیه تعریضا للوقوع فی المحظور من اعتقاد التّأثیر فیحرم لذلک أو لأنّ أحکامه تخمینیّة کما تری خصوصا الثّانی ضرورة عدم حرمة مراعات الظنون فی أمثال ذلک بل لعلّ المعلوم من سیرة النّاس و طریقتهم خلافه فی الطبّ و غیره و التّعریض المزبور مع أنّه ممنوع لا یکفی فی الحرمة و إلاّ لحرّم النّظر فی علم الکلام الذی خطره أعظم من ذلک فلا ریب فی رجحان ما ذکرناه بل لا یبعد أن یکون النّظر فیه نحو النّظر فی علم هیئة الأفلاک الذی یحصل بسببه الاطلاع علی حکمة اللّه و عظم قدرته.

نعم لا ینبغی الجزم بشیء من مقتضیاته لاستیثار اللّه بعلم الغیب، انتهی.

و ذهب المرتضی (ره) إلی الحرمة، و هو ظاهر المحدّث المجلسی بل صریحه فی البحار حیث قال بعد بسط الکلام فی علم النّجوم و نقل الأخبار و أقوال العلماء فیه ما لفظه: و أمّا کونها امارات و علامات جعلها اللّه دلالة علی حدوث الحوادث فی عالم الکون و الفساد فغیر بعید عن السداد و قد عرفت أنّ کثیرا من الأخبار تدلّ علی ذلک.

و هی إمّا مفیدة للعلم العادی لکنّه مخصوص ببعض الأنبیاء و الأئمة علیهم السلام و من أخذها منهم لأنّ الطریق إلی العلم بعدم ما یرفع دلالتها من وحی أو إلهام و الاحاطة بجمیع الشّرایط و الموانع و القوابل مختصّة بهم.

أو مفیدة للظنّ، و وقوع مدلولاتها مشروط بتحقّق شروط و رفع موانع، و ما فی أیدی النّاس لیس ذلک العلم أصلا أو بعضه منه لکنّه غیر معلوم بخصوصه و لا یفید العلم قطعا، و افادته نوعا من الظنّ مشکوک فیه.

و أمّا تعلیمه و تعلّمه و العمل به و الاخبار بالامور الخفیّة و المستقبلة و أخذ الطوالع و الحکم بها علی الأعمار و الأحوال الظاهر حرمة ذلک لشمول النهی له، و ما ورد أنّها دلالات و علامات لا یدلّ علی التّجویز لغیر من أحاط علمه بجمیع

ذلک من المعصومین و ما دلّ علی الجواز فأخبار أکثرها ضعیفة.

و یمکن حملها علی التّقیة لشیوع العمل بها فی زمن خلفاء الجور و السلاطین فی أکثر الأعصار و تقرّب المنجّمین عندهم و ربّما یؤمی بعض الأخبار إلیه، و یمکن حمل اخبار النّهی علی الکراهة الشّدیدة و الجواز علی الاباحة أو حمل أخبار النّهی علی ما إذا اعتقد التأثیر و الجواز علی عدمه کما فعله السّید ابن طاوس و غیره و لکن الأوّل أظهر و أحوط.

أقول: و الأظهر عندی هو الجواز مع الکراهة، أمّا الجواز فللأخبار المجوّزة و أمّا الکراهة فخروجا عن خلاف من منعه و لوجود أخبار النّهی المحمولة علیها.

فان قلت: أخبار النّهی ظاهرة فی الحرمة فلم لا تحملها علی ظاهرها.

قلت: إبقاؤها علی ظواهرها موجب لطرح الأخبار الاخر و الجمع بقدر الامکان أولی، فلا بدّ من صرفها عن الظاهر بحملها علی الکراهة أو بالحمل علی صورة اعتقاد التأثیر و ذلک إنّما یجری فی بعضها حسبما أشرنا، و أمّا حمل الأخبار المجوّزة علی التّقیة فبعید لاشتهار العمل بها بین الخاصّة کالعامّة کما عرفت فی المقام الثّالث(1) و عمل بعض أصحاب الأئمة علیهم السّلام بها مع عدم منعهم عن ذلک حسبما قدّمنا.

و إلی ذلک ذهب المحقّق الکرکی (ره) حیث قال بعد الحکم بحرمة اعتقاد التّأثیر و کونه کفرا: أمّا التّنجیم لا علی هذا الوجه مع التّحرز عن الکذب فانّه جایز فقد ثبت کراهیّة التّزویج و سفر الحجّ فی العقرب و ذلک من هذا القبیل، نعم هو مکروه و لا ینجرّ إلی الاعتقاد الفاسد و قد ورد النّهی عنه مطلقا حسما للمادّة و هو أیضا مذهب شیخنا العلاّمة الأنصاری فی المکاسب، قال بعد ذکر الأخبار الدّالّة علی أنّ للنّجوم أصلا و الأخبار الدّالّة علی کثرة خطاء المنجّمین ما هذا لفظه: و من تتبّع هذه الأخبار لم یحصل له ظنّ بالأحکام المستخرجة عنها فضلا

1- (1) - لا یخفی أنّ المقام الثالث لم یتقدّم ذکره فیما قبل، نعم ذکر المصنف (قده) فیما سبق ما أشار الیه هنا فی ضمن المقام الثانی فتذکر «المصحح»

عن القطع، نعم قد يحصل من التّجربة خلفا عن سلف الظنّ بل العلم بمقارنة حادث من الحوادث لبعض الأوضاع الفلكية، فالأولى التجنّب عن الحكم بها و مع الارتكاب فالأولى الحكم على سبيل التقريب و أنّه لا يبعد أن يقع كذا عند كذا، و اللّه المسدّد.

الترجمة

از جملهٔ كلام هدايت نظام آن حضرتست كه فرموده است آن را از براى بعض اصحاب خود در حينى كه عزم فرموده بود بر رفتن بسوى خوارج نهروان، پس گفت آن حضرت را بعض اصحاب او اى أمير مؤمنان اگر سير بفرمائى در اين وقت مى ترسم كه نرسى بمقصود خويش از طريقه و قاعدهٔ علم نجوم پس فرمود او را كه:

آيا گمان مى كنى كه تو راه مى يابى بساعتى. كه هر كه سفر كند در آن بگردد از او بدى و مى ترسانى از ساعتى كه هر كه سير نمايد در آن احاطه كند باو ضرر هر كه تصديق كند تو را باين سخنان پس بتحقيق كه تكذيب نموده است بر قرآن و مستغنى شده است از يارى جستن بخدا در رسيدن بأمر محبوب و در دفع كردن مكروه و سزاوار است در گفتار تو اين كه تو را حمد نمايد نه پروردگار خود را از جهة اين كه تو بگمان خود راه نما شدى او را بساعتى كه رسيده در آن بمنفعت، خواطر جمع شد در آن از مضرّت، بعد از آن توجّه فرمود آن حضرت بمردمان پس فرمود كه أى مردمان حذر نمائيد از تعلّم علم نجوم مگر آن چيزى كه هدايت بيابيد بآن در بيابان يا در دريا پس بدرستى كه معرفت نجوم داعى مى شود بر كاهنى و منجّم همچو كاهن است و كاهن همچو ساحر است و ساحر همچو كافر است و كافر در آتش است، بعد از آن حضرت فرمود بأصحاب خود كه: سير كنيد بسوى دشمن بر نام خداوند و يارى او.

و من كلام له عليه السلام و هو التاسع

اشارة

و السبعون من المختار فى باب الخطب

بعد حرب الجمل فى ذم النساء معاشر النّاس إنّ النّساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول، فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلوة و الصّيام فى أيّام حيضهنّ، و أمّا نقصان عقولهنّ فشهادة امرئتين كشهادة الرّجل الواحد و أمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الإنصاف من مواريث الرّجال، فاتّقوا شرارهنّ و كونوا من خيارهنّ على حذر، و لا تطيعوهنّ فى المعروف حتّى لا يطمعن فى المنكر.

اللغة

(المعاشر) جمع المعشر و هى الجماعة من النّاس و (الانصاف) بفتح الهمزة و كسرها و قد يضمّ كما فى القاموس جمع النّصف بتثليث النّون و هو أحد جزئى الشىء.

الاعراب

الفاء فى قوله فأمّا نقصان ايمانهنّ عاطفة قال الرّضىّ (ره) فى مبحث فاء العطف و إن عطفت الفاء جملة على جملة أفادت كون مضمون الجملة التى بعدها عقيب مضمون التى قبلها بلا فصل، نحو قام زيد فقعد عمرو، و قد تفيد فاء العطف فى الجمل كون المذكور بعدها كلاما مرتبا فى الذّكر على ما قبلها لا أنّ مضمونه عقيب مضمون

ما قبلها فی الزّمان کقوله تعالی:

«اُدْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ » و قوله «وَ أَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَیْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِینَ ».

فانّ ذکر ذمّ الشّیء أو مدحه یصحّ بعد جری ذکره، قال و من هذا الباب عطف تفصیل المجمل علی المجمل کقوله:

«وَ نادی نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی ».

و تقول: أجبته فقلت لبیّک انتهی، و کلام الامام علیه السّلام من هذا القبیل لأنّه بعد الاشارة إلی نقصان ایمانهنّ و عقولهنّ و حظوظهنّ اجمالا نبّه علی تفصیل جهة النّقصان بقوله فأما نقصان ایمانهنّ اه، و نظیرها الفاء فی قوله:

«هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ » و فی قوله «إِنَّ اللّهَ لا یَسْتَحْیِی أَنْ یَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا فَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِینَ کَفَرُوا فَیَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً ».

فافهم و الفاء فی قوله: فقعود هنّ رابطة للجواب و فی قوله فاتّقوا شرارهنّ فصیحة.

المعنی

اشارة

اعلم أنّ الغرض من هذا الکلام التّعریض علی عایشة و توبیخها و ذمّ من تبعها و ارشاد النّاس إلی ترک طاعة النّساء و الاتقاء منهنّ لکونهنّ ناقصات فی أنفسهنّ و لا ینبغی للکامل إطاعة النّاقص و الایتمام به و وجوه النّقصان ثلاثة کما نبّه علیها بقوله(معاشر النّاس إنّ النساء نواقص الایمان نواقص الحظوظ نواقص العقول) و لما

نبّه على نقصانهنّ بهذه الوجوه الثّلاثة أشار إلى علّة جهات النقص بقوله (فأمّا نقصان ايمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة و الصّيام فى أيام حيضهنّ) و قعودهنّ عنها و إن كان بأمر اللّه سبحانه إلاّ أنّ سقوط التّكليف لنوع من النقص فيهنّ و سبب النقص هو حالة الاستقذار و الحدث المانعة من القرب المعنوى المشروط فى العبادات و فى كلامه دلالة على كون الأعمال اجزاء الايمان.

و يشهد به ما رواه فى الكافى باسناده عن أبى الصّباح الكنانى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام: من شهد أن لا إله إلا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان مؤمنا؟ قال: فأين فرايض اللّه؟ قال: و سمعته يقول: لو كان الايمان كلاما لم ينزل فيه صوم و لا صلاة و لا حلال و لا حرام.

(و أما نقصان عقولهنّ فشهادة امرئتين كشهادة الرّجل الواحد) قال تعالى:

«فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ».

روى فى الوسائل عن تفسير العسكرى عليه السّلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى تفسير هذه الآية قال: عدلت امرئتان فى الشهادة برجل واحد فاذا كان رجلان أو رجل و امرئتان أقاموا الشّهادة قضى بشهادتهم.

قال عليه السّلام و جاءت امرئة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: ما بال الامرئتين برجل فى الشهادة و فى الميراث؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ ذلک قضاء من ملک عدل حكيم لا يجور و لا يحيف أيّتها المرأة لأنكنّ ناقصات الدّين و العقل إنّ احد اكنّ تقعد نصف دهرها لا تصلّى بحيضة، و أنكنّ تكثرن اللعن و تكفرن العشير تمكث إحدا كنّ عند الرّجل عشر سنين فصاعدا يحسن إليها و ينعم عليها فاذا ضاقت يده يوما أو ساعة خاصمته و قالت: ما رأيت منک خيرا قطّ.

و فيه عن محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه القمىّ قال مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على نسوة فوقف عليهنّ ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا معاشر النساء ما رأيت نواقص عقول و دين

أذهب بعقول ذوى الألباب منكنّ إنى رأيت أنكنّ أكثر أهل النّار عذابا فتقرّبن إلى اللّه ما استطعتنّ، فقالت امرأة منهنّ: يا رسول اللّه ما نقصان ديننا و عقولنا؟ فقال: أما نقصان دينكنّ فالحيض الذى يصيبكنّ فتمكث إحداكنّ ما شاء اللّه لا تصلّى و لا تصوم، و أمّا نقصان عقولكنّ فشهادتكنّ إنّما شهادة المرأة نصف شهادة الرّجل.

و قال وهب بن منبه قد عاقب اللّه النساء بعشر خصال: بشدّة النّفاس و الحيض و جعل ميراث اثنتين ميراث رجل و شهادتهما شهادة واحد و جعلها ناقصة الدّين و العقل لا تصلّى أيّام حيضها و لا تسلم على النساء و ليس عليها جمعة و لا جماعة و لا يكون منها نبىّ و لا تسافر إلاّ بولىّ هذا.

و قوله (و أما نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الانصاف من مواريث الرّجال) قد مرّ فى ثالث تذنيبات الفصل الثّانى عشر من فصول الخطبة الاولى علّة زيادة حظّ الذّكر على الانثى فى الميراث و نقول هنا مضافا إلى ما سبق: إنّه قد ذكر لها فى بعض الأخبار علل و أسرار اخرى.

و هو ما فى الوسائل عن ثقة الاسلام الكلينى باسناده عن الأحول قال قال ابن أبى العوجا: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهما واحدا و يأخذ الرّجل سهمين؟ قال: فذكر ذلك بعض أصحابنا لأبى عبد اللّه عليه السّلام فقال: إنّ المرأة ليس عليها جهاد و لا نفقة و لا معقلة و إنّما ذلك على الرّجال فلذلك جعل للمرأة سهما واحدا و للرّجل سهمين.

و فيه عن الصّدوق باسناده عن محمّد بن سنان أنّ الرّضا عليه السّلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: علّة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرّجال من الميراث لأنّ المرأة إذا تزوجّت اخذت و الرّجل يعطى فلذلك و فرّ على الرّجال، و علّة اخرى فى اعطاء الذكر مثلى ما تعطى الانثى لأنّ الانثى فى عيال الذكر إن احتاجت و عليه أن يعولها و عليه نفقتها، و ليس على المرأة أن تعول الرّجل و لا تؤخذ بنفقته إن احتاج

فوّفر على الرّجال لذلک و ذلک قول اللّه عزّ و جل:

«اَلرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ ».

و عنه أيضا باسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: لأىّ علّة صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين؟ قال: لما جعله اللّه لها من الصّداق.

و باسناده عن علىّ بن سالم عن أبيه قال سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام فقلت له: كيف صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين؟ فقال، لأنّ الحبات التى أكل آدم و حوّاء فى الجنّة كانت ثمانية عشر حبّة أكل آدم منها اثنتى عشرة حبّة و أكلت حوّاء ستّا فلذلک صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد التّنبيه على جهة النّقصان فى النساء أمر بقوله (فاتّقوا شرارهنّ) على التجنّب و الهرب من الشّرار، و بقوله (و كونوا من خيارهنّ على حذر) على الحذر من الخيار، قال البحرانى: و يفهم من ذلک أنّه لا بدّ من مقاربتهنّ (1) و كان الانسان إنما يختار مقاربة الخيرة منهنّ فينبغى أن يكون معها على تحرّز و تثبّت فى سياستها و سياسة نفسه معها إذا لم تكن الخيرة منهنّ خيرة إلاّ بالقياس إلى الشّريرة.

روى فى الفقيه عن جابر بن عبد اللّه الانصارى قال: كنّا جلوسا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال فتذاكرنا النساء و فضل بعضهنّ على بعض فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ألا أخبركم بخير نسائكم؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه فأخبرنا، قال: إنّ من خير نسائكم الولود الودود السّتيرة العفيفة العزيزة فى أهلها الذليلة مع بعلها المتبرّجة مع زوجها الحصان مع غيره التى تسمع قوله و تطيع أمره و إذا خلا بها بذلت له ما أراد منها و لم تبذل له تبذّل الرّجل.

قال و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ألا اخبركم بشرّ نسائكم؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه فأخبرنا

1- (1) اى مقاربة الخيار منه.

قال: من شرّ نسائكم الذليلة فى أهلها العزيزة مع بعلها العقيم الحقود التى لا تتوّرع عن قبيح المتبرّجة إذا غاب عنها زوجها الحصان معه إذا حضر التى لا تسمع قوله و لا تطيع أمره فاذا خلابها تمنّعت تمنّع الصّعبة عند ركوبها و لا تقبل له عذرا و لا تغفر له ذنبا و رواه فى الكافى عن جابر بن عبد اللّه نحوه فى كتاب النكاح فى باب خير النساء و شرار النساء، و روى فيه أخبارا اخرى فى معنى الخير و الشرّ.

و قوله (و لا تطيعوهنّ فى المعروف حتّى لا يطمعن فى المنكر) من قبيل المثل السائر: لا تعط عبدك كراعا فيأخذ ذراعا قال العلاّمة المجلسى: و ترك طاعتهنّ فى المعروف إما بالعدول إلى فرد آخر منه أو فعله على وجه يظهر أنّه ليس لطاعتهنّ بل لكونه معروفا أو ترك بعض المستحبات و يكون الترك حينئذ مستحبّا كما ورد تركها فى بعض الأحوال كمال الحلال هذا.

و قد ورد الحثّ على ترك طاعتهنّ فى غير واحد من الأخبار مثل ما فى الفقيه عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال فى النساء: لا تشاوروهنّ فى النجوى و لا تطيعوهنّ فى ذى قرابة إنّ المرأة إذا كبرت ذهب خير شطريها و بقى شرّهما، ذهب جمالها و احتدّ لسانها و عقم رحمها، و إنّ الرّجل إذا كبر ذهب شرّ شطريه و بقى خيرهما ثبت عقله و استحكم رأيه و قلّ جهله.

و فيه أيضا قال علىّ عليه السّلام: كلّ امرء تدبّره امرأة فهو ملعون، و قال: فى خلافهنّ البركة، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا أراد الحرب دعى نسائه فاستشارهنّ ثمّ خالفهنّ.

و فى بعض الرّوايات العاميّة قال أمير المؤمنين عليه السّلام لا تطيعوا النساء على حال و لا تأمنوهنّ على مال، و لا تذروهنّ لتدبير العيال، فانّهنّ إن تركن و ما يرون أوردن المهالک، و أذلن الممالک، لا دين لهنّ عند لذّتهنّ، و لا ورع لهنّ عند شهوتهنّ، ينسين الخير و يحفظن الشّر، يتهافتن بالبهتان و يتمارين للطغيان يتصدّين للشّيطان.

و من طريق العامة أيضا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شاوروهنّ خالفوهنّ.

تنبیه ظریف

ینبغی لنا أن نذکر هنا شطرا من أوصاف النساء و أخبارهن و بعض مکایدهنّ من طریق الأخبار و غیرها، و المقصود بذلک التحذیر عنهنّ و التنبیه علی کیدهنّ، حیث وصفه اللّه سبحانه فی کتابه العزیز بالعظمة مع أنّه جعل کید الشیطان ضعیفا حیث قال:

«إِنَّهُ مِنْ کَیْدِکُنَّ إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ » و قال: «إِنَّ کَیْدَ الشَّیْطانِ کانَ ضَعِیفاً ».

و لذلک قال بعض أهل العرفان: إنا من النّسوان أحذر من الشّیطان فأقول:

قال رسول اللّه شاوروهنّ و خالفوهنّ و قیل: إیّاک و موافقة النساء فرأیهنّ إلی أفن(1) و عزمهنّ إلی وهن، و قیل:

أکثروا لهنّ من لا، فانّ نعم یغریهنّ بالمثلة قال الشّاعر:

تعیّرنی بالغزو عرسی و ما درت بأنّی لها فی کلّ ما أمرت ضدّ

و رأی سقراط امرأة تحمل نارا فقال نار تحمل نارا و الحامل شرّ من المحمول و قیل له: أیّ السّ باع شرّ قال: المرأة و قیل: المرأة إذا أحبّتک آذتک و إذا أبغضتک خانتک فحبّها أذی و بغضها داء و قیل المرأة سبع معاشر و قیل حیوان شریر.

و فی الحدیث أنّه لما خلقت المرأة نظر إلیها إبلیس فقال أنت سؤلی و موضع سرّی و نصف جندی و سهمی الذی ارمی به فلا اخطی و إذا اختصمت هی و زوجها فی البیت قام فی کلّ زاویة من زوایا البیت شیطان یصفق و یقول فرّح اللّه من فرّحنی حتّی إذا اصطلحا خرجوا عمیا یتعادون یقولون: أذهب اللّه نور من ذهب بنورنا.

و فی الفقیه عن إسحاق بن عمار عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث إنّ إبراهیم

1- (1) قال فی مجمع البحرین فی حدیث النساء فانّ رأیهن الی الافن و عزمهنّ الی الوهن الافن بالتحریک ضعف الرای قاله الجوهری و قال غیره: الافن النقص و رای أفن و مأفون ناقص منه.

خليل الرّحمن شكى إلى اللّه خلق سارة فأوحى اللّه عزّ و جلّ إليه إنّ مثل المرأة مثل الضّلع إن أقمته انكسر و إن تركته استمتعت به.

و فى حديث إبليس مع يحيى بن ذكريا على نبيّنا و عليهما السّلام المروىّ فى المجلّد السماء و العالم من البحار و جادة فى كتاب التّرمذى قال أى إبليس: يا نبىّ اللّه فأوّل ما اصيد به المؤمن من قبل النّساء «إلى أن قال» يا نبىّ اللّه إنّ أرجى الأشياء عندى و أدعمه لظهرى و أقرّه لعينى النّساء، فانّها حبالتى و مصائدى و سهمى الذى به لا اخطى بآبائى هنّ لو لم يكن هنّ ما اطعت(1) اضلال أدنى آدمىّ، قرّت عينى بهنّ أظفر بمقراتى و بهنّ أوقع فى المهالك إذا اغتممت ليشت(2) على النّساك و العبّاد و العلماء غلبونى بعد ما ارسلت عليهم الجيوش فانهزموا و بعد ما ركبت و قهرت ذكرت النّساء طابت و سكنت غضبى و اطمأنّ كظمى و انكشف غيظى و سلمت كأبتى و قرّت عينى و اشتدّ ازرى، ولولاهنّ من نسل آدم لسجدتهنّ فهنّ سيّداتى و على عنقى سكناهنّ و علىّ تمماهنّ ما اشتهت امرأة من حبالتى حاجة إلاّ كنت أسعى برأسى دون رجلى فى اسعافها بحاجتها، لأنّهنّ رجائى و ظهرى و عصمتى و سندى و ثقتى و غوثى، الحديث.

أقول: النّسخة كانت سقيمة جدّا فأثبتّه كما وجدت.

و فى الأنوار النّعمانيّة للسّيد نعمة اللّه الجزائرى و من أسباب الدّنيا و الميل إليها النّساء و إطاعتهنّ.

روى أنّ رجلا من بنى إسرائيل رأى فى المنام انّه خير ثلاث دعوات مستجابات بأن يصرفها حيث شاء، فشاور امرأته فى محلّ الصّرف فرأت أن يصرف واحدة منها فى حسنها و جمالها ليزيد حسن المعاشرة بينهما فصرفها فى ذلك فصارت جميلة فيما بين بنى اسرائيل فاشتهرت فاشتهر أمرها إلى أن غصبها ملك ظالم فدعا الرّجل غيرة بأن يصيرها اللّه تعالى على صورة كلب فصارت كلبا أسود و جاءت إلى باب زوجها

1- (1) هكذا فى البحار و الظاهر ان المجرد بمعنى المزيد اى ما استطعت أو أنه من تصحيف الناسخ و الاصل أطقت بالقاف بمعنى قدرت و هو الاظهر، منه.

2- (2) ايش واش فرح.

و تضـرّعت إليه مدّة حتّى رقّ قلبه فدعا بأن يصـيّرها اللّه على صورتها الأولى، فضاعت الدّعوات الثلاث فيها و هى كما كانت بشوم مشاورة المرأة.

و حكى أنّ خسـرو الملک أتى إليه رجل بسـمكة كبيرة فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شـيرين فكيف تصنع إذا احتقر من اعطيته شيئا من حشمک و قال: أعطانى ما أعطى الصّياد أو أقلّ، فقال خسرو الملک إنّ الرّجوع عن الهبة قبيح خصوصا من الملوک فقالت شيرين: التّدبير أن تـدعوه و تقول له هذه السّـمكة ذكر أو انثى، فان قال ذكر فتقول له إنّما أردت انثى، و إن قال انثى فتقول له إنّما أردت ذكرا فاسـتدعاه فسأله عن ذلـک فقال: أيّها الملک إنّها خنثى لا ذكر و لا انثى، فاسـتحسن جوابه و أمر له بأربعـة آلاف درهم اخرى، فلمّا تسـلّم الصـيّاد ثمانيـة آلاف درهم من الخزّان و رجع سـقط منها فى الطريق درهم فاشـتغل بأخذ الدّرهم الساقط فقالت شـيرين للملک: انظر إلى خسّته و غلبة حرصه، فاستدعاه و سأله عن غرضه فى اشتغاله بأخذه فقال أيّها الملک: كان عليه اسمک و حكمک فخفت أن يطأه أحد برجله غافلا عنه، فاستحسن أيضا جوابه و أمر له بأربعة آلاف درهم اخرى و ذهب الصّياد باثنى عشر ألف درهم.

و فى موضع آخر منه أنّ كلّ فتنة وقعت فى العالم فانّما جاءت من قبلهنّ و ذلک:

إنّ الفتنة الاولى و هى اكل آدم من الشّـجرة و اخراجه إلى الأرض إنّما جاء من قبل حوّا، لأنّ آدم لمّا لم يقبل و ساوس الشيطان وسوس إلى حوّاء فجاءت إلى آدم و كلّمته فى أمر الأكل من الشّجرة حتى حملته عليه.

و أمّا الفتنـة الأخيرة التى نشأ منها خراب العالم و هى غصب خلافـة أمير المؤمنين عليه السّـلام و اسـتظهارهم و اتّفاقهم على عداوته فانّما جاء من قبل عايشة و عداوتها و حسدها لفاطمة عليها السّـلام بسـبب أن النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم كان يظهر المحبّة لها و لولديها فغارت من هذا عايشة و أضـمرت العداوة لها ثمّ أظهرتها فتخطت تلک العداوة من النّساء إلى الرّجال فبغض عليا عليه السّلام أبو بكر و عمر ففعلا ما فعلا و فعلت عايشة بعدهما ما فعلت.

أقول: و شهادة أمير المؤمنين عليه السّلام بسبب قطام و سمّ جعدة للحسن بن علىّ عليهما السّلام غير خفىّ.

و فى البحار روى عن جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام أنّه قال: كان فى بنى اسرائيل رجل صالح و كان له مع اللّه معاملة حسنة و كان له زوجة و كان ظنينا بها و كانت من أجمل أهل زمانها مفرطة فى الجمال و الحسن، و كان يقفل عليها الباب فنظرت يوما شابّا فهوته و هواها فعمل لها مفتاحا على باب دارها و كان يخرج و يدخل ليلا و نهارا متى شاء و زوجها لم يشعر بذلک.

فبقيا على ذلک زمانا طويلا فقال لها زوجها يوما و كان أعبد بنى اسرائيل و أزهدهم: إنّک قد تغيرت علىّ و لم أعلم ما سببه و قد توسوس قلبى علىّ و كان قد أخذها بكرا، ثمّ قال و اشتهى منک أنک تحلفى لى أنّک لم تعرفى رجلا غيرى، و كان لبنى اسرائيل جبل يقسمون به و يتحاكمون عنده و كان الجبل خارج المدينة عنده نهر جار و كان لا يحلف أحد عنده كاذبا إلاّ هلک، فقالت له و يطيب قلبک إذا حلفت لک عند الجبل؟ قال: نعم، قالت: متى شئت فعلت.

فلمّا خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشّاب فأخبرته بما جرى لها مع زوجها و أنّها تريد أن تحلف له عند الجبل و قالت ما يمكننى أن أحلف كاذبة و لا أقول لزوجى فبهت الشّاب و تحيّر و قال فما تصنعين؟ فقالت بكّر غدا و البس ثوب مكار و خذ حمارا و اجلس على باب المدينة فاذا خرجنا فأنا أدعه يكترى منک الحمار فاذا اكتراه منک بادر و احملنى و ارفعنى فوق الحمار حتّى احلف له و أنا صادقة أنّه ما مسّنى أحد غيرک و غير هذا المكارى، فقال: حبّا و كرامة.

و أنّه لمّا جاء زوجها قال لها قومى إلى الجبل لتحلفى به قالت مالى طاقة بالمشى فقال: اخرجى فان وجدت مكاريّا اكتريت لک فقامت و لم تلبس لباسها فلمّا خرج العابد و زوجته رأت الشّاب ينتظرها فصاحت به يا مكارى اكترى «كذا» حمارک بنصف درهم إلى الجبل قال: نعم.

ثمّ تقدّم و رفعها على الحمار و ساروا حتّى وصلوا إلى الجبل فقالت للشّاب

انزلنی عن الحمار حتّی أصعد الجبل، فلمّا تقدّم الشّاب إلیها القت بنفسها إلی الأرض فانکشفت عورتها فشتمت الشاب فقال: و اللّه مالی ذنب.

ثمّ مدّت یدها إلی الجبل و حلفت له أنه لم یمسّ ها أحد و لا نظر إنسان مثل نظرک إلیّ مذ عرفتک غیرک و هذا المکاری، فاضطرب الجبل اضطرابا شدیدا و زال عن مکانه و انکرت بنو اسرائیل فذلک قوله تعالی:

«وَ إِنْ کانَ مَکْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ ».

و فی زهر الرّبیع کان فی الهند رجل شجاع غیور و له امرأة جمیلة فاتفق انّه سافر عنها، فجلست یوما علی قصرها فرأت برهمن من براهمة الهند شابّا فحصل بینهما عشق و وصال و کان یأتی الیها متی ما أراد، فخرجت یوما إلی بیت جارها و أتی ذلک الشّاب إلی منزلها فلم یجدها فخرج فی طلبها فلمّا دخلت أخذ الشّاب الهندی سوطا کان معه و ضربها.

و کان فی تلک الحالة أتی زوجها من السّفر فقال لها برهمن: هذا زوجک أتی فکیف الحیلة؟ فقالت: اضربنی بهذا السّوط فاذا دخل زوجی و سألک فقل إنّ هذه المرأة فیها صرع أتی الیها بعد سفرک و طلبونی لاعوذبها بالأسماء و أقرء علیها و أضربها حتّی یخرج منها الجنّ، فتکدّرت علی زوجها عیشه و خرج الشّاب الهندی و بعد هذا صارت کلما اشتهت وصال الشّاب الهندی صرعت نفسها و مضی زوجها یلتمس من الهندی و الهندی یمنّ علیه و یأخذ منه حقّ الجعالة حتّی یأتی إلی منزله لأجل أن یعوّذها ممّا عنده فصار الرّجل الغیور قوّادا دیّوثا.

و فی حکمة آل داود امرأة السّوء مثل شرک الصّیاد لا ینجو منها إلاّ من رضی اللّه عنه و المرأة السّوء غلّ یلقیه اللّه فی عنق من یشاء.

و قال داود علیه السّلام المرأة السّوء الحمل الثّقیل علی الشّیخ الکبیر، و المرأة الصّالحة کالتّاج المرصع بالذهب کلّما رآها قرّت عینه.

و عن مولینا أمیر المؤمنین علیه السّلام فی قوله تعالی:

«رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا حَسَنَةً » قال علیه السّلام: المرأة الحسناء الصّالحة

«وَ فِی الْآخِرَةِ حَسَنَةً » حوریّة من حور العین «وَ قِنا عَذابَ النّارِ » امرئة السّوء.

قال بعضهم.

لقد کنت محتاجا إلی موت زوجتی و لکن قرین السّوء باق معمّر

فیا لیتها صارت إلی القبر عاجلا و عذّبها فیه نکیر و منکر

أقول، و حیث انجرّ الکلام إلی هذا المقام فینبغی أن نختمه بحدیث المتکلّمة بالقرآن تذکرة للعاقلین و تنبیها للغافلین و إشارة إلی أنّ الأخبار المطلقة فی مذمّة النّساء محمولة علی الأفراد الغالبة و إلاّ ففیها من لا یوجد مثلها فی الرّجال زهدا و ورعا و صلاحا.

قال عبد اللّه بن المبارک: خرجت حاجّا إلی بیت اللّه الحرام فبینما أنا فی بعض الطریق فاذا أنا بسواد یلوح فاذا هی عجوز فقلت: السّلام علیک، فقالت: «سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ »، فقلت لها: یرحمک اللّه ما تصنعین فی هذا المکان؟ قالت: «مَنْ یُضْلِلِ اللّهُ فَلا هادِیَ لَهُ »، فعلمت أنّها ضالّة عن الطریق فقلت لها: أین تریدین؟ قالت:

«سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی »، فعلمت أنّها قضت حجّها و ترید بیت المقدّس.

فقلت لها: أنت منذ کم فی هذا الموضع؟ فقالت: «ثَلاثَ لَیالٍ سَوِیًّا »، قلت: ما أری معک طعاما تأکلین قالت: «هُوَ یُطْعِمُنِی وَ یَسْقِینِ »، قلت: فبأیّ شیء تتوضین؟ قالت:

«فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً » قلت: إنّ معی طعاما فهل تأکلین؟ قالت:

«ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّیامَ إِلَی اللَّیْلِ »، قلت: لیس هذا شهر رمضان قالت: «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ »، قلت: قد ابیح لنا الأفطار فی السّفر قالت: «وَ أَنْ تَصُومُوا خَیْرٌ لَکُمْ ».

قلت: فلم لا- تتکلّمین مثل کلامی؟ قالت: «ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ » عتید، قلت: من أیّ النّاس أنت؟ قالت: «وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً »، قلت: قد أخطأت فاجعلنی فی حلّ،

قـالت: «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ »، قلت: فهل لک أن أحملک علی ناقتی فتـدرکی القافلـة؟ قالت: «وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ ».

فأنخت ناقتی: فقالت: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ »، فغضـضت بصری عنها فلمّا أرادت أن ترکب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت: «وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ »، فقلت لها: اصبری حتّی أعقلها، قالت: «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ ».

فشـددت لها الناقلـة فقلت: ارکبی، فرکبت فقالت: «سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هـذا وَ ما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنّا إِلی رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ »، قال: فأخذت بزمام الناقة و جعلت أسـعی و اصـيح، فقالت: «وَ اقْصِدْ فِی مَشْيِکَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِکَ »، فجعلت أمشـی رويدا و أترنّم بالشعر فقالت: «فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ »، فقلت لها: لقد اوتيت «خَيْراً كَثِيراً »، قالت «وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ ».

فلمـا مشـيت بها قليلا قلت: أ لک زوج؟ قالت: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ »، فسـرت حتی أدرکت القافلة فقلت لها هـذه القافلة فمن لک فيها؟ قالت: «اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا »، فعلمت أنّ لها أولادا قلت: و ما شأنهم فی الحجّ قالت: «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »، فعلمت أنهم أولاد الرّکب فقصدت بها القباب و العماريات(1).

و قلت: هذه القباب فمن لک فيها؟ قالت: «وَ اتَّخَذَ اللّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً » «وَ كَلَّمَ اللّهُ مُوسی تَكْلِيماً » «يا يَحْيی خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ »، فناديت يا إبراهيم يا موسی يا يحيی فاذا بشبان کأنهم الدنانير قد أقبلوا.

فلما اسـتقرّ بهم الجلوس قالت: «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هـذِهِ إِلَی الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكی طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ »، فمضـی أحـدهم و اشتری طعاما فقدّموه فقالت «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِی الْأَيّامِ الْخالِيَةِ » فقلت الآن طعامکم حرام علیّ حتی تخبرونی بأمرها فقالوا: إنّها امنّا و لها منذ أربعين سنة لا تتکلّم إلاّ بالقرآن مخافة أن تزلّ فيسخط عليها الرّحمن.

1- (1) العمارية کجاوة، منه.

تنبیه و تحقیق

قال الشّارح المعتزلی فی شرح هذا الکلام له علیه السّلام: و هذا الفصل کلّه رمز إلی عایشة و لا یختلف أصحابنا فی انّها أخطات فیما فعلت ثمّ تابت و ماتت تائبة، و أنّها من أهل الجنّة.

قال قال کلّ من صنّف فی السیر و الأخبار إنّ عایشة کانت من أشدّ النّاس علی عثمان حتّی أنّها اخرجت ثوبا من ثیاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فنصبته فی منزلها و کان تقول للدّاخلین إلیها هذا ثوب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یبل و عثمان قد أبلی سنّته.

قالوا أول من سمّی عثمان نعثلا عایشة و النعثل الکثیر شعر اللحیة و الجسد، و کانت تقول اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا.

و روی المدائنی فی کتاب الجمل قال: لما قتل عثمان کانت عایشة بمکّة و بلغ قتله إلیها و هی بشراف فلم تشک فی أن طلحة هو صاحب الأمر و قالت بعدا لنعثل و سحقا ایه ذا الاصبع ایه أبا شبل ایه یابن عمّ (1) لکأنّی انظر إلی اصبعه و هو یبایع له حثوا الابل و دعدعتها(2) ثمّ قال و قال أبو مخنف: إنّ عایشة لما بلغها قتل عثمان و هی بمکّة أقبلت مسرعة و هی تقول ایه ذا الاصبع للّه أبوک أما أنّهم وجدوا طلحة لها. کفوا(3)

1- (1) أراد به طلحة لأنّ طلحة و عایشة کلاهما من بنی تیم و لذلک کانت هو اهافی کون الامر بطلحة منه (ره).

2- (2) فی نسخة ابن ابی الحدید التی عندی حثوا الابل بالثاء المثلثة و دعد عنها بالدال المهملة و علی ذلک فلفظ حثوا الابل من کلام عایشة امر بسوق الابل و حثها علی السیر و لفظة دعدعتها من کلام الراوی ای حرکت عایشة ابلها للعدو و قال فی القاموس و الدعدع عدو فی بطوء و لکن فی البحار عن ابن ابی الحدید حنوها لابل و ذعذعوها قال المجلسی (ره) فی تفسیره ای جعلوا اصبعه منحنیة للبیعة لابل و ذعذعوها ای کسروها و بددوها لهجومهم علی البیعة انتهی فعلی ما ذکره (ره) حنوها بالنون المهملة و ذعذعوها بالذالین المعجمتین من الذعذع منه (ره).

3- (3) ای للخلافة م.

فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبى سلمة الليثى فقالت له: ما عندک؟ قال: قتل عثمان قالت: ثمّ ما ذا؟ قال: ثمّ جاز بهم الامور إلى خير مجاز بايعوا عليا، فقالت: لوددت أن السّماء انطبقت على الأرض إنّ تمّ هذا و يحک انظر ما ذا تقول قال: هو ما قلت لک يا امّ المؤمنين فولولت، فقال لها: ما شأنک يا أمّ المؤمنين و اللّه ما أعرف بين لابتيها أحدا أولى بها منه و لا أحقّ و لا أرى له نظيرا فى جميع حالاته، فلما ذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليه جوابا.

و فى روضة الصّفا و قال عبيدة بن أبى سلمة فى هذا المعنى أبياتا منها قوله:

فمنک البدار و منک المفر و منک الرياح و منک المطر

و أنت أمرت بقتل الامام و قاتله عندنا من أمر

قال أبو مخنف: و قد روى من طرق مختلفة أنّ عايشة لما بلغها قتل عثمان و هى بمكة قالت: أبعده اللّه ذلک بما قدمت يداه و ما اللّه بظلاّم للعبيد.

قال: و قد روى قيس بن أبى حازم أنّه حجّ فى العام الذى قتل فيه عثمان و كان معه عايشة لما بلغتها قتلته فتحمل إلى المدينة قال فسمعها تقول فى بعض الطريق: ايد ذا لاصبع و إذا ذكرت عثمان قالت: أبعده اللّه حتّى أتتها خبر بيعة علىّ فقالت: لوددت إن هذه وقعت على هذه، ثمّ أمرت بردّ ركابيها إلى مكة فردّت معها و رأيتها فى مسيرها إلى مكّة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحدا: قتلوا ابن عفّان مظلوما.

فقلت لها: يا امّ المؤمنين ألم اسمعک آنفا تقول أبعده اللّه و قد كنت قبل أشدّ النّاس عليه و أقبحهم فيه قولا فقالت: لقد كان ذلک و لكنى نظرت فى أمره فرأيتهم استتابوه حتى تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائما محرما فى شهر حرام فقتلوه.

ثم قال: قال أبو مخنف جاءت عايشة إلى أمّ السلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبى اميّة أنت أوّل مهاجرة فى أزواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنت كبيرة امّهات المؤمنين و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقسم لنا من بيتک و كان جبرئيل أكثر ما يكون فى منزلت فقالت: امّ السّلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة؟ فقالت عايشة:

إنّ عبد اللّه أخبرنی أنّ القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما فی شهر حرام و قد عزمت الخروج إلی البصرة و معی الزّبیر و طلحة فاخرجی معنا لعلّ اللّه أن یصلح هذا الأمر علی أیدینا و بنا.

فقالت انا امّ سلمة إنّک کنت بالأمس تحرضین علی عثمان و تقول فیه أخبث القول و ما کان أسمعه عندک إلاّ نعثلا و إنک لتعرفین منزلة علیّ بن أبی طالب علیه السّلام کانت عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاذکرک؟ قالت: نعم.

قالت: أ تذکرین یوم أقبل علیه السّلام و نحن معه حتّی إذا هبط من قدید ذات الشمال خلا بعلیّ علیه السّلام یناجیه فأطال فأردت أن تهجمین علیهما فنهیتک فعصیتنی فهجمت علیهما فما لبثت أن رجعت باکیة فقلت: ما شأنک؟ فقلت: إنّی هجمت علیهما و هما یتناجیان، فقلت لعلیّ: لیس لی من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلاّ یوم من تسعة أیّام أ فما تدعنی یابن أبی طالب و یومی فأقبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّ و هو غضبان محمرّ الوجه فقال:

أرجعی و راءک و اللّه لا یبغضه أحد من أهل بیتی و لا من غیرهم من النّاس الاّ هو خارج من الایمان، فرجعت نادمة ساقطة.

فقالت عایشة: نعم اذکر ذلک.

قالت و اذکرک أیضا کنت أنا و أنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أنت تغسلین رأسه و انا احیس له حیسا(1) و کان الحیس یعجبه فرفع صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رأسه و قال: لیت شعری أیتکنّ صاحب «صاحبة ظ» الجمل الاذنب(2) تنبحها کلاب الحوئب فتکون ناکبة عن الصراط فرفعت یدی من الحیس فقلت أعوذ باللّه و برسوله صلّی اللّه علیه و آله من ذلک، ثمّ ضرب علی ظهرک و قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إیاک أن تکونیها، ثمّ قال: یا بنت أبی امیّة إیاک أن تکونیها، یا حمیراء أما

1- (1) الحیس تمر یخلط بسمن و أقط فیعجن شدیدا ثمّ یندر منه نواه و ربما جعل فیه السویق ق.

2- (2) فی نسخة ابن ابی الحدید التی عندی لفظ الاذنب بالذال و النون و لعلّه تصحیف و الصحیح ما فی القاموس قال و الادب الجمل الکثیر الشعر و باظهار التضعیف جاء فی الحدیث صاحبة الجمل الادیب منه.

أنّی فقد أنذرتک.

قالت عایشة؟ نعم اذکر هذا.

قالت و اذکرک أیضا کنت أنا و أنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی سفر له و کان علیّ یتعاهد نعلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیخصفها و یتعاهد أثوابه فیغسلها، فبقیت له نعل یومئذ یخصفها و بعد فی ظلّ سمرة(1) و جاء أبوک و معه عمر فاستأذنا علیه فقمنا إلی الحجاب و دخلا یحادثاه فیما أرادا، ثمّ قالا: یا رسول اللّه إنا لا ندری قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من یستخلف علینا لیکون بعدک لنا مفزعا، فقال لهما: أما أنّی أری مکانه و لو فعلت لتفرّقتم عنه کما تفرّقت بنو اسرائیل عن هارون بن عمران، فسکتا ثمّ خرجا، فلما خرجنا إلی رسول اللّه قلت له: و کنت أجره علیه منّا من کنت یا رسول اللّه مستخلفا علیهم؟ فقال علیه السّلام: خاصف النّعل، فنزلنا و لم نر أحدا إلاّ علیا، فقلت: یا رسول اللّه ما نری إلاّ علیّا، فقال: هو ذاک.

فقالت عایشة: نعم اذکر ذلک.

فقالت فأیّ خروج تخرجین بعد هذا؟ فقال: إنّما أخرج للاصلاح بین النّاس و أرجو فیه الأجر إن شاء اللّه، فقالت: أنت و رأیک فانصرفت عایشة عنها فکتبت أمّ سلمة ما قالت و قیل لها إلی علی.

قال الشّارح بعد نقل هذه الرّوایة: فان قلت فهذا نصّ صریح فی إمامة علیّ علیه السّلام فما تصنع أنت و أصحابک المعتزلة فیه؟ قلت: کلاّ إنّه لیس بنصّ کما ظننت لأنّه لم یقل قد استخلفت و إنّما قال لو استخلفت أحدا لاستخلفته، و ذلک لا یقتضی حصول الاستخلاف و یجوز أن یکون مصلحة المسلمین متعلّقة بالتّعب علیه لو کان النبیّ مأمورا بأن ینصّ علی إمام بعینه من بعده فیکون من مصلحتهم أن یختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا ترکهم النبیّ و أراهم و لم یعیّن أحدا.

ثمّ قال: قال أبو مخنف: و ارسلت إلی حفصة تسألها الخروج و المسیر فبلغ

1- (1) واحد سمر شجر معروف، ق.

ذلک عبد اللّه بن عمر فأتی اخته فعزم علیها فأقامت و حطت الرّحال بعد ما همّت.

قال: و کتب الأشتر من المدینة إلی عایشة و هی بمکة: أمّا بعد فانّک ظعینة رسول اللّه و قد أمرک أن تقری فی بیتک فان فعلت فهو خیر لک، فان أبیت إلاّ أن تأخذ منسئتک(1) و تلقی جلبابک و تبدی للنّاس شعیراتک قاتلتک حتّی أردّک إلی بیتک و الموضع الذی یرضاه لک ربک.

فکتبت إلیه فی الجواب أما بعد فانّک أوّل العرب شبّ الفتنة و دعا إلی الفرقة و خالفت الأئمة و قد علمت أنّک لن تعجز اللّه حتّی یصیبک منه بنقمة ینتصر بها منک للخلیفة المظلوم، و قد جائنی کتابک و فهمت ما فیه و سیکفینّک و کلّ من أصبح مماثلا لک فی ضلالک و غیک إنشاء اللّه.

قال ابو مخنف: لما انتهت عایشة فی مسیرها إلی الحوئب و هو ماء لبنی عامر ابن صعصعة نبحتها الکلاب حتّی نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها ألا ترون ما أکثر کلاب الحوئب و ما أشد نباحها، فأمسکت زمام بعیرها و قالت: و إنّها لکلاب الحوئب ردّونی ردّونی فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول، و ذکرت الخبر، فقال قائل. یرحمک اللّه فقد جزنا ماء الحوئب فقالت فهل من شاهد؟ فلفّقوا لها خمسین أعرابیّا جعلوا لهم جعلا فحلفوا أنّ هذا لیس بماء الحوئب فسارت لوجهها.

انتهی ما أهمّنا نقله من کلامه هبط مقامه.

أقول لا یخفی علی الناقد البصیر و الذّکیّ الخبیر المراقب للعدل و الانصاف و المجانب للتّعصب و الاعتساف وجوه الدّلالة فیما أورده الشّارح و رواه علی مطاعن عایشة امّ الفاسقین و فضایح المتخلّفین الذینهم أئمّة النّار و جنود ابلیس اللعین، و لا یخفی علیه أیضا عصبیّة الشّارح و من حذا حذوه من أصحاب المعتزلة فی حقّ الخاطئة و أولیائهم الثلاثة و لا بأس بالتّنبیه علی بعض تلک الوجوه فأقول:

اولا أنّ ما ذکره من خطاء الخاطئة مسلّم و ما عقّبه به من توبتها و کونها من أهل الجنّة ممنوع و لا بدّ للمدّعی لها من الاثبات و أنّی لهم بذلک، بل الظاهر من

1- (1) ای العصا.

حالات عايشة و فرط بغضها و شدّة عداوتها لعليّ هو العدم و يؤيّد ذلک أنها كانت فی مقام اللجاجة و العداوة مع خليفتهم عثمان حتّی سمته نعثلا و النّعثل علی ما فی القاموس الشّيخ الأحمق و يهوديّ كان بالمدينة و رجل لحيانی كان يشبه به عثمان اذا نيل منه و كانت تقول: اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا، و كانت باقية علی عداوتها بعد وفاته أيضا حيث إنّها كانت تقول بعدا لنعثل و سحقا و تقول أبعده اللّه ذلک بما قدّمت يداه و ما ربّک بظلاّم للعبيد، و كذلک نار غضبها و نايرة حسدها لأمير المؤمنين عليه السّلام لم تكن بحيث تطفی.

يدلک علی ذلک ما رواه الحميدی فی الجمع بين الصّحيحين أنّ ابن الزّبير دخل علی عايشة فی مرضها فقالت له إنّی قاتلت فلانا و سمت المقاتل برجل قاتلته و قالت لوددت أنّی كنت نسيا منسيّا، فانّ تعبيرها عنه عليه السّلام بالرّجل و بفلان من دون أن يذكر لقبه الشّريف أو اسمه السّامی مقرونا بالتعظيم تدلّ علی فرط عصبيّتها و استنكافها من التّصريح بالاسم و اللقب.

و أظهر من ذلک ما رواه الشّارح فی هذا المقام من أنّه لمّا بعث أمير المؤمنين ابن عبّاس بعد انقضاء حرب الجمل إلی عايشة يأمرها بالرّحيل إلی المدينة قال لها:

إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أرسلنی إليک يأمرک بالرّحيل إلی المدينة فقالت: و أين أمير المؤمنين ذاک عمر، فقال: عمر و عليّ، قالت: اثبت إلی أن قالت إنّی معجلة الرّحيل إلی بلادی انشاء اللّه و اللّه ما من بلد أبغض من بلد أنتم فيه.

فانّ استكراهها من إطلاق لفظ أمير المؤمنين عليه الذی لقّبه اللّه تعالی به و أمر رسوله بأن يأمر أصحابه علی السّلام عليه بامرة المؤمنين، علی ما ورد فی غير واحد من الرّوايات، دليل علی كراهتها لحكم اللّه و إنكارها لأمر رسوله و ما ذلک إلاّ من فرط الحقد و الحسد.

و ببالی انّی رأيت فی بعض الرّوايات(1) أنّها سمّت بعد وفات أمير المؤمنين

1- (1) و هو رواية مسروق المروية فی البحار من تلخيص الشافی قال روی عن مسروق انه قال دخلت علی عايشة فجلست اليها فحدثتنی و استدعت غلاما لها اسود يقال له عبد الرحمن فجاء حتی وقف فقالت يا مسروق أ تدری لم سميته عبد الرحمن فقلت لا فقالت حبا منّی بعبد الرحمن بن ملجم منه.

و شهادته أحد غلمانه عبد الرّحمن أخذا من اسم عبد الرّحمن قاتل أمير المؤمنين شعفا بقتله و تيمّنا باسمه.

و هنا لطيفـة و هى أنّ بهلول العاقل مرّ يوما بجماعة يذاكرون الحديث و يروون عن عايشة أنّها قالت: لو أدركت ليلة القدر لما سألت ربّى إلاّ العفو و العافية، فقال بهلول: و الظفر بعلىّ بن ابى طالب، يعنى أنّها كانت أهمّ مسئولا تها الظفر عليه عليه السّلام.

هذا كلّه مضافا إلى أنّ توبتها لا يمكن أن تحصل بمجرّد النّدم على الخروج من البيت و الحرب بل يتوقف على التّفصى عمّا أراقها من دماء المسـلمين من الأنصار و المهاجرين و ما نهبت من بيت مال المسـلمين إلى غير ذلک من المفاسد و المظالم، و لـم يتحقّق منها شـىء من ذلک و أنّى لها بذلک.

و ثانيا أنها إن كانت صادقـة فى قولها أنّ عثمان قد أبلى سـنة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فعليه لعنة اللّه، و إن كانت كاذبة فعليها غضب اللّه.

و ثالثا أنّ اللازم عليها أن تكون سالما لمن سالمه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و حربا لمن حاربه محبّة لمن أحبّه و مبغضة لمن أبغضه و شعفها بكون الخلافة لطلحة و استنكافها من كونها لأمير المؤمنين يدلّ على عكس ذلک.

و ذلک لأنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله توفّى و هو ساخط على طلحة للكلمة التى قالها يوم نزلت آية الحجاب على ما قدّمنا روايتها فى تذييل الثانى من تذييلات الفصل الثالث من فصول الخطبة الثالثة، و فى الطعن الثالث عشر من مطاعن عثمان التى أوردنا فى التذييل الثانى من تـذييلات كلامه الثالث و الأربعين و مات و هو راض عن أمير المؤمنين عليه السّـلام فكانت عايشـة ساخطة لأمير المؤمنين راضـية عن طلحة موذية لرسول اللّه مخالفة لرأيه طارحة للغيرة و الحمية.

و رابعا أنّ هجومها على رسول اللّه و علىّ حين ما يتناجيان و قولها لعلىّ

ليس لى من رسول اللّه إلاّ يوم من تسعة أيام أ فما تدعنى يابن أبى طالب و يومى، يدلّ على قلّة حيائها و عدم مبالاتها.

و خامسا أنّ قول رسول اللّه لها و هو غضبان محمرّ الوجه: ارجعى ورائک و اللّه لا يبغضه أحد من أهل بيتى و لا من غيرهم من الناس إلاّ و هو خارج من الايمان، تدلّ على كونها مبغضة لأمير المؤمنين عليه السّلام خارجة من الايمان و رجوعها بعد إلى الايمان محتاج إلى البينة و البرهان و لم يثبت بالبديهة و العيان.

و سادسا أنّ سؤال رجلين عن رسول اللّه من الخليفة و الخلافة فى حال السفر مع عدم اقتضاء الحال و المقام لذلک لما عليهم من تعب السفر و وصيته إمّا أن يكون رعاية لمصلحة الاسلام و إشفاقا للامة و شدّة فى الدّين و الايمان أم استخبارا من وقت وفات الرّسول و تحصيلا للعلم بأنّهما متى يكونان مطلقى العنان، أم طمعا منهما فى الخلافة و حرصا فى الولاية و رجاء لأن ينصّ على أحدهما و يبدى البيان.

لا سبيل إلى الأوّل حتما زعمه الشّارح المعتزلى و صرّح به فى كلامه الذى حكيناه فى أواخر المقدّمة الثانية من مقدّمات الخطبة الشّقشقية و فى غيره من كلماته أيضا فى تضاعيف الشّرح إذ لو كان غرضهما الرّعاية لجانب الدّين و الشّفقة على الامّة كان اللازم عليهما الاصرار على السؤال و الاكمال فى الكلام حتّى يسفر لهما وضح الحقّ، و كان ينبغى لهما بعد ما اجاب لهما رسول اللّه بقوله: إنّى قد أرى مكانه و لو فعلت لتفرّقتم عنه أن يقولا: دلّنا يا رسول اللّه على مكانه نعرفه و تلازمه و كيف يمكن أن نتفرّق عنه بعد تعيينک إيّاه و أمرک باتّباعه، فلمّا لم يصرّا على السؤال و لم يتفوّها بشىء من ذلک و سكتا و خرجا بمجرّد أن قال لهما رسول اللّه: أرى مكانه علم أنّ غرضهما لم يكن الاشفاق على الامة و لحاظ مصلحة الاسلام و إنّما كان الطمع فى الخلافة فلمّا قال أرى مكانه يأسا منهما و علما أنّ الخليفة غيرهما فسكتا و خرجا و سابعا أنّ قوله: لتفرّقتم عنه كما تفرّقت بنو اسرائيل عن هارون، لا يخفى ما فى هذا التّشبيه من النكتة، فانّ هارون كان وصىّ موسى و بنو اسرائيل قد تفرّقوا عنه و اتخذوا عجلا جسدا له خوار، لا يكلّمهم و لا يهديهم سبيلا فأظهر

صلوات اللّه عليه بهذا الكلام ما فى قلبهما من النّفاق و أعلمهم أنّهم يتفرّقون عن وصيّه و لا يطيعون أمره كما خالف بنو اسرائيل موسى و تفرّقوا عن هارون.

و ثامنا أنّ إنكار الشّارح لدلالة الرّواية على خلافة أمير المؤمنين لا معنى له، إذ قوله: لو فعلت لتفرّقتم و إن لم يكن مستلزما لوقوع الفعل إلاّ أنّ الضّمير فى أرى مكانه راجع إلى المسئول عنه و قد سألا عن المستخلف و المفزع فقال: أرى مكانه فيدلّ على أنّ المستخلف و المفزع كان موجودا حين السؤال و إلاّ لزم أن يكون كلامه غير مطابق للواقع و نعوذ باللّه من ذلك.

و هذا كلّه بعد الغضّ عن صحّة الرّواية و عن تصحيف العامة فيها و إلاّ فقد قدّمنا هذه الرّواية من الاحتجاج فى التّنبيه الثّانى من تنبيهات الكلام الثالث عشر و فيها أنّهما قالا: يا رسول اللّه فهل استخلفت أحدا؟ قال: ما خليفتى فيكم إلاّ خاصف النّعل فمرّا على عليّ و هو يخصف نعل رسول اللّه، و عليه فالرّواية ناصّة على خلافته من هذه الجهة أيضا.

و تاسعا ما زعمه الشّارح من جواز كون المصلحة فى اختيار الامّة لأنفسهم من شاءوا و ترك النبىّ لهم فآرائهم فاسد جدا، إذ قد أثبتنا فى المقدمة الثّانية من مقدّمات الخطبة الشّقشقيّة وجوب عصمة الامام، و العصمة ملكة خفيّة لا يمكن أن يبلغها الجهّال و الضّلال و يدركوها بأوهامهم فيقيموا إماما بآرائهم.

و قد مرّ فى شرح الخطبة الثّانية إبطال الرّضا عليه السّلام لهذا الزّعم الفاسد و الرّأى الكاسد حيث قدّمنا هناك منه رواية شريفة فى معرفة شأن الامام و قوله عليه السّلام فيها: إنّ الامامة أجلّ قدرا و أعظم شأنا و أعلا مكانا و أمنع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها النّاس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم إلى آخر ما قاله، و فيه كفاية لمن له علم و دراية هذا.

و قد مرّ فى شرح الكلام الثالث عشر بعض مطاعن عايشة و شطر من الكلام فيها فليراجع ثمّة.

الترجمة

از جملهٔ خطبه های آن حضـرتست بعد از انقضاء حرب جمل در مذمت زنان می فرماید و مقصود آن حضرت طعن بر عایشه بود و توبیخ باهل بصره که تابع آن خاطئه بودند:

جماعة مردمان بدرستی که طایفهٔ زنان ناقص الایمانند و ناقص النصـیبند و ناقص العقلند أما نقص ایمان ایشان پس نشسـتن ایشان است از نماز و روزه در ایام حیضـشان، و أما نقصان عقل ایشان پس شـهادة دو زن مثل شهادت یک مرد است، و أما ناقص بودن نصیب ایشان پس میراثهای ایشان بر نصـفهاست از میراث مردان، پس بترسـید از بـدترین زنان و بباشـید از خوبترین آنها بر حـذر، و اطاعت نکنید آنها را در کارهای پسندیده تا این که طمع ننمایند در کارهای ناپسندیده، و نعم ما قیل:

زن بد در سرای مرد نکو هم درین عالمست دوزخ او

زینهار از قرین بد زنهار و قنا ربّنا عذاب النّار

و من خطبة له علیه السلام و هی الثمانون من المختار

اشارة

فی باب الخطب

أیّها النّاس الزّهادة قصـر الأمل، و الشّکر عنـد النّعم، و الورع عند المحارم، فإن عزب ذلک عنکم فلا یغلب الحرام صبرکم، و لا تنسوا عند النّعم شکرکم، فقد أعذر اللّه إلیکم بحجج مسفرة و کتب بارزة العذر واضحة.

اللغة

(الزّهادة) کسعادة و الزّهد بمعنی و هو ترک المیل إلی الشیء و فی الاصطلاح

إعراض النّفس عن الـدّنيا و طيّباتها، و قيل: هو ترک راحـة الدّنيا طلبا لراحة الآخرة و (عزب) الشـيء بالعين المهملة و الزّاء المعجمة غاب و ذهب و (أعـذر اللّه إليكم) أظهر عذره و الأظهر أن يكون الهمزة للسـلب كما قيل فى الحديث: أعذر اللّه إلى من بلغ من العمر ستّين سـنة، أى أزال عذره قال فى النّهاية أى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدّة و لم يعتذر.

الاعراب

الواو فى قوله و الشكر و الورع عاطفة تفيد الجمع مع المصاحبة، قوله:

و كتب بارزة العذر واضـحة، اعلم أنّه قد حقّق فى الأدبيّة أنّ النعت لا بدّ أن يطابق منعوته فى وجوه الاعراب الثلاثة الرّفع و النّصب و الجرّ و فى التّعريف و التنكير تقول جاء زيد الفاضل بالرّفع فيهما و جائنى رجل فاضل كذلک و هكذا.

و أن يطـابقه فى الافراد و التّثنيـة و الجمع و التـذكير و التّأنيث أيضا إن اسـند النّعت إلى ضـمير المنعوت حقيقـة أو تأويلا و نعنى بالاسـناد الحقيقى ان يجرى النعت على من هوله، تقول جـائتنى امرأة كريمـة و رجل كريم و رجلان كريمان و رجال كرام و هكـذا، ففى الوصف فى الجميع ضـمير مسـتتر عايد إلى الموصوف باعتبار حاله فى التأنيث و نقيضه و الافراد و نقيضـيه، و نعنى بالاسـناد التأويلى أن يجرى النعت على غير من هو له إذا حوّل الاسناد عن الظاهر إلى ضمير المنعوت.

و جرّ الظاهر بالاضافـة إن كان معرفـة و نصب على التميز إن كان نكرة تقول جائتنى امرأة كريمة الاب بالاضافة أو كريمة أبا بالتميز و جائنى رجلان كريما الاب أو كريمان ابا و رجال كرام الآباء أو كرام آباء فانّ الوصف فى جميع ذلک رافع ضمير الموصوف تحويلا و تأويلا.

و ان اسند النّعت إلى الاسم الظاهر أو إلى الضّمير البارز لا يلاحظ حال المنعوت فى الافراد و نقيضيه و التذكير و نقيضه بل يعطى الوصف حكم الفعل تقول:

مررت برجل قائمـة امّه و بامرئة قائم أبوها كما تقول قامت امّه و قام أبوها و هكذا تقول أيضا جائنى غلام امرئة ضاربة هى و أمة رجل ضاربها هو، كما تقول ضربته هى

و ضربه هو و هكذا.

إذا عرفت ذلک فأقول: إنّ قوله علیه السّلام بارزة العذر صفة للكتب مسند إلى ضمير موصوفه تأويلا، و قوله واضحة صفة أيضا لكنها مسندة إلى الضمير حقيقة أو محذوفة الفاعل بقرينة المذكور و لذلک وافقتا مع الموصوف فی الاعراب و التأنيث و التّنكير و انّما اتى بهما مفردا إمّا باعتبار فاعلهما أو باعتبار تأويل الموصوف بالمفرد فافهم.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبة بيان معنى الزّهد و التنبيه على لزومه لكونه من عظائم مكارم الصالحين و جلايل صفات المتّقين و عمدة مقامات السالكين إلى اللّه تعالى بقدمى الطاعة و اليقين، و الرّغبة ضدّه و الأوّل من جنود العقل و الثّانى من جنود الجهل و قد فسّره بقوله (أيّها النّاس الزّهادة قصر الامل و الشّكر عند النّعم و الورع عن المحارم) و هذه الثّلاثة من لوازم الزّهد فيكون تعريفا بالخاصّة المركبة و إنّما قلنا إنّها من لوازمه لأنّ الزّهد فی الحقيقة عبارة عن اعراض النّفس عن الدّنيا و إقبالها إلى الآخرة، و من هنا قيل إنّه جعل القلب حيّا بمشاهدة أحوال الآخرة و ميّتا فی طمع الدّنيا، و من المعلوم أن إعراض النّفس عن الدّنيا مستلزم لقصر الأمل فيها، و الاقبال إلى الآخرة مستلزم للشّكر إذ الكفران موجب للعذاب باعث للسّخط و العقاب كما قال تعالى:

«وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِی لَشَدِيدٌ ».

و كذلک يلزمه الورع عن المحارم و الكفّ عنها إذ لا ينال ما عند اللّه إلاّ بالورع قال الصّادق علیه السّلام فی رواية الوسايل: عليكم بالورع فانّه الدّين الذى نلازمه و ندين اللّه تعالى به و نريده ممّن يوالينا لا تتعبونا بالشّفاعة.

و فی حديث أبى ذر قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا أبا ذر من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر، قلت: و ما الثلاث فداک أبى و امّى؟ قال: ورع يحجزه عمّا حرّم اللّه عزّ و جلّ عليه، و حلم يردّ به جهل السّفيه، و خلق يدارى به النّاس، هذا.

و لما كان ملازمة هذه الامور الثلاثة بأجمعها شاقّة صعبة فى حقّ الأغلب من النّاس لا جرم رخّص لهم فى طول الأمل بقوله (فان عزب) و بعـد (ذلک عنکم فلا یغلب الحرام صبرکم و لا تنسوا عنـد النّعم شـکرکم) یعنی أنّکم إن لـم تتمکّنوا من الاتیان بالامور الثلاثة فلا محالة لا تترکوا الاثنین إذ ما لا یدرک کلّه لا یترک کلّه، و إنما رخّص فی ترک طول الأمل و لم یرخّص فی ترک الشّکر أو الورع لأنّ طول الأمل لیس محرما بالـذّات و إن کان ینجرّ إلی المحرم احیانا بخلاف الکفران و التّقحم فی المحارم، فانّهما محرّمان بالـذّات و التّرخیص فیهما موجب للاغراء بالقبیح.

ثمّ اکـد ملازمـة الزّهادة و علل لزومها بقوله (فقـد أعـذر اللّه الیکم بحجـج مسـفرة و کتب بارزة العذر واضـحة) یعنی أظهر عذره إلیکم فی تعذیبکم لو خالفتم تکالیفه باقامة الحجج الظاهرة المضـیئة و إنزال الکتب الواضحة التی أبرز فیها عذره، «لِیَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیِّنَةٍ وَ یَحْیی مَنْ حَیَّ عَنْ بَیِّنَةٍ »، و «لِئَلاّ یَکُونَ لِلنّاسِ عَلَی اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ».

أو أنّه سبحانه أزال عذره باقامة البراهین العقلیّة و النقلیة و الحجج الباطنیّة و الظاهریة فلم یبق لکم مقام للاعتذار و أن تقولوا یوم القیامة «رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَیْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آیاتِکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزی ».

تبصرة

ینبغی أن نشیر الی بعض ما ورد فی فضیلة صفة الزهادة و ذمّ نقیضها أعنی الرغبة من الآیات و الأخبار و نردف ذلک بذکر اقسام الزّهد.

فأقول قال سبحانه:

«فَخَرَجَ عَلی قَوْمِهِ فِی زِینَتِهِ قالَ الَّذِینَ یُرِیـدُونَ الْحَیاةَ الـدُّنْیا یا لَیْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِیَ قارُونُ إِنَّهُ لَـذُو حَظٍّ عَظِیمٍ وَ قالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَیْلَکُمْ ثَوابُ اللّهِ خَیْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا یُلَقّاها إِلاَّ الصّابِرُونَ ».

فنسب الزّهد إلى العلماء و وصف أهله بالعلم، و هو غاية المدح و الثناء و قال:

«وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَيْرٌ وَ أَبْقى » و قال «مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ».

و أما الاخبار ففى الكافى فى باب ذم الدّنيا و الزّهد فيها باسناده عن الهيثم بن واقد الحريرى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من زهد فى الدّنيا أثبت اللّه الحكمة فى قلبه و أنطق بها لسانه و بصّره عيوب الدّنيا دائها و دوائها و أخرجه من الدّنيا سالما إلى دار السّلام.

و عن حفص بن غياث عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول جعل الخير كلّه فى بيت و جعل مفتاحه الزّهد فى الدّنيا.

و عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام إنّ من أعون الأخلاق على الدّين الزّهد فى الدّنيا.

و عن علىّ بن هاشم بن البريد عن أبيه أنّ رجلا سأل علىّ بن الحسين عليهما السّلام عن الزّهد فقال: عشرة أشياء فأعلى درجة الزّهد أدنى درجة الورع، و أعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، و أعلى درجة اليقين أدنى درجة الرّضا ألا و إنّ الزّهد فى آية من كتاب اللّه عزّ و جلّ:

«لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ ».

و عن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام و هو يقول: كلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، و إنّما أرادوا بالزّهد فى الدّنيا لتفرغ قلوبهم فى الآخرة

و عن محمّد بن مسلم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام إنّ علامة الرّاغب فی ثواب الآخرة زهده فی عاجل زهرة الحیاة الدّنیا، أما إنّ زهد الزّاهد فی هذه الدّنیا لا ینقصه ممّا قسم اللّه عزّ و جلّ له فیها و إن زهد، و إنّ حرص الحریص علی عاجل زهرة الدّنیا لا یزیده فیها و إن حرص، فالمغبون من حرّم حظّه من الآخرة.

الی غیر ما فی هذا المعنی من الرّوایات، و قد عقد فی الکافی با بالها و مضی شطر منها فی شرح الخطبة الثامنة و العشرین اذا عرفت ذلک فلنذکر اقسام الزّهد.

فأقول انّه ینقسم علی ما ذکره أبو حامد الغزالی فی احیاء العلوم، تارة بالنظر الی نفسه، و اخری بالنّظر الی المرغوب فیه، و ثالثة بالنّظر الی المرغوب عنه.

اما الاول فهو انّه یتفاوت بحسب الشدّة و الضّعف و الکمال و النقصان علی مراتب ثلاث.

المرتبة الاولی و هی السّفلی أن یزهد فی الدّنیا و هو لها راغب و القلب الیها مایل و نفسه لها مشتهیة و لکنّه یجاهدها و یکفّها و هذا یسمّی المتزّهد.

المرتبة الثّانیة ترک الدّنیا طوعا لاستحقاره إیّاها بالاضافة إلی ما طمع فیه کالذی یترک درهما لأجل درهمین فانّه لا یشقّ علیه ذلک و إن کان یحتاج إلی انتظار قلیل و لکن هذا الزّاهد لا محالة یری زهده و یلتفت إلیه، و یکون معجبا بنفسه و یزهده و یظن فی نفسه أنّه ترک شیئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه.

المرتبة الثالثة و هی العلیا الزّهد طوعا و الزّهد فی الزهد بأن لا یری زهده إذ لا یری أنّه ترک شیئا لمعرفته بأنّ الدنیا لا شیء کمن ترک قذرة و أخذ جوهرة فلا یری ذلک معاوضة و لا یری نفسه تارکا شیئا إذا لدنیا بالنّسبة الی الآخرة أخسّ من قذرة بالنّسبة إلی الجوهرة فهذا هو الکمال فی الزّهد و سببه کمال المعرفة.

و اما الثانی فهو أنّه ینقسم بالنّسبة إلی المرغوب فیه أیضا علی ثلاث مراتب.

المرتبة الاولی أن یکون المرغوب فیه النّجاة من النّار و من سایر الآلام

كعذاب القبر و طول الحساب و خطر الصراط و سایر ما بین یدی الانسان من الأهوال علی ما وردت فی الأخبار.

المرتبة الثانیة أن یکون المرغوب فیه اللذائذ الموعودة و النعم الموجودة فی الجنّة من الحور و القصور و الأنهار و الأثمار و سایر ما أعدّت للمتقین و هذا زهد الراجین فانّهم لم یترکوا الدنیا قناعة بالعدم و خلاصا من الألم و إنّما ترکوها رغبة فی وجود دائم و طمعا فی نعمة غیر منقطعة.

المرتبة الثالثة أن لا یکون له رغبة إلاّ فی اللّه و فی لقائه فلا یکون له توجّه إلی الآلام لیقصد الخلاص منها، و لا التفات إلی النعم لیقصد الفوز بها، بل هو مستغرق الهمّ باللّه و هو الذی أصبح و همّه هم واحد، و هو الموحّد الحقیقی الذی لا یطلب غیر اللّه إذ طلب غیره سبحانه لا یخلو من شرک خفیّ.

و هذه المرتبة مختصّة بالتّأمین فی المحبة و الکاملین فی مقام الرّضا، و لیس غرضهم إلاّ تحصیل الرّضوان و لا لهم نظر إلی الحور و القصور و سایر اللذائذ الموجودة فی الجنان لأنّ لذایذ الجنّة کلّها عندهم بالنسبة إلی لذّة الاستغراق و الفناء مثل لذّة اللعب بالعصفور و الاستیلاء علیه بالنّسبة إلی لذّة الملک و الاستیلاء علی أطراف الأرض و رقاب الخلق، و الطالبون لنعیم الجنة عند أهل المعرفة و الکمال کالصبیّ الطالب للّعب بالعصفور التارک للذّة السّلطنة و الملک من حیث قصوره عن ادراک هذه اللذة و إلی هذه أشیر فی قوله:

«وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ مَساکِنَ طَیِّبَةً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَکْبَرُ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ ».

ای الرّضوان من اللّه اکبر من جمیع ما فی الجنات من اللذات و هو الفوز العظیم اذ هو غایة کلّ لذّة و منتهی کلّ سعادة یستحقر دونه کلّ بهجة.

و اما الثالث أعنى الانقسام بالنّسبة إلى المرغوب عنه فنقول: إنّ الأقسام بالنّسبة إلى ذلک كثيرة غير محصورة إلاّ أنّ هناک مجامع محيطة بها إجمالا و هى أيضا متفاوتة المراتب بعضها أجمل و بعضها أشرح لآحاد الأقسام و أقرب إلى التفصيل.

أمّا الاجمال فى الدّرجة الأولى فهو كلّ ما سوى اللّه فينبغى أن يزهد فيه حتّى يزهد فى نفسه أيضا.

و أمّا الاجمال فى الدّرجة الثّانية فهو أن يزهد فى كلّ صفة للنّفس فيها تمتع و شهوة، و هذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة و الغضب و الكبر و الرّياسة و المال و الجاه و غيرها.

و أمّا الاجمال فى الدّرجة الثّالثة فهو أن يزهد فى المال و الجاه و أسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النّفس.

و أما الاجمال فى الدّرجة الرّابعة فهو أن يزهد فى العلم و القدرة و الدّينار و الدرهم و الجاه إذ الأموال و إن كثرت أصنافها فيجمعها الدّينار و الدرهم، و الجاه و إن كثرت أسبابه فيرجع الى العلم و القدرة و أعنى به كلّ علم و قدرة يتعلّق بملک القلوب فانّ المقصود بالجاه ملک القلوب و القدرة و الاستيلاء عليها مع الشّعور بذلک كما أنّ المقصود بالمال ملک الأعيان و القدرة عليها، فان جاوزنا عن هذا التفصيل الاجمالى إلى شرح و تفصيل أبلغ من ذلک يكاد يخرج ما فيه الزّهد عن الحصر، و قد ذكر اللّه تعالى فى آية واحدة سبعة منها فقال:

«زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ».

ثمّ ردّها فی آیة اخری إلی خمسة فقال عزّ و جلّ:

«أَنَّمَا الْحَیاةُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکاثُرٌ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ».

ثمّ ردّها فی موضع آخر الی اثنین فقال تعالی:

«إِنَّمَا الْحَیاةُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ».

ثمّ ردّ الکلّ الی واحد فقال:

«وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِیَ الْمَأْوی».

فالهوی لفظ جامع لجمیع حظوظ النّفس فی الدّنیا فینبغی أن یکون الزّهد فیه، فأعلی مراتب الزهد بالنّسبة إلی المرغوب عنه هو الزّهد عن ما سوی اللّه، و بعدها الزّهد عن حظوظ النّفس و أدناها الزّهد عن المحرمات الشّرعیّة، و اللّه ولیّ التّوفیق.

الترجمة

از جملهٔ خطب آن مقتدای عالمیان است که ترغیب فرموده مردم را بآن بورع و زهادت و شکر و سپاس حضرت عزت باین نحو که:

أی مردمان زاهد بودن کوتاهی آرزوهاست و شکر کردن است بر نعمتها و پرهیزکاریست از حرامها، پس اگر بعید باشد استجماع این امور از شما پس لازم است که غالب نشود حرام صبر شما را و فراموش ننمائید نزد نعمتها شکر گذاری خود را، پس به تحقیق که اظهار فرمود حضرت کردگار عذر خود را بسوی شما در تعذیب شما بحجتهای روشن و نمایان و کتابهای سماویه که عذر آن ظاهر است و عیان در میان مردمان.

و من كلام له عليه السلام فى صفة الدنيا

اشارة

و هو الحادى و الثمانون من المختار فى

باب الخطب

ما أصف من دار أوّلها عناء، و آخرها فناء، فى حلالها حساب، و فى حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن، و من ساعاها فاتته، و من قعد عنها و اتته، و من أبصر بها بصّرته، و من أبصر إليها أعمته.

قال السّيد: أقول: و إذا تأمّل المتأمل قوله عليه السّلام: من أبصر بها بصّرته، وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا يبلغ غايته و لا يدرک غوره، و لا سيّما اذا قرن إليه قوله: و من أبصر إليها أعمته، فانّه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر اليها واضحا نيّرا و عجيبا باهرا.

اللغة

(العناء) بالمدّ التّعب و المشقة و (فتن) بالبناء على المجهول من الفتنة بمعنى الضلالة و (حزن) بالبناء على المعلوم من باب فرح (و اتته) من المواتاة قال الطريحى:

و هو حسن المطاوعة و الموافقة و أصله الهمزة خفف و كثر حتى يقال بالواو الخالصة و منه الحديث: خير النساء المواتية لزوجها، و فى المصباح اتيته على الأمر وافقته و فى لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واوا فيقال و اتيته على الأمر مواتاة و هى المشهورة على ألسنة الناس و (الغور) بالفتح من كلّ شىء قعره.

الاعراب

الضـمير فى قوله فاتته منصوب المحلّ بنزع الخافض أى فاتت منه، و الباء فى قوله من أبصـر بها للاسـتعانة أعنى الداخلـة على آلة الفعل، و تعديـة أبصـر بالحرف فى قوله و من أبصـر إليها مع كون الفعل فى أصـله متعدّيا بنفسه إمّا من أجل تضـمينه معنى التّوجه و الالتفات، أو من أجل تضـمين معنى النظر و الأوّل أنسب و أقرب لزيادة ظهور الفرق الذى أشار اليه السّـيد بين الفعلين أعنى الجملتين على ذلک، و ان كان الثّـانى صـحيحا أيضـا، و غـايته و غوره إمّا بالرفع على النيابـة عن الفاعل و إمّا بالنّصب على كون الفعلين مبنيّا للمعلوم و فاعلهما الضّـمير المستتر الرّاجع إلى المتأمل.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام مسوق للتنفير عن الدّنيا و الذمّ لها و قد ذكر من أوصافها امورا عشرة.

الأوّل قوله (ما أصف من دار أوّلها عناء) أى مشـقّة و تعب و ذلک لأنّ مبدء نشور الانسان على ما حقّق فى الطب هو الماء الدافق يخرج من بين الصّـلب و التّرائب، و ذلـک المـاء إذا وقع فى الرّحم اختلط بماء المرأة و دمها و غلظ ثمّ الرّيـح يمخض ذلک الماء حتّى يتركه كالرّائب الغليظ، ثمّ يقسـمه فى الأعضاء، فان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امّه، و إن كان انثى فوجهها قبل بطن امّها و ذقنه على ركبتيه و يداه على جنبيه مقبض فى المشـيمة كأنّه مصـرور فى صرّة و يتنفّس من متنفّس شاقّ و ليس منه عضو الاّ كأنه مقموط (1) فوقه حرّ البطن و تحته ما تحته، و هو منوط بمعاء من سرّته إلى سرّة امّه و منها يمتصّ و يعيش من طعام امّه و شرابها.

فهو بهذه الحالة فى الغمّ و الظلمات و الضـيق حتّى إذا كان وقت ولادته سـلط اللّه الرّيح على بطن امّه و قوى عليه التحريک فتصوب رأسـه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج و عصره ما يجده صاحب الزّهق، فاذا وقع على الأرض فأصابته ريح أو مسّته

1- (1) هو من القماط و هى الخرقة العريضة التى يقمط أى يشدّ بها الصبىّ، لغة.

يد وجد من ذلک من الألم ما لا يجده من سلخ جلده.

ثمّ هو فی ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطعام و إن عطش فليس له استسقاء أو وجع فليس له استغاثة مع ما يلقاه من الرفع و الوضع و اللف و الحلّ إذا انيم علی ظهره لا يستطيع تقلبا أو اقعد لا يستطيع تمدّدا.

فلا يزال فی أصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا أفلت من ذلک اخذ بعذاب الأدب فاذيق منه ألوانا، و إذا أدرک فهم المال و الأولاد و الشّره و الحرص و مخاطرة الطلب و السعی.

و کلّ هذا يتقلّب فيها معه أعدائه الأربعة: المرّة و البلغم و الدّم و الرّيح، و السم المميت و الحيات اللاذعة مع خوف السّباع و الناس و خوف البرد و الحرّ ثمّ ألوان أوصاب الهرم إن بلغه.

(و) الثانی انّ (آخرها فناء) إذ کلّ نفس ذائقة الموت، مشرفة علی الفوت و مفارقة للأهل و الأولاد مهاجرة عن الوطن و البلاد، و کلّ شیء هالک إلاّ وجهه و کلّ إنسان ملاق ربه.

و الثالث أنّه (فی حلالها حساب) قال سبحانه:

«إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ » و قال أيضا «وَ إِنْ کانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ کَفی بِنا حاسِبِينَ » و قال «وَ وَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ وَ اللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ ».

قال الطبرسی لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع علی أفعالهم فی حالة واحدة و سئل أمير المؤمنين عليه السّلام کيف يحاسبهم فی حالة واحدة؟ فقال: کما يرزقهم فی حالة واحدة.

و اعلم أنّ الحساب فی القيامة مما يجب أن يؤمن به و أما أنّ المحاسب عليه و المسئول عنه ما ذا فقد اختلف فيه الأخبار فبعضها کالآيات واردة علی نحو العموم أو الاطلاق و بعضها مخصوصة أو مقيّدة.

ففی النبویّ المعروف بین الخاصّة و العامّة قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لا یزال قدم عبد یوم القیامة من بین یدی اللّه عزّ و جلّ حتی یسأل عن أربع خصال: عمرک فیما أفنیته و جسدک فیما أبلیته، و مالک من أین اکتسبته و أین وضعته، و عن حبّنا أهل البیت، فقال عمر بن الخطاب: و ما علامة حبّکم یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ فقال: محبّة هذا، و وضع یده علی رأس أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و روی الصّدوق باسناده عن ابراهیم بن العباس الصّولی قال: کنّا بین یدی علیّ بن موسی الرّضا علیهما السلام فقال: لیس فی الدّنیا نعیم حقیقیّ، فقال له بعض الفقهاء ممن بحضرته: قول اللّه عزّ و جلّ:

«ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ ».

أما هذا النعیم فی الدّنیا و هو الماء البارد، فقال له الرّضا علیه السّلام و علا صوته، هکذا فسّرتموه أنتم و جعلتموه علی ضروب فقالت طائفة: هو البارد من الماء، و قال غیرهم هو الطعام الطیب، و قال آخرون: هو النوم الطیب.

و لقد حدّثنی أبی عن أبیه أبی عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنّ أقوالکم هذه ذکرت عنده فی قوله تعالی:

«لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ ».

فغضب و قال: إنّ اللّه تعالی لا یسأل عباده عمّا تفضّل علیهم به و لا یمنّ بذلک علیهم و الامتنان مستقبح من المخلوقین فکیف یضاف إلی الخالق عزّ و جلّ ما لا یرضی به للمخلوقین، و لکن النعیم حبّنا أهل البیت و موالاتنا یسأل اللّه عنه بعد التّوحید و النبوّة لأنّ العبد إذا وافی بذلک أداه الی نعیم الجنّة الذی لا یزول.

و لقد حدّثنی بذلک أبی عن محمّد بن علیّ عن أبیه عن الحسین بن علیّ عن أبیه علیهم السلام أنّه قاله و قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا علی أول ما یسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه و أنک ولیّ المؤمنین بما جعله اللّه «فجعلته خ» لک فمن أقرّ

بذلک و کان معتقده صار إلی النّعیم الذی لا زوال له.

و فی جامع الأخبار و غیره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إذا کان یوم القیامة أمر اللّه تعالی مناديا فینادی أین الفقراء؟ فیقوم عنق من النّاس فیؤمر بهم إلی الجنّة فیقول خزنة الجنّة قبل الحساب. فیقولون ما اعطونا شیئا فیحاسبونا علیه، فیقول اللّه تعالی:

صدقوا عبادی ما أفقرتکم هوانا بکم و لکن ادّخرت بهذا لکم بهذا الیوم، انظروا او تصفّحوا وجوه النّاس فمن أتی إلیکم معروفا فخذوا بیده و ادخلوا الجنّة.

و عن الارشاد عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تدخل الفقراء علی الجنّة قبل الأغنیاء بنصف یوم و مقداره خمسمائة عام هذا.

و قال المحدّث المجلسی فی کتاب حقّ الیقین: إنّ المعلوم من الآیات و الأخبار أنّ الحساب و السّؤال حقّ و أما الخصوصیّة فی المسئول و المسئول عنه و المحاسب و المحاسب علیه فغیر معلومة.

فذهب جمع إلی أنّ السّؤال من جمیع النّعم و الأموال الدّنیویة، و یدلّ علیه الأخبار الخاصیّة و العامیّة الدّالة علی أنّ فی حلالها حسابا و فی حرامها عقابا، و المستفاد من طائفة من الرّوایات أنّ المؤمن لا حساب علیه، و فی بعضها أنّه لا حساب فی المأکول و الملبوس و المنکوح، و یستفاد من بعض الأخبار أنّ قوما یدخلون الجنّة بغیر حساب کما مرّ فی روایة جامع الأخبار و من بعضها أنّ بعض الأعمال الصّالحة یوجب دخول صاحبه علی الجنة بلا حساب، فهذه مخصوصة لعمومات أدلّة الحساب.

و یمکن الجمع بین الرّوایات بوجهین.

أحدهما حمل الأخبار النّافیة للحساب علی انتفائه فی حقّ المؤمن و الأخبار المثبتة علی ثبوته فی حقّ غیر المؤمن.

و الثانی حمل الأخبار الاولة علی عدمه فی الامور الضّرورية مثل الثلاثة السّابقة و حمل الأخبار الثّانیة علی وجوده فی غیر الامور الضّروریة کالاسراف و التّبذیر و الصّرف فی المحرّمات و الکسب من غیر الوجوه المشروعة أو زایدا علی

قدر الحاجة الموجب تحصيله لتضييع العمر و تفويت الزّمان فافهم.

(و) الرّابع أنّه (فی حرامها عقاب) و هو واضح لا غبار علیه، و إلی هذا الوصف و سابقه نظر الشّاعر فی قوله:

الدّهر یومان فیوم مضی عنک بما فیه و یوم جدید

حلال یومیک حساب و فی حرام یومیک عقاب شدید

تجمع ما یأکله وارث و أنت فی القبر وحید فرید

انّی لغیر واعظ تارک نفسی و قولی من فعالی بعید

حلاوة الدّنیا و لذّاتها تکلّف العاقل ما لا یرید

الخامس انّ (من استغنی فیها فتن) لأنّ الاستغناء شاغل عن ذکر اللّه مضلّ عن سبیل اللّه فهو بلاء ابتلاه اللّه به کما نطق به القرآن الکریم.

«اِعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ ».

(و) السّادس انّ (من افتقر فیها حزن) لظهور أنّ الافتقار فیها لطالبها موجب لشدّة المحنة و منتهی الحزن و الکآبة.

و فی جامع الأخبار قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الفقر أشدّ من القتل، و قال أوحی اللّه إلی إبراهیم فقال یا إبراهیم خلقتک و ابتلیتک بنار نمرود فلو ابتلیتک بالفقر و رفعت عنک الصبر فما تصنع؟ قال إبراهیم: یا ربّ الفقر إلیّ أشدّ من نار نمرود قال اللّه تعالی: فبعزّتی و جلالی ما خلقت فی السّماء و الأرض أشدّ من الفقر الحدیث.

و قال صلّی اللّه علیه و آله الفقر الموت الأکبر، و قال لو لا رحمة ربّی علی فقراء امّتی کاد الفقر أن یکون کفرا هذا.

و لشدّته دعا سید العابدین و زین السّاجدین سلام اللّه علیه و علی آبائه الطاهرین أن یصرفه اللّه عنه و لا یبتلیه به حیث قال:

اللهمّ لا طاقة لی بالجهد و لا صبر لی علی البلاء و لا قوّة لی علی الفقر فلا تخطر علیّ رزقی و لا تکلنی إلی خلقک بل تفرّد بحاجتی و تولّ کفایتی و انظر الیّ و انظر لی فی جمیع

اموری فانّک إن وکلتنی إلی نفسی عجزت عنها و لم اقم ما فیه مصلحتها و إن وکلتنی إلی خلقک تجهموا لی و إن ألجأتنی إلی قرابتی حرمونی و إن أعطونی اعطونی قلیلا نکدا و منّوا علیّ طویلا و ذمّوا کثیرا فبفضلک اللهمّ فأغننی و بعظمتک فانعشنی، و بسعتک فابسط یدی و بما عندک فاکفنی.

(و) السابع انّ (من ساعاها فاتته و) الثامن انّ (من قعد عنها واتته) و علّلهما الشّارح البحرانی بأنّ أقوی أسباب هذا الفوات أنّ تحصیلها أکثر ما یکون بمنازعة أهلها علیها و مجاذبتهم(1) إیّاها و قد علمت ثوران الشّهوة و الغضب و الحرص عند المجاذبة للشیء و قوّة منع الانسان له و تجاذب الخلق للشیء و عزّته عندهم سبب لتفویت بعضهم له علی بعض، و القعود عنها و ترکها و إن کان الغرض منهما المواتاة سبب لمواتاتها کما یفعله أهل الزّهد الظاهری المشوب بالرّیا الذی ترک الدّنیا للدّنیا، فانّ الزّهد الظاهری أیضا مطلوب الشّارع إذ کان وسیلة إلی الزهد الحقیقی کما قال الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: الرّیا قنطرة الاخلاص.

أقول و الأظهر عندی غیر هذا المعنی و هو أن یکون المراد بفواتها فی حقّ السّاعین لها عدم بقائها فی حقّهم لسرعة زوالها و فنائها فیصبحون مع شدّة رغبتهم إلیها و طلبهم إیاها و أیدیهم عاریة من حطامها خالیة من زبرجها و زخرفها لحلول الموت و نزول الفوت.

و یحتمل إرادة فواتهما عنهم فی حال الحیاة فیکون کلامه علیه السّلام محمولا علی الغالب فانّ أکثر النّاس و أغلبهم مع کونهم تابعین للدّنیا راغبین عن الآخرة لا یقع الدّنیا فی أیدیهم و إن خلعوا عن أعینهم الکری و طال لهم السّهر، و هذا بخلاف التّارکین لها و الزّاهدین فیها زهدا حقیقیا، فانّ الدّنیا مطیعة لهم مقبلة إلیهم و هم معرضون عنها غیر ناظرین إلیها.

أ لا تری إلی قول أمیر المؤمنین علیه السّلام یا دنیا إلیک عنّی أبی تعرّضت أم إلیّ تشوقت لا حان حینک هیهات غرّیّ غیری لا حاجة فیک قد طلّقتک ثلاثا لا رجعة فیها.

1- (1) تجاذبوا الشیء جذبه کلّ واحد الی نفسه، منه.

و فی النبویّ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّ اللّه جلّ جلاله أوحی إلی الدّنیا أن اتعبی من خدمک و اخدمی من رفضک.

و فی روایة اخری الزّاهد فی الدّنیا یریح قلبه و بدنه، و الرّاغب فیها یتعب قلبه و بدنه.

التاسع و العاشر ما أشار إلیه بقوله (و من أبصر بها بصّرته و من أبصر إلیها أعمته) یعنی من جعلها آلة لابصاره و مرآتا للوصول إلی الغیر یجعلها الدّنیا صاحب بصیرة و من کان نظره و توجّهه إلیها و همّته معطوفا علیها یجعلها الدّنیا أعمی.

توضیح ذلک أنّ النظر إلی الدّنیا یتصوّر علی وجهین.

أحدهما أن یکون المطلوب بالذّات من ذلک النّظر هو الدّنیا نفسها و لا شکّ أنّ الدنیا حینئذ تکون شاغلة له عن ذکر اللّه صارفة عن سلوک سبیل الحقّ، فیکون ضالاّ عن الصّراط المستقیم ناکبا عن قصد الهدی، و هو المراد بکونه أعمی یعنی أنّ الدّنیا حینئذ تکون موجبة لعماء عین قلبه عن إدراک المطالب الحقّة و عن الاهتداء إلی سلوک سبیل الآخرة و لذلک خاطب اللّه سبحانه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ظاهرا و أراد امّته باطنا بقوله:

«وَ لا تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلی ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَیاةِ الدُّنْیا لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ ».

و الثانی أن یکون الغرض بالنظر إلی الدّنیا هو التبصّر بها و الاهتداء إلی المبدأ و المعاد إذ ما من شیء فیها إلاّ و هو من آثار الصنع و أدلّة القدرة و علامة العزّة و السّلطنة.

ففی کلّ شیء له آیة تدلّ علی أنّه واحد

و «سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ » فبالنّظر إلی الأنفس و الآفاق یحصل البصیرة و الکمال، و یتمکن من المعرفة و الوصول إلی حضرت ذی الجلال کما یهتدی إلی الآخرة و یرغب عن الدّنیا بالنّظر إلی الامم الماضیة و القرون الفانیة و الملوک

العاتية كيف انتسفتهم الأيّام فأفناهم الحمام فامتحت من الدّنيا آثارهم و بقيت فيها أخبارهم.

تكملة

يستفاد من كشف الغمة أنّ هذا الكلام له عليه السّلام ملتقط من كلام طويل أسقط السّيد بعض فقراته على عادته قال: قال عليّ عليه السّلام يوما و قد أحدق به النّاس:

أحذّركم الدّنيا فانّها منزل قلعة و ليست بدار نجعة هانت على ربّها فخلط شرّها بخيرها و حلوها بمرّها، لم يصفها اللّه لأوليائه و لم يضنّ بها على أعدائه، و هى دار ممرّ لا دار مستقرّ، و النّاس فيها رجلان رجل باع نفسه فأوبقها و رجل ابتاع نفسه فأعتقها، إن اعذو ذب جانب منها فحلاّ أمرّ منها جانب فأوبى، أوّلها عناء و آخرها فناء، من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن، و من ساعا فاتته و من قعد عنها واتته و من أبصر بها بصّرته و من أبصر إليها أعمته، فالانسان فيها غرض المنايا مع كلّ جرعة شرق، و مع كلّ اكلة غصص، لا ينال منها نعمة إلاّ بفراق أخرى.

الترجمة

از جمله كلام آن حضرتست در مقام ذمّ دنيا و تنفير از آن كه مى فرمايد:

چه تعريف كنم سرائى را كه أول آن رنج است و عنا، و آخر آن فوتست و فنا، در حلال آن حسابست و در حرام آن عذاب، هر كس غنى شد در آن مبتلا شد بانواع بلا و افتاد در فتنه و ضلال، و هر كس محتاج گرديد در او گرفتار شد باندوه و ملال، و هر كه سعى نمود و شتافت بسوى آن فوت شد از آن بسبب حلول موت، و هر كه قدم پس نهاد و ترک كرد آنرا موافقت نمود او را و مساعدت، و هر كه دنيا را آلت بصيرت و واسطهٔ معرفت خود گردانيد دنيا او را صاحب بصيرت نمود، و هر كه نظر همت خود را بدنيا مصروف داشت كور نمود دنيا او را.

و من خطبة له عليه السلام عجيبة و هى الثانية

اشارة

و الثمانون من المختار فى باب الخطب

و شرحها فى ضمن فصول و بعض فصولها مروىّ فى البحار بتفاوت و اختلاف لما فى الكتاب تطلع عليه عند الفراغ من شرح الخطبة فى التّكملة الآتية فانتظر.

الفصل الاول

اشارة

الحمد للّه الّذى علا بحوله، و دنا بطوله، مانح كلّ غنيمة و فضل و كاشف كلّ عظيمة و أزل، أحمده على عواطف كرمه، و سوابغ نعمه، و أو من به أوّلا باديا، و استهديه قريبا هاديا، و استعينه قاهرا قادرا، و أتوكّل عليه كافيا ناصرا، و أشهد أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله عبده و رسوله، أرسله لإنفاذ أمره، و إنهاء عذره، و تقديم نذره.

اللغة

(الحول) القوّة و (الطول) الفضل و السّعة و (منحه) أعطاه و (الأزل) بفتح الهمزة و سكون الزّاء المعجمة الشّدة و الضّيق و (عطفته) عطفا ثنّيته و (أسبغ نعمه) عليكم أى أتمّه و (البادى) الظاهر و منه قوله تعالى: بادى الرّأى، أى ظاهره يقال بدا يبدو بدوا أى ظهر فهو باد أو من البداية مقابل النّهاية (و الانهاء) الابلاغ و (العذر) و (النّذر) فى قوله تعالى عذرا أو نذرا، أى حجة و تخويفا أو إعذارا و إنذارا، أى تخويفا و وعيدا.

الاعراب

أولا و باديا إما منصوب على الظرفية فتكون متعلقا باو من و عليه فيكون

باديا من البدائة أى او من به ابتداء قبل كلّ شـىء أو منصوبان على الحالية من الضّـمير فى به فيكونان فى المعنى و صفين للّه سبحانه، و هذا هو الأظهر من حيث السياق لأنّ المنصوبات السّتة بعدهما من أوصاف اللّه تعالى إلاّ أنّ الأوّل أقرب من حيث المعنى فافهم و تأمل.

المعنى

اعلم أنّ هـذه الخطبـة له عليه السّـلام كما ذكره السّـيد من الخطب العجيبـة مشـتملة على نكات بديعـة و مطالب أنيقة حسـبما تعرف إليها الاشارة، و هذا الفصل منها مسوغ للثناء على اللّه سبحانه باعتبار نعوت جلاله و صفات كماله.

فقوله (الحمـد للّه الّـذى علاـ بحوله) إشـارة إلى علوّه عزّ و جلّ على كلّ شـىء لكن لا بالمعنى المتعارف فى الخلق من الفوقيـة الحسـيّة و الخيالية بل العلوّ بالغلبة و القهر و الاستعلاء بالقدرة و القوّة، و قوله (و دنا بطوله) إشارة إلى قربه من كلّ شىء لكن لا بالمعنى المتعارف فى الأجسام المتقارنة بل القرب بالفضل و السعة و الدنوّ بالاحسان و العطية.

و قـد قـدّمنا الكلام فى علوّه سـبحانه و دنوّه بما لا مزيـد عليه فى شـرح الفصل الخامس و السادس من فصول الخطبـة الاولى، و فى شـرح الخطبة التاسـعة و الأربعين أيضا، و لئن رجعت إلى ما حقّقناه هناك عرفت أن علوّه سبحانه على الأشياء لا ينافى قربه منها، و أنّ قربه بها لا ينافى بعده عنها، فهو تعالى فى كمال علوّه على خلقه منهم قريب، و فى منتهى قربه إلى الخلق عنهم بعيد.

و هو سـبحانه (مانـح كلّ غنيمة و فضل و كاشف كلّ) داهية (عظيمة و أزل) لأنّ كلّ نعمة مبدئها وجوده، و كلّ عطية منشؤها كرمه وجوده، فهو منزل النّعم الجسـام و منفس الكرب العظـام، و هو الصّـارف لطارق البلاء و الـدافع للبأساء و الضـرّاء و هو مجيب المضـطرّ إذا دعاه و كاشف السوء عنه حين ناداه.

«وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ »

«ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ »(1).

(أحمده على عواطف كرمه) و الكريم من أسمائه تعالى و هو الجواد المعطى الذى لا ينفد عطاؤه، و يفيض الخير عنه من غير بخل و منع على كلّ قابل بقدر قابليته، و عواطف كرمه سبحانه عبارة عن فيوضاته العائدة إلى العباد مرّة بعد اخرى و عن خيراته النازلة إليهم تترى فانه تعالى لا يفتقر عن كثرة العطاء و لا تعجز عن الجزاء، وجوده يعلو كلّ جواد و به جاد كلّ من جاد:

«وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ »(2).

(و) نشكره على (سوابغ نعمه) أى نعمه التامة الكاملة و آلائه الظاهرة و الباطنة كما قال عزّ من قائل:

«أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ »(3).

قال الطبرسى: النعمة الظاهرة ما لا يمكنكم جحده من خلقكم و إحيائكم و إقداركم و خلق الشّهوة فيكم و غيرها من ضروب النعم، و الباطنة ما لا يعرفها إلاّ من أمعن النظر فيها.

و عن ابن عباس الباطنة مصالح الدين و الدنيا مما يعلمه اللّه و غاب عن العباد علمه.

1- (1) الآية فى سورة النحل.

2- (2) اقتباس من الآية فى سورة لقمان.

3- (3) فى سورة لقمان.

و عنه قال سألت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عنه فقال: یابن عباس أمّا ما ظهر فالاسلام و سوی اللّه من خلقک و ما أفاض علیک من الرزق، و أماما بطن فستر مساوی عملک و لم یفضحک به یابن عباس إنّ اللّه تعالی یقول ثلاثة جعلتهنّ للمؤمن و لم تکن له: صلاة المؤمنین علیه من بعد انقطاع عمله، و جعلت له ثلث ماله یکفر خطایاه، و الثالثة سترت مساوی عمله فلم افضحه بشیء منه و لو أبدیتها علیه لنبذه أهله فمن سواهم.

و قیل الظاهرة تخفیف الشرائع و الباطنة الشفاعة و قیل الظاهرة نعم الدنیا و الباطنة نعم الآخرة و قیل الظاهرة ظهور الاسلام و النصر علی الأعداء و الباطنة الامداد بالملائکة و قیل الظاهرة نعم الجوارح و الباطنة نعم القلب.

و قال الرازی فی التفسیر الکبیر: الظاهرة هی ما فی الأعضاء من السّلامة، و الباطنة ما فی القوی فانّ العضو ظاهر و فیه قوّة باطنة ألا تری أنّ العین و الاذن شحم و غضروف ظاهر و اللسان و الأنف لحم و عظم ظاهر و فی کلّ واحد معنی باطن من الابصار و السمع و الذوق و الشمّ و کذلک کلّ عضو و قد تبطل القوّة و یبقی عضو قائما.

أقول و الکلّ لا بأس به إذ الجمیع من نعم اللّه علی عباده، و فی تفسیر أهل البیت علیهم السّلام النعمة الظاهرة الرّسالة، و النعمة الباطنة الولایة (و أومن به أولا بادیا) أی اصدّق به و أعتقد بالهیته و وحدانیّته أوّلا و ابتداء قبل الاستهداء و الاستعانة منه و مقدما علی التوکّل علیه إذ ما لم یؤمن به و لم یصدق لا یمکن الاستهداء و الاستعانة و التوکّل، لأنّ ذلک کلّه فرع المعرفة و الایمان و هو ظاهر بالعیان، و علی جعل انتصابهما علی الحال فالاشارة بهما إلی الجهة التی هی مبدء الایمان إذ باعتبار أوّلیة وجب وجوده و باعتبار کونه بادیا أظهر الموجودات و ظهر منه الآیات فی الأنفس و الآفاق، فکان ظاهرا بادیا فی العقل بظهور آثاره و وضوح آیاته فباعتبار ظهوره مع أولیة یجب الایمان بوجوب وجوده و الاذعان بالهیّته.

(و أستهدیه قریبا هادیا) و الاشارة بهذین الوصفین کما فی سابقیهما إذ من لا یتّصف بالهدایة کیف یتصوّر الاستهداء منه و من کان بعیدا کیف یطلب منه الارشاد

إلى الرشاد و الدلالـة على السداد (و أسـتعينه قاهرا قادرا) و الكلام فيهما كما فى سوابقهما إذ العاجز و الضـعيف لا يتمكّن من نفسه فكيف يكون معاونا للغير أو يطلب منه الاعانة (و أتوكّل عليه كافيا ناصـرا) و الكلام فيهما أيضا كما فيما تقدّم إذ التوكّل عبارة عن الوكول و الاعتماد فيما يخاف و يرجى على الغير فلا بدّ من اتصاف المعتمد عليه بالكفاية و النصرة ليكفى المعتمد فيما رجاه و ينصره فيما يخاف.

و إليه يرجع ما عن معانى الأخبار مرفوعا إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و هو أنّه جاء جبرئيل إليه فقال له: يا جبرئيل و ما التّوكّل؟ قال: العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ و لا ينفع و لا يعطى و لا يمنع و استعمال الياس من النّاس، فاذا كان العبد كذلک لم يعتمد على أحد سوى اللّه و لم يرج و لم يخف سوى اللّه، و لم يطمع على أحد سوى اللّه و قال سبحانه:

«وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَىْ ءٍ قَدْراً ».

يعنى من يفوّض أمره إليه سـبحانه و وثق بحسن تـدبيره فهو كافيه يكفيه أمر الدّنيا و الآخرة أنّه يبلغ أمره و ما أراده من قضاياه و تدابيره على ما أراده و لا يقـدر أحـد على منعه ممّا أراده، لا رادّ لقضائه و لا مبدّل لحكمه، و قد ظهر ممّا ذكرنا أنّ التّوكل من شـئونات الايمان و من فروع المعرفة، و لذلک وصف سبحانه المؤمنين بذلک حيث قال:

«إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُـوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيـاتُهُ زادَتْهُمْ إِيمانـاً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاـةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ ».

(و أشـهد أنّ محمّدا صـلّى اللّه عليه و آله عبده و رسوله) قد تقدّم الكلام فى ثواب الشّهادة بالرّسالة فى شـرح الخطبة الثّانية و مضى تحقيق معنى العبد و الرّسول فى شرح الخطبة الحادية و السّبعين فليراجع.

ثمّ أشار إلى بعض دواعى الرّسالـة بقوله (أرسـله لانفاذ أمره) يعنى أرسـله اللّه سـبحانه لاجراء أحكامه الشـرعيّة و احكام قوانينه العدليّـة فى الخلق ليقرّوا له بالعبوديّة و ليمحّضوا له بالطاعة (و انهاء عذره) أى اعلام معذرته و ابلاغ عذره إلى الخلق فى تعذيبهم إن عصوه، و قد مضى تحقيق ذلک فى شـرح الخطبـة الثّمانين (و تقديم نذره) اى ليقدّم انذار اللّه إلى الخلق و تخويفه لهم من عقابه و ليبلّغهم ذلک قبل يوم لقائه ليكون ذلک جاذ بالهم إلى الطاعة رادعا لهم عن المعصية.

الترجمة

از جمله خطبه هاى عجيبهٔ آن حضـرتست: حمد و ثنا مر معبود بحق را سزاست كه بلند است بر همه خلق با قدرة و قوّة، و نزديک است از همه بافضل و عظمة، و عطا كنندهٔ هر منفعت است و زايل سازندهٔ هر بلاى بزرگ و شدّة.

حمد مى نمايم او را بر متكرّرات كرم او و بر تمامهاى نعم او، و ايمان مى آورم باو سبحانه در حالتى كه اوّلست و هويدا، و طلب هداية مى كنم از او در حـالتى كه نزديكست و راهنمـا، و طلب يـارى ميكنم از او در حـالتى كه غـالب است و قادر، و توكل ميكنم باو در حالتى كه كفاية كننده است و ناصـر، و گواهى مى دهم باين كه محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بندهٔ برگزيدهٔ اوست و رسول پسنديدهٔ او كه فرستاد او را بجهت اجراء امر شريعت او و اعلام عذر و معذرت او و مقدم داشتن ترسانيدن از عقوبت او پيش از لقاء روز آخرت.

الفصل الثانى

اشارة

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه الّذى ضرب لكم الأمثال، و وقّت

لكم الآجال، و ألبسكم الرّياش، و أرفغ لكم المعاش، و أحاط بكم الإحصاء، و أرصد لكم الجزاء، و آثركم بالنّعم السّوابغ، و الرّفد الرّوافع، و أنـذركم بالحجج البوالغ، فأحصاكم عددا، و وظّف لكم مددا، فى قرار خبرة، و دار عبرة، أنتم مختبرون فيها، و محاسـبون عليها، فإنّ الدّنيا رنق مشـربها، ردغ مشـرعها، يونق منظرها، و يوبق مخبرها، غرور حائل، وضوء آفل، و ظلّ زائل، و سناد مائل، حتّى إذا أنس نافرها، و اطمئنّ ناكرها، قمصت بأرجلها، و قنصت بأحبلها، و أقصـدت بأسـهمها، و أعلقت المرء أوهاق المنيّـة، قائـدة له إلى ضـنک المضـجع، و وحشـة المرجع، و معاينـة المحلّ، و ثواب العمل، و كـذلک الخلف بعقب السّلف، لا تقلع المنيّـة اختراما، و لا يرعوى الباقون اجتراما، يحتذون مثالا، و يمضون أرسالا، إلى غاية الانتهاء، و صيّور الفناء.

اللغة

(الرّياش) و الريش واحد قال تعالى: و ريشا و لباس التقوى، و هو ما ظهر من اللّباس الفاخر، و فى المصـباح الرّيش الخير و الرّياش بالكسر المال و الحالة الجميلة.

أقول: و منه قولهم ارتـاش فلاـن أى حسـنت حاله و (ارفغ) بالغين المعجمـة من الرّفغ و هو السّعة و الخصب يقال رفغ عيشه بالضمّ رفاغة اتّسع و (الرّفد) جمع

رفـدة و هی العطیة و الصّـلة و (و التّوظیف) التّعیین و (القرار) و القرارة ما قرّ فیه و المطمئنّ من الأرض و (الخبرة) بالضمّ و الکسـر اسم من الاختبـار کـالعبرة من الاعتبـار یقـال اختبرت فلانا و اعتبرته امتحنته، قال و یکون الاعتبار بمعنی الاتعاظ و منه قوله تعالی «فاعتبروا یا أولی الأبصار» قال الخلیل العبرة و الاعتبار بما مضـی ای الاتّعاظ و التّـذکر و (رنق) الماء من باب فرح و نصـر رنقا و رنقا و رنوقا کـدر فهو رنق و رنق و رنق کعـدل و کتف و جبل و مکان (ردغ) ککتف کثیر الوحل و (یونق) مضارع باب الافعال یقال آنقنی الشّـیء أعجبنی و المجرّد أنق کفرح یقـال انق الشـیء انقا أی راق حسـنه و أعجب و (یوبق) من باب الافعال أیضا و المجرّد و بق من باب وعـد و وجل و ورث یقال و بق الرّجـل و یبق و یوبق و بوقا هلک و (المخبر) کالمنظر مصـدر او اسم مکان و (الغرور) بالفتـح من غرّته الـدّنیا غرورا من باب قعـد خـدعته بزینتها فهی غرور مثل رسول اسم فاعل مبالغة و (الحائل) المتغیّر اللّون و (أفل) افولا من باب ضرب و نصر و علم غاب و (السّناد) و السّند بفتحتین ما استندت إلیه من حایط و نحوه.

و (انس) به انسا من باب علم و فی لغة من باب ضـرب و الانس بالضمّ اسم منه و استأنست به و تأنّست به إذا سکن القلب و لم ینفر و رجل (ناکر) و نکر فاعل من نکر الأمر من باب فرح أی انکره و (قمص) الفرس و غیره عند الرّکوب قمصا من باب ضـرب و قتل و هو أن یرفع یدیه معـا و یضـعهما معـا و (قنصه) یقنصه صـاده فهو قـانص و قنیص و قنـاص و (أقصـد) السـهم أصاب فقتل مکانه و فلانا طعنه فلم یخطئه و (الاوهاق) جمع وهق محرّکة و یسـکن و هو الحبل یرمی فی عنق الشخص یؤخذ به و یوثق و أصله للدّواب و یقال فی طرفه النشوطة، و هی بالضمّ ربطة دون العقدة إذا مدّت بأحد طرفیها انفتحت.

و (الضـنک) بسـکون النون الضّـیق و (ضـجع) ضـجعا و ضـجوعا من باب منع وضع جنبه بالأرض کاضـطجع و المضجع کمقعد موضع الضجع و (المرجع) کمنزل مصدر من رجع رجوعا کالمرجعة و هما شاذان لأنّ المصادر من فعل یفعل بالفتح

و كـذلک الخلف بعقب السّـلف (العقب) بكسـر القاف و بسـكونها للتخفيف يقال جائنى عقبه و أصل الكلمـة جاء زيد يطأ عقب عمرو، و المعنى كلما رفع عمرو قدما وضع زيد قدمه مكانها، ثمّ كثر حتّى قيل جاء عقبه ثمّ كثر حتّى استعمل بمعنيين:

أحـدهما المتابعة و الموالاة فاذا قيل جاء فى عقبه فالمعنى فى اثره قال ابن السّـكيت بنو فلان يسـقى ابلهم عقب بنى فلان أى بعدهم، و قال ابن فارس فرس ذو عقب أى جرى بعد جرى، و ذكر تصاريف الكلمة ثمّ قال و الباب كلّه يرجع إلى اصل واحد و هو أن يجىء الشىء بعقب الشىء أى متأخّرا عنه و منه قولهم خلف فلان بعقبى أى أقام بعدى و عقبت زيدا عقبا و عقوبا من باب قتل جئت بعده.

و المعنى الثّانى إدراک جزء من المـذكور معه يقال جاء فى عقب شـهر رمضان إذا جاء و قـد بقى منه بقيّـة و يقال إذا برأ المريض و قـد بقى شىء من المرض هو فى عقب المرض.

إذا عرفت ذلک فمعنى قوله عليه السّـلام (و كـذلک الخلف بعقب السّـلف) كذلک جاء الخلف متأخّرا عن السّـلف و بعدهم أو جاءوا و قد بقى منهم بقيّة، و فى بعض النّسخ يعقب السّـلف بصـيغة المضارع أى يجىء بعد السّـلف و يتأخّر عنهم أو مع بقاء بقيّة منهم و (قلعه) قلعا من باب منع انتزعه من اصـله و الاقلاع عن الأمر الكفّ عنه و (اخترمته) المنيّة أخذته و القوم استأصلتهم و اقتطعتهم و (ارعوى) عن القبيح ارتـدع و (الاجترام) اكتساب الجرم و الـذنب و (احتـذيت) به إذا اقتديت به فى اموره و اصـله من حذوت النّعل بالنّعل قدرتها بها و قطعتها على مثالهـا و قـدرها و(الأرسـال)جمع رسـل بفتحتين مثل سـبب و أسـباب و هو القطيع من الابل و شـبّه به النّاس فقيل جاءوا أرسالا أى متتابعا و (صير) الأمر بالكسر و يفتح مسيره و عاقبته كالصّيّور و الصّيّورة.

الاعراب

قوله عليه السّـلام و أحاط بكم الاحصاء قال الشّارح المعتزلى يمكن أن ينصب الاحصاء على أنّه مصـدر فيه اللام و العامل فيه غير لفظه، و يجوز أن ينصب بأنّه مفعول به و يكون

ذلک علی وجهین:

أحـدهما أن یکون من حاط ثلاثیا تقول حاط فلان کرمه أی جعل علیه حائطا فکأنّه جعل الاحصاء و العـدّ کالحائط المدار علیهم لأنّهم لا یعـدونه و لا یخرجون عنه الثّانی أن یکون من حاط یحوط بالواو بمعنی جمع فادخل الهمزة کأنّه جعل الاحصاء یحوطهم و یجمعهم تقول ضربت زیـدا و اضـربته أی جعلته ذا ضـرب کـأنّه جعـل الاحصاء ذا تحویط علیهم بالاعتبار الاولی أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثّانی و یمکن فیه وجه آخر و هو أن یکون الاحصاء مفعولا له و یکون فی الکلام محـذوف تقدیره و أحاط بکم حفظته و ملائکته للاحصاء و دخول اللاّم فی المفعول له کثیر انتهی.

و الأظهر هو الانتصاب بالمصدر، و مثله قوله علیه السّلام و أحصاکم عددا فانّه أیضا مصدر بغیر لفظة الفعل علی ما ذهب إلیه الزّجاج من تجویز کون العدد مصدرا مسـتدلا بقوله تعالی سـنین عددا و علی هذا فیکون أصل کلامه أحصاکم و عدّکم عددا علی حدّ قوله تعالی: لقد أحصیهم و عدّهم عدّا.

و أمّا علی مـذهب المشـهور و هو الحقّ من کون العـدد کالعدید اسم مصدر فهو تمییز منقول من المفعول به کقوله تعالی: و فجّرنا الأرض عیونا، و الأصل أحصا عددکم، و یمکن أن یکون حالاً أی أحصاکم معدودا محصورا.

و جوّز هذا الوجه مع الوجه الأوّل صاحب الکشّاف فی قوله و أحاط بما لدیهم و أحصـی کلّ شـیء عددا حیث قال: عددا حال أی و ضـبط کلّ شیء معدودا محصورا أو مصدر فی معنی الاحصاء.

قوله و أعلقت المرء أوهاق المنیّـة بنصب المرء و الأوهاق علی المفعولیّة و الفاعل الضـمیر الرّاجع إلی الدّنیا و الباء فی قوله بعقب السّلف بمعنی فی کمـا فی قوله بالبکـاء الکثیر بالاطلاـل، و اختراما و اجترامـا منصوبـان بنزع الخـافض أی لا تکف عن اختزام و لا یرتـدعون عن اجترام، و أرسالا منتصب علی الحال.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة مسوق للوصيّة بالتّقوى و الخشية من اللّه و متضمّن للتنفّر عن الدّنيا بذكر معايبها و مثالبها فأمر أوّلا بالتّقوى بقوله (أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه الذى ضرب لكم الأمثال) أى ضربها لكم فى القرآن للتذكرة و الموعظة كما قال تعالى:

«وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِى هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » اى ليتذكّروا بتلك الأمثال و يتدبّروا فيها فيعتبروا، و الأمثال التى ضربها لهم فيه كثيرة منها قوله تعالى بعد الآية السّابقة.

«ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ».

فانّه مثل ضـربه سبحانه لعبدة الأصنام و للمخلصين بتوحيده، و يعنى بقوله رجلا فيه شركاء أنّه يعبد آلهة مختلفة و أصناما، و هم متشاجرون متعاسـرون هذا يأمره و هذا ينهاه و يريد كلّ واحد منهم أن يفرّده بالخدمة ثمّ يكل كلّ منهم أمره إلى الآخر ويكل الآخر إلى آخر فيبقى هو خاليا من المنافع و هذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآراء و الأهواء و هو مثل الكافر.

و أمّا مثل المؤمن الموحّد فرجل سلم أى خالص يخدم مالكا واحدا لا يشوب بخدمته خدمة غيره و لا يأمل سواه و من كان بهذه الصفة نال ثمرة خدمته لا سيّما إذا كان المخدوم قادرا كريما حكيما.

و منها قوله تعالى فى سورة يونس:

«إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ »

«اَلْأَرْضِ مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَ الْأَنْعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فانّ هذا مثل ضربه اللّه للتّزهيد فى الدّنيا و التّرغيب فى الآخرة فقد قيل إنّ المقصود بهذه الآية تشبيه الحياة الدّنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثمّ الانقطاع و قيل إنّ المشبّه به النّبات على ما وصفه من الاغترار به ثمّ المصير إلى الزّوال و قيل إنّ المقصود تشبيه الحياة الدنيا بحياة مقدّرة على هذه الأوصاف.

و على أىّ تقدير فمعنى الآية أنّ مثل الحياة الدّنيا مثل الماء النّازل من السّماء المختلط بسببه نبات الأرض بعضه ببعض حتّى إذا أخذت الأرض حسنها و بهجتها و تزيّنت فى نظر أهلها و ظنّ مالكها أنّهم قادرون على الانتفاع بها باقتطاعها و حصادها أتاها أمر اللّه سبحانه أى عذابه و بلاؤه من برد أو برد فصارت محصودة مقلوعة يابسة كأن لم تقم على تلك الصّفة بالأمس.

و نحوه فى سورة الكهف: «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ مُقْتَدِراً ».

و نحوهما قوله سبحانه فى سورة الحديد: «اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِى الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِى »

«اَلآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ ».

و منها قوله تعالى: «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِى السَّماءِ تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ ».

فانّه تعالى شبّه الكلمة الطيبة أعنى شهادة أن لا إله الاّ اللّه أو كلّ كلام أمر به اللّه بالشّجرة الطيبة التى أصلها ثابت راسخ فى الأرض و أغصانها فى السّماء، و أراد به المبالغة فى الارتفاع تخرج هذه الشّجرة ما يؤكل منها فى كلّ ستّة أشهر أو فى كلّ سنة أو كلّ غدوة و عشيّة.

و شبّه الكلمة الخبيثة و هى كلمة الكفر و الشّرك أو كلّ كلام فى معصية اللّه بالشّجرة الخبيثة اقتلعت جثّتها من الأرض مالها من ثبات يعنى أنّ الكلمة الطيبة مثل الشّجرة الطيبة ينتفع بها صاحبها عاجلا و آجلا، و الكلمة الخبيثة كالشّجرة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها و لا يثبت له منها نفع و لا ثمر.

و فى تفسير أهل البيت عليهم السّلام(1) أنّ الشّجرة الطيبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فرعها علىّ عليه السّلام و عنصر الشّجرة فاطمة و ثمرتها أولادها و أغصانها و أوراقها شيعتنا ثمّ قال: إنّ الرّجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشّجرة ورقة و إنّ المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة، و على هذا فالمراد بقوله سبحانه: تؤتى أكلها كلّ حين ما يفتى به الأئمة من آل محمّد شيعتهم فى الحلال و الحرام.

و فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: كلمة خبيثة كشجرة خبيثة، إنّ هذا مثل بنى اميّة، و كيف كان فانّ المقصود من هذه الأمثال المضروبة فى القرآن و نحوها ممّا هى فوق حدّ الاحصاء هو تنبيه الخلق و تذكيرهم

1- (1) هذه الرواية مروية فى تفسير مجمع البيان عن ابن عقدة عن أبى جعفر (عليه السلام) منه.

و ايقاظهم من نوم الغفلة و الجهالة و حثّهم و ترغيبهم على ملازمة المعرفة و التقوى و الطاعة.

و لذلک قال عليه السّلام اوصيكم بتقوى اللّه الذى ضرب لكم الأمثال، فانّ فى التّعبير بهذه اللفظة إشارة إلى أنّ ضربها للتّقوى مما يجرى أن يتّقيه الخلق، و كذلک المقصود بالأوصاف التى يذكرها بعد ذلک هو الجذب إليه(1) و الحثّ عليه أعنى قوله (و وقّت لكم الآجال) أى عيّنها لكم و كتبها بقلم القضاء فى أمّ الكتاب كما قال تعالى:

«وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ ».

فمن علم أنّ له أجلا إذا جاء لا يؤخّر و أنّ له إيابا إلى ربّه الذى يؤاخذ بما قدّم و أخّر فأجدر أن يخاف منه و يحذر (و ألبسكم الرّياش و أرفغ لكم المعاش) أى أنزل عليكم لباسا يوارى سوآتكم و ريشا و لباس التقوى(2) و أوسع عيشكم و رزقكم من الطيبات لتطيعوه فى السر و الاعلان و لا تجاهروه بالكفر و العدوان كمال قال:

«لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِى لَشَدِيدٌ ».

(و أحاط بكم الاحصاء و أرصد لكم الجزاء) يعنى أنّه سبحانه محيط بكم عالم بعدد نفوسكم لا يشذّه منكم أحد، و هو تعالى أعدّ لكم جزاء أعمالكم(3) «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »(و آثركم بالنّعم السّوابغ و الرفد

1- (1) أى التقوى.

2- (2) اقتباس من الآية فى سورة الأعراف و هو قوله تعالى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم و ريشا و لباس التقوى ذلک خير ذلک من آيات اللّه لعلّهم يذّكّرون منه.

3- (3) اقتباس من الآية.

الروافع) أى أنّه تعالى اختاركم بنعمه التامة الكاملة «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً »(1) و أعطاكم الصّلات الجليلة الرّفيعة العالية (و أنذركم بالحجج البوالغ) «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ »(2) و «لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً »(3)(فأحصاكم عددا و وظّف لكم مددا)يعنى انّه أحصا عددكم و عيّن مدّة عمركم.

و إنّما أعاد عليه السّلام ذكر هذين الوصفين مع اغناء قوله: و وقّت لكم الآجال و أحاط بكم الاحصاء عنه، للتّاكيد و المبالغة، لأنّ ذكر توقيت المدد و توظيف الآجال من أشدّ الجواذب إلى التّقوى، و كذلك المعرفة باحاطة علمه بجزئيات النّفوس و عدم شذوذ شىء منها عنه رادعة لها عن المهالك و المعاطب.

فان قيل: أىّ نكتة فى الاتيان بالتّمييز أعنى عددا بعد لفظ الاحصاء مع أنّه لا ابهام فيه و لا خفاء بل هو مغن عنه؟ قلت: السّر فى ذلك كما فى قوله تعالى: و أحصى كلّ شىء عددا، و هو بيان أنّ علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه اجماليّ بل على وجه تفصيلى، فانّ الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجماليّة كما قال تعالى: و إن تعدّوا نعمة اللّه لا تحصوها، أى لا تقدر و اعلى حصرها إجمالا فضلا عن التّفصيل.

و ذلك لأنّ أصل الاحصاء أنّ الحاسب إذ بلغ عقدا معيّنا من عقود الأعداد كالعشرة و المأة و الألف وضع حصاة ليحفظ بها كميّة ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه و قوله (فى قرار خبرة و دار عبرة) أراد به أنّه سبحانه عيّن لكم المدد فى مقرّ البلاء و الاختيار و دار الاتّعاظ و الاعتبار.

و هى الدّار التى (أنتم مختبرون فيها) بما أعطاكم اللّه فيها «لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » و المفسد من المصلح حتّى يزيد فى إحسان المحسن و يؤاخذ بعصيان المسىء

1- (1) اقتباس من الآية.

2- (2) اقتباس من الآية.

3- (3) اقتباس من الآية فى سورة النساء.

(و محاسبون عليها) أى على نعيمها كلاّ أو بعضا على ما مضى تحقيقا و تفصيلا فى شرح كلامه الثمانين و مضى هناك أيضا توضيح الاتعاظ بالدّنيا و الاعتبار فيها فليراجع ثمّة.

ثمّ إنّه عليه السّلام لما وصّى بالتّقوى و أمر بلزومه بذكر بعض الجواذب إليه أكّده و علّله بقوله:(فانّ الدّنيا رنق مشربها)و هو كناية من كدر لذّاتها من حيث شوبها بالتّعب و المصائب و الهموم و الأحزان(ردغ مشرعها) لأنّ مواردتنا و لها و الشّروع فيها من مزالق الاقدام عن سواء الصّراط إلى طرفى التفريط و الافراط، و ذلک لكثرة الشبهات و غلبة المشتبهات (يونق منظرها) لما فى ظاهرها من الحسن و البهجة و الرّدغ و النضرة الموجبة لاعجاب الناظرين إليها و التذاذهم بها (و يوبق مخبرها) لما فى باطنها من السمّ القاتل الباعث على و بوق المتناولين لها و هلاک المفتتنين بها، و وقوعهم فى الخزى العظيم و العذاب الأليم.

و هى (غرور حائل) لأنّها تغرّ الخلق و تخدعهم بزخرفها و زبرجها فيتوهّمون دوامها و ثباتها ثمّ تنتقل عنهم و تتغيّر فى زمان يسير و مدّة قليلة(و ضوء آفل)استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن فى عيون الغافلين من قولهم على فلان ضوء إذا كان حسن المنظر يعنى إنّها ذو حسن و ضياء إلاّ أنّ حسنها قليل لا يدوم و يغيب فلا يبقى (و ظلّ زائل) أى يستريح فيها أهلها و يستظلّون بها إلاّ أنّها فى معرض الفناء و الزّوال (و سناد مائل) يستند إليها الغافلون و يعتمدون عليها مع أنّها لا ثبات لها و لا قرار.

(حتّى إذا أنس نافرها و اطمئنّ ناكرها) أى إذا استأنس بها من كان باقتضاء عقله نافرا عنها و سكن إليها من كان بمقتضى فطرته منكرا لها(قمصت بأرجلها)كالدّابة القامصة الممتنعة عن ركوب الانسان المولّية عنه.

و قمصها كناية عن امتناعها على الانسان حين حضور أجله كأنّها تدفعه برجليها مثل الدّابة الموصوفة، و الاتيان بصيغة الجمع مع أنّ الدّابة لها رجلان من باب التغليب و اعتبار اليدين و إنّما عبّر بالرّجل دون اليد لكون القمص إلى الرّجل أنسب.

(و قنصت بأحبلها) كالقناص الذى يقنص الصيد و يصيده بشركه و حبائله و هو كناية عن تمكن العلايق الدّنيويّة و حبائل محبتها و الهيآت الرّديّة المكتسبة عنها فى عنقة بحيث لا يتمكّن من الامتناع و التجنّب عنها كالصّيد الواقع فى الشّرك (و أقصدت بأسهمها)كالرّامى الذى يرمى بسهامه فيصيب الغرض و لا يخطئه و أسهمها كناية عن الأمراض و أسباب الموت.

(و أعلقت المرء أوهاق المنيّة) أى أعلقته حبالها يعنى ما تجذب بها إلى الموت من ساير أسبابه أيضا (قائدة) بتلك الحبال (له إلى ضنك المضجع) و ضيق القبر (و وحشة المرجع) و هو إشارة إلى ما يجده أهل الدّنيا من الوحشة عند مفارقة الأموال و الأولاد و الأحبّة (و معاينة المحلّ) أى مشاهدة الموضع الذى يحلّ به بعد الموت و هو دار الآخرة (و ثواب العمل) أى جزائه من خير أو شرّ لا- الجزاء بالمعنى الأخصّ الذى هو عوض الطاعة.

(و كذلك الخلف بعقب السلف) أى هكذا حال الخلف بعد السّلف يفعل الدّنيا بهم مثل ما فعلت بأسلافهم، و كذلك هم فى الدّنيا يعملون مثل ما عمله آبائهم (فلا تقلع المنية) منهم (اختراما و لا يرعوى الباقون اجتراما) يعنى لا يكفّ المنيّة عن إهلاكهم و استيصال نفوسهم و لا يرتدع الباقون منهم عن جرمهم و جرائرهم بل (يحتذون مثالا) و يقتدون بأمثالهم الماضين فى الأعمال و الأفعال (و يمضون) على ذلک (أرسالا) و متتابعا (إلى غاية الانتهاء و صيور الفناء) أى الى منتهى ما يسيرون إليه بمطايا الأبدان و عاقبة ما يكون أمرهم عليه من الفناء و العرض على الملک الدّيان أقول: و نرجو من اللّه سبحانه عند ذلک الرّحمة و الغفران بالكرم و الامتنان.

الترجمة

وصيت ميكنم شما را أى بندگان خدا بتقوى و پرهيزكارى خدا چنان خدائى كه بيان فرمود از براى شما مثل ها، و معين كرد از براى شما أجل ها و بپوشانيد شما را لباس هاى فاخر و وسعت داد بشما با طعام هاى طيّب و طاهر، و احاطه كرد بشما احاطه كردنى و مهيا نمود از براى شما جزاى عمل هاى شما را و برگزيد

شما را بنعمت های تامه کامله و عطایای جلیله عالیه، و ترساند شما را با حجت های واضحهٔ بالغه و شمرد شما را شمردنی و تعیین نمود از برای شما مدتهای أعمار در مقرّ امتحان و اختبار و در سرای اعتبار.

شما امتحان شدگانید در دار فانی و حساب کرده شدگانید در آن بنعمت ها و زندگانی، پس بدرستی دنیا ناصاف است محلّ آبخوردن آن گل آلود است محلّ آب برداشتن آن تعجب می آورد در نظر جاهلان تماشاگاه آن و هلاک می سازد محل آزمایش آن در وقت التذاذ بلذات آن، و آن فریبنده است تغییر یابنده، و صاحب حسن است فرو رونده، و سایه ای است زائل شونده و تکیه گاهی است میل نمایند.

تا زمانی که انس گیرد بأو نفرت کننده از او و خواطر جمع شود بأو انکار کنندهٔ او، بر جهد بپاهای خود که بیندازد او را بر زمین مذلت، و شکار کند او را بدامهای خود تا گرفتار شود به مشقت و محنت، و برساند باو تیرهای مرگ و هلاکت در حالتی که کشنده باشد او را بضیق و تنگی خوابگاه و وحشت بازگشت و به مشاهده کردن جای جزا و ثواب کردار.

و همچنین است حال پس آیندگان بعد از پیش رفتگان و رحلت نمایندگان نه امساک می کند مرگ از استیصال نمودن، و نه باز می ایستند باقی ماندگان از جرم و گناه کردن، بلکه اقتدا می کنند بر مثال گذشتگان و می گذرند پیاپی تا بغایت نهایت که عبارتست از موت و عاقبت امر که عبارتست از فنا و فوت.

الفصل الثالث

اشارة

حتّی إذا تصرّمت الامور، و تقضّت الدّهور، و أزف النّشور، أخرجهم من ضرائح القبور، و أوکار الطّیور، و أوجرة السّباع، و مطارح المهالک، سراعا إلی أمره، مهطعین إلی معاده، رعیلا صموتا،

قياما صفوفا، ينفذهم البصر، و يسمعهم الدّاعى، عليهم لبوس الاستكانة، و ضرع الإستسلام و الذّلّة، قد ضلّت الحيل، و انقطع الأمل، و هوت الأفئدة كاظمة، و خشعت الأصوات مهينمة، و ألجم العرق، و عظم الشّفق، و أرعدت الأسماع لزبرة الدّاعى إلى فصل الخطاب، و مقايضة الجزاء و نكال العقاب، و نوال الثّواب.

اللغة

(صرمت) النّخل قطعته و انصرم اللّيل و تصرّم ذهب و (قضّ) الشيء يقضّه قطعه و (أزف) شخوص فلان يأزف أزفا من باب تعب قرب و دنا و منه قوله: أزفت الآزفة، أى قربت القيامة و دنت، سمّيت بذلک لأنّ كلّ ما هو آت قريب و (نشر) الموتى نشورا من باب قعد حيّوا و نشرهم اللّه يتعدّى و لا يتعدّى، و قد يتعدّى بالهمزة يقال أنشرهم اللّه و قال تعالى: و إذا شاء أنشره، أى أحياه بعد إماتته.

و (الضّريح) الشّق فى وسط القبر فى جانب فعيل بمعنى مفعول و (اوجرة) السّباع جمع و جار بالكسر و هو جحرها الذى تأوى إليه و (هطع) يهطع من باب منع أسرع مقبلا و أهطع فى عدوه أسرع و منه قوله تعالى: مهطعين إلى الدّاع، أى مسرعين إليه فى خوف.

و (الرّعيل) القطعة من الخيل و الجماعة من النّاس و (الصّموت) جمع صامت كالصّمت و الصّمات مصدر بمعنى السّكوت من صمت يصمت من باب قتل و (اللّبوس) بفتح اللاّم ما يلبس قال تعالى: و علّمناه صنعة لبوس، يعنى الدّرع و (الاستكانه) الخضوع و (ضرع) له يضرع من باب منع ضراعة ذلّ و خضع، و ضرع ضرعا من باب تعب لغة و ضرع ضرعا و زان شرف ضعف، و تضرّع إلى اللّه ابتهل و (كظم) يكظم كظما من باب ضرب و سكت و رجل كظيم و مكظوم مكروب.

و (الهينمة) الصّوت الخفىّ و (الجم العرق) بلغ الفم فصار كاللجام و (الشفق) الخوف و (ارعدت الاسماع) بالبناء على المجهول أخذتها الرّعدة و (الزّبرة) من زبره زبرا من باب ضرب زجره و نهره و (قايضته) به بالياء المثناة التّحتانيّة عارضته عرضا بعرض و (نكل) به تنكيلا صنع به صنعا يحذر غيره، و النّكال اسم منه أو هو العقوبة و (النّوال) العطا.

الاعراب

سراعا، منتصب على الحال من مفعول أخرج و كذلک المنصوبات بعده، و لبوس الاستكانة مرفوع على الابتداء قدّم عليه خبره للتّوسع، و قوله إلى فصل الخطاب متعلّق بالدّاعى.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الفصل من الكلام قد ساقه عليه السّلام لبيان ما يحلّ على النّاس بعد الموت و يلحق بهم من شدايد القيامة و أهوالها و أشار به إلى النّشر و المعاد فقال (حتّى إذا تصرّمت الامور و تقضت الدّهور) أى تعطلت امور النّاس بموتهم و انقضت الازمان و تقطعت (و أزف النّشور) أى دنى و قرب وقت احيائهم بعد إماتتهم أمر اللّه سبحانه بنفخ الصّور فنشرهم و حشرهم.

و (أخرجهم من ضرايح القبور) ان كانوا مدفونين فيها (و أو كار الطيور) ان كانوا أكيل طير (و أوجرة السّباع) إن كانوا فريسة سبع (و مطارح المهالک) ان قتلوا فى معركة حرب و نحو ذلک و بالجملة ينشرهم اللّه و يأتى بهم جميعا أينما كانوا (سراعا إلى أمره) و قضائه غير لابثين (مهطعين الى معاده) غير مماكسين كما قال تعالى فى سورة ق «يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذلِکَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ » أى يسرعون إلى أمره بلا مكث و تأخير، و فى سورة القمر:

«يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلى شَىْ ءٍ نُكُرٍ خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا »

«يَوْمٌ عَسِرٌ ».

(رعيلا صموتا قياما صفوفا) أى جماعة ساكتين قائمين صافين لا يقدرون على الكلام و لا يرخّص لهم فى القعود كما قال تعالى فى سورة النّبأ «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ » أى بنو آدم على أحد التّفاسير «وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قالَ صَواباً » و فيها أيضا «يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً ».

روى فى المجمع عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه سئل عن هذه الآية فقال: يحشر عشرة أصناف من امّتى أشتاتا قد ميّزهم اللّه من المسلمين و بدّل صورهم فبعضهم على صورة القردة، و بعضهم على صورة الخنازير، و بعضهم منكوسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثمّ يسحبون عليها، و بعضهم عمى يتردّدون، و بعضهم صمّ بكم لا يعقلون، و بعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذّرهم أهل الجمع، و بعضهم مقطّعة أيديهم و أرجلهم، و بعضهم مصلّبون على جذوع من النّار، و بعضهم أشدّ نتنا من الجيف، و بعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأمّا الذين على صورة القردة فالقتاة من النّاس، و أمّا الذين على صورة الخنازير فأهل السّحت، و أمّا المنكوسون على رؤوسهم فآكلة الرّبا، و العمى الجائرون فى الحكم، و الصمّ البكم المعجبون بأعمالهم، و الذين يمضغون ألسنتهم العلماء و القضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم، و المقطّعة أيديهم و أرجلهم الذين يؤذون الجيران، و المصلّبون على جذوع من نار فالسّعاة بالنّاس إلى السلطان، و الذين أشدّ نتنا من الجيف فالذين يتمتّعون بالشّهوات و اللذات و يمنعون حقّ اللّه فى أموالهم، و الذين هم يلبسون الجباب فأهل الفخر و الخيلاء.

(ينفذهم البصر) بصر الجبّار تعالى أى لا يخفى أحد منهم مع كثرتهم عن ادراكه سبحانه و لا يعزب عن علمه كما قال فى سورة الحاقة: «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ »

«خافِيَةٌ »(و يسمعهم الدّاعى) يعنى أنّهم مع هذه الكثرة أيضا يشملهم و يحيط بهم عموم دعاء الدّاعى إلى فصل الخطاب و يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم نداء المنادى إلى الموقف و الحساب، و إليه الاشارة بقوله تعالى فى سورة ق.

«يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِکَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ».

قال الطبرسى: و إنّما قال من مكان قريب لأنّه يسمعه الخلايق كلّهم على حدّ واحد فلا يخفى على أحد قريب و لا بعيد فكأنّهم نودوا من مكان يقرب منهم (عليهم لبوس) الخضوع و الخشوع و (الاستكانة و ضرع) التذلل و (الاستسلام و الذلة) من هول هذا اليوم و فزعه كما قال سبحانه فى سورة طه:

«وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ».

قال الطبرسى أى خضعت و ذلت خضوع الأسير فى يد من قهره و المراد خضع أرباب الوجوه و استسلموا الحكم للحىّ الذى لم يمت و لا يموت، و إنّما اسند الفعل إلى الوجوه لأنّ أثر الذّلّ يظهر عليها، و قيل المراد بالوجوه الرّؤساء و القادة و الملوک أى يذلّون و ينسلخون عن ملكهم و عزّهم، و فى سورة المعارج:

«يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلِکَ الْيَوْمُ الَّذِى كانُوا يُوعَدُونَ ».

أى يخرجون من القبور مسرعين كأنّهم يسعون إلى علم نصب لهم خاضعة أبصارهم لا يستطيعون النّظر من هول ذلک اليوم و تغشيهم المذلّة (قد ضلّت الحيل) أى الحيل الدّنيويّة فلا يستطيعون الخلاص ممّا هم فيه بالحيلة و التّدبير كما كانوا يخلصون من بعض آلام الدّنيا بها (و انقطع الأمل) أى أملهم فى الدّنيا لامتناع عودهم إليها و انقطاع طمعهم عنها (و هوت الأفئدة كاظمة) أى خلت من الفرح و السّرور بل و من كلّ شىء حال كونها ساكتة أو مكروبة و محزونة و هو مأخوذ من قوله تعالى

فی سورة إبراهیم:

«مُهْطِعِینَ مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ لا یَرْتَدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ».

قال الطبرسی: مهطعین أی مسرعین و قیل یرید دائمی النظر إلی ما یرون لا یطرفون مقنعی رؤوسهم أی رافعی رؤوسهم إلی السّماء حتّی لا یری الرّجل مکان قدمه من شدّة رفع الرأس و ذلک من هول یوم القیامة و قال مورج: معناه ناکسی رؤوسهم بلغة قریش لا یر إلیهم طرفهم أی لا یرجع إلیهم أعینهم و لا یطبقونها و لا یغمضونها و إنّما هو نظر دائم و أفئدتهم هواء أی قلوبهم خالیة من کلّ شیء و قیل خالیة من کلّ سرور و طمع فی الخیر لشدّة ما یرون من الأهوال کالهواء الذی بین السّماء و الأرض و قیل معناه و أفئدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت إلی حلوقهم لا تخرج و لا تعود إلی أماکنها بمنزلة الشیء الذاهب فی جهات مختلفة المتردّد فی الهواء و قیل معناه خالیة عن عقولهم (و خشعت الأصوات مهینمة) أی حال کونها ذات هینمة و خفاء قال:

«وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً».

قال فی مجمع البیان: أی خضعت الأصوات بالسّکون لعظمة الرّحمن، و الهمس هو صوت الاقدام أی لا تسمع من صوت الاقدام أی لا تسمع من صوت أقدامهم إلاّ صوتا خفیّا کما یسمع من أخفاف الابل عند سیرها و قیل الهمس إخفاء الکلام و قیل معناه إنّ الأصوات العالیة بالأمر و النّهی فی الدّنیا ینخفض و یذلّ أصحابها فلا یسمع منهم إلاّ الهمس (و الجم العرق) أی بلغ أفواههم، قال الشّارح المعتزلی: و فی الحدیث أنّ العرق لیجری منهم حتّی أنّ منهم من یبلغ رکبتیه، و منهم من یبلغ صدره، و منهم من یلجمه و هم أعظمهم مشقّة.

أقول: و عن الارشاد عن الصّادق علیه السّلام فی حدیث إنّ الغنی لیوقف للحساب و یسیل منه العرق حتّی لو شرب منه أربعون بعیرا لصدر، و یأتی لهذا مزید تفصیل فی شرح المختار المأة و التّاسع و الثمانین إنشاء اللّه (و عظم الشّفق) و فی بعض الرّوایات أنّ شعر رأس النّاس و بدنهم یبیض من شدّة الخوف و الاشفاق بعد ما

كان أسود(1) (و ارعـدت الاسـماع لزبرة الدّاعى إلى فصل الخطاب) أى أخذتها الرّعدة و الاضـطراب من زجر الدّاعى و نهره و هيبة صوته قال الطبرسى فى تفسير قوله «وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ ».

قيل إنّه يناد المناد من صخرة بيت المقدّس أيتها العظام البالية و الأوصال المنقطعة و اللحوم المتمزّقة قومى لفصل القضاء و ما أعدّ اللّه لكم من الجزاء و قيل إنّ المنادى هو إسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب (و مقايضة الجزاء) مبادلتها و معاوضتها (و نكال العقاب) إن كسبت يداه فى الدّنيا سيئة (و نوال الثّواب) إن اقترف فيها حسنة.

«فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »

تنبيه و تحقيق

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة كبعض الخطب الآتية نصّ صريح فى ثبوت المعاد الجسمانى و عليه قد دلّت الآيات القرآنيّة مما ذكرناها و ما لم يذكر، و السّنن

1- (1) روى فى الكافى باسـناده عن يزيـد الكناسـى عن أبى جعفر عليه السـلام قال: إنّ فتية من أولاد ملوك بنى اسـرائيل كانوا متعبّدين و كانت العبادة فى أولاد ملوك بنى اسـرائيل و أنهم خرجوا يسـيرون فى البلاد ليعتبروا فمرّوا بقبر على ظهر الطريق قد سفى عليه السافى ليس منه الاّ رسـمه فقالوا لو دعونا اللّه الساعـة فينشـر لنا صاحب هـذا القبر فسايلنا كيف و جد طعم الموت فدعوا اللّه تعالى قال فخرج من ذلک القبر رجـل أبيض الرأس و اللحيـة ينفض رأسه من التراب فزعاشـا خصا بصـره الى السـماء، فقال لهم: ما يوقفكم على قبرى فقالوا: دعوناک لنسألک كيف وجدت طعم الموت فقال لهم: لقد سـكنت فى قبرى تسـعة و تسـعون سـنة ما ذهب عنّى ألم الموت و كربه و لا خرج مرارة طعم الموت من حلقى.فقال «لواظ» له: متّ يوم متّ و أنت على ما نرى أبيض الرأس و اللّحية؟ قال: لا، و لكن لما سـمعت الصيحة اخرج اجتمعت تربة عظامى الى روحى فبقيت فيه فخرجت فزعا شاخصا بصرى مهطعا إلى صوت الداعى فابيضّ لذلک رأسى و لحيتى، منه.

النّبويـة المتواترة بل هو ضـرورى الـدين و عليه اتفاق المسـلمين و مع ذلک كلّه لايعباء بخلاف الحكماء و منعهم منه بناء على امتناع اعادة المعـدوم من حيث امتناع عود أسـبابه بعينها من الوقت و الـدّورة الفلكيـة المعيّنة و غيرهما و ربّما قال بعض الحكماء أى حكماء الاسـلام بجواز عود المثل و ربّما قلّد بعضهم ظاهر الشّريعة فى أمر المعاد الجسمانى، و إثبات السّعادة و الشقاوة البدنيّة مع الرّوحانيّة.

قال الصّدر الشّيرازى فى شرح الهداية للميبدى: و اعلم أنّه قد زعمت الفلاسفة الطبيعيّون و اوساخ الدّهرية الذين لا اعتداد بأقوالهم و آرائهم فى الملّـة و لا فى الفلسـفة انكار المعاد مطلقا للانسان زعما منهم أنّه متكوّن من مزج و امتزاج لهـذا الهيكل المحسوس بما له من القوى و الأعراض و ذلک يفنى بالموت و لا يبقى فيه إلاّ الموادّ العنصرية و لا اعادة للمعدوم فمهما فسد لا يرجى له عايدة فحكموا بأنّه إذا مات مات و نيل سعادته أو شقاوته قد فات كما حكى اللّه عنهم فى كتابه المجيد:

«ما هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الـدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا » مثل العشب و المرعى فيصـير غثاء أهوى فلهـذا السّـبب أنكروا النبّوة المنـذرة بالبعث و فوايـدها و أصـرّوا صـريحا على منع نشر موايدها، و فى هذا تكذيب العقل على ما يراه المحقّقون من أهل الفلسفة و الشّرع على ما قرّره المحقّقون من أهل الملّة.

و اتّفق المحقّقون من الفلاسفة و الملّيين على ثبوت المعاد و حقيّته لكنّهم اختلفوا فى كيفيّته.

فذهب جمهور المسـلمين على أنّه جسـمانىّ فقط، لأنّ الرّوح عندهم جسم سار فى البدن سريان الزّيت فى الزّيتون و ماء الورد فى الورد و النّار فى الفحم.

و ذهب جمهور الفلاسفة إلى أنّه روحانىّ فقط، لأنّ البدن ينعدم بصوره و أعراضه فلا يعاد و النّفس جوهر مجرّد باق لا سبيل إليه للفساد.

و ما تزيّن به كثير من علماء الاسلام كأصحابنا الاماميّة و الشّيخ الغزالى

و الكعبى و الحلبى و الرّاغب الاصفهانى هو القول بالمعادين: الرّوحانى و الجسمانى جميعا ذهابا إلى أن النّفس جوهر مجرّد يعود إلى البدن، و هذا رأى كثير من الصّوفيّة و الكراميّة و به يقول جمهور النّصارى و التّناسخيّة.

قال الامام الرّازى إلاّ أنّ الفرق أنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردّها إلى البدن لا فى هذا العالم بل فى الآخرة، و التّناسخيّة بقدمها و ردّها إليه فى هذا العالم و ينكرون الآخرة و الجنّة و النّار.

أقول: و ممّن قال بالمعادين الشّيخ الرّئيس أبو علىّ بن سينا قال فى محكىّ كلامه من الشفا: يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشّرع و لا سبيل إلى إثباته إلاّ من طريق الشّريعة و تصديق خبر النبوّة و هو الذى للبدن عند البعث و خيرات البدن و شروره معلومة لا تحتاج أن تعلم، و قد بسطت الشّريعة الحقة التى أتانا بها سيّدنا و مولينا محمّد صلّى اللّه عليه و آله حال السّعادة و الشّقاوة اللتين بحسب البدن.

و منه ما هو مدرک بالعقل و القياس البرهانى و قد صدّقه النبوّة و هو السّعادة و الشّقاوة البالغتان الثابتتان بالمقائيس اللتان للأنفس و إن كانت الأوهام منّا تقصر عن تصوّرها الآن، لما نوضح من العلل و الحكماء الالهيّون رغبتهم فى اصابة هذه السّعادة أعظم من رغبتهم فى إصابة السّعادة البدنيّة بل كأنّهم لا يلتفتون إلى تلک و ان اعطوها و لا يستعظمونها فى جنب هذه السّعادة التى هى مقاربة الحقّ الأوّل انتهى كلامه.

و قال المحقّق الشّيرازى أيضا فى شرح الهداية: اعلم أنّ إعادة النّفس إلى بدن مثل بدنها الذى كان لها فى الدّنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه فى القيامة كما نطقت به الشّريعة من نصوص التّنزيل و روايات كثيرة متظافرة لأصحاب العصمة و الهداية غير قابلة للتّأويل كقوله تعالى:

«قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ »

«مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » «فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ » «أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ » أمر ممكن غير مستحيل فوجب التّصديق بها لكونها من ضروريّات الدّين و إنكاره كفر مبين و لا استبعاد أيضا فيها بل الاستبعاد و التّعجب من تعلّق النّفس إليه فى أوّل الأمر أظهر من تعجّب عوده إليه إلى أن قال: و لا يضرّنا أيضا كون البدن المعاد غير البدن الأوّل بحسب الشّخص لاستحالة كون المعدوم بعينه معادا و ما شهد من النّصوص من كون أهل الجنّة صردا مردا، و كون ضرس الكافر مثل جبل أحد، و كذا ما روى من قوله يحشر بعض النّاس يوم القيامة على صورة يحسن عندها القردة و الخنازير، يعضد ذلک، و كذا قوله: كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها.

فان قيل فعلى هذا يكون المثاب و المعاقب باللذات و الآلام الجسمانيّة غير من صدرت منه الطاعات و الخيرات و ارتكب المعاصى و الشّرور.

قلنا: العبرة فى ذلک الجوهر المدرک و هو النّفس و لو بواسطة الآلات و هى باقية بعينها و كذا المادّة و السنخ كالأجزاء الأصليّة فى البدن أو غيرها و لهذا يقال للشّخص مع انتقاله من الصّبا إلى الشّيخوخيّة و التّجدّدات و الاستحالات الواقعة فيما بين أنّه هو بعينه و إن تبدّلت الصّور و الهيآت و كثير من الأعضاء و الآلات و لا يقال لمن جنى فى الشّباب و عوقب فى المشيب أنّه عقاب بغير الجانى انتهى.

و أنت إذا أحطت خبرا بالأقوال فى المسألة فلا بأس بالاشارة إلى بعض شبه المنكرين مع إبطال شبههم حسبما اشير إليه فى الكتاب العزيز قال سبحانه:

«أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ »

«قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ».

روى أنّ امية بن خلف أو العاص بن وائل السّ ـ همى أو أبى بن خلف و هو المرويّ عن الصّادق عليه السّلام أيضا جاء بعظم بال متفتّت و قال: يا محمّد أ تزعم أنّ اللّه يبعث هذا؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: نعم و يدخلک جهنّم فنزلت الآية، و هو المراد بالانسان فى الآية و إن كان الحكم جاريا فى حقّ كل من ينكر البعث و الحشر إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب على ما تقرّر فى الاصول فالمعنى:

أو لم يعلم الانسان أنا خلقناه من نطفة، ثمّ نقلناه من النّطفة إلى العلقة، و من العلقة إلى المضغة، و من المضغة إلى العظام، و كسونا العظام لحما، ثمّ أنشأناه خلقا آخر كامل العقل و الفهم، فاذا كمل عقله و فهمه صار متكلّما مخاصما، فمن قدر على مثل هذا فكيف لا يقدر على الاعادة و الاحياء مع أنّها أسهل من الانشاء و الابتداء؟ ثمّ أكّد سبحانه الانكار عليه فقال: و ضرب لنا مثلا، أى ضرب المثل فى إنكار البعث بالعظم البالى وفتّه بيده، و نسى خلقه، أى ترک النّظر فى خلق نفسه مع أنّه من أدلّ الدلائل على جواز البعث و إمكانه، لما ذكرناه من أنّه مخلوق من نطفة متشابهة الأجزاء مع كونه مختلف الأعضاء إذ لو كان خلقه من أشياء مختلفة الصّور لأمكن أن يقال العظم خلق من جنس صلب و اللحم من جنس رخو و كذلک الحال فى كلّ عضو، و لما كان خلقه من متشابهة الأجزاء مع اختلاف صوره كان ذلک دليلا على كمال الاختيار و القدرة.

مضافا إلى القوّة العاقلة و الفاهمة و الناطقة التى أعطاها اللّه له و أبدعها فيه فقدر معها على المخاصمة و الاحتجاج مع أنّ تلک القوّة لم تكن فى النطفة أصلا و لم تكن من مقتضياتها و دلالة ذلک على الاختيار و الاقتدار أقوى.

ثمّ إنّ المنكرين للبعث منهم من لم يذكر فيه دليلا و لا شبهة و إنّما اكتفى

بمجرّد الاستبعاد و ادّعى الضرورة و البداهة فى استحالة المعاد و هم الأكثرون و يدلّ عليه ما حكاه تعالى عنهم فى غير موضع كما قال: و قالوا أ إذا ظللنا فى الأرض ء إنّا لفى خلق جديد، أ إذا متنا و كنا ترابا و عظاما ء إنّا لمبعثون، ءإنّک لمن المصدّقين أ إذا متنا و كنّا ترابا و عظاما ءإنّا لمدينون إلى غير ذلک.

و مثلها ما حكاه هنا بقوله: قال من يحيى العظام و هى رميم، على طريق الاستبعاد، و هو المراد بالمثل الذى ضربه الانسان المذكور و لما كان استبعاده من جهة التفتّت و التفرق اختار العظم للذكر لبعده عن الحياة لعدم الاحساس فيه و وصفه بما يقوى جانب الاستبعاد من البلا و التفتّت و قال: هى رميم، و قد دفع اللّه سبحانه بقوله: و نسى خلقه، إذ لو كان تدبّر فى خلقه و عرف قدرة خالقه و اختياره و علمه لما استبعد ذلک.

و منهم من ذكر شبهة و إن كان مرجعها بالأخرة إلى الاستبعاد أيضا و هى على وجهين:

أحدهما أنّه بعد العدم لا يبقى شىء فكيف يصحّ على المعدوم الحكم بالوجود و دفعها بقوله. قل يحيها الّذى أنشأها أوّل مرّة، يعنى كما خلق الانسان و لم يكن شيئا مذكورا كذلک يعيده و إن لم يبق شيئا مذكورا.

و ثانيهما أنّ من تفرّق أجزاؤه فى مشارق الأرض و مغاربها و صار بعضه فى أبدان السباع، و بعضه فى جدران الرّباع و بعضه فى ضرايح القبور و بعضه فى أو كار الطيور كيف يجمع.

و أبعد من ذلک أنّه قد يأكل الانسان سبع و يأكل السّبع طاير و يأكل الطائر إنسان آخر، و من المعلوم أنّ أجزاء المأكول يصير جزء بدن الآكل فاذا حشر الانسان و الحيوان على ما هو المذهب الحقّ فتلک الأجزاء المفروضة إمّا أن تعاد فى بدن الآكل أو فى بدن المأكول أو هما معا، فان اعيدت فى بدن الآكل لزم أن لا يعاد المأكول، و إن اعيد المأكول لزم أن لا يعاد الآكل و إن كان الثالث لزم المحال، لأنّ الجزء الواحد لا يكون فى موضعين.

فقال تعالى فى إبطال هذه الشّبهة: و هو بكلّ خلق عليم، و توضيحه أنّ فى

بـدن الآكل أجزاء أصـليّة و أجزاء فضـليّة، و فى المأكول كذلک، فاذا أكل الانسان سـبع صار الأصـلى من أجزاء المأكول فضـليا من أجزاء الآكـل و الأـجزاء الأصـليّة للآكـل هى ما كان له قبل الاكل، و اللّه بكلّ خلق عليم، يعلم الأصـلى من الفضـلى فيجمع الأجزاء الاصـليّة للآكـل و ينفـخ فيها روحه، و يجمع الأجزاء الاصـليّة للمأكول فينفـخ فيها روحه، و كـذلک يجمع الأجزاء المتفرقـة من البقاع و الأصـقاع بحكمته الشّاملة و قدرته الكاملة.

ثمّ بالغ سـبحانه فى إبطال إنكارهم بقوله: الـذى جعل لكم من الشّجر الأخضـر نارا فاذا أنتم منه توفـدون، و وجه المبالغـة هو أنّ الانسان مشـتمل على جسم يحسّ به و حيـاة ساريـة فيه و هى كحرارة جاريـة فيه، فان اسـتبعدتم وجود حرارة و حياة فيه فلا تسـتبعدوه فانّ النار فى الشّجر الأخضر الذى يقطر منه الماء أعجب و أغرب و أنتم تشهدونه حيث إنّكم منه توقدون.

و إذا حقّقت ما ذكرناه و وضح لک صحّة المعاد الجسمانى وضوح الشّمس فى رابعة النّهار:

ظهر لک فساد ما ربّما قيل أو يقال: من أنّ الآيات المشـعرة بالمعاد الجسـمانى ليست أكثر و أظهر من الآيات المفيـدة للتّجسّم و التّشـبه و الجبر و القدر و نحو ذلک و قد وجب تأويلها قطعا و صرفها عن ظواهرها.

قلنا دلّ هذه الآيات أيضا إلى بيان المعاد الرّوحانى و أحوال سـعادة النّفس و شقاوتها بعد مفارقة الأبدان و الأجسام على وجه يفهمه العوام، فانّ الأنبياء مبعوثون إلى كافّة الخلق للارشاد بقدر الاستعداد إلى سبيل الحقّ و تكميل النفوس بحسب القوّة النظرية و العملية و تبقية النظام المفضى إلى صلاح الكلّ.

و ذلک بالتّرغيب و التّرهيب بالوعـد و الوعيـد و البشارة بما يعتقـدونه لـذّة و كمالا و الانذار عمّا تعدونه ألما و نقصانا و أكثرهم عوام تقصـر عقولهم لا يفهمون عالم الأشـباح و المحسوسات عن ذات المبـدأ الأوّل و الشّريعة تحاكيها بمثالاتها المأخوذة من المبادى الجسـمانية و تحاكى الأفعال الالهية بأفعال المباد المدنيّة من الملوک و السلاطين القهارين و هكذا.

فوجب أن يخـاطبهم الأنبياء فى باب المعاد بما هو مثال للمعاد الحقيقى ترغيبا و ترهيبا للعوام و تتميما للنظام و لهـذا قيل إنّ الكلام مثل و أشباح للفلسفة.

وجه ظهور الفساد أنّ الذّهاب إلى المجاز إنّما هو عند تعذّر إرادة الحقيقة و المصـير إلى التأويل عند عدم إمكان الظاهر كما فى آيات الجبر و القدر و التجسّم، و ما نحن فيه ليس من هذا القبيل إذ لا تعذّر ههنا سيّما على قول من يقول بكون البدن المعاد مثل الأوّل لا عينه.

و حمل كلام الشـريعة و نصوص الكتاب على الأمثال و الأشباح و الاشارة إلى معاد النفس و الرّعاية لمصلحة العامّة التوجب «توجب ظ» نسـبة المتصدّعين للشـرع إلى الكذب فيما يتعلّق بالتبليغ و القصد إلى تضليل أكثر الخلائق و التعصّب طول العمر لترويج الباطل و إخفاء الحقّ لأنهم لا يفهمون من الكلام إلاّ ظاهره الّذى لا حقيقة له على ما زعمه هذا القائل، و ما هذه إلاّ فرية بيّنة و بهتان عظيم.

و بذلک كلّه ظهر أنّ ما حكاه فى شـرح البحرانى من تأويل بعض الفضـلاء كلام الامام عليه السّلام فى هذا الفصل على ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحانى مما لا طائل تحته بل تطويل الكتاب بمثل تلک التأويلات الباردة الفاسدة موجب لتفويت الوقت و تضـييع القوّة القدسيّة.

عصمنا اللّه سبحانه من هفوات الجنان، و عثرات اللسان بحق محمّد و آله البررة الكرام عليه و عليهم السّلام إلى يوم البعث و القيام.

هداية و ارشاد

فى الاشـارة إلى معنى الحشـر على مـا حقّقه صـدر المتألّهين فى كتابه المسـمّى بمفاتـح الغيب و ايراد بعض الأخبار الواردة فى ذلک و ما يناسب ذلک.

فاعلم أنّ الزّمان علّة التّغير و التعاقب و الاحتجاب بوجه، و المكان علّة التفرّق و التكثّر و الاغتياب بوجه، فهما سـببان لاختفاء الموجودات و احتجاب بعضها عن بعض، فاذا ارتفعا فى القيامة ارتفع الحجب بين الخلائق فيجتمع الخلائق كلّهم و الأوّلون و الآخرون قل إنّ الأوّلين و الآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم فهى يوم الجمع

ذلک یجمعکم لیوم الجمع ذلک یوم التغابن.

و بوجه آخر، ذلک یوم الفصل لأنّ الـدّنیا دار مغالطـة و اشـتباه یتشابک فیها الحقّ و الباطل و یتعانق فیها الوجود و العـدم و الخیر و الشـرّ و النور و الظلمة و فی الآخرة یتقابل المتخاصمان و یتفرّق المتخالفان، و یوم تقوم الساعة یومئذ یتفرّقون.

و فیها یتمیّز التشابهان، لیمیز الخبیث من الطیّب، و ینفصل الخصـمان، لیحقّ الحقّ و یبطل الباطل، لیهلک من هلک عن بیّنـة و یحیی من حیّ عن بیّنة.

و لاـ منافـاة بین هـذا الفصـل و ذلک الجمع بل هـذا یوجب ذلک، هـذا یوم الفصل جمعناکم و الأوّلین، و الحشـر أیضا بمعنی الجمع، و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا إذا عرفت ذلک فأقول قال سبحانه:

«وَ نُفِـخَ فِی الصُّورِ فَصَـعِقَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِیهِ أُخْری فَإِذا هُمْ قِیامٌ یَنْظُرُونَ وَ أَشْـرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَ وُضِعَ الْکِتابُ وَ جِیءَ بِالنَّبِیِّینَ وَ الشُّهَداءِ وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِما یَفْعَلُونَ ».

قال الطبرسـیّ فی تفسـیر الصور: و هو قرن ینفخ فیه إسـرافیل و وجه الحکمة فی ذلک أنها علامة جعلها اللّه لیعلم بها العقلا آخر أمرهم فی دار التکلیف ثمّ تجدیـد الخلق فشـبه ذلـک بمـا یتعـارفونه من بوق الرحیل و النزول و لا یتصوّره النفوس بأحسن من هـذه الطریقـة، و قوله: فصـعق من فی السـموات و من فی الأرض، أی یموت من شـدّة تلک الصّـیحة التی تخرج من الصّور جمیع من السـموات و الأرض یقال: صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبیهة بالصیحة العظیمة.

و اختلف فی المسـتثنی بقول إلاّـ من شـاء اللّه، و فی المجمع روی مرفوعا هم جبرئیل و میکائیل و إسـرافیل و ملک الموت و فی روایـة أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله سأل جبرئیل

عن هذه الآية من ذا الذى لم يشاء اللّه أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء متقلّدون أسيافهم حول العرش.

و قوله: ثمّ نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون، أراد النفخة الثانية و يسمّى النفخة الاولى بنفخة الصعق، و الثانية بنفخة البعث أى ثمّ نفخ فيه نفخة اخرى فاذا هم قائمون من قبورهم يقلّبون أبصارهم فى الجوانب، و قال الطبرسى أى ينتظرون ما يفعل بهم و ما يؤمرون به.

و فى تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى باسناده عن ثوير بن أبى فاخته عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال:

سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ما شاء اللّه، فقيل له فأخبرنى يا بن رسول اللّه كيف ينفخ فيه؟ فقال: أما النّفخة الاولى فانّ اللّه يأمر اسرافيل فيهبط إلى الأرض و معه الصّور و للصّور رأس واحد و طرفان و بين رأس كلّ طرف منهما إلى الآخر ما بين السماء و الأرض، فاذا رأت الملائكة إسرافيل و قد هبط إلى الدّنيا و معه الصور قالوا: قد أذن اللّه فى موت أهل الأرض و فى موت أهل السّماء.

قال: فهبط إسرافيل بحظيرة القدس و هو مستقبل الكعبة فاذا رأوه أهل الأرض قالوا: قد أذن اللّه عزّ و جلّ فى موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخة فيخرج الصّوت من الطرف الذى يلى الأرض فلا يبقى فى الأرض ذو روح إلاّ صعق و مات، و يخرج الصّوت من الطرف الذى يلى السّماوات، فلا يبقى فى السّماوات ذو روح إلاّ صعق و مات إلاّ إسرافيل.

قال: فيقول اللّه لاسرافيل: يا إسرافيل مت، فيموت إسرافيل فيمكثون فى ذلک ما شاء اللّه، ثمّ يأمر السّماوات فتمور و يأمر الجبال فتسير و هو قوله:

«يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً ».

يعنى يبسط و يبدّل الأرض غير الأرض يعنى بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال و لا نبات كما دحاها أوّل مرّة و يعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّة

مستقلاّ بعظمته و قدرته.

قال: فعند ذلک ينادى الجبّار جلّ جلاله بصوت من قبله جوهرى (جهورى خ ل) يسمع أقطار السّماوات و الأرضين: لمن الملک اليوم؟ فلا يجبه مجيب، فعند ذلک يقول الجبّار عزّ و جلّ مجيبا لنفسه: للّه الواحد القهّار، و أنا قهرت الخلائق كلّهم و أمّتهم إنّى أنا اللّه لا إله إلاّ أنا وحدى لا شريک لى و لا وزير و أنا خلقت خلقى بيدى و أنا أمّتهم بمشيّتى و أنا أحياهم بقدرتى.

قال: فينفخ الجبّار نفخة اخرى فى الصّور فيخرج الصّوت من أحد الطرفين الذى يلى السّماء فلا يبقى فى السّموات أحد إلاّ حىّ و قام كما كان، و يعود حملة العرش، و يحضر الجنّة و النّار و يحشر الخلائق للحساب.

قال الرّاوى: فرأيت علىّ بن الحسين يبكى عند ذلک بكاء شديدا.

فان قلت إذا فنت الأجساد و انعدمت الأجسام فما الفائدة فى خطاب لمن الملک؟ قلنا: ما يصدر عن الحكيم العليم لا بدّ و أن يكون متضمّنا للحكمة و المصلحة و إن كانت مختفية عندنا، و يمكن أن يكون فيه اللطف بالنّسبة إلى المكلّفين من حيث إنّ المخبر الصّادق إذا أخبرهم بوقوع ذلک الخطاب يوجب ذلک حقارة الدّنيا فى نظرهم و عدم اغترارهم بملكها و سلطنتها و يوجب زيادة علمهم بقدرة اللّه و عزّته و بتفرّده فى تدبير العالم، تعالى علوا كبيرا هذا.

و روى علىّ بن إبراهيم أيضا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: و أتى جبرئيل رسول اللّه و أخذ بيده و أخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر فصوت بصاحبه فقال: قم باذن اللّه فخرج منه رجل أبيض الرّأس و اللحية يمسح التّراب عن وجهه و هو يقول: الحمد للّه و اللّه أكبر، فقال جبرئيل: عد باذن اللّه تعالى، ثمّ انتهى به إلى قبر آخر فقال: قم باذن اللّه، فخرج منه رجل مسوّد الوجه و هو يقول: يا حسرتاه يا ثبوراه، ثمّ قال له جبرئيل: عد إلى ما كنت فيه باذن اللّه تعالى، فقال: يا محمّد هكذا يحشرون يوم القيامة، فالمؤمنون يقولون هذا القول و هؤلاء يقولون ما ترى.

و فی الأنوار النّعمانیة للسـید الجزائری قال روی شـیخنا الکلینیّ قدّس اللّه روحه و تغمّده اللّه برحمته فی الصحیح عن یعقوب الأحمر قال: دخلنا علی أبی عبد اللّه علیه السّلام نعزّیه باسـماعیل فترحّم علیه ثمّ قال: إنّ اللّه تعالی نعی إلی نبیّه نفسه فقال: إنک میّت و إنّهم میّتون، و کلّ نفس ذائقة الموت ثمّ أنشأ علیه السّلام یحدّث فقال:

إنه یموت أهل الأرض حتّی لا یبقی أحد، ثمّ یموت أهل السماء حتّی لا یبقی أحد إلاّ ملک الموت و حملة العرش و جبرئیل و میکائیل.

قـال: فیجیء ملـک الموت حتّی یقف بین یـدی اللّه تعـالی فیقول له، من بقی؟ و هو أعلم، فیقول: یـا ربّ لم یبق إلاّ ملک الموت و حملة العرش و جبرئیـل و میکائیل فیقال له قل لجبرئیل و میکائیل فلیموتا فتقول الملائکـة عنـد ذلک یا ربّ رسولیک و أمینیک، فیقول تعالی: إنّی قضیت علی کلّ نفس فیها الرّوح الموت.

ثمّ یجیء ملـک الموت حتّی یقف بین یـدی اللّه عزّ و جـلّ فیقول له: من بقی؟ و هو أعلم، فیقول: یـا ربّ لم یبق إلاّ ملک الموت و حملة العرش، فیقول: قل لحملـة العرش فلیموتوا، ثمّ یجیء کئیبا حزینا لا یرفع طرفه فیقول له من بقی؟ و هو أعلم، فیقول: یا ربّ لم یبق إلاّ ملک الموت، فیقول له: مت یا ملک الموت، فیموت.

ثمّ یأخذ الأرض بیمینه و السّماوات بشماله فیقول: أین الذین کانوا یدعون معی شریکا؟ أین الذین یجعلون معی الها آخر؟ و فی الأنوار أیضا إنّ النّفخـة الأـولی هی اللّتی للهلاـک تـأتی النّـاس بغتـة و هـم فی أسواقهم و طلب معایشـهم فاذا سـمعوا صوت الصّور تقطعت قلوبهم و أکبادهم من شدّته فیموتوا دفعة واحدة، فیبقی الجبّار جلّ جلاله فیأمر عاصفة فتقلع الجبال من أماکنها و تلقاها فی البحار و تفور میاه البحار و کلّما فی الأرض و تسـطح الأرض کلّها للحساب فلا یبقی جبل و لا شـجر و لا بحر و لا وهدة و لا تلعة فتکون أرضا بیضاء حتّی أنّه روی لو وضعت بیضة فی المشرق رایت فی المغرب، فیبقی سبحانه علی هذا الحال مقدار أربعین سنة.

فاذا أراد أن یبعث الخلق قال مولینا الصّادق علیه السّلام أمطر السّماء علی الأرض

أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال و نبتت اللحوم و يأمر اللّه تعالى ريحا حتّى تجمع التّراب الذى كان لحما و اختلط بعضه ببعض و تفرّق فى البرارى و البحار و فى بطون السّباع فتجمعه تلك الريح فى القبر.

فعند ذلك يجىء إسرافيل و صوره معه و يأمره بالنفخة الثانية، و ينفخ فيه النفخة الثّانية فاذا نفخ تركّبت اللّحوم و الأعضاء و أعيدت الأرواح إلى أبدانها و انشقّت القبور فخرج النّاس خائفين من تلك الصّيحة ينفضون التّراب عن رؤوسهم، فيجىء إلى كلّ واحد ملكان عند خروجه من القبر يقبض كلّ واحد منهما عضدا منه فيقولان له:

أجب ربّ العزّة، فيتحيّر من لقائهما و يأخذه الخوف و الفزع حتّى أنّه فى تلك الساعة يبيض شعر رأسه و بدنه بعد ما كان أسود.

و عند ذلك يكثر فى الأرض الزلزال حتّى يخرج ما فيها من الأثقال و يشيب كلّ الأطفال و تضع كلّ ذات حمل حملها و ترى النّاس سكارى و ما هم بسكارى و لكن عذاب اللّه شديد.

و فى روضة الكافى باسناده عن ثوير بن أبى فاختة قال: سمعت علىّ بن الحسين عليهما السّلام يحدّث فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: حدّثنى أبى أنّه سمع أباه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يحدّث النّاس.

قال إذا كان يوم القيامة بعث اللّه تبارك و تعالى النّاس من حفرهم عزلاً مهلاجردا فى صعيد واحد يسوقهم النّور و يجمعهم الظلمة حتّى يقفوا على عقبة المحشر، فيركب بعضهم بعضا و يزدحمون دونها فيمنعون من المضى فيشتدّ أنفاسهم و يكثر عرقهم و يضيق بهم أمورهم، و يشتدّ ضجيجهم و يرتفع أصواتهم.

قال عليه السّلام و هو أوّل هول من أهوال القيامة قال: فتشرف الجبّار تبارك و تعالى عليهم من فوق عرشه فى ظلال من الملائكة فيأمر ملكا من الملائكة فينادى فيهم: يا معشر الخلائق انصتوا و استمعوا مناد الجبّار، قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم.

قال: فتتكسر أصواتهم عند ذلك و يخشع أبصارهم و يضطرب فرايصهم و تفزع

قلوبهم و يرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصّوت مهطعين إلى الداعى قال: فعند ذلک يقول الكافر: هذا يوم عسر.

قال: فيشرف الجبّار عزّ ذكره عليهم فيقول: أنا اللّه لا إله إلاّ أنا الحكم العدل الذى لا يجور اليوم أحكم بينكم بعدلى و قسطى لا يظلم اليوم عندى أحد، اليوم آخذ للضعيف من القوىّ بحقّه و لصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات و السّيئآت و اثيب على الهبات و لا يجوز هذه العقبة عندى ظالم و لا أحد عنده مظلمة إلاّ مظلمة يهبها لصاحبها و اثيبه عليها و آخذ له بها عند الحساب فتلازموا أيّها الخلايق و اطلبوا بمظالمكم عند من ظلمكم بها فى الدّنيا، و أنا شاهد لكم عليهم و كفى لى شهيدا.

قال: فيتعارفون و يتلازمون فلا يبقى لأحد له عند أحد مظلمة أو حقّ إلاّ لزمه بها.

قال: فيمكثون ما شاء اللّه فيشتدّ حالهم و يكثر عرقهم و يشتدّ غمّهم و يرتفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنّون المخلص منه بترک مظالمهم لأهلها.

قال: و يطلع اللّه عزّ و جلّ على جهدهم فينادى مناد من عند اللّه تبارک يسمع آخرهم كما يسمع أولهم: يا معشر الخلايق انصتو الداعى اللّه تبارک و تعالى و اسمعوا إنّ اللّه تبارک و تعالى يقول: أنا الوهّاب إن أحببتم أن تواهبوا فواهبوا و إن لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم.

قال: فيفرحون بذلک لشدّة جهدهم و ضيق مسلكهم و تزاحمهم.

قال عليه السّلام فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلّصوا مما هم فيه و يبقى بعضهم فيقول:

يا ربّ مظالمنا أعظم من أن نهبها.

قال عليه السّلام فينادى مناد من تلقاء العرش أين رضوان خازن الجنان جنان الفردوس قال: فيأمر اللّه عزّ و جلّ أن يطلع من الفردوس قصر من فضّة بما فيه من الآنية و الخدم قال: فيطلعه عليهم فى حفافة القصر الوصايف و الخدم.

قال فينادى مناد من عند اللّه تبارک و تعالى: يا معشر الخلايق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر، قال: فيرفعون رؤوسهم فكلّهم يتمنّاه، قال: فينادى مناد

من عند اللّه يا معشر الخلايق هذا لكلّ من عفى عن مؤمن، قال: فيعفون كلّهم إلاّ القليل.

قال: فيقول اللّه عزّ و جلّ لا يجوز إلى جنّتى اليوم ظالم و لا يجوز إلى نارى اليوم ظالم، و لا أحد من المسلمين عنده مظلمة حتّى يأخذها منه عند الحساب أيّها الخلايق استعدّوا للحساب.

قال: ثمّ يخلّى سبيلهم فينطلقون إلى العقبة يلوذ بعضهم بعضا حتّى ينتهوا إلى العرصة و الجبار تبارک و تعالى على العرش قد نشرت الدواوين و نصبت الموازين احضر النبيّون و الشهداء و هم الأئمة يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّهم قد قام فيهم بأمر اللّه عزّ و جلّ و دعاهم إلى سبيل اللّه.

قال: فقال له رجل من قريش: يابن رسول اللّه إذا كان للرّجل المؤمن عند الرّجل الكافر مظلمة أىّ شىء يأخذ من الكافر و هو من أهل النّار؟ قال: فقال له علىّ بن الحسين عليهما السّلام: تطرح من المسلم من سيئآته بقدر ما له على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذابا بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة.

قال: فقال له القرشىّ فاذا كانت المظلمة لمسلم عند مسلم كيف يؤخذ مظلمته من المسلم؟ قال: يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فيزاد على حسنات المظلوم.

قال: فقال له القرشىّ: فان لم يكن للظالم حسنات، قال: للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فيزاد على سيئات الظالم.

الترجمة

تا آنكه چون بريده شود كارها و بسر آيد روزگارها و نزديک شود زنده شدن مردها، خارج می نمايد ايشان را خدای تبارک و تعالى از ميانهای قبرها و از آشيان های مرغ ها و ماواهای درنده ها و محل افتادن و هلاكشدن آنها، در حالتى كه شتابان باشند بسوى أمر پروردگار سرعت كننده باشند بمعاد آفريدگار جمع شوندگان ساكت شدگان ايستادگان صف كشيدگان.

نافـذ می شود در ایشـان نظر ربّ الاربـاب می شـنواند ایشـان را خواننـدهٔ بسوی فصل خطاب، بر ایشانست لباس خضوع و فروتنی و زاری تسلیم و خواری بتحقیق که کم شده باشد در آن روز حیل ها و بریده شود آرزوها.

و خالی می شود قلبها از فرح و سرور در حالتی که ساکت باشند و ترسان باشد صوتها در حالتی که نهان باشند و رسیده شود عرق بدهان و بزرگ شود ترس از گناهان و مضـطرب می باشد گوشـها بجهت زجر و هیبت صوت ندا کننده بسوی حکم و خطاب فاصل در میان حق و باطل و به عوض دادن جزا به آن چه کرده اند از خیر و شر در دنیا، و گرفتار شدن حذرناک عذاب و عقاب و عطا کردن أصناف ثواب.

الفصل الرابع

اشارة

عبـاد مخلوقون اقتـدارا، و مربوبون اقتسـارا، و مقبوضون احتضارا، و مضـمّنون أجـداثا، و كائنون رفاتا، و مبعوثون أفرادا، و مـدينون جزاء، و مميّزون حسابـا، قـد أمهلوا فی طلب المخرج، و هـدوا سبيـل المنهـج، و عمّروا مهل المسـتعتب، و كشـفت عنهم سـدّف الرّيب، و خلّوا لمضـمار الجيـاد، و رويّـة الارتيـاد، و أناة المقتبس المرتاد، فی مـدّة الأجل، و مضـطرب المهل، فيا لها أمثالا صائبـة، و مواعظ شافيـة، لو صادفت قلوبا زاكية، و أسـماعا واعية، و آرآء عازمة، و ألبابا حازمة، فاتّقوا اللّه تقيّة من سمع فخشع، و اقترب فاعترف، و وجل فعمل، و حاذر فبادر، و أيقن فأحسن، و عبّر

فـاعتبر، و حـذّر فـازدجر، و أجـاب فأناب، و راجع فتاب، و اقتـدى فاحتـذى، و أرى فرأى، فأسـرع طالبا، و نجا هاربا، فأفاد ذخيرة، و أطاب سريرة، و عمر معـادا، و اسـتظهر زادا، ليوم رحيله، و وجه سبيله، و حال حاجته، و موطن فاقته، و قـدّم أمامه لـدار مقامه، فاتّقوا اللّه عباد اللّه جهة ما خلقكم له، و احذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه، و استحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتّنجّز لصدق ميعاده، و الحذر من هول معاده.

اللغة

(قسـره) على الأمر قسرا من باب ضرب قهره و اقتسره كذلک و (حضره) الموت و احتضره اشرف عليه فهو فى النّزع و هو محضور و محتضر بالفتح.

قال الطريحى: و فى الحديث ذكر الاحتضار و هو السوق سـمّى به قيل لحضور الموت و الملائكة الموكلين به و إخوانه و أهله عنده، و فلان محتضر أى قريب من الموت و منه إذا احتضر الانسان وجه يعنى جهة القبلة و (الاجداث) جمع الجدث كأسباب و سبب و هو القبر و هذه لغة أهل تهامة و أمّا أهل نجد فيقولون جدف بالفاء و (الرفات) كالفتات بالضّم لفظا و معنا و هو ما تناشـر من كلّ شىء و (المنهج) كالنهج و المنهاج الطريق الواضح و (العتبى) بالضّم الرّضا و استعتبه أعطاه العتبى كأعتبه و طلب إليه العتبى من الأضداد.

قـال الفيومى عتب عليه عتبا من بابى ضـرب و قتل لامه فى تسـخط و أعتبنى الهمزة للسـبب أى أزال الشـكوى و العتاب و اسـتعتب طلب الاعتاب و العتبى اسم من الاعتاب و (السّدف) جمع سدفة، كغرفة و غرف و هى الظلمة و (ضمر) الفرس ضمورا من

باب قعد و ضـمر ضـمرا من باب قرب قلّ لحمه و هزل، و ضـمرته و أضـمرته أعددته للسباق و هو أن تعلفه قوتا بعد السّمن أى يعلف حتّى يسمن ثمّ يرد إلى قوته الأوّل ليخفّ لحمه و ذلک فى أربعين يوما، و المضمار الموضع الذى تضمر فيه الخيل.

و (الرّويـة) الفكر و التّدبر و هى كلمـة جرت على ألسـنتهم بغير همز تخفيفـا و هى من روأت فى الأـمر بـالهمز أى نظرت فيه و (الارتياد) الطلب و (تأنّى) فى الأمر تمكث و لم يعجل و الاناة و زان حصاة اسم منه و (المقتبس) كالقابس هو طالب العلم و النار و (صاب) السّ هم الغرض صوبـا من باب قال و صابه يصـيبه من باب باع كأصابه وصل الغرض و ما أخطاه، و فى المثل و فى الخواطى سـهم صائب و (حزم) فلان رأيه حزما أتقنه و (التقيـة) كالتّقوى اسم من اتقيت اللّه اتقاء و (اقترف) لأهله اقترافا اكتسب من مال حلال أو حرام و (حـذر) الشّ ىء و حاذره خافه.

و يحتمـل أن يراد من حـاذر كثرة الخوف بناء على أن زيادة المبنى تـدلّ على زيادة المعنى و (عبر) أى أرى العبر كثيرا بناء على أنّ التّشـديد دليل المبالغة و (زجره) زجرا منعه و نهاه كازدجر فانزجر و ازدجر فازدجر يستعمل مطاوع ازدجر و هو غريب و (أفاد) المال استفاده و أعطاه و هو من الأضداد و (اسـتظهرت) به استعنت و (المقام) بضمّ الميم مصدر كالاقامة يقال قام بالمكان اقامة و مقاما و (كنه) الشّىء حقيقته و غايته و نهايته يقال عرفته كنه المعرفة.

و (نجز) الوعـد نجزا من باب قتل تعجل و النّجز مثل قفل اسم منه و يعـدّى بالهمزة و الحرف فيقال أنجزته و نجزت به إذا أعجلته و اسـتنجز حاجته و تنجّزها طلب قضاءها ممّن وعده إيّاها.

الاعراب

عباد خبر مبتـداء محـذوف، و اقتـدارا و اقتسارا منصوبان على التّميز، و احتضارا منصوب على الحال المؤكدة من قبيل قوله ولّى مدبرا فيئول بالمشـتقّ أى مقبوضون محتضرين، مثل قولهم اجتهد وحدک أى منفردا، و أجداثا مفعول فيه و هو و إن لم يكن من ظروف المكان المبهمة أعنى الجهات السّت و ما أشبهها من عند ولدى

و نحوهما إلا أنّه قد انتصب بفی مقدّرة لما فی الکلام من معنی الاستقرار کما قال الرّضیّ.

و أما انتصاب نحو قعدت مقعده و جلست مکانه و نمت مبیته فلکونه متضـمّنا لمصدر معناه الاستقرار فی ظرف فمضمونه مشعر بکونه ظرفا لحـدث بمعنی الاسـتقرار کمـا أنّ نفسه ظرف لمضـمونه بخلاف نحو المضـرب و المقتل فلا جرم لم ینصـبه علی الظرفیـة إلاّ ما فیه معنی الاستقرار اه، و إفرادا منصوب علی الحال کانتصاب فردا فی قوله تعالی:

«وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَةِ فَرْداً ».

و جزاء مصدر علی غیر لفظ فعله و حسابا منصوب بنزع الخافض و ما قاله البحرانی من انه مصدر منصوب بغیر فعله لیس بشیء و فی طلب المخرج فی للظرفیّـة المجازیـة کما فی قولهم فی نفس المؤمنة مأئة من الابل أی فی قتلها، فالسّـبب الذی هو القتل متضـمّن للدّیة تضـمّن الظرف للمظروف، و هذه هی التی یقال إنّها للسّببیة.

و مهل المسـتعتب بحذف الموصوف مفعول مطلق مجازی من غیر المصادر أی امهلوا و عمروا مثل مهل المسـتعتب، و ما توهّمه الشّارح البحرانی من أنّه مصـدر فاسـد، و قوله فی مدّة الأجل متعلق بقوله خلوا، و قوله فیا لها أمثالا صائبة منادی تفخیم و تعجّب، و انتصاب أمثالا علی التمیز من الضمیر المبهم.

قال الرّضـیّ فی باب التمیز من شـرح الکافیة: و قد یکون الاسم فی نفسه تاما لا لشـیء آخر أعنی لا یجوز إضافته فینصب عنه التمیز و ذلک فی شیئین: أحدهما الضمیر و هو الأکثر و ذلک فی الأغلب فیما فیه معنی المبالغة و التفخیم کمواضع التعجّب نحو یا له رجلا و یالها قصّة و یا لک لیلا إلی آخر ما قال، و ذخیرة و سریرة منصوبان علی المفعول به.

و قوله: جهـة ما خلقکم اه قال الشّارح المعتزلی نصب جهـة بفعل مقـدّر تقـدیره و اقصدوا جهة ما خلقکم له یعنی العبادة فحذف الفعل و استغنی عنه بقوله

فاتّقوا اللّه لأنّ التّقوى ملازمة لقصد المكلّف العبادة فدلّت عليه و استغنى بها عن إظهاره.

قيل و يجوز انتصابها على الظرفية أى اجعلوا تقواكم فى تلك الجهة أى نظرا إلى تلك الجهة لا للرّياء و السمعة، و الحذر بالجرّ عطف على التّنجّز.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل مسوق لشرح حال النّاس و الكشف عن أوصافهم و التّنبيه على ما خلقوا لأجله و ما يصير أمرهم إليه و استدرج ذلك بمواعظ شافية و نصايح وافية، و المقصود بذلك كلّه تنبّههم عن نوم الغفلة و الجهالة و افاقتهم من سكر الحيرة و الضّلالة.

فقوله (عباد مخلوقون اقتدارا) يعنى أنّ النّاس الذين شرحنا حالهم و ذكرنا كيفيّة حشرهم و معادهم هم عباد خلقهم اللّه سبحانه من قدرته التّامّة الكاملة و حكمته الجامعة البالغة و ليس خلقهم لذواتهم و من اتّصف بذلك لا يجوز له العصيان لخالقه و بارئه.

(و مربوبون اقتسارا) أى مملوكون من قهر و غلبة و ربّاهم اللّه سبحانه من صغرهم إلى كبرهم لا عن اختيار منهم حتّى يكون لهم الخيرة فى معصية ربّهم و مالكهم (و مقبوضون احتضارا) أى مقبوضون بالموت محتضرين إلى حضرة ذى العزّة فيجازيهم بالحسنة و السّيئة (و مضمّنون أجداثا) أى فى قبور هى دار الوحدة و الوحشة (و كائنون رفاتا) و عظاما فتاتا أى أجزاء شتاتا (و مبعوثون افرادا) أى وحدانا لا مال لهم و لا ولد كما فسّر بذلك قوله تعالى:

«وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».

ص:384

قال فی مجمع البیان: أی جئتمونا وحدانا لا مال لکم و لا خول و لا ولد و لا حشم و قیل واحدا واحدا علیحده و قیل کلّ واحد منکم منفردا من شریکه فی الغنّ و شفیقه کما خلقناکم أوّل مرّة أی خلقناکم فی بطون امّهاتکم لا ناصر لکم و لا معین و قیل معناه ما روی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: تحشرون حفاتا عراتا عزلا، و العزل هم الغلف.

و روی إنّ عایشة قالت لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حین سمعت ذلک: و اسوأتاه ینظر بعضهم إلی سوءة بعض من الرّجال و النّساء قال: صلّی اللّه علیه و آله: لکلّ امرء منهم یومئذ شأن یغنیه و یشغل بعضهم عن بعض.

و ترکتم ما خوّلناکم وراء ظهورکم، معناه ترکتم ما ملّکناکم فی الدّنیا ممّا کنتم تتباهون به من الأموال خلف ظهورکم، و المراد ترکتم الأموال فی الدّنیا و حملتم من الذّنوب الأحمال و استمتع غیرکم بما خلفتم و حوسبتم علیه فیا لها حسرة (و مدینون جزاء) أی مجزیّون بأعمالهم جزاء إن خیرا فخیرا و إن شرّا فشرّا.

«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّیِّئَةِ فَلا یُجْزی إِلاّ مِثْلَها وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ ».

(و ممیزون حسابا) أی فی حساب یعنی بتمیّز المؤمن من المجرم و التقیّ من الشّقیّ و الجیّد من الرّدیّ فی یوم الحساب و مقام المحاسبة کما قال سبحانه:

«وَ امْتازُوا الْیَوْمَ أَیُّهَا الْمُجْرِمُونَ ».

أی اعتزلوا من أهل الجنّة و کونوا فرقة علی حدة.

نقل أنّه إذا جمع اللّه الخلق یوم القیامة بقوا قیاما علی أقدامهم حتّی یلجمهم العرق فینادون یا ربّنا حاسبنا و لو إلی النار فیبعث اللّه ریاحا فتضرب بینهم و ینادی مناد: و امتازوا الیوم أیّها المجرمون، فتمیّز بینهم فصار المجرمون إلی النار و من کان فی قلبه ایمان صار إلی الجنّة.

(قد امهلوا فی طلب المخرج) یعنی أنّ اللّه سبحانه أمهلهم فی دار الدّنیا لطلب نجاتهم و خلاصهم من الظلمات إلی النور و خروجهم من الضلالة إلی السداد و من الغوایة إلی الرشاد (و هدوا سبیل المنهج) أی هداهم اللّه تعالی بما جعل لهم من العقول و بعث إلیهم من الأنبیاء و الرّسل إلی المنهج القویم و الصّراط المستقیم الموصل لسالکه إلی حظیرة القدس و جنّة الفردوس.

(و عمروا مهل المستعتب) یعنی أعطاهم اللّه العمر و أمهلهم فی الدّنیا مثل مهل من یطلب رضائه و اعتابه أی إزالة اللّوم و الشکوی عنه و لما کان من یطلب إزالة اللّوم عنه و یقصد رجوعه عن غیّه بمهل طویلا و یداری شبّه علیه السّلام مهلة اللّه لخلقه مدّة أعمارهم لیرجعوا إلی طاعته و یعملوا صالحا بذلک فافهم جیّدا.

(و کشفت عنهم سدف الرّیب) أی ازیلت عنهم ظلمات الشّکوکات و الشّبهات بما منحهم اللّه من العقول مؤیدا بالرّسل(و خلّوا لمضمار الجیاد)أی خلاهم اللّه و ترکهم فی الدّنیا لیضمروا أنفسهم و یستعدّوا السّباق فی الآخرة کما یترک الجیاد من الخیل فی المضمار و تضمر لیحصل لها الاستعداد للمسابقة و یحاز بها قصب السّبق و یؤخذ بها السّبق.

و فی الاتیان بلفظة الجیاد تنبیه علی أن یکونوا من جیاد مضمارهم و قد مرّ توضیح تشبیه الدّنیا بالمضمار فی شرح الخطبة السابعة و العشرین فلیراجع (و) کذلک خلّوا ل (رویة الارتیاد و أناة المقتبس المرتاد) أی للتّفکر فی طلب الحق و لیتأنوا أناة المتعلّم للعلوم الحقّة المحتاج فی تعلّمه إلی التأنّی و المهلة الطالب للأنوار الالهیّة لیهتدی بها فی ظلمات الجهل و الغفلة (فی مدّة الأجل) الذی عیّنه سبحانه لهم (و مضطرب المهل) الذی قدّر فی حقّهم.

ثمّ نبّه علیه السّلام علی کمال کلامه و فضل موعظته و عرّض علی عدم القلوب الحاملة لها بقوله (فیا لها أمثالا صائبة و مواعظ شافیة) أی أمثالا مطابقة لممثلاتها متّصفة بالصّواب خالیة عن الخطاء و مواعظ شافیة لأمراض الجهل مبرئة عن آلام الهوی (لو صادفت) تلک الأمثال و المواعظ (قلوبا) طاهرة (زاکیة و أسماعا) حافظة

(واعية) أى قلوبا مستعدّة لقبول الهداية و أسماعا قابلة لحفظ النّصيحة (و آراء عازمة) قاصدة على الرّشد و السّداد (و ألبابا حازمة) متقنة لما فيه الصّلاح و الرّشاد.

و عن معانى الأخبار: الحزم أن تنتظر فرصتک و تعاجل ما أمكنک.

و فى الحديث: الحزم بضاعة و التّوانى اضاعة و فيه: الظفر بالحزم و الحفر «الحزم ظ» باجالة الرّأى و الرأى بتحصين الأسرار.

قال بعض شرّاح الحديث أشار إلى أسباب الظفر القريب و المتوسّط و البعيد فالحزم أن تقدم العمل للحوادث الممكنة قبل وقوعها بما هو أبعد عن الغرور و أقرب إلى السّلامة، و هو السبب الأقرب للظفر بالمطالب و المتوسط هو إجالة الرّأى و إعماله فى تحصيل الوجه الأحزم و هو سبب أقرب للحزم، و الأبعد هو اسرار ما يطلب و هو سبب أقرب للرّأى الصّالح إذ قلّ ما يتمّ رأى و يظفر بمطلوب مع ظهور إرادته، هذا.

و فى رواية الحزم فى القلب و الرّحمة و الغلظ فى الكبد، و الحياء فى الرّية.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد التّنبيه على فضل موعظته و الاشارة إلى أسباب قبول الموعظة حثّ على التّقوى أيضا و رغّب فيها لكونها الغرض الأصلى من هذه الخطبة فقال.

(فاتّقوا اللّه) تقيّة مثل (تقيّة من سمع) نداء اللّه (فخشع) قلبه للّه (و اقترف) الاثم و الشّقاء (فاعترف) بالتّقصير و الخطاء (و وجل) العقبى (فعمل) الحسنى (و حاذر) العقوبة (فبادر) المثوبة (و أيقن) أجله (فأحسن) عمله (و عبّر) بما فيه اتّعاظ و اعتبار (فاعتبر) و حصل له انابة و انزجار (و حذر) بالسّخط و النّكال (فازدجر) و انزجر عن سوء الأعمال (و أجاب) دعوة الدّاع إذا دعاه (فأناب) إلى ربّه حين ناداه (و راجع) عقله و تفكر (فتاب) عمّا فرط و قصر (و اقتدى) بالأنبياء و المرسلين (فاحتذى) حذ و عباد اللّه المتّقين (وارى) الآيات فى الآفاق و الأنفس (فرأى) الحقيقة بعيان الحس.

(فأسرع) إلى الخير (طالبا) راغبا (و نجى) من الشرّ (هاربا) راهبا

(فافاد ذخيرة) لسلوک سبيل الرّحمن (و أطاب سريرة) من الرّجس و دنس الشّيطان (و عمر معادا) بصالح الأعمال (و استظهر زادا) من التّقى و مكارم الخصال (ليوم رحيله) من الـدّنيا (و وجه سبيله) إلى العقبى (و حال حاجته) فى الحشـر و المعاد (و مواطن فاقته) يوم التّاد (و قدم) التّقوى (أمامه) ليكون عـدّة (لـدار) مقيله و (مقامه فاتّقوا اللّه) سـبحانه يا (عباد اللّه) و اقصـدوا (جهة ما خلقكم له) من تحصـيل العرفان و اليقين و تكميل الاخلاص فى الدّين كما قال عزّ من قائل «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ » «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ».

(و احـذروا منه كنه ما حـذّركم من نفسه) بقوله: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » و قوله: «كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ».

(و اسـتحقّوا منه) تعالى (ما أعـدّ) ه (لكم) و هيأه فى حقّكم و يشـير به بقوله «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ ».

و اسـتحقاق ذلـک إمّـا (بـالتّنجزّ لصـدق ميعاده) أى بطلب انجاز وعـده الصّادق و التماس وفائه بالجزاء اللائق، و ذلک الطلب إنّما هو بعد الاقبال بالطاعات و الاجتهاد فى إتيان الصّالحات (و) إمّا با (لحذر من هول معاده) و هو إنّما يكون بالارتداع من الخطيئات و الازدجار عن السّيئآت، وفّقنا اللّه سبحانه للاقبال و الابتهال و للانتهار و الانزجار و أنّى لنا بذلک مع ما نحن عليه من الاغترار بالدّنيا و لذّاتها و الافتتان

بشهواتها.

كانّا نرى أن لا نشور و أنّنا سدى مالنا بعد الفناء بصائر

ألا لا و لكنّا نغرّ نفوسنا و تشغلنا اللذّات عمّا نحاذر

و كيف يلذّ العيش من هو موقن بموقف عدل حين تبلى السرائر

الترجمة

ایشان بندگانند مخلوق شده از روی قدرت فاعل مختار، و مملوک از روی قهر و جبر بی اختیار، و قبض کرده شده در حالتی که محتضرند و مرتحل بدار قرار، و نهاده شده اند در درون قبور و گردیده اند اجزاء متفرّقه چون هباء منثور، و مبعوث شده اند در حالتی که منفردند از أهل و مال، و جزا داده شده اند جزا دادنی بحسب اعمال، و تمیز داده شده اند در مقام حساب ربّ الأرباب.

بتحقیق که مهلت داده شده اند در دنیا بجهة طلب خروج از ظلمت جهالت و راه نموده شده اند براه راست رشادت و معمّر شده اند و مهلت داده شده همچو مهلت کسی که طلب کننده باشد رضا و ازالهٔ ملامت حضرت عزّت را از خود بتوبه و انابت و زایل گردانیده شده است از ایشان ظلمات شک و گمان با بیّنه و برهان، و واگذاشته شده اند در دنیا از برای ریاضت دادن نفس أمّاره بواسطهٔ حمل کردن بأسباب تقوی و أثقال طاعت چون ریاضت دادن و لاغر نمودن اسبهای خوب از برای سبقت در میدان مسابقت.

و همچنین واگذاشته شده اند از برای تفکّر در طلب حق و از برای تأنّی کردن همچو تأنّی کردن طالب نور الهی بتحصیل سعادت و جوینده آن بکسب کمالات در مدت اجلی که معین شده است بر ایشان و محل اضطراب مهلتی که مقدر شده است در حقّ ایشان، پس أ یقوم تعجب نمائید از این پندها از حیثیت مثلهای موصوفه بدرستی و صواب و نصیحتهای شفا دهنده بأمراض نادانی و جهالت اگر برسد بقلوب متّصفه بجودت و ذکاوت، و بگوشهای حفظ کنندهٔ نصیحت، و برأیهای صاحب عزم و علوّ همت، و بعقلهای صاحب حزم و بلند مرتبت.

پس بپرهیزیـد از خـدا همچو پرهیز نمودن کسـی که شـنید امر خـدا را پس فروتنی نمود بخدا و کسب گناه کرد پس اعتراف بتقصـیر نمود و ترسید از آخرت پس عمل شایسته نمود و حذر نمود از عقوبت پس بشتافت بسوی طاعت، و یقین کرد بأجل پس نیکو کرد عمل را و عبرت داده شد پس قبول عبرت نمود و ترسانیده شد از عذاب و سـخط پس منزجر شد از معصـیت و إجابت نمود دعوت را پس رجوع نمود بزبان معذرت، و مراجعه نمود به عقل خود پس توبه کرد از خطیئت و اقتدا نمود بأنبیاء و مرسلین پس تابع شد بسلف صالحین.

و نموده شـد به وی آیات قدرت پس معرفت رساند بحقیقت پس سـرعت کرد بسوی خیر در حالتی که طالب و راغب بود و نجات یافت از شر در حالتی که گریزان و هارب بود، پس کسب نمود ذخیره را از برای سـلوک سبیل رحمان، و پاکیزه نمود باطن خود را از رجس و شـرک شیطان، و معمور نمود معاد خود را بصالح اعمال، و پشت قوی کرد بتوشه برداشـتن از تقوی و محاسن خصال از برای رحلت خود در دنیا و جهت راه خود به عقبی و برای حال احتیاج خود و موضع درویشی خود و فرستاد پیش از خود توشهٔ طاعت از برای سرای اقامت.

پس بپرهیزیـد از خـدا ای بندگان خدا، و قصد نمائید جهت آنچه را که خلق نمود شـما را از برای آن که عبارت است از تحصـیل معرفت و عبادت با اخلاص نیّت، و بترسـید از خـدا بنهایت آنچه ترسانیـد شـما را از نفس خود و اسـتحقاق پیدا کنید از او آن چیزی را که مهیا کرده است از برای شما با طلب وفا نمودن مر وعدهٔ صادق او را و با حذر نمودن از هول معاد او.

و معلوم است که این طلب وفـا و این حـذر متصوّر نمی شود مگر بـا اقبال بطاعات، و با ارتـداع از سـیئات، اللهمّ وفّقنا بحقّ محمّـد سـید السادات.

الفصل الخامس

اشارة

جعل لکم أسماعا لتعی ما عناها، و أبصارا لتجلو عن عشاها، و أشلاء

جامعة لأعضائها، ملائمة لأحنائها، فی ترکیب صورها، و مدد عمرها، بأبدان قائمة بأرفاقها، و قلوب رائدة لأرزاقها، فی مجلّلات نعمه، و موجبات مننه، و حواجز عافیته، و قدّر لکم أعمارا سترها عنکم، و خلّف لکم عبرا من آثار الماضین قبلکم من مستمتع خلاقهم، و مستفسح خناقهم، أرهقتهم المنایا دون الآمال، و شذّبهم عنها تخرّم الآجال، لم یمهّدوا فی سلامة الأبدان، و لم یعتبروا فی أنف الأوان، فهل ینتظر أهل بضاضة الشّباب إلاّ حوانی الهرم، و أهل غضارة الصّحّة إلاّ نوازل السّقم، و أهل مدّة البقاء إلاّ آونة الفناء مع قرب الزّیال، و أزوف الانتقال، و علز القلق، و ألم المضض، و غصص الجرض، و تلفّت الإستغاثة بنصرة الحفدة و الأقرباء، و الأعزّة و القرناء، فهل دفعت الأقارب؟ أو نفعت النّواحب؟ و قد غودر فی محلّة الأموات رهینا، و فی ضیق المضجع وحیدا، قد هتکت الهوامّ جلدته، و أبلت النّواهک جدّته، و عفت العواصف آثاره، و محی الحدثان معالمه، و صارت الأجساد شحبة بعد بضّتها، و العظام نخرة بعد قوّتها، و الأرواح مرتهنة بثقل أعبائها، موقنة بغیب أنبائها، لا تستزاد من صالح عملها، و لا تستعتب من سیّیء زللها، أ و لستم أبناء القوم

و الآباء؟ و إخوانهم و الأقرباء؟ تحتذون أمثلتهم، و تركبون قدّتهم و تطاون جادّتهم، فالقلوب قاسية عن حظّها، لاهية عن رشدها، سالكة فی غير مضمارها، كأنّ المعنیّ سواها، و كأنّ الرّشد فی إحراز دنياها.

اللغة

(عنيته) عنيا من باب رمی قصدته و عناه الأمر أهمّه و (عشی) عشا من باب تعب ضعف بصره و أبصر نهارا و لم يبصر ليلا فهو أعشا و المرأة عشواء و (الأشلاء) جمع الشّلو مثل أحمال و حمل و هو العضو و قال فی القاموس الشّلو بالكسر العضو و الجسد من كلّ شیء.

و (الحنو) بالفتح و الكسر كلّ ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج و اللّحی و الضلع و من غيره كالقف و الحقف و كلّ عود معوج فی القتب و الرحل و السّرج و الحنو أيضا الجانب و عن النهاية ملائمة لا حنائها إی معاطفها و (الرّفق) النّفع يقال ارتفقت به ای انتفعت و قال فی القاموس: الرّفق بالكسر ما استعين به، و يروی بارماقها بدل بارفاقها و هو جمع الرمق بقيّة الرّوح.

و (مجلّلات النعم) ما تعم الخلق من جلل الشیء تجليلا أی عم، و منه السحاب المجلّل و هو الذی يجلّل الأرض بماء المطر أی يعمه و فی حديث الكافی و العيون الامام كالشّمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم و (المستمتع) اسم مكان من استمتعت بكذا انتفعت به و (الخلاق) بالفتح النّصيب و (المستفسح) محلّ الفسحة و هی السّعة (و الخناق) ككتاب الحبل الذی يخنق به يقال خنقة يخنقه خنيقا ككتف إذا عصر حلقه حتّی يموت فهو خانق و خناق، و ربّما يطلق الخناق علی الحلق يقال اخذه بخناقه و مخنقه أی بحلقه.

و (أرهقت) الشّیء أدركته و أرهقت الرّجل أمرا يتعدّی إلی مفعولين أعجلته و كلفته حمله و (الأنف) بضّمتين أوّل الأمر و (بضض) الرّجل بالفتح و الكسر بضاضة

و بضوضـة فهو بضّ أى رخص الجسد رقيق الجلد ممتلى و (الحوانى) جمع الحانية و هى العلة التى تحنى شـطاط (1) الجسد و تمنعه عن الاسـتقامة و (الهرم) محركـة أقصـى الكـبر و (الغضـارة) طيب العيش و السّـعة و النّعمـة و (الاونـة) جمع أوان كأزمنـة و زمـان و (العلز) بالتّحريک خفّة و هلع يصـيب المريض و الأسير و المحتضر و رجل علز أى هلع لا ينام و (المضض) محرّكة وجع المصيبة (جرض) بريقه ابتلعه بالجهـد على همّ و حزن و أجرضه اللّه بريقه أغصّه و (التّلفت) و الالتفـات بمعنى و هـو الانصـراف يقـال التفت إلىّ التفاتـا انصـرف بوجهه نحوى و التّلفت أكثر منه و (الحفدة) الأعوان و الخدم، و قيل أولاد الأولاد.

و النساء (النّواحب) اللاّتى يرفعن أصواتهنّ بالبكاء من النّحب و هو شدّة البكاء و يروى النّوادب بدلها و (غادره) مغادرة تركه و بقاه و (هتک) السّتر و غيره جـذبه فقطعه من موضـعه و (الهامة) من الحيوان ماله سمّ يقتل كالحيّات و الجمع الهوام كدابّة و دواب و ربّما يطلق على ما لا يقتل كالحشـرات و (نهكته) الحمى نهكا من باب ضـرب هزلته و جهدته و أضنته(2) و نهكه السّـلطان بالغ فى عقوبته و النّاهک و النهيک المبالغ فى الأشـياء و (الجـدة) بكسـر الجيم مصـدر يقال جد يجد من باب ضـرب يضـرب جدة إذا صار جديدا و هو ضدّ البلى و (عفت) بالتّخفيف و يروى بالتّشديد و (شـحب) لونه من باب جمع و نصر و كرم شحوبا و شحوبة تغير من هزال أو جوع أو سفر و (تستعتب) بالبناء على المفعول و (القدّة) بكسر القاف و الدّال المهملة الطريقة و (المعنى) بالتّشديد و المعنى و المعناه و المعنية بمعنى واحد.

الاعراب

لفظـة عن فى قوله لتجلو عن عشاها إمّا زايدة أو بمعنى بعد كما جوزه الشّارح المعتزلى مستشـهدا بقول الشّاعر لعجب حرب وائل عن حيال اى بعد حيال فيكون قد حذف المفعول و التّقدير لتجلو الاذى بعد عشاها، و الأظهر ما قاله الشارح

1- (1) الشطاط كسحاب و كتاب القامة و حسن القوام.

2- (2) ضن ضنا من باب رضى مرض مرضا محامرا كلّما ظن ببرئه نكس.

البحرانی من أنّ عن لیست بزایـدة لأـنّ الجلاـء یسـتدعی مجلوا و المجلوّ عنه فـذکر المجلوّ و أقامه مقام المجلوّ عنه فکانّه علیه السّـلام قال لتجلو عن قواها عشاها، و فی ترکیب صورها متعلّق بملائمة، و قوله: بأبدان متعلّق بجعل و الباء للمصاحبة، و الباء فی بأرفاقها للصّلة و علی روایة بأرماقها إمّا للسّببیّة أو للاستعانة.

و قوله فی مجلّلات نعمه متعلّق بمقدّر حال من فاعل جعل أو من ضـمیر الخطاب فی لکم أی جعل لکم الأسماع حالکونکم فی مجلّلات نعمه، و من مسـتمتع خلاـقهم بیـان للعبر، و دون فی قوله دون الآمـال بمعنی عنـد، و جملـة لم یمهـدوا فی محلّ النّصب علی الحال من مفعول أرهقتهم.

فهل ینتظر اه اسـتفهام انکاریّ توبیخیّ من قبیل قوله سبحانه: أ تعبدون ما تنحتون، و کلمة إلاّ فی المواقع الثّلاثة أعنی قوله: إلاّ حوانی الهرم، و إلاّ نوازل السّـقم، و إلاّ آونة الفناء إن کانت للاستثناء فیتوجه علیه أنّ الاستثناء المفرّغ غیر جایز فی الکلام الموجب، و إن کانت بمعنی غیر کما یظهر من شـرح البحرانی ففیه أنّ إلاّ بمعنی غیر لا یجوز حذف موصوفها کما یجوز حذف موصوف غیر یقال جائنی غیر زید و لا یصـحّ أن یقال جائنی إلاّ زید کما صرّح به ابن هشام و غیره، و بذلک فرّقوا بین إلاّ و کلمة غیر.

و یمکن توجیهه بأن یقال إنّ إلاّ للاسـتثناء و إنّ جواز التّفریغ هنا لاسـتقامة المعنی و حصول الفایدة کما جوّزوه فی قولهم قرأت إلاّ یوم کذا معلّلین بأنّه لا یبعد أن یقرأ فی جمیع الأیام إلاّ الیوم المعیّن، فعلی هذا التّوجیه یکون المراد بالکلام أنّه ینتظر هؤلاء جمیع اللذائذ الدّنیویّة و الشّهوات النّفسانیة إلاّ حوانی الهرم و نوازل السّقم فافهم.

و الباء فی قوله بنصـرة الحفدة، متعلّق بالاستغاثة، و قوله فهل دفعت الأقارب استفهام انکاری إبطالی علی حدّ قوله أ فأصفاکم ربّکم بالبنین، و قوله و قد غودر فی محلّ النصب علی الحال و العامل نفعت، و کذلک رهینا و وحیدا منتصـبان علی الحال و العامل غودر، و هکذا جملة قد هتکت و أبلت و عفت و محی اه، و قوله: و صارت عطف

على غودر، و جملة لاتستزاد و لا تستعتب فى محلّ النّصب أيضا على الحالية، و قوله أ و لستم استفهام تقريرىّ.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ صدر هذا الفصل تذكير لعباد اللّه بضروب نعم اللّه سبحانه و منّته عليهم و تنبيه على الغاية من تلك النّعم، و ذيله مسوغ لبيان حال السّلف ليعتبر به الخلف فقوله عليه السّلام(جعل لكم أسماعا لتعى ما عناها و أبصارا لتجلو عن عشاها)إشارة إلى النّعمتين العظيمتين اللتين أعطاهما اللّه سبحانه لخلقه مع الاشارة إلى ما هو الغرض منهما.

فالمقصود أنّه سبحانه خلق لانتفاعكم قوّة سامعة لتحفظ ما أهمّها و قوّة باصرة لتجلو العشا عن الابصار، فعلى هذا يكون قوله و أبصارا اه من باب الاستخدام حيث اريد بالابصار القوّة و بضمير عشاها الراجع إليه العضو المحسوس المخلوق من الشّحم المركب من السّواد و البياض، فبتلك القوة حصل له الادراک و الابصار بعد ما لم يكن فى نفسه مبصرا مدركا فكانت جلاء عن عشاها.

و يوضح ذلک ما رواه فى البحار من المناقب لابن شهر آشوب مما أجاب الرّضا عليه السّلام بحضرة المأمون لضباع بن نصر الهندى و عمران الصّابى عن مسائلهما قال عمران: العين نور مركبة أم الرّوح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال عليه السّلام: العين شحمة و هو البياض و السّواد و النّظر للرّوح دليله إنک تنظر فيه و ترى صورتک فى وسطه و الانسان لا يرى صورته إلاّ فى ماء أو مرآة و ما اشبه ذلک.

قال ضباع إذا عميت العين كيف صارت الرّوح قائمة و النظر ذاهب؟ قال عليه السّلام كالشّمس طالعة يغشاها الظلام، قالا: أين تذهب الرّوح؟ قال عليه السّلام، أين يذهب الضوء الطالع من الكوة فى البيت إذا سدّت الكوة، قالا: أوضح لنا ذلک، قال عليه السّلام الرّوح مسكنها فى الدّماغ و شعاعها منبثّ فى الجسد بمنزلة الشمس دارتها(1) فى السّمآء

1- (1) قال فى القاموس الدار المحلّ يجمع البناء و العرصة كالدارة و فى المصباح الدارة دارة القمر و غيره سمّيت بذلک لاستدارتها منه.

و شعاعها منبسط على الأرض فاذا غابت الدّارة فلا شمس و إذا قطعت الرّاس(1) فلا روح.

فانّ غرض السّائل أنّ المدرک هو العضو أمّ الرّوح تبصر الأشياء و هذا منظره، فاختار عليه السّلام الثانى و علله بأنّ العضو مثل ساير الأجسام الصقيلة يرى فيها الوجه كالماء و المرآة فكما أنّها ليست مدركة لما ينطبع فيها فكذا العين و غيرها من المشاعر هذا.

و قد اشير إلى منافع السمع و البصر و بعض حكمهما فى حديث المفضل المعروف عن الصادق عليه السّلام حيث قال:

انظر يا مفضّل إلى هذه الحواس الخمس التى خصّ بها الانسان فى خلقه و شرف بها على غيره كيف جعلت العينان فى الرّأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكّن من مطالعة الأشياء و لم تجعل فى الأعضاء التى تحتهنّ كاليدين و الرّجلين فتعرضها الآفات و يصيبها من مباشرة العمل و الحركة ما يعلّلها و يؤثّر فيها و ينقص منها، و لا فى الأعضاء التى وسط البدن كالبطن و الظهر فيعسر تقلّبها و اطلاعها نحو الأشياء.

فلمّا لم يكن لها فى شىء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواسّ و هو بمنزلة الصّومعة لها، فجعل الحواسّ خمسا تلقى خمسا لكيلا يفوتها شىء من المحسوسات فخلق البصر ليدرک الألوان فلو كانت الألوان و لم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة.

و خلق السّمع ليدرک الأصوات فلو كانت الأصوات و لم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب و كذلک ساير الحواسّ. ثمّ يرجع هذا متكافئا فلو كان بصر و لم يكن الألوان لما كان للبصر معنى، و لو كان سمع و لم يكن أصوات لم يكن للسّمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا فجعل لكلّ حاسة محسوسا يعمل فيه و لكلّ محسوس حاسّة تدركه.

1- (1) الرأس مذكر و تأنيث الفعل كانه لاشتماله على الاعضاء الكثيرة ان لم يكن من تحريف النساخ، بحار.

و مع هذا فقد جعلت أشياء متوسّطة بين الحواس و المحسوسات لا يتمّ الحواسّ إلاّ بها كمثل الضياء و الهواء فانّه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرک اللون، و لو لم يكن هواء يؤدّى الصّوت إلى السّمع لم يكن يدرک الصوت فهل يخفى على من صحّ نظره و اعمل فكره انّ مثل هذا الذى وصفت من تهيئة الحواس و المحسوسات بعضها يلقى بعضا و تهيئة أشياء اخر بها يتمّ الحواسّ لا يكون إلاّ بعمد و تقدير من لطيف خبير؟ فكّر يا مفضل فيمن عدم البصر من النّاس و ما يناله من الخلل فى اموره فانّه لا يعرف موضع قدمه و لا يبصر ما بين يديه فلا يفرق بين الألوان و بين المنظر الحسن و القبيح فلا يرى حفرة إن هجم عليها و لا عدوّا إن هوى إليه بسيف، و لا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئا من هذه الصّناعات مثل الكتابة و التّجارة و الصّياغة حتّى أنّه لو لا نفاد ذهنه لكان كالحجر الملقى.

و كذلک من عدم السّمع يختلّ فى امور كثيرة فانّه يفقد روح المخاطبة و المحاورة و يعدم لذّة الأصوات و اللحون الشّجية المطربة، و تعظم المؤنة على النّاس فى محاورته حتّى تبرّموا به و لا يسمع شيئا من اخبار النّاس و أحاديثهم حتّى يكون كالغايب و هو شاهد و كالميّت و هو حىّ.

و قوله(و أشلاء جامعة لاعضائها)الظاهر أنّ المراد بالشّلو هنا العضو و ليس كناية عن الجسد كما زعمه البحرانى إذا لأبدان مذكورة بعد ذلک فيلزم التكرار مع أنّ ارادة الجسد على تقدير صحّتها لا حاجة فيها إلى الكناية لما قد عرفت من اشتراكه لغة بين الجسد و العضو.

فان قلت: إرادة العضو ينافيها قوله عليه السّلام جامعة لأعضائها، إذ الشىء لا يجمع نفسه.

قلت: يمكن توجيهه بما وجّهه الشّارح المعتزلى من جعل المراد بالأشلاء الأعضاء الظاهرة و بالأعضاء الأعضاء الباطنة و لا ريب أنّ الأعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة (ملائمة لأحنائها فى تركيب صورها و مدد عمرها) أى جعل الأعضاء مناسبة

موافقة للجهات و الجوانب التى جعلت فيها ملائمة لها فى صورها التركيبيّة.

مثلا- جعل اليدين فى اليمين و اليسار أنسب من كونهما فى الرّأس، و كون العينين فى الرّأس أولى من كونهما فى الظهر أو البطن و كذلک كون ثقب الأنف فى أسفله أنسب و أحسن من كونه فى أعلاه، و كون المثانة و المعدة فى أسافل البدن أليق و هكذا و قد مرّ حكمة بعض ذلک فى رواية المفضّل و ستعرف البعض فى التّبصرة الآتية مضافا إلى الحسن و البهجة و الالتيام و المناسبة المقرّرة فى هذه الصّور المجعولة ألا ترى أنّ من لم يكن له حاجب فوق عينه أو سقطت الأشفار من طرف عينه كيف يكون قبيح الصّورة كريه المنظر، و هكذا ساير الأعضاء، هذا كلّه لو كان الحنوفى كلامه بمعنى الجانب و الجهة، و لو جعلناه بمعنى العضو المعوج فيكون المراد أنّه تعالى جعل الأعضاء المستقيمة من البدن ملائمة للأعضاء المعوّجة فى صورها المركبة فلا يناسب المستقيمة موضع المعوّجة و لا المعوّجة موضع المستقيمة و لا يصادم حسن الاستقامة للاعوجاج و لا الاعوجاج للاستقامة، إذ كلّ منهما فى موقعهما حسن و أحسن فتبارک اللّه أحسن الخالقين.

و أمّا قوله عليه السّلام: و مدد عمرها، فالظاهر أنّه أراد به أنّ اللّه جعل مدد عمر كلّ من الأعضاء ملائمة للآخر مقارنة له بحيث لا يفنى بعض الأعضاء قبل فناء الآخر فيكون الكلام محمولا على الغالب فافهم.

و قوله عليه السّلام (بأبدان قائمة بأرفاقها و قلوب رائدة لأرزاقها) أى قائمة بمصالحها و منافعها أو أنّ قوامها باستعانة أرواحها على الرّواية الاخرى السّالفة فى بيان اللغة و قلوب طالبة لأرزاقها جالبة لها إليها.

و الضمير فى أرزاقها يحتمل رجوعه إلى الأبدان و رجوعه إلى نفس القلوب، و على الأوّل فالمراد بالرّزق الرّزق الجسمانى، و على الثّانى فالمراد به الرزق الرّوحانى أعنى العلوم الحقّة و المعارف الشرعية و العقائد الالهيّة الموجبة للسّعادة فى الدّارين، و المحصلة للعزّة فى النّشأتين، فانّ القلب هو الطالب الجالب لتلک الأرزاق إلى نفسها كما أنّه هو الطالب الجالب للأرزاق إلى البدن و لو بتوسط الآلات البدنيّة.

إذ هو العالم باللّه، و هو المتقرّب إلى اللّه، و هو المحصّل لرضوان اللّه، و هو السّاعى إلى اللّه، و هو المكاشف بما عند اللّه، و هو فى الحقيقة سلطان مملكة البدن يستخدم الآلات و الجوارح يأمرها و ينهيها و يستعملها استعمال المالک لعبده و السّلطان لرعيّته، و تحقيق ذلک موقوف على شرح حال القلب و معرفة عجائب صفاته.

فأقول: إنّ القلب كما حقّقه الغزالى يطلق على معنيين:

أحدهما اللحم الصّنوبرى الشّكل المودع فى الجانب الأيسر من الصّدر، و هو لحم مخصوص و فى باطنه تجويف و فى ذلک التجويف دم أسود هو منبع الرّوح و معدنه، و هو بهذا المعنى موجود للانسان و الحيوان و الحىّ و الميّت، و مرئى بحسّ العيان و يدركه الحيوان بحاسّة البصر كما يدركه الانسان و لا يتعلّق به غرضنا فى المقام.

الثّانى هو جوهرة لطيفة ربّانيّة نورانيّة روحانيّة لها تعلّق بالقلب الجسمانى الذى ذكرناه و هى حقيقة الانسان و بها تمامه و كماله و هو المدرک العالم العارف و هو المخاطب و المطالب، و له جنود و أعوان و أنصار فمن تلک الجنود ما يرى بالأبصار كالأعضاء الظاهرة من اليد و الرّجل و العين و الاذن و اللسان و نحوها، و ما لا يرى بالابصار كالحواس الباطنة و الشّهوة و الغضب و نحوها، فجميعها خادمة للقلب منقادة لحكمه مسخّرة له و قد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا و لا عليه تمرّدا.

فاذا أمر العين بالانفتاح انفتحت و بالانطباق انطبقت و الرّجل بالحركة تحرّكت و بالسّكون امتثلت و اللسان بالكلام تكلّم و بالسّكوت أمسک، و كذا ساير الأعضاء.

و إنّما افتقر إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب و الزّاد لسفره الذى يجب له سلوكه و لأجل مسيره خلق، و هو السّفر إلى اللّه و قطع المنازل إلى لقائه و مركبه البدن و زاده المعرفة و الأسباب التى توصله إلى الزّاد و تمكّنه من التّزوّد هو العمل الصالح.

فليس يمكن العبد أن يصل إلى اللّه ما لم يسكن البدن و لم يجاوز الدّنيا، فانّ المنزل الأدنى لا بدّ من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى، فالدّنيا مزرعة الآخرة و هى منزل من منازل الهدى و إنّما سمّيت الدّنيا لكونها أدنى المنزلتين فاضطرّ إلى أن يتزوّد من هذا العالم.

فالبدن مركبه الذى يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهّد البدن و حفظه و إنّما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء و يطلب له ما يناسبه من الرّزق و أن يدفع عنه ما ينافيه و يضارّه من أسباب الهلاك، فافتقر لأجل جلب الغذا إلى جندين باطن و هو الشّهوة، و ظاهر و هو الأعضاء الجالبة للغذا من اليد و نحوها.

فخلق فى القلب من الشّهوات ما كان محتاجا إليه و خلقت الأعضاء لكونها آلة للشّهوة و افتقر لأجل دفع المضارّ و المهلكات أيضا إلى جندين: باطن و هو الغضب الذى به يدفع المهلكات و ينتقم من الأعداء و ظاهر و هو الجوارح التى بها يعمل بمقتضى الغضب من اليد و الرّجل و نحوهما.

ثمّ المحتاج إلى الغذا ما لم يعرف الغذا لم يحصل له شهوة الغذاء فافتقر للمعرفة إلى جندين، باطن و هو إدراك السّمع و البصر و الشّم و اللمس و الذّوق، و ظاهر و هو العين و الاذن و الأنف و غيرها.

فجملة جنود القلب منحصرة فى ثلاثة أصناف: صنف باعث و مستحثّ إمّا إلى جلب النّافع الموافق كالشهوة، و إمّا إلى دفع الضار المنافى كالغضب، و قد يعبّر عن هذا الباعث بالارادة، و الصّنف الثّانى هو المحرّك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد و يعبّر عنه بالقدرة و هى مبثوثة فى ساير الأعضاء لا سيّما العضلات منها و الأوتار، و الصّنف الثّالث هو المدرک المتعرف للأشياء كالجواسيس و هى قوّة البصر و السّمع و الشمّ و الذّوق و اللمس المبثوثة فى الأعضاء المعيّنة و قوّة التخيل و التّحفظ و التفكر و نحوها المودعة فى تجاويف الدّماغ.

و هذه كلّها ممّا قد أنعم اللّه بها على ساير أصناف الحيوان سوى الآدمى إذ

للحيوان أيضا الشّهوة و الغضب و الحواس الظاهرة و الباطنة فكلاهما شريكان فيها و إنّما اختصّ الانسان بما لأجله عظم شرفه و علا قدره و استأهل القرب.

و هو راجع إلى علم و إرادة أمّا العلم فهو العلم بالامور الدّنيويّة و الاخرويّة و الحقائق العقليـة و هذه امور وراء المحسوسات و لا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكليّة الضّروريّة من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأنّ الشّخص الواحد لا يتصوّر أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة، و هذا حكم منه على كلّ شخص و معلوم أنّه لم يدرک بالحسّ إلاّ بعض الأشخاص فحكمه على الجميع زايد على ما أدركه الحسّ، و إذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضّرورى فهو فى ساير النّظريّات أظهر.

و أمّا الارادة فانّه إذا أدرک بالعقل عاقبة الأمر وجهة المصلحة فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة و إلى تعاطى أسبابها و الارادة لها، و ذلک غير إرادة الشّهوة و إرادة الحيوانات، بل ربّما يكون على ضدّ الشّهوة.

ألا ترى أنّ الشّهوة تنفر عن الفصد و الحجامة، و العقل يريدها و يطلبها و يبذل لها المال، و الشّهوة تميل حين المرض إلى لذايذ الأطعمة و العقـل يردعهـا عنهـا، و لو خلق اللّه العقـل العارف بعواقب الامور و لـم يخلق هـذا الباعث المحرّک للأعضاء على العمل بمقتضـى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التّحقيق.

فاذا اختصّ قلب الانسان بعلم و ارادة يمتاز بهما من ساير الحيوان، و من هـذه الجملـة ظهر أن خاصـيّة الانسان العلم و الحكمـة، و للعلم مراتب و درجات لا تحصـى من حيث كثرة المعلومات و قلّتها و شرف المعلوم و خسّته، و من حيث إنّ حصوله قد يكون بالهام ربّانىّ على سبيل المكاشـفة كما للأنبياء و الأولياء و قـد يكون بطريق الكسب و الاسـتدلال، و فى الكسب أيضا قـد يكون سـريع الحصول و قد يكون بطىء الحصول.

و فى هذا المقام تتباين منازل العلماء و الحكماء و الأولياء و الأنبياء، فدرجات الترقى غير محصورة إذ معلومات اللّه سـبحانه غير متناهية و مراقى هذه الدّرجات

هی منـازل السّـایرین إلی اللّه و لاـ حصـر لتلـک المنـازل و إنّما یعرف کلّ سالک منزله الـذی بلغه فی سـلوکه فیعرفه و یعرف ما خلفه من المنازل.

و أمّا ما بین یـدیه فلا یحیط به علما کما لا یعرف الجنین حال الطفل، و لا الطفل حال المیّز و لا المیّز حال المراهق، و لا المراهق حال العاقل و ما اکتسبه من العلوم النّظریة، فکذا لا یعرف العاقل ما افتتح اللّه علی أولیائه و أنبیائه من مزایا لطفه و رحمته «ما یفتح اللّه للنّاس من رحمـة فلا ممسک لها» و هذه الرّحمة مبذولة بحکم الجود و الکرم من اللّه سـبحانه غیر مضـنون بها علی أحد و لکن إنّما تظهر فی القلوب المتعرضة لنفحات الرّحمة کما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

إنّ لرّبکم فی أیّام دهرکم لنفحات ألا فتعرّضوها، و التعرّض لها إنّما هو بتطهیر القلب و تزکیته من الکـدر و الخبث الحاصـلین من الأخلاق المذمومة.

فظهر بـذلک معنی تمـام الانسـان و کمـاله و خاصّـته التی بها امتاز عن سایر أفراد الحیوان و تحقّق أنّ البـدن مرکب للقلب، و القلب محلّ للعلم، و العلم هو مقصود الانسان و أنّ العلم و المعرفة هو الذی خلق الانسان لأجله کما قال:

«وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ ».

أی لیعرفون کما ظهر لک معنی رزق البدن و زاد القلب، و اتّضح أنّ القلب هو الطالب الجالب للرّزق و الزاد لاصلاح المعاش و المعاد.

و قوله علیه السّـلام (فی مجلّلاـت نعمه و موجبـات مننه) العطف بمنزلـة التّفسـیر یعنی أنکم متنعّمون بنعمه العامـة الشّاملـة و آلائه التّامة الکاملة الموجبة لمنّته سـبحانه علیکم فالمراد بمجلّلات النّعم ما أنعم بها علی جمیع الموجودات و المخلوقات بمقتضی رحمته الرّحمانیّة کما قال سبحانه: «أَعْطی کُلَّ شَیْ ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی ».

و بموجبات المنن أنّ تلک النّعم موجبة لمنة اللّه سبحانه علیهم فلا بدّ أن یقوم العبد بلوازم الشّکر و الامتنان، و لا یقابل بالطغیان و الکفران، و أعظم ما منّ اللّه به علی عباده أن هداهم للاسلام و الایمان و أرشدهم إلی سلوک سبیل الجنان و بعث فیهم

رسولا يدلّهم على الهدى و ينجيهم من الرّدى كما قال تعالى:

«لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ ».

و قوله (و حواجز عافيته) قال الشّارح المعتزلى: أى فى عافية تحجز و تمنع عنكم المضار.

أقول: و هو مبنىّ على كون الاضافة من قبيل إضافة الصّفة إلى الموصوف، و الأظهر الأقوى أنّ الاضافة لاميّة، و المراد الموانع التى تمنع العافية عن الزّوال و العدم، و تكون عائقة عن طريان المضارّ و الآلام و عروض الأوجاع و الأسقام على الأبدان و الأجسام، و على أىّ تقدير فالمراد بها نعمة الصّحة و السّلامة التى هى من أعظم نعم اللّه سبحانه، بل هى رأس كلّ نعمة و بها يدرک كلّ لذّة و بهجة.

ثمّ قال (و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم) و هذا أيضا من أعظم ما أنعم اللّه تعالى به على خلقه إذ فى إظهار مدّة العمر عليهم مفاسد لا تحصى كما أنّ فى إخفائها منافع جاوزت حدّ الاستقصاء كما أشار إليها سادس الأئمة و صادق الامّة أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد سلام اللّه عليهما و على آبائهما و أولادهما الطّيبين الطاهرين حيث قال فى حديث المفضّل: تامّل الآن يا مفضّل ما ستر عن الانسان علمه من مدّة حياته، فانّه لو عرف مقدار عمره و كان قصيرا لم يتهنّأ بالعيش مع ترقّب الموت و توقّعه لوقت قد أعرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر و الوجل من فناء ماله و خوف الفقر على أنّ الذى يدخل على الانسان من فناء العمر أعظم ممّا يدخل عليه من فناء المال لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلک و من أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس.

و إن كان طويل العمر ثمّ عرف ذلک وثق بالبقاء و انهمک فى اللذات و المعاصى و عمل على أنّه يبلغ من ذلک شهوته ثمّ يتوب فى آخر عمره و هذا مذهب لا يرضاه

اللّه من عباده و لا يقبله ألا ترى لو أنّ عبدا لک عمل على أنّه يسخطک سنة و يرضيک يوما أو شهرا لم تقبل ذلک منه و لم يحلّ عندک محلّ العبد الصالح دون أن يضمر طاعتک و نصحک فى كلّ الامور فى كلّ الأوقات على تصرّف الحالات.

فان قلت: أو ليس قد يقيم الانسان على المعصية حينا ثمّ يتوب قبل توبته؟ قلنا: إنّ ذلک شىء يكون من الانسان لغلبة الشّهوات له و تركه و تركه مخالفتها من غير أن يقدّره فى نفسه و يبنى عليه أمره فيصفح اللّه عنه و يتفضّل عليه بالمغفرة.

فأمّا من قدّر أمره على أن يعصى ما بدا له ثمّ يتوب آخر ذلک فانّما يحاول خديعا من لا يخادع(1) أن يتسلّف التلذّذ فى العاجل و يعد و يمنّى نفسه التّوبة فى الآجل و لأنّه لا يفى بما يعد من ذلک، فانّ النزوع من الترفّه و التلذّذ و معاناة(2) التّوبة و لا سيما عند الكبر و ضعف البدن أمر صعب و لا يؤمن على الانسان مع مدافعة التوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدّنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين و قد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلک حتّى يحلّ الأجل و قد نفد المال فيبقى الدّين قائما عليه.

فكان خير الأشياء للانسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقّب الموت فيترک المعاصى و يؤثر العمل الصّالح.

فان قلت: و ما هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته و صار يترقّب الموت فى كلّ ساعة يقارف الفواحش و ينتهک المحارم.

قلنا: إنّ وجه التّدبير فى هذا الباب هو الذى جرى عليه الأمر فيه، فان كان الانسان مع ذلک لا يرعوى و لا ينصرف عن المساوى فانّما ذلک من مرحه و من قساوة لا من خطاء فى التدبير كما أنّ الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما أمره و لا ينتهى عمّا ينهاه عنه و لم ينتفع بصفته لم يكن

1- (1) اى اللّه سبحانه م.

2- (2) اى مشقتها.

الاسائة فی ذلک للطبیب بل للمریض حیث لم یقبل منه.

و لئن کان الانسان مع ترقبه الموت کلّ ساعة لا یمتنع عن المعاصی فانّه لو وثق بطول البقاء کان أحری أن یخرج إلی الکبایر الفظیعة فترقّب الموت علی کلّ حال خیر له من الثقة بالبقاء.

و إن کـان صـنف من النّاس ینهون عنه و لا یتّعظون به فقـد یتّعظ به صـنف آخر منهم و ینزعون عن المعاصـی و یؤثرون العمل الصالـح و یجودون بالأموال و العقایل النفیسـة و الصّدقـة علی الفقراء و المساکین فلم یکن من العـدل أن یحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصـلة لیضـیع أولئک حظّهم.

و بالجملة فقد وضح، و اتضح کلّ الوضوح أنّ سترمدد الأعمار عن الخلق من جلایل النعم و أعظم ما منّ اللّه سبحانه به علیهم.

و مثله نعمة اخری هی أیضا من أسبغ الآلاء و أسنی النّعماء من حیث کونها موجبة للتّجافی عن دار الغرور جاذبة إلی دار السّرور باعثة علی السّ عادة الأبدیّة موقعة فی العنایة السّ رمدیّة (و) هی أنّه سـبحانه (خلف لکم عبرا) تعتبرون بها و أبقی آثارا تتذکّرون منها (من آثار الماضین قبلکم) من الأـهلین و الأـقربین و الأـولین و الآـخرین و ممّن کـان أطول منکم أعمـارا و أشـدّ بطشا و أعمر دیارا (من مسـتمتع خلاقهم و مسـتفسح خناقهم) أی الدّنیا التی کانت محلّ اسـتمتاعهم بخلاقهم و انتفاعهم بحظوظهم و انصـبائهم و محلّ الفسـحة لأعناقهم من ضیق حبائل الموت و دار امهالهم من انشاب مخالب الفناء و الفوت.

فـأنتم فیهـا «کَالَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ کانُوا أَشَ دَّ مِنْکُمْ قُوَّةً وَ أَکْثَرَ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً فَاسْ تَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْ تَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِکُمْ کَمَا اسْ تَمْتَعَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ بِخَلاقِهِمْ وَ خُضْ تُمْ کَالَّذِی خاضُوا »(1)«أُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِی الـدُّنْیا وَ الآخِرَةِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِ رُونَ »(2)(أرهقتهم المنایا دون الآمال و شذّبهم عنها تخرّم الآجال) ای اخترمتهم أیدی المنون(3) من قرون بعد

1- (1) ای کالخوض الذی خاضوه.

2- (2) اقتباس من الآیة فی سورة التوبة.

3- (3) المنون المنیة لانها تقطع المدد قال الفراء المنون مؤنثة و تکون واحدا و جمعا.

قرون فحالت بينهم و بين الآمال و فرّقتهم من الأولاد و الأموال:

تخرّمهم ريب المنون(1) فلم تكن لتنفعهم جنّاتهم و الحدائق(2)

و لا حملتهم حين ولّوا بجمعهم نجائبهم و الصّافنات السّوابق

و زاحوا(3) عن الأموال صفرا و خلّفوا ذخايرهم بالرّغم منهم و فارقوا

(لم يمهّدوا فى سلامة الأبدان و لم يعتبروا فى انف الأوان) أى لم يهيئوا فى حال الصّحة و السّلامة ليوم المعاد و لم يعتبروا فى أوّل الأزمنة بالعبر النّافعة بل الكلّ مال عنها و حاد، فالشّباب للهرم و الصّحة للسّقم و الوجود للعدم بذلک جرى فى اللوح القلم.

(فهل ينتظر أهل بضاضة الشّباب إلاّ حوانى الهرم، و أهل غضارة الصّحة إلاّ نوازل السّقم، و أهل مدّة البقاء إلاّ آونة الفناء) و العدم استفهام على سبيل الانكار و التّوبيخ عما ينتظر الشّبان النّاعمة الجسد الرّقيقة الجلد غير حوانى الهرم التى تحنى ظهورهم و عما ينتظر أهل النعمة و الصّحة غير نوازل السّقم التى تنزل عليهم و عمّا ينتظر المعمرون بطول أعمارهم غير الفناء و العدم الذى يفنيهم.

و إنّما و بخّهم على ذلک لأنّ من كان مصير أمره إلى الهرم و السّقم و الفناء و الزّوال ينبغى أن يأخذ العدة و الذّخيرة لنفسه و ينتظر ما يصير أمره إليه و يراقبه و لا يشتغل بغيره.

فهؤلاء لما قصروا هممهم فى غير ذلک و أوقعوا أنفسهم فى مطارح المهالک

1- (1) ريب المنون حدثاته.

2- (2) اعلم أنّ هذا البيت و ساير الأبيات التى أنشدناها فى شرح هذا الفصل و هكذا بعض الفقرات التى أوردناها مأخوذة من مناجاة الامام زين العابدين علىّ بن الحسين (عليهما السلام) و ندبته التى رواها أبو عيينة الزهرى، و انما اقتبسناكل ذلک من كلامه لانّ كلام المعصوم يصدق بعضه بعضا، و اللّه الهادى الى سواء السبيل منه.

3- (3) أى زالوا.

و بّخهم علیه السّلام بذلک و أکّد بقوله (مع قرب الزیال) و ازوفه (و ازوف الانتقال) و قربه (و علز القلق) و هلعه (و ألم المضض) و وجعه (و غصص الجرض) و شجاه (و تلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة و الأقرباء و الأعزّة و القرناء) أراد أنّهم فی حال سکرات الموت یلتفتون إلی أهلهم و أولادهم و یقلّبون وجوههم ذات الیمین و ذات الشّمال إلی أحبّتهم و عوّادهم یستغیثونهم و یستنصرونهم فلا یقدرون علی النصرة و الاغاثة و یستعینونهم و یستنجدونهم فلا یستطیعون الانجاد و الاعانة:

أحاطت به آفاته و همومه و أبلس(1) لما أعجزته المعاذر

فلیس له من کربة الموت فارج و لیس له مما یحاذر ناصر

و قد حشات خوف المنیة نفسه تردّدها دون اللّهاة الحناجر

(فهل دفعت الأقارب أو نفعت النّواحب) أو انتفع بسلطانه أو ذبّ الموت عنه جنوده و أعوانه.

فما صرفت کفّ المنیّة إذ أتت مبادرة تهوی إلیه الذّخایر(2)

و لا دفعت عنه الحصون التی بنا و حفّ بها أنهارها و الدّساکر(3)

و لا قارعت عنه المنیّة خیله و لا طمعت فی الذّب عنه العساکر

(و قد غودر فی محلّة الأموات رهینا و فی ضیق المضجع وحیدا) و التحق بمن مضی من أسلافه و من وارته الأرض من الافه.

و أضحوا رمیما فی التراب و أقفرت(4) مجالس منهم عطلت و مقاصر(5)

1- (1) و الابلاس الیأس من رحمة اللّه و منه سمی ابلیس و الابلاس ایضا الانکسار و الحزن و المعاذر جمع المعذرة و جشأت نفسه انهضت و جاشت النفس ارتفعت من حزن أو فزع و اللهات الهنة المطبقة فی أعلی سقف الفم و الحنجرة الحلقوم منه م.

2- (2) فاعل صرفت

3- (3) الدسکرة القریة و الصومعة و الارض المستویة و بیوت الأعاجم یکون فیها الشراب و الملاهی و الجمع دساکر ق

4- (4) ای خلت

5- (5) لعلّه جمع المقصورة هی الدار الواسعة

و حلّوا بدار لا تزاور بينهم و أنّى لسكّان القبور التّزاور

فما أن ترى إلاّ جثى(1) قد ثووا بها(2) مسنّمة(3) تسفى عليه الأعاصر(4)

(قد هتكت الهوام جلدته و ابلت النّواهک جدته) أى قطع هو ام الأرض جلده و صار طعمة للعقارب و الحيّات و الحشرات الموذيات و اخلقت مبالغات الدّهر التى أجهدته و أضنته و هزلته جدته و نضرة شبابه، فصار خلقا باليا بعد ما كان جديد اغضيضا طريّا بمصائب الدّهر و نوائبه و أوصابه و أتعابه (و عفت) الرّياح (العواصف آثاره و محى) النوائب و (الحدثان معالمه) فلم يبق فى وجه الارض منه خبر و لا عن قبره عين و لا أثر، حيث فقدته العيون و توالت عليه السّنون (و صارت الأجساد شحبة) متغيّرة هزلة (بعد بضّتها) و نعومتها و امتلائها (و العظام نخرة) بالية متفتتة (بعد قوّتها) و شدّتها (و الأرواح مرتهنة) مقبوضة (بثقل أعمالها) و أحمالها كما قال تعالى:

«كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ ».

أى محبوس بعمله حتّى يعامل بما يستحقّه و يجازى بما عمله إن عمل طاعة اثيب و إن عمل معصية عوقب، و فى سورة المدّثر «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاّ أَصْحابَ الْيَمِينِ » قال الطبرسىّ: أى مرهونة بعملها محبوسة به مطالبة بما كسبته من طاعة أو معصية، فالرّهن أخذ الشىء بأمر على أن لا يرد إلاّ بالخروج منه فكذلک هؤلاء الضّلال قد اخذوا برهن لافکاک له، و الكسب هو كلّ ما يجتلب به نفع أو يدفع به

1- (1) جمع جثوة اى تربة مجموعة، لغة

2- (2) أى أقاموا

3- (3) أى مرتفعة و منه قبر مسنّم

4- (4) هى ريح تثير الغبار يرتفع الى السماء كأنه عمود.

ضرر و يدخل فيه الفعل و الا يفعل.

ثمّ استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال: إلاّ أصحاب اليمين، و هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم قال الباقر عليه السّلام: نحن و شيعتنا أصحاب اليمين، و قوله (موقنة بغيب أنبائها) أى متيقّنة بالأخبار الغيبية التى أخبر بها الرّسل و أنبأ بها الكتب من أخبار القيامة من البرزخ و البعث و الحساب و الكتاب و الجنّة و النّار و ساير ما كانت غايبة عنه مختفية له حتّى رآها بحسّ العين فحصل له اليقين بعد ما كانت منها فى ريب و ظنّ، كما قال تعالى:

«وَ إِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ السّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُمْ ما نَدْرِى مَا السّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاّ ظَنًّا وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ».

و قال سبحانه حكاية عن الكفّار و المجرمين:

«قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَ كُنّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ وَ كُنّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتّى أَتانَا الْيَقِينُ ».

أى كنّا نكذّب يوم الجزاء حتّى جاءنا العلم اليقين بأن عاينّاه، و قال سبحانه فى حقّ المتّقين:

«اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ».

قال الطبرسى و إنّما خصّهم بالأيقان بالآخرة و إن كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها و جحدهم ايّاها فى نحو ما حكى عنهم فى قوله «وَ قالُوا ما هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا ».

فكان فی تخصیصهم بذلک مدح عظیم (لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سیّیء زللها) أی لا یطلب منها زیادة فی العمل الصّالح و لا یطلب منها التّوبة من العمل القبیح کما کان یطلب ذلک منها فی الدّنیا و ذلک لأنّ التّکلیف و العمل إنّما هو فی الدّنیا و الآخرة دار الجزاء لا تکلیف فیها کما قال تعالی فی سورة الجاثیة:

«فَالْیَوْمَ لا یُخْرَجُونَ مِنْها وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ ».

أی لا یخرجون من النّار و لا یطلب منهم الاعتاب و الاعتذار لما قلناه من أنّ التکلیف قد زال، و فی سورة الرّوم:

«فَیَوْمَئِذٍ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ ».

و کما أنّهم لا یطلب منهم التّوبة و المعذرة فکذلک لا ینفعهم الاعتذار و الانابة کما قال سبحانه:

«فَإِنْ یَصْبِرُوا فَالنّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَ إِنْ یَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِینَ ».

أی إن یطلبوا إزالة اللوم و العقوبة و یسألوا رضا اللّه عنهم فلیس لهم طریق إلی الاعتاب و لا لهم نجاة من العقاب.

بلی أوردته(1) بعد عزّ و منعة موارد سوء ما لهنّ مصادر

فلمّا رأی أن لا نجاة و أنّه هو الموت لا ینجیه منه الموازر(2)

تندّم لو یغنیه طول ندامة علیه و أبکته الذّنوب الکبائر

وَ «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ کَلاّ إِنَّها کَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ ».

(أ و لستم أبناء القوم) الذین وصفنا حالهم و شرحنا مالهم (و الآباء و إخوانهم و الأقرباء) و أمثالهم.

1- (1) أی أوردته الدّنیا

2- (2) الموازر: الناصر

فهم فی بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فیها بوال(1) دواثر(2)

خلت دورهم منهم و أقوت عراصهم و ساقتهم نحو المنایا المقادر

و خلّوا عن الدّنیا و ما جمعوا لها و ضمّنهم تحت التراب الحفایر(3)

فلکم الیوم بالقوم اعتبار، و سوف تحلّون مثلهم دار البوار، فالبدار البدار و الحذار الحذار من الدّنیا و مکایدها و ما نصبت لکم من مصایدها، و تجلّی لکم من زینتها و استشرف لکم من فتنتها

و فی دون ما عاینت من فجعاتهاإلی رفضها داع و بالزّهد آمر

فجدّ و لا تغفل فعیشک زائلو أنت إلی دار المنیّة صائر

فهل یحرص علیها لبیب، أو یسرّ بلذّتها أریب، و هو علی ثقة من فنائها و غیر طامع فی بقائها، أم کیف تنام عین من یخشی البیات أو تسکن نفس من یتوقّع الممات أم کیف (تحتذون أمثلتهم و ترکبون قدتهم و تطئون جادّتهم) تفعلون مثل أفعالهم و تقتفون آثارهم و تسلکون مسالکهم و تقولون: «إنّا وجدنا آبائنا علی أمّة و إنّا علی آثارهم مقتدون»(فالقلوب قاسیة عن حظّها) جافیة عن إدراک نصیبها الذی ینبغی لها إدراکه (لاهیة عن رشدها) غافلة عن طلب هدایتها (سالکة فی غیر مضمارها) الذی یلزم علیها سلوکه.

یعنی أنّ اللاّزم علی القلوب تحصیل المعارف الیقینیّة و العقائد الحقّة و التفکّر فی آثار الجبروت و القدرة و الاتّعاظ بالحکم و الموعظة الحسنة فهی لقسوتها و جفاوتها بکثرة الذّنوب التی اقترفتها لم یبق لها قابلیّة و استعداد لادراک حظّها و نصیبها الذی ذکرناه و غفلت عن الاهتداء بالأنوار الالهیة و سلکت فی غیر جادّة الشریعة (کأنّ المعنیّ) و المقصود بالأحکام الشّرعیّة و التّکالیف الالهیّة (سواها و کأنّ الرّشد) الّذی امرت به (فی إحراز دنیاها).

1- (1) جمع بالیة

2- (2) من الدثور و هو الدروس

3- (3) لعلّه جمع الحفر و هو القبر

فيـا عاقلا راحلا و لبيبا جاهلا و متيقظا غافلا ما هـذه الحيرة و السبيل واضـح و المشـير ناصـح، و الصّواب لائـح، عقلت فاغفلت و أعرفت فـأنكرت، و علمت فامهلت «فاهملت ظ» هـذا هو الـدّاء الـذى عزّ دواؤه، و المرض الـذى لا يرجى شـفاؤه، إلى كم ذا التشاغل بالتّجاير و الأربـاح إلى كم ذا التّهوّر بالسّـرور و الأفراح، و حتّام التّغرير بالسّـلامة فى مراكب النّياح، كيف تتهنّأ بحياتک و هى مطيّتک إلى مماتک أم كيف تسيغ طعامک و أنت منتظر حمامک(1)

و لـم تتزوّد للرّحيل و قد دناو أنت على حال و شيكا مسافر(2)

تخرّب ما يبقى و تعمر فانياو لا ذاک موفور و لا ذاک عامر

و هل لک إن وافاک حتفک بغتةو لـم تكتسب خير لدى اللّه عاذر

أ ترضى بأن تفنى الحياة و تنقضيو دينک منقوص و مالک وافر

فيا ويح نفسى كـم أسوّف توبتيو عمرى فان و الرّدى(3) لى ناظر

و كلّ الذى أسلفت فى الصّحف مثبتيجازى عليه عادل الحكم قاهر

مليک عزيز لا يردّ قضاؤهعليم حكيم نافذ الأمر قادر

عنى كلّ ذى عزّ بعزّة وجههفكلّ عزيز للمهيمن(4) صاغر

لقد خشعت و استسلمت و تضاءلتلعزّة ذى العرش الملوک الجبابر

فبـک إلهنـا نسـتجير يـا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاک رقابنا غيرک، و من نرجو بغفران ذنوبنا سواک، و أنت المتفضّل المنّان القائم الـدّيان العائـد علينا بالاحسان بعد الاسائة منّا و العصـيان، يا ذا العزّة و السّـلطان و القوّة و البرهان أجرنا من عذابک الأليم و اجعلنا من سـكان دار النعيم يا أرحم الراحمين.

1- (1) الحمام: الموت

2- (2) الوشيک: السريع

3- (3) الردى: الهلاک

4- (4) المهيمن: القـائم على خلقه بأعمـالهم و آجالهم و أرزاقهم أو الشاهـد و الرقيب و الحافظ و الصاغر الـذليل و تضائلت أى صارت ضئيلا أى حقيرا ذليلا، منه

تبصرة

لما كان صدر هذا الفصل متضمّنا للاشارة إلى بعض الحكم و المصالح فيما جعله اللّه سبحانه للانسان من الأعضاء و الجوارح و كان توضيح ذلک موقوفا على التشريح أحببت أن اورد هنا شطرا يسيرا من ذلک مما صدر عن مصدر الولاية إذ تشريح جميع الأعضاء على ما حقّقه الحكماء و الأطبّاء مما يوجب الطول و يخرج عن الغرض و فيما نورده هداية للمسترشد و كفاية للطالب.

فأقول: روى فى البحار من العلل و الخصال عن محمّد بن إبراهيم الطالقانى عن الحسن ابن علىّ العدوى عن عباد بن صهيب بن عباد بن صهيب عن أبيه عن جدّه عن الرّبيع صاحب المنصور قال:

حضر أبو عبد اللّه عليه السّلام مجلس المنصور يوما و عنده رجل من الهند يقرأ كتب الطب فجعل أبو عبد اللّه عليه السّلام ينصت لقرائته، فلما فرغ الهندى قال له يا أبا عبد اللّه أ تريد ممّا معى شيئا؟ قال عليه السّلام: لا، فانّ معى ما هو خير ممّا معک قال: و ما هو؟ قال عليه السّلام:

اداوى الحارّ بالبارد و البارد بالحارّ و الرّطب باليابس و اليابس بالرّطب، و اورد الأمر كلّه إلى اللّه عزّ و جلّ و أستعمل ما قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و اعلم أنّ المعدة(1) بيت الداء و الحمية هى الدواء و اعود البدن ما اعتاد، فقال الهندى: و هل الطبّ إلاّ هذا.

فقال الصّادق عليه السّلام: أ فترانى من كتب الطبّ أخذت؟ قال: نعم قال عليه السّلام: لا و اللّه ما أخذت إلاّ عن اللّه سبحانه فأخبرنى أنا أعلم بالطبّ أم أنت؟ قال الهندى:

لا بل أنا، قال الصّادق عليه السّلام: فأسألک شيئا؟ قال: سل، قال الصّادق عليه السّلام: أخبرنى يا هندى لم كان فى الرّأس شئون(2) قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم جعل الشّعر عليه من فوق؟ قال: لا أعلم.

1- (1) المعدة بالكسر و الفتح موضع الطعام.

2- (2) الشأن واحد الشئون و هى مواصل قبائل الرأس و ملتقاها و منها يخرج الدموع، صحاح

قال علیه السّلام: فلم خلت الجبهة من الشّعر؟ قال: لا أعلم قال علیه السّلام: فلم کان لها التّخطیط و أسارير؟(1) قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم کان الحاجبان من فوق العینین؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم جعل العینان کاللوزتین؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم جعل الأنف بینهما؟ قال: لا أعلم.

قال علیه السّلام: فلم کان ثقب الأنف فی أسفله؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم جعلت الشّفة و الشّارب من فوق الفم، قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم أحدّ السن(2) و عرض الضرس و الناب؟ قال: لا أعلم قال علیه السّلام: فلم جعلت اللحیة للرّجال؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم خلت الکفان من الشّعر؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم خلا الظفر و الشعر من الحیاة؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم کان القلب کحبّ الصنوبر؟ قال: لا أعلم.

قال علیه السّلام: فلم کانت الرّیة قطعتین و جعل حرکتها فی موضعها؟ قال: لا أعلم قال علیه السّلام: فلم کانت الکبد حدباء(3) قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم کانت الکلیة کحبّ اللّوبیا؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم جعل طیّ الرکبة إلی خلف؟ قال: لا أعلم، قال:

فلم آن حضرت(4) القدم؟ قال: لا أعلم، فقال الصّادق علیه السّلام: لکنّی أعلم، قال: فأجب.

فقال الصّادق علیه السّلام: کان فی الرّأس شئون لأن المجوّف إذا کان بلا فصل أسرع إلیه الصداع فاذا جعل ذا فصول کان الصداع منه أبعد، و جعل الشعر من فوقه لیوصل بوصوله(5) الادهان إلی الدماغ و یخرج بأطرافه البخار منه و یرد الحرّ و البرد

1- (1) الاسارير خطوط الجبهة جمع الاسرار و هی جمع السریر صحاح.

2- (2) المفهوم من الاخبار اختصاص السن بالمقادیم الحداد و الضرس بالمآخیر العراض و المفهوم من کلام أهل اللغة ترادفهما.

3- (3) حدب الانسان من باب تعب إذا خرج ظهره و ارتفع عن الاستواء فالرجل أحدب و المرأة حدباء فیومی

4- (4) رجل محضر القدمین اذا کانت قدمه تمسّ الأرض من مقدمها و عقبها و تحوی أخمصها مع دقة فیه صحاح.

5- (5) ای بسبب وصول الشعر الی الدماغ تصل الیه الادهان او هو جمع الوصل الی مثابته و اصوله و لا یبعد ان یکون فی الاصل باصوله فصحف بقرینة مقابلة أطرافه، بحار.

الواردين عليه و خلت الجبهة من الشّعر لأنها مصبّ النور إلى العينين و جعل فيها التخطيط و الأسارير ليحبس العرق الوارد من الرّأس عن العين قدر ما يميطه(1) الانسان من نفسه كالأنهار فى الأرض التى تحبس المياء.

و جعل الحاجبان من فوق العينين ليوردا من النّور عليهما قدر الكفاية ألا ترى يا هندى إنّ من غلبه النّور جعل يده بين عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه، و جعل الأنف فيما بينهما ليقسم النّور قسمين إلى كلّ عين سواء و كانت العين كاللّوزة ليجرى فيها الميل بالدواء و يخرج منها الداء، و لو كانت مرّبعة أو مدوّرة ما جرى فيها الميل و ما وصل إليها دواء و لا خرج منها داء.

و جعل ثقب الانف فى أسفله لينزل منه الأوداء المنحدرة من الدّماغ و يصعد فيها الأراييح(2) إلى المشام و لو كان فى أعلاه لما ينزل داء و لا وجد رائحة، و جعل الشّارب و الشّفة فوق الفم لحبس ما ينزل من الدّماغ عن الفم لئلاّ يتنغّص على الانسان طعامه و شرابه فيميطه(3) عن نفسه و جعلت اللّحية للرّجل ليستغنى بها عن الكشف(4) فى المنظر(5) و يعلم بها الذكر و الأنثى.

و جعل السنّ حادا لأنّ به يقع العضّ و جعل الضرس عريضا لأنّ به يقع الطحن و المضغ و كان الناب(6) طويلا ليشدّ الأضراس و الأسنان كالاسطوانة، فى البناء، و خلا الكفّان من الشعر لأنّ بهما يقع اللمس فلو كان بهما شعر مادرى

1- (1) اى يزيله و ينحيّه

2- (2) جمع أرياح و هو جمع الريح.

3- (3) اى يحتاج الى ازالة ما ينزل من الدماغ عند الاكل و الشرب عن نفسه م

4- (4) عن كشف العورة

5- (5) متعلّق بقوله يستغنى.

6- (6) لعلّ وجه كونه سندا من بين ساير الاسنان أنه لطوله يمنع وقوع الاسنان بعضها على بعض فى بعض الاحوال كما أنّ الاسطوانة يمنع السقف من السقوط، بجار

الانسان ما يقابله(1) و يلمسه، و خلا الشعر و الظفر من الحياة لأنّ طولهما سمج يقبح و قصهما حسن فلو كان فيهما حياة لآلم الانسان لقصّهما.

و كان القلب كحبّ الصنوبر لأنه منكس فجعل رأسه رقيقا ليدخل فى الرّية فيتروح عنه ببردها لئلا يشيط (2) الدماغ بحرّه، و جعلت الرّية قطعتين ليدخل مصاعظها(3) فتروح عنه بحركتها، و كانت الكبد حدباء ليثقل المعدة و تقع جميعه عليها فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار.

و جعلت الكلية كحبّ اللوبيان لأنّ عليها مصبّ المنى نقطة(4) بعد نقطة فلو كانت مرّبعة أو مدوّرة لاحتبست النقطة الاولى الثانية فلا يلتذّ بخروجها الحىّ إذ المنى ينزل من فقار الظهر الى الكلية فهى كالدّودة تنقبض و تنبسط ترميه أوّلا فأوّلا إلى المثانة كالبندقة من القوس.

و جعل طىّ الرّكبة إلى خلف لأنّ الانسان يمشى إلى ما بين يديه(5) فتعدل الحركات و لولا ذلک لسقط فى المشى، و جعلت القدم متحضرة لأنّ الشّىء إذا وقع على الأرض جميعه نقل(6) ثقل حجر الرّحى و إذا كان على حرفه دفعه الصّبى

1- (1) كأنه كان يعامله فصحف مع أنّ اكثر ما يلمس يكون مقابلا بحار

2- (2) أى يحترق منه

3- (3) أى بين قطعتى الرية

4- (4) استعيرت النقطة هنا للشىء القليل و القطرة بحار

5- (5) أى يميل فى المشى الى قدامه و لو كان طى الركبة من القدام لانتهى ايضا من هذا الجانب فيسقط بحار

6- (6) و ذلک لامتناع الخلاء لانه اذا لم يكن بين السطحين هواء أصلا لم يمكن رفع احدهما عن الآخر فيرتفعان معا. و لو كان بينهما هواء قليل يرتفع لكن بعسر لتوقفه على تخلل هذا الهواء و دخول الهواء من خارج أيضا فحضر القدم يوجب وجود هواء كثير تحت القدم فاذا رفع القدم يدخل تحت ما لصق بالارض من قدام القدم و عقبه الهواء من الأطراف بسرعة و بسهولة فلا يعسر رفعه، بحار

و إذا وقع علی وجهه صعب ثقله علی الرجل.

فقال الهندی: من أین لک هذا العلم؟ فقال علیه السّلام: أخذته عن آبائی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن جبرئیل عن ربّ العالمین جلّ جلاله الذی خلق الأجساد و الأرواح، فقال الهندی: صدقت و أنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه و أنّک أعلم من أهل زمانک.

الترجمة

گردانید حق سبحانه و تعالی از برای شما گوشها را تا این که حفظ نمایند و نگه بدارند آنچه که مهمّ باشد ایشان را و ضروری، و آفرید چشمها را تا این که روشنی بخشند از شب کوری، و خلق فرمود اعضاء ظاهره که جمع کنندهٔ اعضای باطنه بودند در حالتی که مناسب و موافق بودند با اطراف و جوانب متناهیهٔ خود در ترکیب صورتهای آنها و مدتهای عمرهای آنها با بدنهائی که قائمند بمنافع خود و با قلبهایی که طالبند مر رزقهای خود را در حالتی که شما در توی نعمت های کامله می باشید و أسباب منتهای شامله و موانع صحّت بدن از أمراض و محن.

و مقدّر فرمود از برای شما عمرها که پوشانید آنها را از شما و باقی گذاشت از برای شما عبرتها از آثار گذشتگان پیش از شما از محل لذت یافتن ایشان با نصیب خودشان و از مکان گشاده بودن ریسمان مرگ از گردن ایشان.

شتاب نمود ایشان را مرگ ها بی رسیدن بآرزوها، و متفرق ساخت ایشان را از آرزوها بریده شدن أجلها در حالتی که مهیا نساختند از عمل های شایسته در سلامتی بدنها، و عبرت نگرفتند از عبرت های نافعه در اول زمانها.

پس آیا انتظار می کشند أهل قوت و امتلاء جوانی مگر قد خم کنندهای پیری و ناتوانی را، و أهل خوشی صحت و تن درستی مگر نازل شوندهای بیماری را، و أهل مدت بقا مگر زمانهای فنا و نابودی را با وجود نزدیکی مفارقت و قرب

انتقـال بسوی آخرت و با وجود جزع اضـطراب و درد مصـیبت و بسـیار بگلو مانـدن آب دهان از انـدوه و محنت و با وجود این طرف و آن طرف نگریستن برای فریاد رس خواستن بیاری دادن اعوان و خویشان و اولاد و عزیزان.

پس آیا دفع نمود مرگ را از او خویشان، یا نفع بخشـید گریـهٔ گریه کننـدگان و حال آنکه ترک کرده شـد در محلـهٔ مردگان محبوس گناه و در تنگی خوابگاه بی یار و همراه بتحقیق که پاره نمود حشـرات الأرض پوست تن او را و کهنه نمود لاغر کننـدگان تازگی بـدن او را، و مندرس نمود بادهای سـخت جهنـده اثرهای او را و محو نمود حوادث روزگار علامتهای او را، و بگردید بدنها متغیّر و لاغر بعد از تازگی و قوّت، و استخوانها پوسیده و متفرّق بعد از توانائی و شدّت.

و روحها گرد کرده شـد ببار گران گناهان در حالتی که یقین کننده باشـند باخبار غایبه از ایشان، طلب نمی شود از آنها زیاده کردن از اعمال صالحه، و طلب نمی شود از ایشان راضـی کردن حق از اعمال باطله، آیا نیستید شـما پسـران قوم خود و پدران ایشان، و برادران قوم خود و خویشان ایشان، اندازه می گیرید در کارها بر مثلهای آنها، و سوار می شوید بر طریقهٔ ایشان در اقوال و افعال، و سلوک می کنید در راههای ایشان بهمه حال.

پس قلبها سختند از قبول بهرهٔ سودمند خود، غافلند از طلب هدایت خود سالکند در غیر میدان با منفعت خود، گویا که مخاطب و مقصود بأوامر و نواهی غیر از آن دلهاست، و گویا که رشادت و مصلحت آنها در حفظ متاع دنیاست.

هذا آخر الجزء الخامس من هذه الطبعة الجديدة الثمينة القيمة، تم تصحيحه و تهذيبه و ترتيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجى» عفى عنه و عن والديه و وقع الفراغ فى العشـر الاول من شهر رجب الاصب 1379 و يليه ان شـاء الله الجزء السادس و اوله: «الفصل السادس» من المختار الثانى و الثمانين، و الحمد للّه رب العالمين

درباره مرکز

بسمه تعالی

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

با اموال و جان های خود، در راه خدا جهاد نمایید، این برای شما بهتر است اگر بدانید.

(توبه : 41)

چند سالی است که مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه موفق به تولید نرم‌افزارهای تلفن همراه، کتاب‌خانه‌های دیجیتالی و عرضه آن به صورت رایگان شده است. این مرکز کاملا مردمی بوده و با هدایا و نذورات و موقوفات و تخصیص سهم مبارك امام علیه السلام پشتیباني مي‌شود.

براي خدمت رسانی بیشتر شما هم می توانید در هر کجا که هستید به جمع افراد خیراندیش مرکز بپیوندید.

آیا می‌دانید هر پولی لایق خرج شدن در راه اهلبیت علیهم السلام نیست؟

و هر شخصی این توفیق را نخواهد داشت؟

به شما تبریک میگوییم.

شماره کارت :

6104-3388-0008-7732

شماره حساب بانک ملت :

9586839652

شماره حساب شبا :

IR390120020000009586839652

به نام : (موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه)

مبالغ هدیه خود را واریز نمایید.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک 129/34- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: 03134490125

دفتر تهران: 88318722 ـ 021

بازرگانی و فروش: 09132000109

امور کاربران: 09132000109

مرکز تحقیقات رایانه‌ای
قائمیه
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های‌تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹